الدكتور رءوف عبيد
وكيل كلية الحقوق
جامعة عين شمس

في العودة للتجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم

١٩٧٦

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة الاستقلال الكبرى

٨ شارع نجيب الريحاني بالقاهرة ت ٤٧٤٨٦

اهـــداء

عزيزى القــارىء

قال الفيلســوف فرانسيس بيــكون F. Bacon « اقــرأ لا لتعارض أو لترفض ، ولا لتقبل وتسلّم جزافاً ، بل اقرأ كيما تزن وتقــدّر » .

وقال العــلامة توماس هكسلى T. Huxley « اننا ينبغى أن نكون كأطفال صغار ، وعلى استعداد لأن نتنازل عن كل فكرة مسبّقة ، وأن نتتبع بتواضع ما تقودنا اليه الطبيعة من اخاديد حيثما وجدت وكيفما كانت ، والا فلن نتعلم شيئاً . ولقد بدأت أتعلم كيف يكون رضى العقــل وسلامه فحسب منذ صممت على أن أفعل ذلك مهما كانت المخاطر » .

وينبغى أن تضع فى الاعتبار أنك هنا تتصفح أوراق قضية عظمى ، غنية بالوثائق والأســانيد الخطــيرة المتنوعة ، مما يقتضى الكثير من الأناة فى المطالعة وفى المراجعة .

فاذا كنت تريد أن تمضى مع بيكون وهكسلى فى سبيلهما الى الكشف عن الحقائق فاننى أهــدى اليك هذا الجهد المتواضع فى محاولة الكشف عنها ، لعلك تجد فيه ضالتك المنشودة كيما تزن وتقدّر ، وتحصل بذلك على رضى العقــل وســلامه ، وليس بعدهما من غاية يصح أن ينشــدها العقل الحكيم .

اما اذا كنت تعرف سبيلاً آخر للكشف عن الحقائق فارجو ــ بكل لهفة ــ أن ترشدنى اليه ، وأن توضح لى أين يوجد ، وكيف يكون ؟ !

المؤلف

فى العودة للتجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم

تمهيـد

عن الوضع العلمى للمشكلة

هل يحيا الانسان فى جسده الترابى مره واحده فحسب ، أم من الجائز أن تتاح له فرصة العيش فيه أكثر من مرة ؟ تساؤل مفرط فى خطورته ، كما هو مفرط فى قدمه ، وتنوعت صيغ الاجابة عليه تنوعا ضخماً منذ أقدم العصور حتى الآن . وثمة صيغة واحدة بالأقل يعنى بها كل العناية « علم الروح الحديث » ــ ومن ورائه الباراسيكولوجى ــ وهى مدى احتمال عودة الروح للتجسد فى صورة آدمية قد تشبه على نحو أو آخر صورها السابقة ، وان لحقها بعض التطور فى الشكل أو فى الموضوع طبقاً لناموس التطور الطبيعى .

وقد انتقل العلم الحديث بهذا الموضوع الخطر من اطار النقاش النظرى البحت الى اطار التحقيقات الوضعية كما هو الشأن فى موقف العلم الحديث من دراسة كافة الظواهر الطبيعية . ولما كان الانسان العائد للتجسد يفقد بحسب الأصل ذاكرته الواعية عن تجسده السابق ، لذا فان التحقيقات الوضعية هنا اتخذت لها عدة مسالك متنوعة جديدة ــ نسبياً ــ على دوائر العلم : ــ

ــ وكان من أولها استخدام أسلوب ارجاع الذاكره الى الوراء فى غيبوبة التنويم المغناطيسى وقد تكشف فى بعض الحالات عن نتائج مذهلة ، وقد ذلل الطريق امام هذا الأسلوب البحاثة الفرنسى الكونت أوجين البير دى روشا Eugène Albert de Rochas . ثم تابعه فيه عدد من الباحثين الجادين فى بلاد متنوعة .

ــ ثم ظهر أسلوب تحقيق ظواهر « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » وقد جاء بدوره بنتائج ايجابية غزيرة مترابطة ابتدات تجتذب انتباه كبرى الجامعات والهيئات المعنية بدراسة الانسان .

— ويضاف الى ما تقدم أساوب الاتصالات الروحية ، أو بالأدق التحقيقات المتواصلة التى جرت فى الظواهر الوساطية العقلية والفيزيفية معاً ، وقد جاءت بدورها بنتائج ايجابية عديدة لها وزنها .

— وقد تضافرت هذه الأساليب فى تجميع عدد ضخم من الوقائع الهامة ، التى ينبغى أن تخضع للتحليل العلمى الناقد لاستخلاص نتائجها المنطقية .

وتجميع الوقائع أو تحليلها ينبغى بداهة أن يجرى بمعزل تام عن كل آراء مسبقة الى جانب صحة العودة للتجسد أو الى جانب انكارها ، حتى يتسنى الوصول الى نتائج يعتد بها فى شأن هذه المشكلة العلمية الكبرى . ولذا يقول الدكتور جوستاف جيلى Gustave Geley (١٨٦٥ — ١٩٢٤) مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » Institut Métapsychique International بباريس — وهو مؤسسة معترف بها رسمياً بأنها ذات نفع عام — فى مؤلفه عن « العودة للتجسد » : « ان نظرية العودة للتجسد اذا ما فهمت فهماً جيداً بكل نتائجها الميتافيزيقية ، من الناحيتين المعنوية والاجتماعية سترتكز فى المستقبل على أساس ثابت . وبالتالى لا يقبل الزعزعة .

لكننا ينبغى أن نتجنب بلا تحفظ طغيان التعاليم المزعومة ، المؤسسة على صور من الالهام المزعوم ، والابتكار المزعوم » . وبقدر ما ينبغى تجنب التعاليم الروحية المزعومة ينبغى أيضاً تجنب التعاليم الرافضة مقدماً لأنها مؤسسة على خرافات مادية يطلقون عليها أحياناً وصفاً خاطئاً وهو « العلم المادى » .

وتحقيق المشكلات العديدة المرتبطة بالعودة للتجسد ينتظر منه أن يلعب دورا فعالا فى تراجع خرافات العلم المادى . ولذا فان ثمة نشاطاً علمياً واسعاً يجرى حاليا فى جامعات عديدة نحو تحقيق هذه المشكلات أو بعضها ويرجى لها أن تلقى بعض اضواء على العديد من الغاز الاضطرابات العقلية والعصبية . وأن تساعد فى الكشف عن مجاهل الشعور واللاشعور ، وتوسع نطاق دراستها الى مدى أو الى آخر .

وفى نفس الوقت قد تساعد هذه التحقيقات فى اثبات الطبيعة الروحية الحقة للانسان ، وللعقل ، وللذاكرة ، وبالتالى لانفصال كل ذلك عن نشاط المخ — وهو جهاز محض مؤقت كسائر أعضاء الجسد المادى — للقول بازدواج الانسان فى الجسد المادى الى روح ومادة ، وبصحة دوام الروح بغير حاجة الى هذا الجسد المادى ، وهذه هى بعينها النظرية الروحية بكل نتائجها المفرطة فى خطورتها واتساع نطاقها ،

وتسعبها فى مسالك الفلسفة ، والاعتقاد ، والنفس ، والاخلاق ، والبيولوجيا ، والفيزياء ....

صلة هذه المشكلة بالخلود

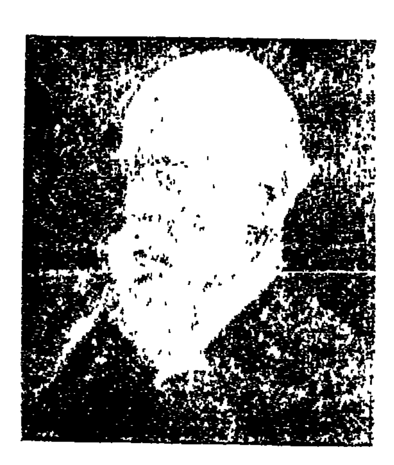
ثم ان هناك حقيقة منطقية فى هذا الساق وهى انه اذا كان خلق الروح لا تكون الا ساعة تكوين الجنين فى بطن امه — نتيجه اتحاد جنسى للأجساد الفانية — فان التكوين الجسمانى يصبح لا غنى عنه للروح ، ويصبح فناء الروح بفناء التكوين الجسمانى هو الامر الاقرب الى المنطق من الناحية النظاريه بالأول .

أما اذا قلنا ان خلق الروح سابق على خلق الجسد ، وأن الجسد مجرد موطن عابر ومؤقت للروح الأزلية لأصبح من المفهوم ان تحدث عن حياة الروح بعد فناء الجسد . أو بعبارة أخرى ان النظرية الروحية كلها لا يمكن أن تقف على قدميها عند القول بان حياة الجسد مبدأ لحياة الروح ، لأن موت الجسد يصبح على هذا النحو مبدأ لموت الروح أيضا .

وقد حاول سير أوليفر لودج Oliver Lodge (١٨٥١ — ١٩٤٠) عالم الفيزياء ومدير جامعة برمنجهام — وهو من أشهر الأسماء فى العلم الطبيعى الحديث ومن أقدرها فى الحديث عن الخلود وعن الصلة بين العقل والمادة — أن يضع صياغة علمية لهذا الموضوع لما ما قال :

« عندما يثار موضوع الوجود المسبق pre - existence فان بمقدورى ان أقول ان الانسان كما نعرفه عبارة عن ظهور طازج fresh apparition أى « تفريد » أو « تشخيص » individualisation لشيء موجود من قبل . ان حياتنا دخلت فى رابطة بالمادة عندما أصبحت المادة صالحة لاستقبالها ...

والآن لابد أن تقولوا أن هذا مجرد افتراض ، وهو كذلك بلا ريب ، لكن هدفى هو أن أحاول أن أوضح معنى الأشياء كما ظهرت لى تدريجيا من دراسة الطبيعيات والروحيات . واذا لم تكن ذلك صحيحا فان شيئا أفضل منه هو الصحيح . وعلى أن الفت نظركم الى أن هذا القول تؤيده الهام الشعراء ، أى تؤيده العبقرية والالهام ، لأن ثمة سبلا عديدة للوصول الى الحقيقة ، وما التحقيق العلمى سوى سبيل من بينها . وهو سبيل بطيء ، ومجهد ، وشاق ، لكنه يكون سبيلا آمنا لو أحسنا الانتظار بما يكفى .



أوليفر لودج

ولكن الانسان العبقرى قد يكون صاحب الهام ، وليس لنا أن نحتقر على اى وجه كان الهامات العباقرة ، وقد تكون أقوال الشعراء لها مغزاها . وعندما يقول وردزورث Wordsworth « ان ميلادنا نوم ونسيان » فانه يقول شيئاً يماثل ما بدأت أفكر أنه الحقيقة . ومرة ثانية ترد بخاطرى هذه العبارة وهى « النزول الى الجيل » (١) ، وعبارة « ان الروح تتطلع الى أن تخلط نفسها بالطين » .

ويمكننى أن اتخيل انه من آن الى آخر تسنح للروح فرصة كيما تدخل فى ارتباط بالمادة ، وتصبح تدريجياً فرداً ، وتنمى لها طبعاً ، وشخصية ستبقى . وبحيث يبدو بالأكثر وجود نوع من الاختيار فيما اذا كنا ندخل الى حياة المادة أم لا ، وفى نوع هذه الحياة التى ندخل اليها . وعلى هذا النحو قد يطلب الينا أن نتخير ابوينا ، وهو ما قد يبدو خارقاًللعقل بحسب الظاهر ، حتى وان كان من الجائز انه يمثل قدرا من الحقيقة . وبالتالى فان بعض حقائق الوراثة ينبغى أن يدخل فى الاعتبار .

والآن اكرر أن الحياة الأرضية هى المغامرة ، وهى الشىء المحير ، والاستثنائى . فنحن تجسدات ، ودخلنا الى المادة ، ونحتفظ مع ذلك ببعض الصلة بعالم الروح ، وهو العالم الحقيقى الذى هو موطننا أكثر مما نحن هنا . ولذا تحدث الرؤى ، والالهامات ، وحتى « الصوت المباشر » ، وكل صور الظواهر التى اضحت مالوفة لدينا تدريجياً ، كما كانت لدى الأقدمين أيضاً .

كما اختبرنا الارشاد والمساعدة اللذين يمنحان لنا أثناء تجسدنا ، سواء اشعرنا بهما أم لم نشعر . وفى الواقع ان هذا النظر الذى حاولت ان ابرزه عن تجسد الروح بالماده لهدف نقدمها ، أو لهدف آخر راق سواء أكان تحسن طباعها أم تحقيق خدمة ما ، يلتئم تماماً مع الايمان الدينى ، ومع القول بأن التجسد أكثر من مجرد ارتباطنا المألوف بالمادة » (٢) .

هذه هى ثمرة او خلاصة بحوث دامت لمدى خمسين عاماً بمعرفة علامة طبيعى عبقرى ذى سمعة ضخمة . ويقال انه وضع حجر الأساس فى أخطر كشفين وصل اليهما عقل الانسان فى القرن

---

(١) Descent into generation.

(٢) Phantom Walls. 1969 p. 98 - 101.

لعشرين : وهما الارسال اللاسلكي ونظرية النسبية (١) ، فكيف نتجاهل ثمار أمثال هذه البحوث ولحساب من يكون التجاهل ان لم يكن لحساب الاصرار على كل ما ألفناه من مفاهيم وآراء ؟ ! وعلى أن آراءنا المسبقة أصوب من آراء كل الباحثين العلميين سواء اتيحت لنا فرصة الاطلاع عليها أم لم تتح ؟ !

نقد « التناسخ »

وهذه الظاهره أطلق عليها المؤلفون القدامى وصفا خاطئاً هو « تناسخ الأرواح » . ومصدر الخطأ أن النسخ هنا أو الالغاء لا محل له ، انما كان الأولى أن يطلق عليها « تناسخ الأجساد » لأن الروح تبقى دائماً وتواصل حياتها ونشاطها فى النمو وفى تحقيق الذات ، انما العنصر محل النسخ هو فحسب الجسد الترابى الذى ينفصل عن الروح فى لحظة الوفاة ، وتعيش الروح فى اطار من جسد آخر أرق منه وأرقى هو الجسد الأثيرى . وذلك الى أن تأذن اراده الله بأن تحل الروح فى جسد انسا جديد عندما يصلح — وهو فى بطن الأم — لاستقبال ذلك الضيف القادم من عالم ما وراء المادة ، أو بالأدق من عالم الأثير .

وهذا هو ما تعنيه نظرية العوده للتجسد Re-Incarnation او العودة للميلاد Rebirth أو نحو ذلك من أوصاف متعددة .

ويمكن بالتالى تعريف هذه العوده للتجسد أو للميلاد بأنها « عودة المبدأ الروحى فى الانسان الى غلاف لحمى جديد » . وهذا الغلاف يتخذ بالنسبة للانسان دائما جسدا آدميا ، ولو انه يمكن أن يعرض مجرد افتراض أن هذه العودة كما هى جائزه الى نفس الكوكب الذى كان موطنا للتجسد القديم فانها جائزة نظريا الى كوكب قد ينتمى الى مجموعة شمسية اخرى ، صالح لصيغة ما من صيغ حياة التجسد الفيزيقى للانسان .

و « العوده للتجسد » بهذا المفهوم المحدد تختلف تماماً عن المعتقدات الشائعة عن احتمال تقمص روح الانسان لجسد حيوان ، وهذا ما ترفضه تماماً كل البحوث العلمية فى الروح . كما تختلف أيضاً عن دورات الحياه فى عالم المادة أو تحول خلايا جسم الانسان بعد تحلله بالوفاة الى غذاء للنبات ، أو تحول خلايا النبات الى غذاء

---

(١) للمزيد عن أوليفرلودج راجع كتابا حديثا بمرشد وصدر جولى W P Jolly عنوانه « سير أوليفر لودج الباحث الروحى والعالم » (١٩٧٤) .
Sir Oliver Lodge Psychical Researcher and Scientist.

للحيوان ، أو تحول خلايا الحيوان الى غذاء للانسان (عن طريق أكل لحمه مثلا) .

وهو ما قد يمثل الأصل التاريخى للخلط الذى شاع بين دورات الحياة فى عالم المادة على هذا النحو وهى تلك التى يطلق عليها « التناسخ » وبين « العودة للتجسد ، أو للميلاد » ، وهذا أمر مختلف عن ذلك تماماً ، رغم أن بعض الباحثين تعود من باب التجاوز الضار استخدام هذا الوصف الأخير وهو « التناسخ » للتعبير عن « العودة للتجسد » Re - incarnation أو « العودة للميلاد » Rebirth فى مفهومها العلمى المحدد المعاصر .

ولذا نفضل فى معالجة هذا الموضوع استخدام هذا التعبير وهو « العودة للتجسد » أو للميلاد باعتباره أصحها وأكثرها شيوعاً فى البيئات العلمية . أما تعبير « التناسخ » فينبغى العدول عنه نهائيا لأنه يقود الى خطأ بيّن ولبس لا مبرر له فى فهم هذا الموضوع .

وهذا لا ينفى اننا سنضطر أحياناً الى استخدام كلمة «التناسخ» عند الحديث عن رأى المؤلفين القدامى فى هذا الموضوع ، وما دام كان هذا هو اسلوبهم المستخدم فى كتاباتهم أو فيما كتب عنهم وبالقدر اللازم لأداء هذا الغرض وحده .

ونراعى أيضاً أن تعبير « تقمص الأرواح » تعبير خاطىء بدوره ، لأنه اما أن يشير الى حالة الهيمنة أو الاستحواذ الروحى ؛ وهذه لا ينبغى أن تختلط بموضوع « العودة للتجسد » ، واما أن يشير الى تقمص أرواح الحيوانات والنباتات ... وهى عقيدة كانت ولا تزال معروفة فى الشرق الأقصى ، ولكن لم يقم على صحتها أى دليل حتى الآن ، بل انها تتعارض فى الواقع مع أولى حقائق العلم الوضعى وما يرتبط به من فلسفات عن الروح ، وعن الخلود فى مفهومه الحديث .

عن تزايد الاهتمام بالمشكلة

وحتى اذا تركنا جانباً موضوعات الخلود وما تثيره من مباحث عديدة فان حقائق الحياة ، وكشوف العلم الحديث لا تعترض طريق الاعتقاد باحتمال العودة للتجسد فى صورة آدمية وهو نفس المعنى الذى عبر عنه الدكتور ك . ج . دكاس C. J. Ducasse أستاذ الفلسفة بجامعة براون Brown بأمريكا فى مؤلف له عنوانه

« دراسة انتقادية فى الاعتقاد فى دوام الحياه بعد الموت » (١) (١٩٦١) بقوله انه « سواء اكانت الحيـاة بعد الموت حقيقـة أم لم تكن ، فان من المتصور تعـدد الحيوات على الأرض . ومن المتصـور منطقياً أن تكون مترابطة ومتماسكة ، **وليست متعارضة مع الحقائق التى نعـرفها فى** العلم التجريبى أو متضاربة معها » .

وهـذه الحقائق هى نفسها التى استند الى بعضها عـدة بحـاث علميين بكل معنى الكلمة ، وقدموا نتائج خطيرة لأبحاثهم تسبب الحيرة والذهول . منهم الدكتور لويس كرستوفورو بوستليونو Leuis Cristoforo Postiglono فى مؤلف له عنوانه « اسس لفلسـفة علمية عن دوام الحياة بعد الموت ، والعـودة للتجسد » (٢) (١٩٥٦) . وكان ذلك موضوع رسالة طبعت فى بوينس أيرس (عاصمة الأرجنتين) وتقدم بهـا صاحبها الى أحد المؤتمرات الروحية الدولية .

على أن اهم ما ينبغى ان يراعى هو أن جميـع الأسانيد التى تثـار الآن فى شأن هذا الموضوع ليست — بالمرة — نظرية ، أو فلسفية ، أو عقيدية ، بل هى أسانيد وضعية وصـل اليها البحاث المفكرون فى محاولة استكشـاف مجاهل الانسان ، وأسرار تكوينه العقـلى — الروحى والجثمانى أيضاً .

واذا كان للفلسفة من دور هنا فهو تحليل الوقائع التى جمعها فى كد ونصب البحاث الوضعيون فى جميع الأرجاء لمحـاولة تشييد قضايا كلية صحيحة على هذه الوقائع نفسها . واذا كان للاعتقاد من دور هنـا فهو أن يعيد صياغة المفاهيم العقيدية بما يلتئم تماماً مع كشوف العـلم الثابتة بدلا من المكابرة فيها ، على غير أساس ، ولغير جدوى .

خصوصاً وأن الأسانيد العقيدية فى جانب صحة هذا الاعتقاد وفيرة وفـيرة لا يمكن أن يتصورها الانسان الذى يعيش على هامش الاعتقـاد معتقداً أنه قد حاز منه أوفر نصيب ، وأصبحت له — وحـده — الكلمة الأولى والأخيرة فى هذا الموضوع البعيد الاغوار ، المترامى الاطراف .

وهو فى أول المطاف ، وفى نهايته أيضـا ، موضوع محض علمى شأنه شأن كل نواميس الطبيعة التى نجح كد العلمـاء فى الوصول اليها بعـد

---

(١) A Critical Examination of the Belief in a life After Death.

(٢) Fondamental Scientific Philosophy About Survival and Reincarnation.

طول عناء ، وبعد تطبيق أسلوب التحليل الناقد على أكبر قدر ممكن من الوقائع الثابتة . وموضوع هذا شأنه ليس من الحكمة فى شىء أن يترك لأسلوب التطرف ، أو لأسلوب الافتراض والارتجال ، الا اذا صح أن يترك لنفس الأسلوب استكشاف أسرار الطاقة ، أو الجاذبية ، أو المغناطيسية ، أو النسبية ، أو الفضاء ، أو الكيمياء ، أو استكشاف أسرار الشعور واللاشعور وهى تنبع فى الصميم من موضوع احتمال العودة للتجسد .

ومراعاة لهذه الاعتبارات الواضحة بذاتها كل الوضوح نجد ان الجامعات والمعاهد الأجنبية بوجه عام بدأت تولى دراسة هذا الموضوع الهام الكثير من العناية للبت برأى حاسم فيه — ايجاباً أو سلباً — على أسس محض وضعية — وذلك الى حد أن أعدت له فى الولايات المتحدة وحدها مشروعات بحث جاد بالأقل فى سبع معاهد كبرى وهى : —

— جامعة هوارد Howard بمدينة واشنطون .
— جامعة ادلفى Adelphi بمدينة نيويورك .
— جامعة سانت لورانس St Laurenc بسانت لورانس .
— جامعة لاسال Lasalle بمدينة فلادلفيا .
— جامعة فرجينيا Virginia بولاية فيرجينيا .
— كلية كاليفورنيا California بمقاطعة كاليفورنيا .
— كلية تكساس Texas فى مقاطعة بنزليانيا .

* * *

ولا غرابة أن يتزايد على الدوام الاهتمام بدراسة هذه البنية الدقيقة المركبة . خصوصاً وأن المقام ليس بالمرة مقام رأى ثانوى قد أثير اعتباطاً فى شأن مشكلة عادية من مشكلات الاعتقاد ، أو الفلسفة ، أو العلم . بل ان المقام جد خطير ، لأنه مقام البحث فى أعماق علاقة الانسان بالكون وبنفسه ومحاولة تحديد أبعادها الصحيحة على أسس يقينية يراد لها أن تكون بعيدة تماماً عن أسلوب المضاربات الجزافية ، أو الافتراضات النظرية التى كانت — فى الماضى — تهيمن هيمنة شبه تامة على دوائر الفلسفة والاعتقاد .

ويكفى فى هذا الشأن أن تعلم أن « عودة التجسد » متى قيل بثبوتها علمياً ، وهو ما يقوله الآن العديدون من المطلعين اطلاعاً كافياً على ما جرى بشأنها من تحقيقات وأبحاث عملية مثابرة منذ مطلع هذا القرن ، فانها تلقى أضواء ساطعة كثيرة على أمور خطيرة متعددة منها : —

اولا : تفسير البعض من النواحى الغامضة فى سلوك الانسان وملكاته والغازه الكثيرة والتى كان علم النفس القديم يقف ازاءها فى حيرة تامة ، وفى عجز مطلق ازاء اصراره على حداثة الذاكرة الانسانية .

ثانياً : انها توضح بالتالى بعض معالم الحدود بين الشعور واللاشعور ، تلك الحدود التى طالما كانت ارضا خصبة لصراع قد طال أمده بين المدارس النفسية المختلفة .

ثالثاً : انها تثبت بطريقة محسوسة ملموسة وجود نواميس غيبية — طبيعية لا مادية — تحكم الكون بصرامة واضطراد لا تقل عن صرامة نواميس المادة واضطرادها . وهذه النواميس جزمت الفلسفات العريقة بوجودها ، ولكن انكرتها مدارس كثيرة للشك وللالحاد زعمت لنفسها الاطلاع الكامل على كل أسرار الكون لأن الكون لا يتعدى فى نظرها حدود حواسنا الخمس المعروفة ! .

رابعاً : انها تثبت بطريقة وضعية قانون « السبب والنتيجة » ، أو « العلة والمعلول » . وانه يعمل فى نطاق الروح فى اضطراد تام ، ومنطق صارم ، كما يعمل فى نطاق المادة أيضا .

خامساً : انها تقيم دعائم لا تدحض للايمان بالله ، بوصفه صانعاً حكيماً للكون على أسس أخلاقية مفرطة فى حكمتها وفى عدالتها .

سادساً : انها تلقى أضواء ساطعة على ماهية تلك الأسس ، الخلقية لا على مبدأ وجودها فقط ، وبعبارة أخرى انها تساعد على تحديد الطريق الصحيح لمسيرة الانسان فى رحبات هذا الأزل الذى لا يعرف له بداءة ولا نهاية .

سابعاً : انها تثبت بطريقة عملية واضحة توافر قدر ما من حرية الاختيار لدى الانسان ، وبالتالى تقيم اساساً وطيداً لمسئوليته الاخلاقية عن افعاله ، وهى تقع فى الأساس من مسئوليته الاجتماعية والتشريعية ايضاً .

ثامناً : انها قد تلقى أضواءها على العديد من الروابط الاجتماعية والوزالية التى لا يزال أمرها مجهولا من المعارف الانسانية ، وبالتالى قد تفسر صلة الانسان بأسرته ، وبوطنه ، وبجنسه تفسيراً أعمق من التفسير الشائع وربما أصح منه أيضاً . ناهيك عن صلة الانسان بنفسه التى قد يثبت انها اعرق بكثير من صلته بجسده العضوى الراهن . وهذا التفسير الجديد من شأنه ان يدخل دور ارادة الانسان وحريته فى الاعتبار

عند تحديد مصدر هذه الصلات كلها ، والرجوع بهــا كلهــا الى ماضيه السحيق لا الى حياته الراهنة فحسب .

تاسعاً : أنها تثبت بطريقة علمية نهائية صـحة دوام حياة الانسان بعد الموت . وبالتـــالى صـحة مبـدأ الخـلود ناهيك بجميع الأسس الفيزيقية والرياضية التى أصبح يقـوم عليها هـذا المبـدأ الأساسى الذى يكاد يمثل كل شيء لضمير الانسان ومصيره .

عاشراً : واذا ثبت نهائياً دوام الحياة بعد الموت ، وبالتالى استقلال الروح عن الجسد المـادى فقد ثبتت نهائياً أقوى دعامة للايمــان النقى ، ولعــزاء الانسان عن آلام حاضره وماضيه ، وتراجعت بنفس المقــدار دعاوى الشك والانــكار بكل ما تورثه من يأس ، وقلق ، وتشـــاؤم من مستقبل الانسان فى الحياة ، والحياة فى الانسان .

حادى عشر : وبالتــالى فان كل ذلك يصلح أساساً لفلسفة جديدة باذخة عن الروح ، والخلود ، والوجود ... ذات آثار عميقة فى التكوين الروحى للأفراد وللشعوب ، وذات أسانيد وضعية ثابتة تعطيها من عناصر الرسوخ ، والترابط ، والموضوعية ، والوضوح ، ما لم يتحقق بيقين لأية فلسفة روحية أخرى جاءت عن طريق محض المضاربة والارتجال .

ثانى عشر : أنهــا تلقى أضــواء لهــا قيمتها على جوانب كثيرة من الاعتقاد فى كل صوره وارتباطاته . وتمهد السبيل للتوفيق بين شـــتى العقائد والنحل ، ناهيــك بالتوفيق بين النصوص ، وهى فى الحقيقة قد يكمل بعضها البعض الآخر ، أو قد يتصدى بعضها لمواجهة أوضاع غــير تلك التى يتصدى لها البعض الآخر .

ثالث عشر : أنهــا تعطى مفاهيم وتطبيقات حيــــة ومحــددة عن حقيقة الصلة بين العقل والمادة . كما تبين أهمية تلك «الهيولى المحايدة» التى يتكون منها الوجود ، والتى هى ليست بعقل ولا بمادة ، أو هى بالأدق عقل من جانب ومادة من جانب آخر ، وهذا هو ما وصل اليه وليــام جيمس أبرز فلاسفة هذا القرن فى أمريكا عن طريق الربط بين الفلسفة النظرية ، والبحث الروحى الوضعى . كما وصل اليه برتراند راسل الفيلســـوف البريطانى المعروف عن طريق معادلاته الرياضية .

رابع عشر : وبالتالى فهى تلقى أضواء جديدة على نظرية التطور . وتحدد له مصدرا روحيا واضحا بعد مصدره المـادى الخاطيء الذى نادى به داروين وهو نقص الطعام فى الطبيعة ، وبالتـــالى تنازع البقـــاء بين الأحياء وبقاء الأصلح منهم . أما الآن فقد أصبح التطور الجثمانى خاضعاً

التطور الروحى للانسان ومحكوما بتخطيط رياضى حكيم يسبب الحيرة والذهول عند أولى الألباب من المطلعين والمفكرين .

خامس عشر : انها تساعد على حل بعض جوانب مشكلات العدل والشر ، والألم ، والضمير ، والمصير ، وهى مشكلات طالما أعيت الفلاسفة الكبار وحيرت أعمق رجال الاعتقاد تفكيراً ، منذ أول عهد الانسان بأسس الفلسفة الراقية وعناصر الاعتقاد المترابط .

سادس عشر : انها قد تساعد على تفسير الكثير من ألغاز الحياه وعويص مشكلاتها ، ومن بينها مثلاً : مصدر الحمل ، أى مصدر الجسد بما له وما عليه ، ومصدر العبقرية ، ومصدر الذاكرة ، ومصدر الغريزة والعاطفة ، ومصدر النمو ، ورسالة الشيخوخة والموت ...

سابع عشر : انها قد تقع فى المستقبل القريب فى الأساس من علم الانسان بكل فروعه . ناهيك بعلوم أخرى كثيرة مرتبطة به منها « المورفولوجى » أى الأشكال الخارجية ، و «الميزولوجى » أى علم تأثير البيئة فى الأعضاء ، وعلم « السلالات البشرية » وغيرها ...

ثامن عشر : وانها قبل كل اعتبار آخر ستقع فى الأساس من علم النفس « السيكولوجى » بكل فروعه وأخصها « علم النفس التكوينى » وستكون سبباً لثورة جذرية فيه تقتضى اعادة النظر فى كل مفاهيمه . وبالتالى قد تكون أعمق تأثيراً فى تطور علم النفس من اكتشاف دورة الدم ، والميكروبات ، والتخدير ، والمضادات الحيوية ... فى تطور الطب .

ومن الموضوعات التى سيتناولها هذا التغيير الجذرى مثلاً مفاهيم اللاشعور ، والادراك خارج الحواس ، ودور الجهاز العصبى وكيفية قيامه بوظائفه ، وبالتالى تفسير العديد من الأمراض العصبية والنفسية . والأحلام التى لا تزال تفسيراتها لغاية الآن قاصرة تماماً عن شمول جميع الحالات ، بالاضافة الى تفسير بعض جوانب السلوك الغامضة التى تعنى بها علوم النفس ، والاجتماع ، والاجرام ، والتربية ، وكلها تحاول تفسيرها سعياً الى تخفيف بعض ويلات الانسان ومواجهة بعض متاعبه وآلامه ...

* * *

فهل لك أن تتساءل من بعد عن سر الاهتمام المتزايد بدراسة هذه المشكلة العظمى ؟ ! وهل لك أن تتردد فى القول بأنها أم القضايا كلها ، ومن أجدرها بعناية الباحثين والدارسين الى حين البت فيها برأى حاسم ونهائى ؟ وذلك مع مراعاة أنه فحسب عند هذا البت تكون العلوم الانسانية

برمتها قد وقفت على قدميها لاول مرة فى التاريخ شامخة الراس موفورة الكرامة ، لا يشوبها قلق واضطراب حتى فى أسسها الأولى .

* * *

ومنذ قرون عديدة اتجهت الفلسفة بوجه عام الى التمييز بين الجسد والروح والى الاقرار بكيان سبقى للروح على الجسد ، الى ان سادت الفلسفة المادية فى البيئات العلمية فتراجع هذا الاسلوب فى النظر الى الامور . ولكن منذ منتصف القرن الماضى ابتدأت « الحكمة القديمة » تسترد اعتبارها ، وابتدات حقائق العلوم العصرية نفسها ، وبوجه خاص البيولوجيا ، والنفس ، والفيزياء تشير فى وضوح وفى جلاء الى أن الربط بين حياة الروح وحياة الجسد ربط خاطىء ، شأنه شأن الربط بين العقل والمخ ، الذى تبت بعد بحوث متواصلة دامت لمدى ثلاثين عاماً أو اكثر بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية انه « محض تدليس علمى ليس له ما يبرره » على حد تعبير عالم من ابرز علماء النفس المعاصرين وهو جوزيف راين J. B. Rhine .

وعلى أية حال فانه اذا كانت العلوم المادية قد وصلت الى تعليل جسد الانسان بتلقيح البويضة وانقسام الخلايا ، فان روحه لا تزال — لغاية الآن — بلا تعليل ، وبالتالى مصدر الحياة التى تحل بالجنين بعد فترة طويلة او قصيرة من بدأ الحمل . ولما كان قانون السببية الطبيعية أو العلية يحكم الكون — وهذه بديهية لا نزاع فيها فى أى علم او اية فلسفة — فلابد لهذه الحياة من علة سابقة ، خصوصاً اذا ما ارتبطت هذه الحياة بعقل له كيانه الخاص ، ومقوماته التى تميزه حتى عن عقول الآباء والأجداد ، والتى تتشابه أو لا تتشابه معها الى مدى أو الى آخر .

ولذا اخذت الدراسات العلمية فى احتمال « الوجود السبقى » ترتدى قيمة متزايدة ، خصوصاً بعد أن عرف المنهج العلمى سبيله الى اتباع أساليب معينة للتحقيق وللاستكشاف كانت مجهولة من دوائر العلم القديمة ، وساعدت هذه الأساليب الحديثة ايما مساعدة فى الكشف عن بعض أسرار الانسان وسبر بعض أغواره ، وتحديد بعض اطواره . فهل ثبت فعلاً هذا الوجود السبقى ؟ وهل تبين فعلاً مدى اتصاله بالوجود الراهن ؟ وهل ثبت فعلاً تبادل التاثير بين العقل والجسم أو بين الروح والجسم والى أى مدى ، وعلى أى أساس ؟! ان الاجابة عن هذه التساؤلات الخطيرة هى — فى الجملة — موضوع تلك الدراسات التى تجرى الآن على قدم وساق فى العودة للتجسد فى العديد من الجامعات والمعاهد المعنية ، والتى يعلقون عليها اعظم الآمال فى الوصول الى استكشاف بعض اغوار الانسان فى شتى جوانبه الشعورية واللاشعورية .

واتباع المنهج العلمى المرتبط ايما ارتباط بالفلسفة الوضعية عن الانسان وعن الكون هو الأمر الذى قاد كل خطى العلوم المعاصرة فى المادة والطاقة ، ووصل بها الى ما وصلت اليه من تقدم نسبى وازدهار ملموس. فهو لم يخيب أبدا رجاء احد من الباحثين العاملين . ولم يتخاذل فى نضالهم المتواصل لسبر بعض أسرار الوجود من خارجه ومن داخله .

وهو ايضاً فى هذا المقام بالذات – مقام محاولة سبر بعض أسرار الانسان – لم يخيب الرجاء المعقود عليه ، بل لعله تجاوز بكثير آمال أكثر الباحثين تفاؤلا ، وذلك رغم وعورة الطريق ، وفداحة تبعاته . وكل ما يتصل بدراسة الانسان تحف به كل عناصر الوعورة فى الطريق ، والفداحة فى التبعات .

ولكن النتائج التى تم التوصل اليها – لغاية الآن – تتجاوز فى اهميتها وتشعب ارجائها كل الجهود المبذولة ، ولذا فانها تستحق منا تماماً جهد العناية بمتابعتها،ودراستها،وتحليلها،والافادة منها،على ما سيدركه القارىء تماماً بعد الفراغ من الاطلاع على ما سجلته بحوث أولئك الرواد المناضلين الشجعان الذين أمضوا حياتهم فى سبيل محاولة استكشاف المجهول من أسرار الانسان فى علاقته بنفسه ، وبالكون . وبما لها من اسرار تتجاوز فى قيمتها كل تقدير اذا ما وضعها فى الاعتبار عند اتخاذ اى قرار ، مهما بدا له ضعيف القيمة هين الآثار .

* * *

وفى اعتقادى ان البحوث الروحية – بوجه عام – وان كانت كلها عظيمة القيمة فى الكشف عن أغوار الذات الانسانية من ناحية صفتها كحقيقة كونية ، ومن ناحية صلاتها بسائر الحقائق الكونية الأخرى ، الا أن بعض هذه البحوث قد يتجاوز فى خطورة دوره بعضها الآخر . ومنها بوجه خاص – بحسب ترتيب ورودها – فى « مفصل الانسان روح لا جسد » فى طبعته الرابعة : –

اولاً : موضوع تجسدات الأرواح التامة والجزئية .
ثانياً : ظواهر الخروج من الجسد أو الطرح الروحى .
– وقد عالجتهما فى الجزء الأول من هذا المفصل .
ثالثاً : الصلة بين العقل والمخ .
رابعاً : الالهام والأدب الروحى .
– وقد عالجتهما فى الجزء الثانى منه .
خامساً : التسيير والتخيير .

سادساً : العودة للتجسد .

— وقد عالجتهما فى الجزء الثالث منه .

وذلك بالاضافة الى الموضـوعات الروحية الأخرى ، ولكننى راعيت دائماً أن تكون وقفتى عند هذه الموضوعات الستة بالذات أطول من غيرها احساسا منى بأن تحقيقات هذه الموضوعات تمثل الركائز الأساسية لأهم المعطيات التى تتضافر فى اثبات الخلود ، والكشف عن أعمق نواميسه ، وبالتالى ألزمها للحديث الآمن عن هـذا الخلود وعما يرتبط به من قضايا علمية ، أو فلسفية ، أو عقيدية .

ولعل أخطرها كلها . وأجلها شأنا فى هذا المقام ، هو موضوع العودة للتجسد بالذات ، ولذا فقد أوليته قدراً من العناية يتجاوز بلا ريب قدر العناية بغيره من الموضوعات . ولعلى تجشمت فى سبيله قدراً من المشقة يتجاوز قدر غيره ، لأنه بمقدار نفعه فى شأن دراسة الخلود ، تقابل نفعه أيضاً فى دراسة الانسان وهو لا يزال بعد معتقلاً فى جسده البالى ، ناهيك بدراسـة ماضيه السحيق حسبما ينبغى أن يهدينا اليه المفهوم الصحيح لمبدأ تطوره فى الجسد وفى الروح ، وفى أماطة اللثام عن العديد من ألغـاز القضايا الفلسفية الكبرى مثل العدل الالهى ، والألم ، والثواب والعقاب . . .

* * *

ولا ريب أن الاعتقاد فى « العودة الى التجسد » — حتى فى المفهـوم المحدود الواضـح الذى أشرت اليه آنفـاً — اعتقاد جديد على أذهاننا . وكل اعتقاد جديد على الذهن خصوصاً اذا كان هاماً يحتاج الى وقت كاف لدراسة أسانيده ، ولهضمه ، ولتمثيله ، حتى يصبح جزءاً من وجـدان الانسان . وهو اعتقاد لقى مقاومة ملحوظة عند السواد الأكبر من الناس فى الشرق الأوسط والغرب ، ولا يزال يلقى ، بسبب عدم فهمه على النحو المطلوب ابتداء ، ثم بسبب تجاهل سعبى غير مفهوم النصوص التى تؤيده باشارات واضحة الدلالة وتكاد لا تقبل تفسيراً آخر او أحسنا التفسير ، وكانت العقلية الموضـوعية المنفتحة هى رائدنا الحقيقى عند محاولة تفهم النصوص وتفسيرها .

وهذا الموقف من مقاومة احتمال العودة للتجسد يضاهى نفس الموقف من مقاومة التحقيقات الروحيـة بوجه عام ، والتى لقيت مقاومة ضـخمة عند السواد الأكبر ، ولا تزال تلقى لنفس هذه الاعتبارات : وهو من جانب أول عدم فهم الموضوع على وضعه الصحيح . ومن جانب ثان تجاهل غير مفهوم للنصوص التى تشير الى **صحة** نفس المفاهيم العلمية المستفادة من

هذه التحقيقات الروحية التى تقع أو ينبغى أن تقع فى الأساس من قِبَل فهم امين للنصوص وبعد اطلاع كافٍ على كل جوانب الموضوع .

ومراعاة لهــذه الاعتبارات وتلك فانه ينبغى على القارىء الا يتعجل الحكم على الموضوع ، فهــو اجلُ شأناً بكثير من أن يبت فيه برأى مبتسر أو بمحض شعور مستمد من الارتباطات المسبّقة فى فهم النصوص ؛ والتى قد تحتاج الى اعادة النظر فى بعض المفاهيم اذا أردنا فعلاً اعتقاداً بعيداً عن شوائب الخرافة ، أو الغلو ، أو التناقض ، أو الارتجال ، ... وهذا هو ما يسعى اليه المناضلون لأجل الارتباط بحقائق الحياة الصحيحة بوصفها تمثل اسمى ما ينبغى الارتباط به ذهنيا ووجــدانياً . وهــو ما لا يتاتى تحقيقــه الا عن طريق الدراســة المتأنية ثم توفير عناصر الترابط المنطقى ؛ وهو أمر ليس باليسير لكنه ليس محالاً لو احسنا التقدير والتفكير .

تبـويب

وهذه الاعتبارات نفسها دفعتنى الى توخى الاناة المطلوبة فى دراسة هــذه القضية العظمى التى ينبغى أن تحظى بالكثير من عناية الباحثين فى تحديد علاقة الانسان بالكون تحديدا صحيحاً . ومــع مراعاة أن هــذا التحديد هو أساس علم المنطق ، وبالتالى ينبغى أن يقع فى الأســاس من الاعتقاد والفلسفة والعلوم الانسانية ، ناهيك بعناية الانسان المثقف العادى الذى يريد أن يتعرف على مواضــع صحيحة لأقــدامه فى طــريق الأبدية الصاعد الطويل ، الذى لا تعرف له بداية ولا نهاية .

وفيما يلى ســاوزع نتيجة الدراسة التى قمت بها على فصول ثلاثة على النحو الآتى :

الفصل الأول : فى العودة للتجسد كعقيدة وكفلسفة .

الفصل الثانى : فى موقف العلم الحديث من هذه العودة .

الفصل الثالث : فى بعض النظريات والحقائق العامة بقدر اتصــالها بنظرية العودة للتجسد .

* * *

— وعندما تفرغ — ايها القارىء العزيز — من استيعاب الفصل الأول ستتحقق تماماً من أن النصــوص لا تعترض بالمرة طريق هــذا الاعتقاد ، ومثل ذلك الحقائق الفلسفية ، منذ أول عهد الانسان بالفلسفة الراقيــة لغاية الآن ، فهى الى جانبه وليست ضده كما قد يتصور البعض خطأ .

ـ وعندما تفـرغ من اسشيعاب الفصـل الثانى ستدرك أن الوقائع المـادية ، والتحقيقات العلمية المحايدة التى تعزز هذا الاعتقاد من الوفرة بمكان كبير ، والى حد من حقه أن يشد انتباهنا ويثير شديد عجبنا ، وذلك لأننا لا زلنا نعيش ـ لغاية الآن ـ فى عزلة شبه تامة عما يجرى فى الخارج من بحوث وتحقيقات متوالية فى شأن هذه الأمور الهامة الدقيقة .

ـ أما عندما تفرغ من استيعاب الفصل الثالث فستجد أن خطـة تجاهل الحقائق العلمية الكبرى ما عادت تجـدى بالمرة ، بل من شأنهـا تعويق ركب التقدم العلمى على غير أساس من منطق ولا من اعتقاد . ووضع العقبات المفتعلة مغـامرة ضارة تسىء الى العـلم والينا ، حين يقفزون فى الخارج قفزات سريعة نحو ثراء المعرفة ، ونحو تخفيف الآلام والويلات التى تصيب الانسان وما أفدحهـا من آلام وويلات سببها قصـور الانسان فى استكشاف أسرار ذاته لغاية الآن .

ـ كما ستدرك أيضـاً أن عناصر هـذا الموضوع المتشعب الأطراف مترابطة كل الترابط فيما بينها ، بمقدار ترابطهـا مع القضـايا الفلسفية الكبرى التى من واجب العقول المفكرة أن تثيرها ، على ما ستلمحه بنفسك، ولكن بعد الاطـلاع المتروى على ما سيعرض عليك من تحقيقات وحقـائق وضعية وبعد امعان النظر فيها ومنحها ما هى جديرة به من عناية بالغة ، والله ولى التوفيق .

الفصل الأول

فى « العودة للتجسد » كعقيدة وكفلسفة

لا يتسع المقام الحالى بطبيعة الحال للكلام فى « العودة للتجسد » تفصيلا فى جميع العقائد والفلسفات القديمة والحديثة ، فان هذا موضوع يطول شرحه ، خصوصاً وأن الأساطير والخرافات قد أحاطت بهذه العقيدة من جوانب كثيرة فجعلت الكلام فيها من الناحية التاريخية عبارة عن افاضة — ليس هذا موضعها — فى أساطير الشعوب ومعتقداتها الشائعة ، وكم تحوى من غرائب ومن مفارقات لا ينبغى أن يعنى بها سوى علم الأساطير لا العلم الوضعى .

وانما سأقصر الحديث فى الفصل الحالى على أهم الجوانب العامة المترابطة فيما بينها ، والمتصلة بهذه العقيدة مباشرة ، بترتيب تاريخى وذلك فى مباحث خمسة على النحو الآتى : —

المبحث الأول : عن « العودة للتجسد » عند الفراعنة والافريق .

المبحث الثانى : عن « العودة للتجسد » فى المسيحية .

المبحث الثالث : عن « العودة للتجسد » فى الاسلام .

المبحث الرابع : عن « العودة للتجسد » فى الديانات الافريقية .

المبحث الخامس : موقف لفيف من أعلام الفلسفة والفكر من عقيدة « العودة للتجسد » .

المبحث الأول

عن « العودة للتجسد »
عند الفراعنة والافريق

العودة للتجسد عقيدة ذاعت فى العالم منذ أقدم العصور ، فهى ليست عقيدة جديدة . وقد كانت ولا تزال تسود مشاعر القوم فى الشرق الأقصى ، مثل الهند والصين واليابان ، وفى كل بلاد تعرف شيئاً عن البوذية ، أو الهندوسية ، أو البرهمية ، أو الكونفشيوسية ، أو الزرادشتية ، أو المانوية ... وكلها موغلة فى القدم . ومن الباحثين من يرجعها الى حضارة الأتلنتس تلك الجزيرة الضخمة التى ابتلعها المحيط

الأطلسى منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد أو نحو ذلك ، كما روى بعض مؤرخى الاغريق نقلاً عن الفراعنة .

وقد ارتدى هذا الاعتقاد فى البلاد الأسيوية صوراً عديدة متنوعة ، وداخلته فى كثير من الأحايين الخرافات والمبالغات شأنه فى ذلك شأن كل اعتقاد دينى لا يخضع لرقابة المنطق المترابط ، ناهيك برقابة الحقائق الثابتة التى تكشف عنها أساليب البحث الناقد .

عن موقف قدماء المصريين

وقد وجد هذا الاعتقاد سبيله الى قدماء المصريين ويشير بيكون شيودو Picon-Chiodo نقلا عن كتاب لمؤلف يدعى فونتان Fontane الى نص يرجع الى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد عبارته كالآتى : « قبل الولادة عاش هذا الطفل وليس الموت نهايته . الحياة تجىء وتروح كالشمس عندما يبدأ نهارها من جديد » .

كما تحوى ورقة بردى انانا Anana التى ترجع الى سنة ١٣٢٠ قبل الميلاد العبارة الآتية : « الانسان يعود ثانية الى الحياة عدة مرات ، لكنه لا يذكر حيواته السابقة ، الا فى الحلم أحياناً ، أو كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة . ولا يمكنه أن يحدد زمان هذه الحادثة أو مكانها لكنه يعلم فحسب أنها حادثة مألوفة عنده . وفى النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة » .

ويعتقد هيرودوت المؤرخ الاغريقى الذى عاش فى مصر فترة طويلة أن المصريين (فى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد) كانوا يتقبلون فكرة دورة التجسدات وفى هذا الشأن يقرر الأستاذ مصطفى الكيك فى مؤلف له عنوانه « تناسخ الأرواح » (١٩٧١) :

« وقدماء المصريين — على ما هو معروف — أصحاب أقدم المعتقدات الدينية المتكاملة . فقد كانوا يؤمنون بأن ثمة حياة ثانية للانسان فى عالم آخر ، وأن الروح باقية الى أن تعود الى أجسادها عندما يحين الوقت الذى يستأنف فيه الميت حياته الثانية . وكان تقديرهم الزمنى للمدة الواقعة بين حدوث الموت والعودة الى الحياة الثانية ثلاثة آلاف عام تقريبا . وقد رأى المصرى القديم أن الروح لا تقضى هذه المدة الطويلة فى فراغ ، ومال الى الاعتقاد بأنها تستفيد من هذا الفراغ فى الالمام بطائفة من المعلومات وألوان متعددة من المعرفة والخبرة التى تزخر بها مختلف ميادين الحياة فى عالم الحيوان بعد أن ألمت منها بما يختص به عالم الانسان . ومن أجل ذلك تتجسد فى أجنة حيوانات الأرض والبحر والجو .

ولم يكن هـذا التجسد على هـذه الصورة مرتبطا بحياتها الآدميـة السابقة ارتباطاً جزائياً ، فلم يكن تجسدها فى أجنة حيوانات عليـا توابا لها او فى أجنة حيوانات دنيا عقابا لها ، لأن جزاء الروح على ما أحسنت او أساءت فى العقيدة المصرية القديمة انما يكون فى الحياة الثانية عنـدما يعود المتوفى الى الحياة ويواجه الحساب أمام الآلهة لتقضى له أو عليه .

وبعد أن تستنفد الروح اغراضها من رحلة المعـرفة والعلم تعـود الى جسدها الآدمى لتحل فيه ، وتستأنف به حياتها الثانية فى العـالم الآخر ، فاذا لم تجـده كان يكون قد تحلل واندثر ، أو وجـدته محنطاً ومحتفظا بكيانه ، ولكنه على حالتـه من الموات فلم تستطع التلبس به انصرفت عنه الى جنين انسـان فحلت به لتستأنف به حياة أرضيـة جديدة » (١) .

ثم انتقلت هـذه العقيدة الى الاغـريق عن طـريق فيريكيدس Pherekydes وتلميذه فيثاغورس الذى كان معاصرا لبوذا معلم الهند ومؤسس الديانة البوذية .

عن موقف الاغريق

على أية حال لقد وجد هذا الاعتقاد سبيله الى الفلسفة الاغريقية ، وهى فى أوج ازدهارها ، فلقى قبـولا واسـعاً فيها . فمثلا ممن اعتنق عقيدة العودة للتجسد فيثاغورس (٥٨٢ — ٥٠٧ قبل الميلاد) . وقد عاش هذا الفيلسوف عشرين عاما من حياته فى مصر ، وربما يكون قد أخذ عنها هذه العقيدة ، ولو أنه يقول انه تجسد من قبل خمس مرات على الأرض ؟ وانه كان يدعى فى تجسده السابق أوفورباس Euphorbus ، وقد سار على نفس الدرب جميع الفيثاغوريين .

وقد اعتنقها أيضاً سقراط ابو الفلاسفة (٤٦٨ — ٣٩٩ ق.م) وقال فيها : « اذا كانت كل الأشياء التى من طبيعتها الحياة ، أو تلك التى لهـا بعض صفات الحياة ينبغى أن تموت ، وبعد أن تموت تظل باقية فى صورة الموت ولا تعود الى الحيـاة مرة أخرى ، فان كل شىء سـوف ينتهى الى فنـاء ، ولن يتبقى شىء على قيد الحياة — فما هى النتيجة الأخـرى التى يمكن أن تكون ؟ ! » .

* * *

---

(١) ص ١٣ ، ١٤ ، وهو يحيل القارىء الى كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » للمرحوم الاستاذ عبد القادر حمزة (١٩٤١) جـ ٢ ص ١٩ ، و « مصر ومجدها الغابر » تأليف مرجريت مرى ترجمة الأستاذ محرم كمال (١٩٥٧) ص ٢٩٠ عن هيرودوت — الكتاب الثانى فقرة ١٢٣ ، ١٤٢ .

ثم وجد أفلاطون Plato (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) فى هذا الاعتقاد ضالته المنشودة لتفسير عدة أمور تلتئم مع فلسفته القائلة بأن النفوس الحالة فى الأبدان وُجدت قبل وجود الأبدان فى عالم أسماه « عالم المثل أو عالم الحقيقة » . وأنها كانت تدرك هناك المعانى الكلية التى لا صلة لها بالمادة ، ثم حلت فى أبدانها كيما تدرك الجزئيات المحسوسة فى عالم المادة عن طريق القوى الحسية التى يملكها البدن .

ولذا راح أفلاطون يقول : « ان الصورة معقول ، والعاقل هو النفس، اى أن النفس من جنس الصورة ، والصورة بسيطة ، فالنفس اذن بسيطة ، والنفس مشاركة فى الحياة ، فهى اذن تحيا ، والنفس تتذكر المثل ، فهى اذن قد حيت حياة تأمل فى حياة سابقة ، ثم انها بعد الموت ستحيا هذه الحياة نفسها ، لأن الحياة بعد الموت من جنس الحياة قبل الوجود » .

هذا وان كان افلاطون مثل فيثاغورس من قبله ، ومثل أفلوطين من بعده ، راح يتحدث عن التناسخ بمفهومه الذى كان معروفا فى أيامه ، ويتضمن احتمال تقمص أرواح الآدميين لأجساد حيوانات ، وهو ما يعبر عنه « بالتناسخ » فى مفهومه العام الذى يتقبل جميع الاحتمالات ، كما عرف ولا يزال معروفاً لغاية الآن فى الشرق الأقصى . ولكن هذا الجانب الأخير ثبت الآن انه يمثل الجانب الاسطورى من هذا الاعتقاد ، وهو الجانب الذى يثير بطبيعة الحال اعتراضات ضخمة من الناحيتين الفلسفية والعلمية معاً ، ولا أعرف أن هناك باحثاً روحياً واحداً أمكنه أن يدافع عنه أو ان يتبناه ، بل أن الحديث عندهم مقصور على احتمال العودة للتجسد فى صورة آدمية على ما بينته آنفاً ، وسأعود الى ذلك تفصيلا فيما بعد .

ولا يتسع المقام بطبيعته للحديث طويلا فى فلسفة « التناسخ » عند أفلاطون ، خصوصا وانهامرتبطة وثيق ارتباط بفلسفته عن الخلود بوجه ، وباعتقاده بوجود « مبدأ ثابت فى ذاته لا يتأثر بالتغير ، ويحل فى الأجسام ، وحلوله فى الأجسام ليس صفة جوهرية بالنسبة اليه ، بل هو صفة عرضية .

فهو يحل فى الجسم ، وبالعرض يبعث فيه الحياة ، أو يكون له مصدر حياة . فكأن هذا البرهان اذا أريد به اذن أن يؤدى الى البرهنة على المطلوب لابد أن نفترض حينئذ وجود مبدأ ثابت فى ذاته ، احياؤه للأشياء بالعرض ، وهذا الشىء لن يكون شيئاً آخر غيرالصورة ... »(١).

---

(١) راجع « أفلاطون » للدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة ١٩٤٤ ص ١٩٨ .



افلاطـون

وراح افلاطون يقول أيضاً : « أن الروح اعرق من الجسـد ، وأن الأرواح تعـود للولادة من جـديد بلا توقف فى هـذه الحياة . وروح الفيلسوف الحق تترفع عن المتـع والرغبات بقدر الامكان ، وبالتـالى تبعد عن الآلام والمخاوف ... لأنها كنتيجة لتكوينها للآراء بنفس طريقة تكوينها للأجساد ... يتعذر عليها الدخـول الى الجحيم ما دامت اصبحت فى حالة نقية . أما عندما تغادر الجسد ملوثة بشهواته فانهـا سرعان ما تسـقط من جديد الى جسد آخر ، وهكذا يمتنع عليها الوصـول الى كل ما هو مقـدس ونقى ومتناسـق ... » .

ولذا علّق افلاطون أهمية خاصة على تذكر المـاضى : « فما العلم فى الواقع الا تذكر النفس حالتها السابقـة التى كانت عليها قبـل الوجـود البشرى ، وما قد تشاهده فى تلك الحياة السابقة يجعل حياتها الراهنـة اشـبه الأشـياء بالولادة . والنفس تبرز ما كان فيها كامنا وفى جوهرها باطـنـاً ...

واذا كانت النفس قد عاشت حياة سابقة فلا يمكن لتلك الحيـاة السابقة الا تترك أثراً فى النفس عندما تتصل بالجسم . ومن هنا كانت فكرة التذكر مرتبطة اشد الارتباط بفكرة الوجود السابق . هذا ونظـرية المعرفة عند أفلاطون تضطر اضطرارا الى القول بالتذكر . فكيف تتم المعرفة بمعنى العـلم ان لم يكن هنـاك تذكر لمعـارف سابقـة أدركها الانسان أو حصـلها فى حياته السابقـة ؟ ... فالانسان لا يبحث عن شىء يجهله كل الجهل ، وانمـا يبحث عن شىء لديه عنه بعض المعرفة السابقـة ، وهذه المعرفة السابقة عبارة عن تذكر للصور التى رأيناها فى عالم سابق نذكرها بمناسبة هذه الأشياء الحسية التى تظهـر أمامنا ، فمن ناحيـة نظرية المعرفة أيضا لابد من القول بالتذكر » (١) .

* * *

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

كما كان من رأيه أن تغير الحياة يجرى بين ضدين وفى اتجاهين : فبالنسبة الى النفس والموت والحياة نرى أن الأحياء يولدون من الأموات . ومعنى هذا ان النفوس التى تدخل فى أجسام جديدة فتأخذ الحياة كانت موجودة بعد الموت فى مكان ما . ومن هذا المكان أتت فأخذت اجساماً جديدة . أى لابد من القول بفكرة بقاء الأرواح بعد الموت وسيرها لمدة تأتى بعدها فتحل فى الجسم ، ثم تخرج من هذا الجسم عن طريق الموت لكى تحل مرة أخرى فى جسم جديد ، وهكذا باستمرار .

كما كان من رأيه ان الرذيلة أو الخطيئة مصدرها تأثير الجسم الضار فى النفس ، فكأن للجسم تأثيرا على النفس . ونراه يقول كذلك بنظرية الوراثة بمعنى أن الآباء يورثون أبناءهم ما لهم من صفات ، وهذا لايمكن أن يتم الا اذا كان هناك تأثير متبادل بين النفس والجسم . فهذه الوراثة لا يمكن أن تفسر الا على أساس القول بتأثير الجسم فى النفس .

ويبدو ان علم الروح الحديث يسلم تماما بتأثير النفس فى الجسم ، كما يسلم فى نفس الوقت بتأثير الجسم فى النفس ، فبينهما اذا تداخل لا يتوقف . ويبدو انه على المستوى المادى للوجود يرجح دور تأثير الجسم المادى فى النفس ، حين أنه فى المستوى الأثيرى يرجح على العكس من ذلك دور تأثير النفس فى الجسم الأثيرى .

وسار أفلوطين Plotinus (٢٧٠ — ٢٠٥ ق.م) — وهو بدوره من أعظم فلاسفة الاغريق على نفس درب أفلاطون من ناحية الاعتقاد فى مبدأ العودة للتجسد . وقد ولد هذا الفيلسوف فى أسيوط وعاش فى الاسكندرية ثم استقر فى روما وكتب فى كتابه عن « هبوط النفس » (١) يقول : « ان النفس رغم مصدرها القدسى نزلت من المناطق العليا واندمجت فى مقابلها الجثمانى المظلم . وبما أنه من قدرها أن تصبح « الهاً » (أى روحاً علوية) (٢) فانها تهبط مختارة حتى تتقوى وتتخلى عن مطالبها الدنيا ... وتهبط النفوس حاملة معها اختباراتها مما ادركته، ومما تألمت منه . وهكذا تتعلم كيف تكتسب القدرة التامة على ادراك كمال الحالة السامية » .

ولذا قال أفلوطين على سبيل المثال ان الولد اذا قتل أمه عاد مرة ثانية الى الحياة الأرضية فى صورة امرأة يقتلها ابنها ، وبذلك يكفر عن

---

(١) The Descent of The Soul.

(٢) راجع « مفصل الانسان روح لا جسد » ، الجزء الأول . ص ٦٢ — ٦٣ ، ٧٢ — ٧٤ .

ذنبه ، وأن الظالم يعود مرة ثانية لكى يظلمه غيره ، وأن الضارب فى عمر من الاعمار يقتص منه ضارب فى عمر جديد (١) .

وقد أصبح القديس أوغسطين St. Augustin (٣٥٤ — ٤٣٠) فيما بعد من أشد الناس اعجاباً بفلسفة افلاطون وافلوطين معاً ، كما اقتنع مثلهما بصحة مبدأ العودة للتجسد ، ولذا راح يقول عنهما فى كتابه « ازاء رجال العلم » (٢) : « لقد كانت رسالة افلاطون أكثر رسائل الفلسفة نقاء واشراقاً . لقد نجح بالأقل فى تبديد ظلام الخطأ . ثم أشرقت فلسفته من جديد فى شخص افلوطين الذى كان نداً لأستاذه ، الى حد أن المرء ليعتقد انهما عاشا معاً ، أو أن افلاطون قد عاد — بعد الفترة الطويلة التى تفصل بينهما — الى التجسد ثانية فى شخص أفلوطين ! » .

* * *

ومن شعراء الاغريق الذين اعتنقوا العودة للتجسد ينبغى أن نشير أيضاً الى أوفيد Ovid (٤٣ — ١٨ ق.م) الذى كان من رأيه « أن الموت كما يطلق عليه ان هو الا مادة قديمة تتسربل هيئة جديدة . والروح تظل كما هى ، يقذف بها من مسكن الى مسكن وفى ثوب مغاير ، والشكل فقط هو الذى يفقد » .

كما ينبغى أن نشير الى ابيمنيد الفيلسوف الذى كان معاصرا للمشرع سولون Solon ويقول انه هو شخصياً سبق له التجسد على الأرض تحت اسم أوكوس .

كما ينبغى أن نشير أيضاً الى الشاعر فيرجيل Virgil (سنة ٧١ — ١٩ قبل الميلاد) .

عن الموقف فى اوروبا القديمة

وعن طريق الاغريق انتشر الايمان بالعودة للتجسد لدى الرومان ونذكر منهم الخطيب والفقيه شيشرون Cicero (سنة ٤٣ قبل الميلاد) ، والفيلسوف سينيكا Seneca (سنة ٢ — ٦٦ م) .

وبعد الرومان انتشر الاعتقاد فى العودة التجسد لدى عدة قبائل وشعوب اوروبية أخرى منها قبائل الصلت Celts ، والدرويد Druids والتيوتون Teutons . ولدى بعض شعوب الشمال حيث تبين من ملحمة ادا Edda الشعرية التى تم جمعها فى القرن الحادى عشر انهم كانوا يعرفون أيضاً هذا الاعتقاد .

---

(١) راجع كتاب « الله » للمرحوم الأستاذ عباس العقاد . ص ١٧٣ .

(٢) Contra Academicos

بل ان الدكتور بابيس Papus (جيرار انكوس Gérard Encausse ، يقول فى مؤلفه عن « العودة للتجسد » (١) انه يمكن القول بأن هذه الفكرة التى كانت بمثابة المشعل المضىء فى جميع الحضارات لم تختف ابدا فى اى اعتقاد . ويبدو انهـا تستند الآن الى عدة مصادر اساسية : وهى مصر الفرعونية التى تأثر بتعاليمها فيثاغورس ، ثم اتباع الأفلاطونية الجديده ، والتقاليد الشرقية متمثلة فى البوذية ، والكشوف الحديثة فى الروحية .

كما يقول انه من الخطأ ان نتصور ان المسيحية لم تشغل نفسها بهذا الاعتقاد ، بل بالعكس لقد كان هذا الاعتقاد يمثل جزءاً اساسياً فى الاعتقاد الكنسى القديم (١) ، وهذا ما ينتقل بنا الى موضوع المبحث المقبل .

المبحث الثانى

عن « العودة للتجسد » فى المسيحية

بعض الآيات

قد يتصور البعض أن عقيدة العودة للتجسد ليس لها اى صـــدى فى الانجيل المقـــدس مع أن العهـــدين معاً يتضمنان اشارات كثيرة عنها ، وعن « الوجود السبقى للروح » Pre-existence وهو عنصر هام فى بناء عقيدة العودة للتجسد . وقـــد تجاهل المفسرون القدامى هـــذه النصوص تحت ضغط آراء مغرضة معينة سادت فى الغـــرب فى عصور لاحقة على ما سأوضحه فيما بعـــد ، أو أساءوا فهمها لانتفاء المعطيات العلمية التى تساعدهم على الفهم الصحيح .

ومن هذه الاشارات التى وردت فى العهد القديم : —

ما ورد بسفر التكوين (فى أصحاح ٢٥ عـــدد ٢٣) : « فقال لهـــا الرب فى بطنك أمتان ، ومن أحشائك يفترق شعبان : شعب يقـــوى على شعب ، وكبير يستعبد لصغير » . وهذه كانت نبـــوءة الروح لرفقة عن ميلاد ولديهـــا . ويمكن أن يقـــال فى تفسيرها أن الروح استطاع معرفة مستقبل ولديها من معرفة ماضيهما فيما سبق لهما من تجسدات .

— ما ورد فى الأمثال (أصحاح ٨ عدد ٢٢ — ٣٣) : « الرب قنانى (أى امتلكنى) ، أول طريقـــه من قبـــل أعماله منذ القـــديم . منذ الأزل مُسحت منذ البدء ، منذ أوائل الأرض . اذ لم يكن غَمرٌ أبدئت ، اذ لم

---

(١) La Réincarnation, L'Evolution Physique, Astrale, et Spirituelle.

تكن ينابيع كثيرة المياه . من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال ابدئت . اذ لم يكن قد صنع الأرض بعد ولا البرارى ولا أول أعفار المسكونة . لما ثبتت السموات كنت هناك أنا ... كنت عنده صانعاً ، وكنت كل يوم لذته ، فرحة دائمة قدامه . فرحة في مسكونة ارضه ، ولذاتى مع بنى آدم . فالآن ايها البنون اسمعوا لى ، فطوبى للذين يحفظون طرقى ، اسمعوا التعليم وكونوا حكماء ولا ترفضوه » ...

فاذا اخذنا هذه الاقوال على انها مجرد أبيات من شعر غامض لفقدت معناها ، لكننا اذا اخذناها على أنها تمثل روحا انسانية تتحدث عن مصدرها الخاص عن طريق ذاكرتها اللاشعورية ، فان كل سطر فيها يعطينا معنى منطقيا ، بما فى ذلك تطلعاتها الحارة الى فرحاتها القديمة فى الأبدية فى كنف خالقها قبل أن تتجسد على الأرض ، ولهفتها على أن تستعيد مكانتها القديمة تلك عن طريق حفظ الطرق الالهية ، وسماع التعليم ، واتباع الحكمة .

— ويماثل ذلك ما ورد فى المزمور التسعين (عدد ١ — ٥) : « يارب ملجأ كنت لنا فى دور فدور ، من قبل أن تولد الجبال أو ابدات الأرض والمسكونة منذ الأزل الى الأبد أنت الله . ترجع الانسان الى الغبار . وتقول ارجعوا يا بنى آدم ، لأن الف سنة فى عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر ، وكهزيع من الليل . جرفتهم كسنة يكونون ، وبالغداة كعشب يزول » ...

— وما ورد فى سفر ارميا (اصحاح ١ عدد ٥) : « قبلما صورتك فى البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك نبياً للشعوب » وهنا أيضاً يمكن أن يقال ان معرفة الوحى لارميا قبل أن يصوَّر فى البطن ويخرج الى عالم المادة كانت هى العامل الأول فى اختياره نبياً للشعوب ، أى بسبب ماضيه النقى الناصع فى تجسداته السابقة .

— ويماثل ذلك ما ورد فى رسالة بولس الرسول الى أهل رومية (اصحاح ٩ عدد ٨ — ١٥) : « أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله ، بل أولاد الموعد يحسبون نسلا . كلمة الموعد هى هذه . أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن ، وليس ذلك فقط ، بل رفقة أيضا . وهى حبلى من واحد وهو اسحق أبونا ، لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار ، ليس من الأعمال بل من الذى يدعو . قيل لها ان الكبير يستعبد للصغير . كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو فماذا نقول . ألعل عند الله ظلماً . حاشا ، لأنه يقول لموسى انى أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف » ،

وهنا أيضا قد يقال ان الله احب يعقوبا وأبغض عيسو قبل أن يولدا على الأرض من جديد لأنه يعلم ماضى يعقوب وماضى عيسو ، والا فما معنى الآية : « العـل عند الله ظلمـاً حاشا » ؟ !

ـ ثم نقرأ هذا الاقوال عن أيوب (فى أصحاح ١ عدد ٢٠ ـ ٢٢) :
« فقام أيوب ومزق جبته ، وجزّ شعر رأسه وخر على الأرض وسجد ، وقال عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود الى هنـاك . الرب أعطى والرب أخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً . فى كل هـذا لم يخطىء أيوب ، ولم ينسب لله جهالة » .

ولم يكن أيوب يقصد طبعا المعنى الحرفى ، أى انه سـيعود الى بطن نفس امه القديمة ، بل كان يقصد انه سيعود الى الحياة عارياً عن طـريق بطن أم جديدة كما جاء عارياً عن طريق بطن أمه القديمة .

ـ ثم ترد هذه الأقوال فى انجيل متى (اصحاح ١٦ عدد ١٣ ـ ١٧) :
« ولـما جاء يسوع الى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا من يقول الناس انى أنا ابن الانسان . فقالوا : قوم يوحنا المعمدان ، وآخرون ايليا ، وآخرون ارميا ، أو واحد من الأنبياء . قال لهم وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى . فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا ان لحماً ودماً لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات » .

ـ ثم نجد صـدى هـذا الاعتقاد فى انجيل لوقا (اصحاح ٩ عـدد ٧ ـ ٩) : « فسمع هيرودس رئيس الربع بجميـع ما كان منـه وارتاب، لأن قوماً كانوا يقولون ان يوحنا قد قام من الأموات ، وقوما ان ايليـا ظهـر ، وآخرين ان نبيـا من القـدماء قام ، فقـال هيرودس يوحنا أنا قطعت رأسه ، فمن هو الذى أسمع عنه مثل هذا ، وكان يطلب أن يراه (أن يرى يسوع) » .

ـ ثم تجىء هذه الأقوال فى انجيل متى (اصحاح ١٧ عدد ١٠ـ١١) :
« وسأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكتبة ان ايليا ينبغى ان يأتى أولا ؟ فأجاب يسوع وقال لهم ان ايليا (نبى العهـد القـديم) يأتى أولا ويرد كل شىء » . . .

ـ ثم هناك ما ورد فى انجيل يوحنا (اصحاح ٣ عدد ١ ـ ٨) ونصه :
« كان انسان من الفديسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود . هـذا جاء الى يسـوع ليـلا ، وقال له يا معلم نعلم أنك قد اتيت من الله معلما لأن ليس أحـد يقدر أن يعمـل هـذه الآيات التى أنت تعمل ان لم يكن الله

معه . اجاب يسوع وقال له : الحق الحق اقول لك ان كان احد لا يولد من فـوق لا يقـدر ان يرى ملكوت الله . قال له نيقوديموس كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ ؟ العـله يقـدر أن يدخل بطن امه ثانية ويولد ؟ أجاب يسوع الحق الحق أقول لك ان كان احـد لا يولد من المـاء والروح لا يقـدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح . لا تتعجب انى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فـوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ، لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا الى اين تذهب . هكذا كل من وُلد من الروح » .

وهذه الآيات فُسِّرت فيما بعد على انها تتحدث عن « المعمودية » وهذا التفسير لا يتعارض مع القول بأنها قد تتحدث أيضا عن العـودة للتجسد عن طريق الميلاد من فوق ، خصوصا اذا روعى انها كالمعتاد — تتحدث بأمثال وبأمور رمزية كثيرة . ومن ذلك قولها « المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح » وهو ما يفيد معنى التمييز بين مصـدر الجسـد وهو يولد من اجتماع جسـدين ، ومصدر الروح وهو مستقل عن ذلك تماما لأنه يجىء من الروح ، أو بالأدق من مصدر آخر . وله أيضاً مصير آخر .

— ويكمل ذلك ما جاء فى نفس الانجيل (اصحاح ٨ عدد ٢٣ — ٣٣) على لسان يسوع : « فقال لهم انتم من أسـفل ، أما أنا فمن فوق . انتم من هذا العالم ، أما أنا فلست من هذا العالم .... فقال لهم يسوع أنا من البـدء ما أكلمكم أيضاً به ، ان لى اشـياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم ، لكن الذى أرسلنى هو حـق ، وأنا ما سمعته منه فهـذا أقوله للعـالم ... انكم ان ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى وتعـرفون الحق والحق يحرركم » .

وأيا كان التفسير الدقيق لهذه الآيات فمما لا ريب فيه تاريخياً هو أن هـذا الاعتقاد كان شائعاً وراسخاً عند اليهـود ، ولم ينكره فيما بعد السيد المسيح فى اى قول من أقواله ، بل على العكس من ذلك أيده صراحة عندما أعلن أن يوحنا المعمدان الذى كان معاصرا له هو بنفسه ايليـا النبى الذى توفى منذ أكثر من اربع وعشرين قرنا سابقة .

ذلك انه ورد فى العهد القديم فى سـفر ملاخى (اصحاح ٤ عـدد ٥) هذا القول : « هانذا ارسـل اليكم ايليـا النبى قبـل مجىء الرب فى اليوم العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء ، وقلب الأبنـاء على آبائهم ... »

ثم ورد فى العهـد الجديد فى انجيل متى (اصحاح ١١ عدد ٢ — ١٥) :

أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ، فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران . العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون ، وطوبى لمن لا يعثر فىّ .

وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للجميع عن يوحنا ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا أقصبة تحركها الريح ... لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبياً . نعم أقول لكم وأفضل من نبى ، فان هذا هو الذى كتب عنه هأنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهىء طريقك قدامك ... ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يغصب والغاضبون يختطفونه ، لأن جميع الأنبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا ، وان أردتم فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى ، من له أذنان للسمع فليسمع » . ولاحظ هذه الجملة الأخيرة « من له أذنان للسمع فليسمع » وهى تفيد معنى التأكيد والمطالبة بالاصغاء التام لما يقول .

وعاد السيد المسيح فى نفس الانجيل (اصحاح ١٧ عدد ١ — ١٣) ليؤكد نفس الواقعة كالآتى : « وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عالٍ منفردين ، وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور ، واذا موسى وايليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه ، فجعل بطرس يقول ليسوع يا رب جيد أن نكون ههنا ، فان شئت نصنع هنا ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة (١) . وفيما هو يتكلم اذ سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت ... وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا لا تعلموا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الأموات ، وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة ان ايليا ينبغى أن يأتى أولا ، فأجاب يسوع وقال لهم ان ايليا يأتى ويرد كل شىء ، ولكنى أقول لكم ان ايليا قد جاء ولم يعرفوه ، بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الانسان أيضاً سوف يتألم منهم ، حينئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان » .

وهذه الآيات واضحة كل الوضوح فى أن يوحنا المعمدان « هو ايليا المزمع أن يأتى » ، (وذلك بحسب سفر ملاخى من العهد القديم) . والسؤال المشروع الوحيد الذى يصح أن يثار هنا هو لماذا آثر يوحنا

---

(١) راجع ما ورد عن هذا الموضوع فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ .

أن يظهر متجسدا — على جبل التجلى — فى حضور السيد المسيح وتلاميذه فى صورة ايليا ولم يتجسد مثلا فى صورة يوحنا المعمدان الذى كان هيرودس قد أمر بقتله قبل هذا التجلى ؟

والجواب هو انه قد ظهر من طائفة من التحقيقات الثابتة فى الظواهر الفيزيقية ان بعض الأرواح يفضل فعلا أن يجىء فى صورة تجسد سابق له ، لا فى صورة تجسده الأخير على الأرض . ولنا عودة فيما بعد الى بعض نماذج من التحقيقات العملية فى هذا الشأن ، والتى تبين كيف أن بعض الارواح يؤثر هذا الأسلوب الفريد من التجسد فى صورة حياة سابقة أو اكثر ، وبالذات لاثبات هذه العودة للتجسد أكثر من مرة ، وقد سجل حدوث مثل هذا النوع من الظواهر الباحثة الروحية السيدة روفينا نوجيرات Ruffina Noggerath ، والعالم المعاصر فى الباراسيكولوجى هانز جيرلوف (١) Hans Gerloff .

ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن انجيل متى (اصحاح ٣ عدد ٤) يصف يوحنا المعمدان بأنه « كان لباسه من وبر الابل وعلى حقويه منطقة من جلد ، وكان طعامه جرادا وعسلا بريا » .

ويقارب هذا الوصف ما ورد عن ايليا فى سفر الملوك الثانى (اصحاح ١ عدد ٥ — ٩) « فانطلق ايليا ورجع الرسل اليه فقال لهم لماذا رجعتم ، فقالوا له صعد رجل للقائنا وقال لنا اذهبوا راجعين الى الملك الذى أرسلكم ... فقال لهم ما هى هيئة الرجل الذى صعد للقائكم وكلمكم بهذا الكلام ، فقالوا انه رجل أشعر متمنطق بمنطقة من جلد على حقويه ، فقال هو ايليا ... » .

وكان ايليا ويوحنا — كلاهما — يحبان العزلة والاعتكاف فى الصحراء ، وهذا التشابه الفريد فى الطبع وفى اللبس أمر ينبغى أن يستلفت نظر المتمعن فى النصوص ، وفى دلالاتها .

* * *

وثمة واقعة اخرى قد تصلح لتأييد هذا النظر — بالأقل فى مفهوم « الوجود السبقى » Pre-existence الروح على الجسد ؛ وهو جانب واحد من مفاهيم العودة للميلاد ، ولا يتضمن بالضرورة التجسد السابق على الأرض ، بل الوجود السبقى فى الأثير أو فى الفضاء على نحو ما قبل التجسد على الأرض ، وهو ما يعتقد باحتماله عدد من أبرز الفلاسفة والعلماء والمفكرين على ما سيرد فيما بعد .

---

(١) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق ص ٦٠٨ — ٦٠٩ .

وهـذه الواقعـة وردت فى انجيل يوحنا عـــدد ٤٩ ــ ٥٩ كالآتى :

« اجاب يســوع انا ليس بى شيطان لكنى اكـرم ابى وانتم تهينوننى . انا لست اطلب مجـدى . يوجد من يطلب ويدين . الحـق الحـق أقـــول لكم ان كان احد يحفظ كلامى فلن يرى الموت الى الأبد . فقال له اليهود الآن علمنا ان بك شيطاناً . قد مات ابراهيم والأنبيــاء ، وانت تقول ان كان احد يحفظ كلامى فلن يذوق الموت الى الأبد . العــلك أعظم من أبينـــا ابراهيم الذى مات ، والأنبياء ماتوا ، من تجعل نفسك ؟ !

اجاب يسوع ان كنت امجد نفسى فليس مجدى شيئاً . ابى هو الذى يمجدنى الذى تقولون انتم انه الهكم ، ولستم تعرفونه ، وأما انا فأعرفه . وان قلت انى لست اعرفه اكون مثلكم كاذباً ، لكنى أعرفه وأحفظ قوله . أبوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح . فقال له اليهود ليس لك خمسون ســنة بعد ، افرأيت ابراهيم ؟ فقال لهم يســوع الحــق الحــق اقول لــكم قبل ان يكون ابراهيم انا كائن ، فرفعــوا حجارة ليرجمــوه ، اما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا فى وسطهم ومضى هكذا(١) » .

فأيهما اسبق مجيئاً ابراهيم أم يسوع ؟ !

موقف بعض آباء الكنيسة ومؤسسيها

وهذه الوقائع والآيات مجتمعة دفعت عــددا من ابرز آباء الكنيســة ومؤسسيها الأوائل الى الاقتناع بصحة « الوجود السبقى » قبل الميــلاد الراهن سواء أكان هذا الوجود فى الفضاء المجهول أم فى الجسد المــادى .

ــ ومن أوائلهم سان جوستين الشــهيد St. Justin le Martyr وهو رسول وفيلسوف مسيحى عاش فى روما الوثنية داعيا للمسيحية ، واستشهد فيها بسبب دعوته حوالى سنة ١٦٠ ميلادية . وقد وضــع رسالتين « فى تقريظ المسيحية » (٢) (عيده السنوى فى ٣١ أبريل) .

ــ ومن أوائلهم ايضا سان كليمان السكندرى St. Clement of Alexandria (١٥٠ ــ ٢٢٠) ، وقد تقبل عقيدة العودة للتجســد ونسب الى القديس بولس انه نادى بهــا فى رسالته الى أهــل روميــة (٨ : ١٥) على ما بينته فيما سبق ، وهذا القديس كان أبرز دعاة المسيحية فى القرن الثالث الميلادى .

وفى كتاب له عنوانه « توبيخ الى الملحدين » (٣) يقول : « لقد كنـــا

---

(١) عن انجيل يوحنا ٨ : ٤٩ ــ ٥٩ .

(٢) Apologie de la Religion Chrétienne.

(٣) Exhortation To The Pagans.

موجودين قبل تأسيس هذا العالم بزمن طويل . لقد كنا موجودين فى عين الله ، لأن من قدرنا أن نعيش فى الله . نحن الخلائق العاقلة للكلمة الالهية ، لذا فقد وجدنا منذ البدء لأن فى البدء كان الكلمة ... فالله لا يظهر لنا عطفه علينا لأول مرة عندما نكون فى سياحاتنا على الأرض ، بل لقد عطف علينا منذ البداية الأولى » .

— وبعد سان كليمان تقبّل نفس العقيدة تلميذه سانت أوريجين St Origéne (١٨٥ — ٢٥٤) ودافع عنها بحرارة وموقفه يحتاج الى وقفة كافية لعرضه ، لأنه كان مصدراً لصراع طال أمده حول هذا الموضوع ...

من موقف سانت أوريجين

وقد تعرض سانت أوريجين لهذا الموضوع بافاضة ، وكانت تعاليمه حيوية بالنسبة للحفاظ على الأناجيل فى صيغتها الأصلية ، وكان انتاجه الفكرى متدفقاً ، لكن أهم انتاجه وهو كتاب « ستروماتا » Stromata (فى عشرة أجزاء) اختفى برمته ولم يعثر له على أثر كما تقول « الموسوعة البريطانية » . والظاهر أن لهذا الاختفاء صلة بما حاوله فيه من التوفيق بين التعاليم المسيحية ، وبين فلسفة أفلاطون ، وأرسطو ، ونيمونيوس Numenius ، وكوريتوس Corrutus ، وغيرهم من فلاسفة الاغريق .

ولكن فى أحد كتبه الباقية لغاية الآن وهو « ازاء السماء » Contra Celsum نجده يقول : « أليس مما يكون أكثر التئاماً مع العقل أن نقول كما قال فيثاغورس ، وأفلاطون ، وامبودقليس Empedocles ان كل نفس لم تدخل الى الجسد لأسباب غامضة (أى اعتباطاً) بل بحسب ما تستحقه طبقاً لأعمالها السابقة ؟ أليس من المنطق أن تكون النفوس التى استخدمت أجسادها فى تحقيق أعظم قدر من الخير الممكن للآخرين قد أصبحت ذات حق فى الحصول على أجساد مزودة بصفات أسمى من أجساد الآخرين ؟

ان النفس وهى غير مادية وغير منظورة بطبيعتها ، توجد فى مكان غير مادى وبغير أن يكون لها جسد مناسب لطبيعة ذلك المكان . وبالتالى فانها فى وقت ما ترتدى جسداً كانت تملك مثله من قبل ، لكنه لم يعد بعد ملائماً لها فى حالتها المتغيرة ، وبالتالى فانها تستبدله بجسد ثان » .

وفى كتابه من « المبادىء » De Principiis يقول سانت أوريجين :

« ان كل نفس تجيء الى هذا العالم ،وقد تقوت بالانتصارات التى حازتها فى حياتها السابقة ، أو وقد ضعفت بالهزائم . ومكانها فى هذا العالم يتوقف على ما تستحقه من مجد أو من خزى بحسب حسناتها أو سيئاتها السابقة، كما أن عملها فى هذا العالم هو الذى يحدد مكانها فى العالم الذى يلى العالم الحالى » .

وقد تأثر سانت أوريجين بالفلسفة الاغريقية كما عرفت فى ازهى أيامها ،وفى أروع جوانبها ، كما تأثر أيضاً باساطير المعتقدات الهندية والاغريقية . فلم يناد فحسب بامكان العودة الى التجسد فى صورة انسان ، بل نادى باحتمال التجسد فى صورة حيوان أو طير ، وهى أساطير لم يقم على صحتها أى دليل ، على عكس [illegible] انسان يشبه الى حد ما الانسان السابق ، وهو الأمر الذى توافرت الى جانبه أدلة عديدة على سنبينه فيما بعد .

ومن المعروف من الناحية التاريخية أن صراعاً قد نشب بين اتباع سانت أوريجين الذى كان ينادى بالعودة للتجسد ، وبين منكرى هذه العودة . كما نشب أكثر من صراع حول طبيعة جسد المسيح عليه السلام . وكانت الوسيلة لحسم النزاع هى عرضه على المجمع المسكونى الذى عقد فى القسطنطينية فى سنة ٤٥١ ميلادية ، فحاول أن يضع حلا وسطا للمشكلة لكنه كان فى الواقع أكثر ولاء الى تعاليم سانت أوريجين منه الى تعاليم معارضيه .

وهذا القرار هام لتفهم الأحداث التى جرت فيما بعد فى المجمع المسكونى الذى عقد بالقسطنطينية . ذلك لأنه ابرز شعبية سانت أوريجين الذى كان يعمل بتعضيد من الامبراطور جستنيان Justinian فى الشرق (٤٨٣ — ٥٦٥ م) . وقد أعلن بطريرك القسطنطينية علناً تأييد الامبراطور لهذا القرار بناء على طلبه .

لكن ما لبث أن حدث تحول هام لدى جستنيان عندما وقع تحت تأثير عشيقته الممثلة تيودورا Theodora التى أصبحت هى نفسها الامبراطورة (٥٠٨ — ٥٤٧) . وكانت ذات تأثير قوى عليه ، كما يروى المؤرخون وتكره عقيدة العودة للتجسد فى كل صورها . فحاولت أن تمحوها من العالم الغربى بسبب جهلها . كما يعتبرها المؤرخون مسئولة عن قتل اثنين من البابابوات ، الى حد أن أصبحت تختار البابا بنفسها ، وبالتالى كانت تمسك بيديها جانباً قوياً من زمام سلطانه الدينى وكانت تطلب من كبار رجال الدولة أن يقسموا لها يمين الولاء كالامبراطور

سـواء بسـواء وكان لهـا جواسيس وعيـون فى كل مكان كما تروى « الموسوعة البريطانية » .

وفى هذا الشأن يروى المؤرخ جونتر روزنبرج Gunther Rosenberg أنها كانت معارضة بسبب جهلهـا لآراء سانت أوريجين على طول الخط ، وكذلك لقرارات مجمع كاليـدونيا « فصممت تصميماً مطلقاً على أن تمحو كل اشارة الى العـودة للتجسد فى تعاليم الكنيسة ، وسيطرت على الامبراطور جستنيان الذى أصـبح لا حـول له فى مقاومة مخططاتها » . فاصدر قـراره الامبراطورى فى سـنة ٥٤٣ ميلادية بادانة موقف سانت أوريجين بسبب اعتناقه لصيغة ما من صـيغ « الوجـود السبقى للانسان » رغم أنه كان قد توفى منذ قرنين سابقين ! ! .. وهكذا كان التمهيد للمجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية بعد هذا التاريخ بعشر سـنوات (وهو المجمـع الخامس فى تسلسل المجامع الدينية منـذ بدء انعقـادها) .

يقول روزنبرج أيضاً انه على العكس مما يعتقد الناس لم يكن مصرحا للبابا نفسه بحضور هذا المجمع . ولقـد أنكر هو صـحة قراراته ، لكنهم تجاهلوا رأيه وعقد المجمع فى حضور مجموعة من الأساقفـة كانت ترغب فى السيطرة على المسيحية ، وكان البابا فرجيليوس Virgilius عاجزاً تماماً أمام القـوة العسكرية المتزايدة للامبراطورية البيزنطية ، خصوصاً وان سلفين من أسلافه ماتا مقتولين بأمر من تيـودورا هذه .

كما يقـول روزنبرج انه عندما وافق المجمـع على قصر حضـور اجتماعاته على ستة أساقفة غربيين فحسب تمكن من الفتك بتعاليم سانت أوريجين . وهكذا محوا العـودة للتجسد من اللاهوت المسيحى . وأكثر من هـذا لقد أدى الهجـوم على آراء أوريجين الى الهجوم على كل آباء الكنيسة الأوائل الذين كانت كتاباتهم تعكس تقديرهم له ، ولم تكن نسخ هـذه الكتابات عديدة ، فكان من اليسير سحبها وحرقها .

ويقول روزنبرج أيضاً ان ظلاماً كثيفاً لا يزال يخيّم حتى الآن على هـذا المجمع ، ولم تبذل جهود جدية لكى تكشف عن حقيقة الدوافع التى كانت وراءه ، ووراء أولئك الذين سُمح لهم بحضوره . بل يوجد بعض الشك حتى فيما اذا كان هذا المجمع الدينى قد أدان بالفعل آراء سانت أوريجين ... وهكذا سقطت عقيدة العودة للتجسد فى عالم الاعتراض ، ووصفت بأنها هرطقة ، والغيت كل مناقشة بشأنها فى العصور الوسطى ، حيث كان قد بدء عصر محاكم التنقيب والتحرى واضطهاد كل من يعارض « الفقه الدينى المستقر » .

* * *

ويبدو لى انه كان من ضمن دوافع تيودورا على استصدار هــــذا القــرار من المجمع المسكونى ليس فحسب جهلها الطبيعى بأمور الاعتقاد والعلم ، بل ايضاً تصورها الاله على صــورة ملك شخصى ينبغى أن يتقى الانسان غضبه بالزلفى له والرياء ، وهو موقف شائع جــداً لغــــاية الآن فى تصــور الاله .

ولا ريب انها كانت تتصور ان فى مثل هذا القــرار المزيد من الزلفى والرياء على ما ستلاحظ بنفسك من صياغته العجيبة . كما كانت تتصور حتماً أن انكار العودة للتجسد فيه المزيد من الاقرار لله بسلطانه المطلقــة فى الخلق والانشاء ، وفى الثواب والعقاب ، وفى توزيع المواهب والأرزاق ، وفى حكم الكون بلا نواميس ولا ضوابط ... الم يحدث فى تاريخ لاحق أن قاوم المتزمتون اكتشاف نيوتن لقانون الجاذبيــة « لأنه يخلع العنــاية عن عرشها » كيما يضع بدلها بدعة عجيبة تسمى « قانون الجاذبية » ؟ !

وقد لاحظ عدد من كبار الفلاسفة منهم توماس هوبز T. Hobbes ان « الصفات التى نخلعها على الاله ليست الا اسماء تعبّر عن عجزنا عن معرفته ، وعن رغبتنا فى وصفه بعبارات تمجيدية من شأنها ارضاء قـــوة مجهولة ... وكل تقــدم فى المعرفة العلميــة والفلسفية معناه التضييق النسبى لمجال الأسماء اللاهوتية » .

فلم تكن تيودورا تحب الله أو تفهمه أكثر من سانت أوريجين ، بل كانت فى تقديرها تتزلف الى الله غير مدركة انه لا يحقد ، ولا يمالىء أحداً ، وان سلطانه على الكون لا يتوقف على موقفنا منه ، وتزلفنا اليــه . وغير مدركة انه يختلف تماماً عن طغاة الأرض الذين يبحثون عن متعة الملق ، ويحيطون انفسهم بالأذناب والمرائين .

وهذا هو كل الفارق بين الايمــان باله موضوعى — لا حــــدود له — يحكم الكون بنواميس موضوعية مطلقة من الحكمــة والترابط والعــدالة — وهذا هو نوع ايمان سانت أوريجين — وبين الايمــان باله شــخصى يحكم الكون بميوله ونزواته وأهوائه — وهذا هو نوع ايمان تيودورا — فأى نوع من الايمان نختار لأنفسنا ؟ ! ان لنا لحديثا مستفيضا فى هــذا الشأن فى اكثر من موضع آخر .

* * *

وفى الواقع لقد دخلت المسيحية الى الامبراطورية الرّومانية الشرقية منــذ ايام الامبراطور قســطنطين الأول (٢٧٤ — ٣٣٧ م) وانتشرت فى أوروبا تدريجيا ، لكن الحيــاة فى قصــور قسطنطين الأول وخلفــائه الى

قسطنطين الحادى عشر كانت ابعد ما تكون عن روح المسيحية . اذ ظلت الروح الرومانية سائدة بكل فجورها وطغيانها ، واستمرت سائدة أجيالا طوالا ، حتى وان تغير الشعار الخارجي فحسب من الوثنية الى المسيحية .

ثم هناك الاعتبارات الواقعية للسياسة التى كثيرا ما تبعد بالانسان عن التطبيق الصادق للفضيلة حتى اذا كان يؤمن نظريا بضرورة التطبيق . خصوصاً اذا كان هذا الانسان حاكماً قد آلت اليه مسئوليات الهيمنة على امبراطورية مترامية الأطراف محوطة بالأعداء الشرسين المتوثبين للانقضاض عليها ، كما ينبئنا التاريخ عن الامبراطورية الرومانية فى نضالها مع قبائل البربر وغيرهم .

وغالباً ما تضيع النوايا الطيبة فى غمار المسئوليات الضخمة وتنهار تحت جحافل الجيوش من المهاجمين والمدافعين معا وتحت وطأة مناورات السياسة وأساليبها الوصولية .

والأيام لا تدور بغتة ، والتطور لا يتحقق طفرة ، خصوصاً فى كل ما يتصل بتهذيب غرائز الانسان وانفعالاته السفلى ، وأردأها اطلاقاً شهوة التسلط على الآخرين ، والتحكم فى آرائهم وحرياتهم باسم الدين .

وأين ذلك مما نادى به السيد المسيح - وعاش فيه ايضاً - من وداعة ، ومن محبة ومن انكار للذات ، ومن صفح للمخالفين بل للمعتدين أيضاً ! ولذا يمكن أن يقال بحق أن المسيحية لم تدخل الى اوروبا عن طريق الامبراطور قسطنطين الأول أو خلفائه ، بل دخلت عن طريق المناضلين الأبطال الذين سفك اباطرة الرومان دماءهم واستباحوا أرواحهم وآدميتهم . كما دخلت عن طريق القديسين الصالحين من أصحاب الراى والمبدأ من طراز سان كليمنت ، وسانت أوريجين ، وسان جيروم ، وسانت اوغسطين ، وسان فرانسوا الاسيسى ، وكلهم من المؤمنين بصحة مبدأ العودة للتجسد .

ولا ريب أن الكنيسة البيزنطية ، والمجامع الدينية المختلفة ، كانت الاعيب فى أيدى طغيان اباطرة الرومان يوجهونها بالتتابع حسبما شاءت لهم أهواؤهم ، وشهواتهم ، ومصالحهم السياسية ، فلا ينبغى التعويل على ما جادت به قرائح تلك المجامع ، أو قرائح الأساقفة الخاضعين خضوعاً تاماً للارهاب السياسى الرومانى باسم الدين .

وانما ينبغى أن يعاد النظر فى كل شىء ، وأن يناقش كل رأى فى نزاهة تامة ، وفى ضوء كشوف العلم الثابتة بعيداً عن الآراء المسبقة ، والارتباطات المتوارثة عن تلك العهود ، وهذا هو الدور الشاق النزيه

الذى يقوم به « علم الروح الحديث » . ولعله بسبب هذه النزاهة نفسها لا يرضى احداً من المتزمتين والرجعيين ولا من الملحدين ايضاً !

عن قرار « المجمع المسكونى » الخامس

ومع ذلك ماذا يقول بالضبط قرار المجمع المسكونى الخامس (الثانى بين مجامع القسطنطينية) (سنة ٥٥٣) ؟ هذا هو نصه : « اذا قال احد ، او فكر أن نفوس البشر كانت توجد من قبل ، باعتبار انها كانت فيما مضى ارواحاً ، وأنها كانت ذات فضائل مقدسة ، وأنها قد ارتوت من التأمل الالهى ، ولذا فقد انحرفت ، وبالتالى قد فتر حب الاله فيها ، وأصبحت تدعى ارواحاً خاطئة واستحقت أن ترسل فى أجساد أرضية كعقاب ... ان من يقول او يفكر فى ذلك يعتبر مجدفاً Anathème » .

ولا يعتقد أصحاب عقيدةالعودة التجسد أن عودة الأرواح تكون بسبب القل من التأمل فى عظمة الاله ، أو بسبب فتور حب الاله لديها . بل انهم قد لا يرون أن العودة تكون دائماً بمثابة عقوبة . ويقولون ان تكرار الوجود الأرضى مفروض علينا لكى نتطور ونصبح سادة على غرائزنا التى استعبدت جد الخليقة آدم وسلالته .

وهذا الوجود الأرضى لا يمتد لأكثر من مائة عام وفى المتوسط اقل من ذلك بكثير ، ولكن هذه الاقامة القصيرة لا تكفى للوصول الى النصر النهائى على الغرائز ، ولذا اعطيت لنا مهلات اطول كثيراً تقطعها فترات نوم أعمق من النوم اليومى ، وكل نومة منها تسمى موتاً .

ومن الصحيح أن الوجود اللاحق يكون مصحوبا بنسيان كل وجود سابق ، ولكن هذا النسيان من صور العناية الالهية لأنه يسهل التطور .. وعندما نبلغ مستوى الطهارة الحقة نموت مرة اخيرة فلا نعود ثانية للحياة على الأرض . وبالتالى فان نظرية العودة للتجسد على هذا المعنى يمكن للانسان المتدين أن يرفضها او يتقبلها بغير أن يسقط فى التجديف الذى اشار اليه قرار مجمع القسطنطينية .

ويضاف الى ذلك أن قرار مجمع القطنطينية قد أدمج قضايا عديدة فى قرار واحد مشترك ، مع ما بين بعض هذه القضايا وبعضها الآخر من مميزات وفروق تتنافى مع هذا الادماج ، وهذا هو بعينه أسلوب المغالطة عند من يريد أن يغالطك لينتزع منك قراراً معيناً أو آخر .

ونتيجة هذا الادماج من الناحية المنطقية - أن من يستبعد قضية واحدة من القضايا المدمجة معاً - رغم تنافرها - لا يكون خاضعاً لهذا القرار ، وبالتالى لا يكون مجدفاً ، كمن يقول مثلا : أن نفوس البشر

كانت توجد من قبل ، ولا يضيف أنها كانت ذات فضائل مقدسة ، او انها قد ارتوت من الحب الالهى ، أو أنها قد انحرفت ...

ثم ان العودة للتجسد قد يصدق عليها وصف « واقعة مادية » تقبل التحقيق بأساليب معملية أحياناً على ما سيرد فى الفصل المقبل ، اما تعليل العودة للتجسد فهو قضية أخرى قد تكون أدخل فى باب الفلسفة الروحية منها فى باب « الواقعة التى تقبل التحقيق » . وقبول « القضية العلمية » امر يخضع لاعتبارات مستقلة تماماً عن قبول « القضية الفلسفية » كما يعلم كل مفكر ، وكذلك الشأن أيضا فى كل القضايا الفلسفية الأخرى المتصلة بهذا الموضوع الدقيق والمتفرعة عنه ، وبوجه خاص تطور الانسان ، واساليب هذا التطور ، وأهدافه الأخيرة ، وهو ما سنعرض له فى الفصل الأخير .

* * *

ومع كل الاعتبارات الواضحة لماذا اذاً وجدت عقيدة العودة للتجسد كل هذه المقاومة الضخمة من السواد الأعظم من رجال الاعتقاد ، أو بالأدق من « ارباب المذاهب » ؟ لا ريب أن هذه المقاومة لا ترجع الى قرار مجمع القسطنطينية ، الذى طالما أصدرت قرارات صريحة له فى أمور كثيرة . بل ترجع بالأكثر الى اعتبارات معينة يمكن أن يسلم بها بسهولة كل عارف لطبائع بنى البشر ، ومقدّر لحقيقة نوازعهم ، ومن هذه الاعتبارات ما يلى :

أولا : أن انكار هذه العقيدة يكفل « لأرباب المذاهب » المزيد من الهيمنة على أفئدة البشر ، لأن التلويح بالنار الأبدية التى قد تنتظرهم بعد الموت مباشرة مختلف تماماً فى وقعه على النفوس عن التلويح بمجرد التطور نحو ما هو أسمى وأفضل عن طريق احتمال العودة المتكررة للتجسد .

ففى الحالة الأولى من السهل التلويح بالغفران الذى بمقدورهم أن يمنحوه للمؤمنين ، اما فى الحالة الثانية فانه ان كان ثمة غفران فهو منحة التطور الطبيعى لصاحبه لا منحة من أحد من البشر .

وما قصة صكوك الغفران التى كانت تباع فى القرون الوسطى عنداً ونقدا — ببعيدة عن الأذهان . وقد كانت هذه القصة وراء الثورة العارمة التى أعلنها مارتن لوثر ، وتمثل الصكوك انحرافاً جلياً باسم الاعتقاد . وأخشى ان يكون هذا الانحراف لا يزال قائما — ولو على وجه ما — وان اختلفت الأشكال وذلك فى انحاء كثيرة من الأرض .

ثانياً : أن التسليم بهذه العقيدة يفتح الباب واسعاً لتدخل مفاهيم

العلم والفلسفة ايضاً . ولا ريب أن آفاق رجل الاعتقاد خصوصاً في العصور الأولى والوسطى ما كانت لتتسع للسماح بمثل هذا التدخل الذى قد يتهدد ايضاً قوة سلطانه الشخصى على النفوس ، هذا السلطان الذى يحرص عليه رجل الاعتقاد كل الحرص بطبيعة الحال بوصفه حقاً له خالصاً ، لا يصح أن ينازعه فيه منازع من فلسفة أو من علم ، ولو كانت الفلسفة صادقة والعلم ثابتاً .

ولا ريب أن الحصار الدينى ، او بالأدق ان الحصار باسم الدين كان قد بلغ ذروته فى أوروبا فى تلك العصور . وعندما يقوم الانفعال الدينى بفرض حصاره على العقل فانه يكون من المحال على العقل أن يبحث فى روية فى طبيعة الانسان ، أو فى حقيقة قدره ومصيره ، أو حقيقة النواميس الطبيعية التى تهيمن على سير ركب الحياة ...

وتكون كل محاولة فى هذا الشأن مطبوعة بروح الانفعال لا بمنطق العقل ، وشتان بين هذين الأسلوبين اللذين يمثل أولهما أسلوب الغلو والارتجال ، ويمثل ثانيهما أسلوب التأنى والاعتدال .

وبمقدار ما يحاول أولهما الارتباط بالنصوص بمقدار ما يفلح فى تشويه الحقائق ، وذريعته الوحيدة هى انه اكثر ارتباطاً بالنصوص مع أنه قد يكون فى واقع الأمر على النقيض منها تماماً .

وهذا اعتبار لا اريد أن أقف عنده طويلاً ، لأن العبرة هى بالنتائج اليقينية التى تكشفت عنها التحقيقات الوضعية ، وبرغبة تحليلها وتأصيلها تأصيلاً صحيحاً ، وليست بالمناقشات النظرية الجوفاء التى لم تنته ولا يمكن أن تنتهى ابداً الى نتائج يقينية يصح الاعتداد بها .

ثالثاً : ان عقيدة العودة للتجسد — شأنها شأن سائر موضوعات الروح — اذا نظرنا اليها من الناحيتين العلمية والفلسفية وجدنا انها عميقة الغور بعيدة الأطراف تتطلب الالمام بنواح كثيرة من فلسفات ومن علوم شتى . وعقيدة هذا شأنها من المحال أن تتسع آفاق كل انسان لدراستها فى كافة جوانبها ، ثم لهضمها وتمثيلها ، والافادة مما ترتبه من نتائج فلسفية وعلمية مفرطة فى خطورتها .

رابعاً : أن التمسك بصحة جميع المفاهيم المتوارثة هى السمة المميزة لأرباب المذاهب فى كثير من الأمور ، ولرجال العلم أيضاً . فان من خصائصهم مقاومة كل كشف جديد مهما كانت عناصره واضحة وثابتة . وهذا التشبث بالقديم تعلو درجته كلما علت درجة الكشف الجديد فى عمق الغور وخطورة النتائج .

فلم يكن اذاً قرار « مجمع القسطنطينية » بكل ما لا بسه من مقدمات معروفة ، وما شمله من مضمون واهٍ ، هو العقبة الحقيقية فى وجه تقبّل الاعتقاد بالعودة للتجسد فى الغرب بمقدار ما كان هو هذه الاعتبارات التى اسلفناها . كما لم تكن العقبة — من باب أولى — هى نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، بما فيهـا من دلالات واضـحة — وفى كثير من الأحيان حاسمة — الى جانب صحة هذا الاعتقاد ، لا الى جانب بطلانه كما زعموا خطئاً .

والدليل على صـحة ما اقول انه اذا كان السواد الاعظم من رجال الاعتقاد قـد وقف فى الغـرب فى وجه انتشار هـذا الاعتقاد بلا بحث ولا دراسة — كما هى الحال فى كثير من الحالات — فان هناك عدداً ممن يعدون فى الذروة بين آباء الكنيسة الأولى ، وواضـعى اسسها اللاهوتيـة ، أو الخلقية ، أو الفلسفية ، وممن عرف عنهم التفكير المنطقى المترابط والفهم الصحيح لأمور الاعتقاد ، قد اعتنقوا هذه العقيدة ودافعوا عنها .

ولعل مما شجعهم على ذلك أن هذه العقيدة قد تلقى اضواء أوضح من غيرها عن الخطيئة الأولى التى نزلت ببنى البشر من حياة الروح الى حياة المـادة وتوجد عنها اشارات متنوعة فى الكتب السماوية . وكان كل المطلوب هو أن يقال — من الناحية اللاهوتية — ان الجنس الانسانى برمته هو الذى سقط لتعلقه بالشهوات الأرضية ، وأن الحديث عن آدم وحواء هو كناية واضحة عن الجنس البشرى كله ، متضامنا معاً .

ولعـل مما شجعهم على ذلك ايضاً انه بحسب بعض تعاليم الاعتقاد حتى الحرفى تمضى حقبة طويلة جداً بين العيش الذى يلى الموت مباشرة ، والحساب الأخير الذى يحدد بحسب هذه التعاليم المصير النهائى للروح بين الجنة ، أو النـار ، أو المطهر . والى أن يحل وقت الحساب الأخير من الجائز بحسب هذه التعاليم نفسها أن يحدث تغير فى تطور الروح .

اذاً ماذا تصنع الروح خلال الحقبة الطويلة التى ينبغى أن تمضى ؟ من الجائز أن يقال انها تكون عرضة للعودة للتجسد المتكرر من جديد على الأرض حتى تحصل على المزيد من التطور ، وتعطى أكثر من فرصة للتطهر من خطاياها الى أن يحل موعد حسابها الأخير .

وليست هذه العقيدة الأخيرة هى بالضبط عقيدة علم الروح الحديث، لكن يمكن بلا أدنى ريب التوفيق بين العقيدتين فى ضـوء الحقائق العلمية الحديثة خصوصاً اذا تركنا جانباً أسلوب التشبث بالفهم القـديم لمجرد قدمه ، ولرسوخه فى الأذهان وفى الوجدان وتركنا معه أسلوب التشبث بالصور الحرفية الى قبول الصور الرمزية للعقاب وللثواب .

وعلى أية حال لقد وجدت عقيدة العودة للتجسد الأرضى — بالمفهوم المحدد المستقل تماماً عن مفهوم « التناسخ » أو « تقمص أرواح الحيوانات والنباتات » — من يتبناها بين عدد من صفوة المفكرين الدينيين فى الغرب .

ولم يدر بخلدهم مطلقاً انهم بموقفهم هذا قد خالفوا أصول عقائدهم الدينية ، كما لم يدر ذلك بخلد أحد من شراحهم ، أو أتباعهم ، على ما سيتضح ذلك تماماً فيما يلى :

متابعة لموقف آباء الكنيسة

فبالاضافة الى من أسلفنا ذكرهم نجد أن عدداً من أبرز آباء الكنيسة اللاتينية وفلاسفتها قد اتجه — رغم كل المقاومة الضارية — الى اعتناق مبدأ العودة للتجسد ، ونذكر منهم بوجه خاص (بترتيب تاريخى) : —

— الأسقف سينوسيوس Syenésios الذى كان أسقفا لأبروشية البطالسة Ptolemais ببلاد اليونان ، وكان فيلسوفاً ، وخطيباً ، وشاعراً ألمعياً (ولد حوالى سنة ٣٧٠ وتوفى حوالى سنة ٤١٣) .

— سان جيروم St. Jerome وهو من أبرز آباء الكنيسة الغربية وهو الذى ترجم الأناجيل الى اللغة اللاتينية ، وله مؤلفات عديدة فى الدين ، والتاريخ الدينى والآداب (ولد حوالى سنة ٣٣١ وتوفى حوالى سنة ٤٢٠ ، وعيده السنوى فى ٣٠ سبتمبر) .

— سانت اوغسطين St. Augustin وهو ابرز فلاسفة الكنيسة اللاتينية قاطبة (٣٥٤ — ٤٣٠) وكان أسقفاً لأبروشية هيبون Hippone وينسب اليه صياغة العقيدة المسيحية فى صيغة فقه بمؤلفاته العديدة التى منها « مدينة الله » (١) ، و « الاعترافات » (٢) ، و « كتاب النعمة » (٣) . (عيده السنوى يوم ٢٨ أغسطس) .

— الراهب الفيلسوف سان بونافنتورا St. Bonaventura (١٢٢١ — ١٢٧٤) وهو صاحب كتاب « رحلة النفس الى الله » ويعتبره اتين جلسون مؤلف كتاب « روح الفلسفة فى العصر الوسيط » أكبر ممثلى التصوف العقلى الذين ينتمون الى ديوسان فكتور الأوغسطينى بباريس هو وتلميذه ريشار .

— سان فرانسوا الأسيسى St. Francois d'Assisses وهو

---

(١) La Cité de Dieu.

(٢) Les Confessions.

(٣) Le Traité de la grace

مؤسس نظام الفرنسيسكان (١٣٨٢ — ١٤٢٦ . عبده السنوى فى ٤ أكتوبر) .

— الفيلسوف الدينى الايطالى توماس كامبانيلا Campanella (١٥٦٨ — ١٦٣٩) المعروف بنضاله المرير ضد الفلسفة المدرسية (التى كانت تدرس فى المدارس فى القرون الوسطى) . ولعله من أوائل المنادين فى الغرب باتباع الأسلوب الوضعى فى تحقيق الأمور . وآراؤه مزيج من الفلسفة الوضعية ومن التصوف . وقد قاسى طويلاً من السجن والاضطهاد ولجأ الى فرنسا حيث مات فيها . وأهم مؤلفاته « مدينة الشمس » (١) .

ويلى هؤلاء عدد آخر من آباء الكنيسة اللاتينية واساقفتها منهم سان جريجوار St. Grègoire ، وسانت هيلاريوس St. Hilaire ، وسان مارتان St. Martin ، ونيموسيوس Nymesius ، وآخرون يضيق عنهم هذا المقام .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث الأستاذ عبد العزيز جادو قائلاً :

« اذا تساءل القديس أوغسطين فى « اعترافاته » : « الم أولد فى جسد آخر ، أو فى مكان آخر قبل دخولى فى رحم أمى ؟ » ، واذا تساءل سانت أوريجين « الم يكن طبقاً للسبب أو للمبرر فقط ان كل روح انما تدخل فى جسد لأسباب مؤكدة وغامضة ، ويكون دخولها هذا طبقاً لاستحقاقاتها وافعالها السابقة ؟ » . فان القديس جيروم يميط اللثام عن ذلك بقوله ان عقيده تعدد الحيوات كانت تدرس كسر من أسرار الدين الخفية يعرفه الانسان عن طريق الوحى وحده ، ولا يستطيع مع ذلك أن يفهمه فهماً كاملاً ...

ويقرر سان جريجوار : « انها ضرورة حتمية أن النفس يجب أن تعالج لتبرأ وتطهر . واذا لم يتم هذا فى أثناء حياتها على الأرض فلابد أن يتم فى حيوات قادمة » .

وكذلك كانت تعاليم القديس فرنسيس الأسيسى ، والقديس بونافنتورا ، وتوماس كامبانيلا ، رغم انهم كان محظوراً عليهم الخوض فى هذا الموضوع — وكان ذلك فى القرن الخامس تقريباً — والا حكم عليهم بالنفى أو بالحرق أحياء ! ! !

---

(١) La Cité du Soleil.
للمزيد فى هذا الموضوع راجع : Reincarnation : A Study of Forgotten Truth 1904 p 232 - 237.

ولكن مع نمو الاستنارة والتثقيف وعودة العلم والمعرفة للحلول محل المخاوف السياسية — كما يذكرنا بذلك لوتوسلاوسكى فى كتابه « الوجود السبقى والعودة للتجسد » (١) بدا بعض رجال الاكليروس يعلن أن الاعتقاد بمذهب العــودة للتجســد لا يخالف المذهب الكاثوليكى . وكان رئيس الأساقفة باسافللى Passvalli — الذى كان يعيش فى القرن الأخير — يقوم بتعليم هذه العقيدة علانية » (٢) .

عن موقف بعض المذاهب والنحل

وبوجه عام فقــد انتشرت عقيدة العودة للتجسد انتشاراً محدوداً فى الغرب بسبب المقاومة الشــديدة التى لقيتها عند الســواد الأكبر من رجال الدين خصوصاً فى العصور الوسطى لكنها مع ذلك لقيت قبولاً عاماً عند طوائف دينية محدودة نذكر منها بوجه خاص : —

— طائفة الغنوطسية Gnostics وهى جماعات دينية فلسفية ظهرت فى القرنين الأول والثانى للميلاد ، ولها ميول صوفية . وكانت توفق بين الاعتقاد والفلسفة ، كما كانت ذات نزعة تحــاول التوفيق بين العقــائد المختلفة . وكان موطنها الأصلى بلاد الفرس وآسيا الصغرى .

— طائفة الألبيجيين Albigénses فى فرنسا وهى تنتمى تاريخياً الى الغنوطسية ، وتعرضت بسبب اعتقــادها هذا للاضطهاد الدينى فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر من الميلاد .

— وثمــة طوائف أخرى لا تزال تترقب عودة المسيح بالجســد ، لا بالروح فقط وهو اعتقاد يتعذر تفسيره الا على أساس تقبّل العودة للتجسد كمبدأ عام . وموقفهم يختلف عن موقف اليهود المعاصرين الذين لا يزالوا يترقبون قدومه لأنه لم يحضر بعد ، ويعتقدون أنه سيحضر فى صورة ملك أرضى سيجمع شملهم ويجعل منهم سادة لغيرهم من بنى البشر لمدى الف عام !

— وكان البحالةوالمتصوف فرنسوا مركيرهيلمونت F.M.Helmont (١٦١٨ — ١٦٩٩ م) ينادى فى روما بوحــدة الوجود وبالعودة للتجسد كعقيدة صحيحة وسجن بسبب ذلك .

— وكان جون ويزلى John Wesley (١٧٠٣ — ١٧٩١) وهو مؤسس مذهب الميثوديزم Methodism يدافع عن العودة للتجسد بوصفها بديلاً صحيحا للاعتقاد فى المصير المفروض مقدماً على الانسان بلا خيار له فيه . وبعبارة أخرى انه يمكن تفسير الحياة الحاضرة لأى انسان بسلوكه

---

(١) Pre – Existence And Reincarnotion

(٢) من الأستاذ عبد العزيز جادو المرجع السابق ص ٧٢ ، ٧٥ .

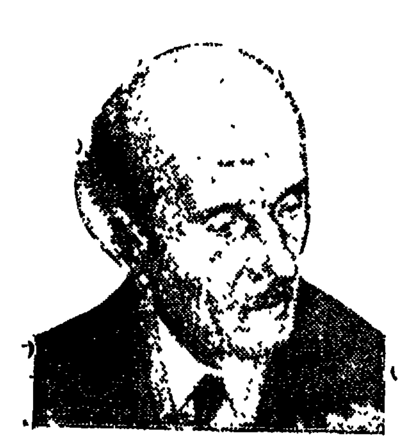
فى حياته الماضية ، وليس فحسب بالقدر المفروض عليه جزاءاً ومقدماً ، والذى لا يمكن الافلات منه بأى حال .

ــ وهــذا هو نفس النظر الذى تبناه ودافع عنه ميخائيل نعيمة ، وهــو الى جانب كونه مفكراً من أبرز المفكرين المعاصرين ارثوذكسى عميق التدين . وكان ذلك بصــدد تعليق له على قصة الانسان المولود أعمى ، الذى ابراه السيد المسيح من مرضه . وقد وردت هذه القصة فى انجيل يوحنا على النحو الآتى : « وفيما هو مجتاز راى انساناً أعمى منذ ولادته فساله تلاميذه قائلين يا معلم من اخطأ هــذا أم أبواه حتى ولد أعمى ، اجاب يسوع لا هذا اخطأ ولا أبواه لكن لتظهر اعمال الله فيه ... قال هذا وتفــل على الأرض وصــنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى الأعمى ، وقال له اذهب اغتسل فى بركة سلوام الذى تفسيره مرســل ، فمضى واغتسل واتى بصــيراً ... » وتنتهى تفصيلات القصــة بقول يسوع : « لدينونة أتيت انا الى هــذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون . فسمع هــذا الذين كانوا معــه من الفرنسيين ، وقالوا العلنا نحن أيضــاً عميان ، قال لهم يسوع لو كنتم عمياناً لمــا كانت لكم خطية ، ولكن الآن تقولون اننا نبصر فخطيتكم باقية » (أصحاح ٩) .

ماذا يقول م. نعيمة ؟

وفى هذا الشأن يقول الأستاذ نعيمة : « جلى أن تلاميــذ يسوع كانوا يعتقدون أوثق الاعتقاد ان العاهات والمصائب على أنواعها ليست ســوى قصاص عادل للذين تنزل بهم ، والذين يشاركونهم فيها الى حــد كبير او صغير ، فهى حصادهم لمــا زرعوه ، انها نياتهم وافكارهم واعمالهم وقد ارتدت اليهم .

ولكن التلاميــذ ارتبكوا اشــد الارتبــاك عنــدما حاولوا أن يطبقوا قانون الزرع والحصــاد على رجــل ولد من بطن امه اعمى . اذ كيف كان لذلك الرجل أن « يزرع » أى البــذور وهــو ما يزال جنيناً فى الرحم ؟ واذا هو لم يزرع أى بذور تستوجب العمى وزرعهــا أبواه ، فأى العدل هــو العدل الذى يقضى بأن يحصــد الولد ما زرعــه أبواه حتى قبل ولادته ؟ انه الظلم الذى ما بعده ظلم أن ياكل الآباء الحصرم فلا يضرسوا ويضرس الأبناء . وأى



م. نعيمة

الناس يطاوعه قلبه أو فكره أن يقول لطفل مولود اعمى : « تستأهل ! » ؟

فكرت فى هذه الأحجية ، وفكرت حتى كان ينفلق رأسى ولم أهتد الى جواب ، وبغتة خطر لى خاطر غريب . وهو أن تلاميذ المسيح لم يكونوا من البلاهة بحيث يعتقدون أن الجنين يمكن أن يخطىء وهو فى بطن أمه . فالخطأ هو تجاوز القاعدة ، أو القانون ، أو النظام سواء أكان التجاوز عن عمد أو عن غير عمد ، والجنين فى بطن امه لا يملك القدرة على مثل ذلك التجاوز فكيف يخطىء ؟

ولكن الرجل ولد اعمى ، والعمى كغيره من العاهات والمصائب لايمكن أن يكون غير نتيجة لتجاوز النظام الذى يقضى على كل انسان أن يحصد ما زرع . العل التلاميذ عندما سألوا معلمهم ذلك السؤال كانوا يقصدون ان الرجل « أخطأ » قبل أن كان جنيناً فى بطن امه . اى أنه عاش ومات ثم عاد فولد ، وأنه تجاوز النظام فى حياته السابقة تجاوزاً استحق من أجله أن يعيش حياته الجديدة مكفوف البصر .

بلى بلى ، ذلك ما عناه تلاميذ يسوع بسؤالهم ، وذلك مافهمه معلمهم منهم ولولا أنه كان يعتقد اعتقادهم أن الناس يولدون ويموتون أكثر من مرة لانبهم أقذع التأنيب فقال لهم : « يا مجانين ! كيف كان لهذا الرجل أن يخطىء وهو جنين فى بطن أمه ؟ » . الا أنه لم يفعل شيئاً من ذلك واكتفى بجواب ينفى « الخطأ » عن الولد وأبويه ، ولكنه لا ينفى أن العمى هو قصاص تتجلى فيه « اعمال الله » ، أو مشيئته ، أو نظامه . ولا هو ينفى أن مثل ذلك القصاص يمكن أن ينزل بالذى ارتكب الخطأ مباشرة ، والذين لهم به صلات وثيقة ، فكأنهم شركاؤه فى الخطأ ، ولكن بدرجات متفاوتة . فنصيب الولد جاء أكبر من نصيب الوالدين ، وليس من المعقول أن يتساوى نصيب الولد ونصيب الوالد .

وهكذا يبدو أن « أعمال الله » أو مشيئته ، أو نظامه ، هى التى قضت على الرجل أن يولد أعمى لأنه عمل أعمالاً ، أو فكر أفكاراً ، أو نوى نيات ، أو اشتهى شهوات مغايرة للنظام . ومن الأكيد أن ذلك لم يتأت له وهو جنين فى بطن أمه ، اذاً متى وأين ، ان لم يكن فى حياته سابقة ؟ » .

ثم يستطرد قائلاً — على لسان احدى شخصيات كتابه عن « اليوم الأخير » وهو استاذ الفلسفة « موسى العسكرى » — فيقول محللاً هذا الاعتقاد من ناحية صلته بنواميس الحق والعدل كما تشعر بها البداهة ، قبل شروح الشارحين النظريين فى كل ارتجالهم :

« لو أن ملاكاً هبط من السماء قبل دقائق ليقول لى ان الناس يولدون ويموتون ، ثم يولدون ويموتون مراراً وتكراراً لشككت فى سلامة

عقله ... اما الآن فانى اشك فى سلامة عقل كل انسان يقول غير هذا القول . ومن اعجب العجب أن يتولد عندى هذا الشعور — بل هذا اليقين في مثل رفة الجفن .

فكأن غشاوة كثيفة كانت على عينيْ فانتزعتها يد خفية ، رفيقة ، ومزقتها ثم بعثرتها هباء فى الفضاء . اما كيف تولد عندى ذلك اليقين فى مثل هذه السرعة فأمر لا أملك الجواب عليه . ولا أنا استطيع ان اسوق عنه الأدلة والبراهين القاطعة ، وكل ما يمكننى قوله هو اننى كنت فى فراغ هائل وفجأة نبتت لى هذه الفكرة فملأت الفراغ .

لا . ليست الفكرة بالجديدة عليَّ ، فقد قرات عنها من زمان فى بعض دراساتى الفلسفية . وكأننى أذكر أن فيثاغورس كان من القائلين بها ، وأن فى الهند والصين وغيرهما من ديار الشرق الأقصى مئات الملايين من الذين تقوم تلك الفكرة بمثابة حجر الزاوية فى معتقداتهم الدينية والدنيوية. الا انها لم تلقَ من جانبى اى استعداد لتقبلها اكثر مما تلقى حبة القمح او قطرة الماء من جانب الصخرة الصلدة .

اما الآن ... فقد انقض عليَّ انقضاض الصاعقة ذلك السؤال الوارد فى الانجيل: « من اخطأ ، أهذا ام ابواه ؟ » وبمثل انقضاض الصاعقة جاءنى فى الجواب ، وهو وان اختلف فى الشكل عن الجواب الوارد فى الانجيل ليس يختلف عنه فى المعنى . والجواب هو أن الولد ووالديه تجاوزوا فى حياة سابقة « مشيئة الله » التى هى نظام حياتهم ، فكان الذى أصابهم جميعاً نتيجة حتمية لذلك التجاوز . لقد جلبوا البلية ، أو الوجع ، أو القصاص لأنفسهم بأنفسهم ، فالمسئولية هى مسئوليتهم أولاً وآخراً .

والناس قد يجلبون الأوجاع لأنفسهم باعمال يعملونها ، او افكار يفكرونها ، أو شهوات يشتهونها وهم يعرفون حق المعرفة أنها تجاوز على النظام واذ ذاك فأوجاعهم هى جواب النظام على تجاوزهم . وقد يتجاوز الناس النظام عن غير وعى أو عن جهلهم للنظام ، واذ ذاك فأوجاعهم هى المنبه لهم الى وجود النظام الذى عينه ابدا يقظى ، وميزانه لا يطرأ عليه أى خلل ، ولا هو يعرف المحاباة ...

ولعل الذى راقنى من هذه الفكرة فى الدرجة الأولى هو انها تقضى على رهبة الموت فتجعل منه خادماً اميناً للحياة لا خصماً لدوداً لها . ثم انها ترد الى « العدل » و « الحق » و « الحياة » معناها . فما يصيبنى من لذة وألم هو حصاد ما ازرعه فى هذه الحياة ، وما زرعته فى حيوات سابقة من بذور صالحة او طالحة . وذلك هو العدل كل العدل : ان يكون ثوابى فى يدى ، وعقابى فى يدى . فلا أعاتب الله ، ولا الدهر ،

ولا الطبيعة ، ولا اى انسان فى ما يصيبنى من وجع . فأنا قضاء نفسى ، وأنا قدرها ، وأنا السبب الأول والأخير فى كل ما بينى وبين الناس من تفاوت فى الحظوظ .

كذلك هو الحق كل الحق أن تتهيأ لى الفرصة الكافية لدرس النظام وتطبيقه عن فهم وعن رضى . وهل من يستطيع القول ان عمرا واحداً مهما طال هو فرصة كافية لدرس النظام وفهمه وتطبيقه ؟ فكيف بذلك العمر اذا هو لم يتجاوز بضع سنوات ، بل بضع ساعات ، بل بضع دقائق ؟

وكذلك هى الحياة التى مداها الزمان كله ، والتى تنتهى بنا الى معرفة النظام الذى منه كل شىء ، وفيه كل شىء ، والى اندماجنا فى ذلك النظام اندماج قطرة الماء فى الجدول ، والجدول فى النهر ، والنهر فى البحر ، والبحر فى المحيط . انها غير الحياة التى يترصدها الموت منذ أن تبصر النور فى المهد ، والى أن تلفها ظلمة اللحد . ومعناها أبعد من أن يعقله اى عقل أو يتخيله أى خيال . انها الأزل والأبد ، انها حياة الله .

وانى لأسأل بعد هذا : لماذا يصعب على الناس أن يتقبلوا فكرة تجدد الشخصية البشرية مرارا وتكرارا بعد الموت كيما تكتمل لها أسباب المعرفة والحرية والخلود ، ويهون عليهم أن يتقبلوا فكرة تجديد تلك الشخصية مرة واحدة يوم القيامة ، أو فكرة امحاقها بالموت امحاقا لاتجديد بعده ؟

أيهما اقرب الى منطق الحياة ، والى العدل والرأفة والمحبة ، أن يقول الله للانسان : « انى خلقتك لتمجدنى . وانى وان يكن الزمان كله فى قبضتى لم أعطك منه غير فسحة أدناها ساعة أو بعض الساعة ، وأقصاها قرن أو بعض القرن . ثم أميتك وأتركك ميتا حتى يوم القيامة . ويوم القيامة لا يعرف موعده غيرى ، فقد يأتى بعد ألف عام ، وقد يأتى بعد ألف ألف عام . فى ذلك اليوم أعود فأجمع عظامك أينما كانت وكيفما تحولت ، فأكسوها باللحم ، وأنفخ فيها الحياة فأردك بشراً سوياً ، ثم أدينك بما فعلته فى خلال عمرك على الأرض فاذا رجحت كفة الصالح منه على الطالح أسكنتك الى الأبد جنات تجرى من تحتها الأنهار ، واذا رجحت كفة الطالح على الصالح زججتك الى الأبد فى نار لا ينطفىء لها أوار ، فلا لهيبها يخبو لحظة ، ولا أنت تحترق فتصبح رمادا ؟

أو أن يخاطب الله الانسان هكذا : « صورة أنت كصورتى ، ومثال كمثالى ، ولكنك لا تعرف نفسك ولا تعرفنى ، اما أنا فأعرف نفسى وأعرفك . لذلك خلقت لك الأرض والسموات وكل مافيها لتكون لك منها

عدة تساعدك فى الوصول الى معرفة نفسك ومعرفتى . ومددت لك بساط الزمان كله لتتمكن من بلوغ تلك المعرفة .

ولأسهل عملك عليك فقد جعلت حياتك مراحل تتلو مراحل . فعمل وراحة ، وشبع وجوع ، ويقظة ونوم ، وطفولة وصبا ، وشباب وكهولة ، وشيخوخة ثم موت . وانى لأميتك واحييك ثم اميتك واحييك ، ثم اميتك واحييك الى أن تتم لك معرفة نفسك ومعرفتى ، فتغـدو خارج نطـاق الزمان والمكان ، وأبعد من متناول النمو والانحلال ، وفوق سلطان الخير والشر » ؟

اجل أيهما أقرب الى منطق العدل ، والحق ، والحياة : ان يخاطب الله الانسان بذلك الخطاب أم بهذا ؟

بهذا المنطق استطيع ان اتقبل كل ما جرى لى حتى اليـوم مع نفسى ومع الناس . فلا اعجب لأننى كُونت كما كُوِّنت ، وتدرجت فى حيـاتى ما تدرجت ، واتصلت من الناس بمن اتصلت ، وتزوجت بمن تزوجت ، ورزقت واياها الولد الذى رزقنـا ... فجميع ذلك لم يكن غير حصـادى لبذور زرعتها ، وغير دروس لى فى معرفة نفسى ، ولكنها دروس فاتنى من معانيها الشيء الكثير قبل أن أدركت اليوم ما أدركت » (١) ...

* * *

وهذا التحليل المنطقى المتماسك الذى ساقه نعيمـة يقتضى ضرورة التعرض لدفع شبهة قد يستند اليها أحد أرباب الحرف وهى الاستناد الى نص طالمـا اسـتند البعض اليه خطأ لتبرير مظالم الدنيا ومفارقاتها التى لا تعليـل لهـا . وهـذا النص ورد فى سـفر الخروج (٢٠ : ٥) وهو كالآتى : « لانى أنا الرب الهـك ، اله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الأبنـاء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى » .

وفى التعليق على هذا النص يلاحظ المؤلف جوفرى هدسـون أن : « أولئك الذين يتمسكون بعقيدة العـودة للتجسـد يتحدثون أحيانا عن شخصيات الحيوات السابقـة كآباء لمن جاءوا بعـدهم ، فى نفس المعنى القائل ان الولد سر أبيـه ، لا بمعنى أن الولد وهو ما يزال طفـلا هو أب للرجل البالغ ، بل ان الولد هو الرجل فى الجرثومة . وبالمثل فان كل حياة هى ثمرة سابقتها ولا سيما بالنسبة للقوى الفطرية ، والخلال ، والمواهب الخاصة . فاذا ما فهمنا الأمر على هذا النحو كان المعنى صحيحاً تماماً .

---

(١) عن كتاب « اليوم الأخير » طبعة ١٩٦٦ ص ١٥٢ — ١٥٩ .

ومن الجهة الأخرى فانه اذا لم تكن هناك سوى حياة واحدة ، وكان الأبناء الذين ولدوا ليشقوا عن ذنوب آباءهم أرواحاً متباينة بالكلية فاننا نعزو تشريعاً مضحكاً وساخراً الى الأب الكلى ، ونرجّح كفة الالحاد واللاادرية . وقد قال الفيلسوف فرانسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ — ١٦٢٦) فى هذا الصدد « أفضل لنا الا نكوّن رأياً عن الله من أن نكوّن رأياً لا يليق به ، لأنه اذا كان الأول كفرا كان الثانى عاراً » .

وكيفما كانت الحال فاننا اذا نظرنا الى عبارة التوراة فى ضوء العودة للتجسد ، وأن الانسان يحصد فى جسمه الحالى ثمرات ونتائج اقترفها هو نفسه فى اجسام ارتداها فى حيوات سابقة فان الكلمات المنسوبة لله تصبح بياناً عن العدل الالهى (١) » .

ويؤكد صحة ذلك التفسير الأخير دون الأول ما ورد فى سفر رومية من نص حاسم صريح (١٤ : ١٢) : « فاذا كل واحد منا سيعطى عن نفسه حسابا لله » . وما ورد فى سفر تثنية (٢٤ : ١٦) « ولا يُقتل الآباء عن الأولاد ولا يُقتل الأولاد عن الآباء ، كل انسان بخطيئته يقتل » . وما ورد فى حزقيال (١٨ : ٢٠) « الابن لا يحمل من اثم الأب ، والأب لا يحمل من اثم الابن . بر البار يكون عليه وشر الشرير عليه يكون » . وما ورد فى سفر التكوين (٩ : ٦) « وسافك دم الانسان بالانسان يسفك دمه » .

ولهذه الاعتبارات كلها راح تلاميذ المسيح يسألونه : « هل هذا أخطأ أم أبواه ؟ » . وسؤالهم عن خطيئة الابن المولود أعمى لا يكون له أى معنى — ما دام هو أعمى منذ مولده ولم يكن قد ارتكب اية خطيئة بعد — لو لم يكونوا يؤمنون بأنه عائد للتجسد من حياة سابقة يحتمل أن يكون قد أخطأ فيها . فجاءهم الجواب « لا هذا أخطأ ولا أبواه » أى لم يصدر أى خطأ من أحد فى حياته الراهنة .

أما عن أخطاء الحياة السابقة فقد تحاشى يسوع الاشارة اليها لأنه لم يتعود أن يدين انساناً ، بل كان كثير الرفق حتى بالآثمة والخطاة ، حريصاً على غفران خطاياهم وابراء أدوائهم ، وهذا هو جوهر رسالته ، ولذا عطف قلبه الرحيم على ذلك المولود أعمى ، فأعاد اليه بصره .

---

(١) عن كتاب «العودة الى الحياة ، وهل هى حقيقة أم خيال» الترجمة العربية بمعرفة صديقنا الاستاذ زكى عوض المحامى ١٩٥٧ ، ص ٢٥ ، ٦١ ، ٦٢ .

. وهكذا ترى أن عقيدة العودة للتجسد تفسر ما لا يملك أحد له تفسيرا منطقياً ملتئماً مع نوامبس العدل والمحبة فى وقت واحد ، وبما ينفى شبهة التناقض بين النصوص ، حتى تلك النصوص الواردة فى عهد واحد ، أو فى سفر واحد .

* * *

وعلى أية حال فان عقيدة العودة للنجسد وجهت أدب نعيمة ؛ كما وجهت أدباء عديدين وفلاسفة وشعراء كبار . وفى هذا الشأن يقول الأستاذ شفيع السيد فى دراسته عن ميخائيل نعيمة (١٩٧٢) : « انهى نعيمة فى تفسير الحياة والوجود الى الايمان بفكرة « التناسخ »(١) . فالانسان ينتقل من جسد الى جسد ، ومن حال الى حال عبر اجيال طويلة الى أن يتطهر من أدران المادة وشهوات الحس ، ويتحرر من كل العلائق الأرضية ، ويصل الى الحرية الكاملة ، والمعرفة الشاملة ، بحيث يتحد بالذات الكبرى التى لا وجود الا لها وفيها (مذهب وحدة الوجود أو الوهية الكون Panthéisme) .

وقد اطمأن نعيمة الى هذه العقيدة ، وآمن بها منذ شبابه الباكر ، ورأى فيها حلا لكل المشكلات الروحية والعقيدية التى أرقته حيناً من الزمن ... ونود أن نشير الى أنها كانت نقطة انطلاق فى تصوره لماهية الأدب وفهمه لطبيعته . ذلك انه بحكم هذه العقيدة يرى أن الانسان يحتوى على بذرة الألوهية فى نفسه ، وانه فى سعى دائب لاكتشاف ذاته والوقوف على حقيقتها التى هى حقيقة الوجود كله وجوهره الثابت الأصيل .

والانسان فى هذا السعى ما فتىء فى صراع مستمر مع الطبيعة من حوله بغية الوصول الى هذه المعرفة . وقد أدى هذا الصراع الى وجود الوان المعرفة المختلفة كعلوم الطبيعة ، والفلسفة ، والسياسة ، والاقتصاد، والاجتماع ، والتاريخ ، والفنون ، وغيرها . فكل منها يجعل الانسان مناط بحثه ، ويحاول اكتشاف حقيقته . ولا يخرج الأدب عن هذا النطاق أيضاً ، فهو يتعلق بالانسان ويسعى الى معرفة ذاته ...

كذلك يرى أن رحابة الكيان الانسانى وحيويته وامتداد أطرافه ، وكثرة حاجاته وشواغله ، وتنوعها من عصر الى عصر ، ومن مكان لآخر

---

(١) تحدث نعيمة عن العودة للتجسد فى صورة آدمية ولم يتحدث مطلقاً عن « التناسخ » بمفهومه الأسطورى الذى يتقبل احتمال العودة فى صورة حيوان . لذا كنا نحب أن يكون المؤلف عن نعيمة أكثر دقة وتحفظاً فى التعبير عن وجهة نظره .

قد أدت الى امتداد مماثل فى ظلال الدوحة الأدبية حتى تغطى سائر أطراف الحياة الانسانية وتصور جميع تجاربها . ومن هنا نفهم السر فى تعدد المذاهب الأدبية ... ، كما نفهم السر فى تنوع الفنون الأدبية ... فكل مذهب من هذه المذاهب خرج الى الحياة نتيجة لظروف معينة ، واستجابة لعوامل متشابكة اجتماعية وسياسية وفكرية » (١) ...

ماذا يقول وذرهيد ؟

ويتحدث فى موضوع العودة للتجسد الدكتور وذرهيد Weatherhead وهو مفكر بريطانى معروف واسع الثقافة قائلا : « اننى أفكر فيمن تدعى بتى سميث Betty Smith (وهو اسم رمزى) التى ولدت فى منزل ثراء ، تحيط بها جميع الفرص ، والتى تلقت تعليماً مثالياً ، والتى أحبت وتزوجت زواجاً كفل لها العيش فى نفس الترف ، والتى انجبت ستة من البنين السعداء الأصحاء ، والتى امضت أيام حياتها المتوسطة والأخيرة فى كامل الصحة والرفاهية .

وبعدئذ أفكر فى السيدة جين جونز Jane Jones (اسم رمزى بدوره) التى ولدت عمياء ، أو صماء ، أو عرجاء فى منزل فقير الى حد الجوع ، من اب سكير جعل من الحياة جحيماً للجميع . وجين عاجزة عن ان تفلت من هذه الحياة ، ولا يمكنها أبدا الزواج ، ولا مغادرة منزلها . فهى لا يمكن بالتالى أن تنعم بنفس مباهج بتى ، ثم تموت مبكرا من داء عياء .

قد يتصور البعض أن الأمور يمكن اصلاحها فى السماء . فهل يتعين عندئذ على بتى ان تعانى فى السماء لمجرد أنها كانت سعيدة على الأرض ؟ وماذا يعنى ذلك فى مفهوم العدالة ؟ انه لا يعنى شيئاً ، وقطعاً لن تستفيد جين شيئاً من معاناة بتى ، ولا هى بالحقودة ، ولا تريد أن تكون حقودة .

وهل يتعين مكافاة جين أو تعويضها ، ولكن اى تعويض يمكنه أن يصلح معاناة نصف قرن من التعاسة الأرضية ؟ اننا نسخر عندما نسمع أن شخصا حصل على تعويض نقدى فى مقابل وضعه خطأ فى السجن ، اذ كيف يتأتى للمال أن يعوّض خيبة أمل العقل ، والسنين الضائعة ، وما لحق بأقاربه من تعاسة ومن بؤس ؟ ان هذه الأمور لا يمكن تعويضها فيما بعد .

---

(١) عن كتاب « ميخائيل نعيمة : منهجه فى النقد واتجاهه فى الأدب » ص ٥٨—٦٠ .

(٢) The Christian Agnostic (1965).

وذلك فى فصل عنوانه « العودة للتجسد والغرض المتجدد » .

اذا هل تعاسة الانسان محض حظ ؟ واذا كان الأمر كذلك نعم تكون الحيـاة باغيـة ؟ فهـل هـذه هي ارادة الله ؟ وعندئذ فان الله لا يشابه أي أب بشرى ، لأن الأب البشرى لا يمارس ارادته على هـذا النحو . . » .

لكن وذرهيد يعتقد مع ذلك أن المسيحية تمثل اسلوبا للفكر وللحياة، ونظاماً لاهوتياً ينبغى أن يلتئم تماماً مع الحجج المنطقيـة : « فاذا كنت تحب المسيح ، وتحـاول أن تتبعه ، فلتتخـذ خطـة الانسان المفـكر فى المعضلات العقلية ، بالأقل بالنسبة للوقت الحاضر . . . ولابد انالمسيحية تحـوى طاقة عجيبـة بداخلها ، والا لكانت الكنائس تغلبت عليها منذ أمد طويل » ! !

ويواجه وذرهيد اعتراض احـد رجال الدين وهو الدكتـور هويل Whale على عقيدة العودة للتجسد عندما قال الأخير : « ان وجودى السبقى المزعوم لا يمكن ان يكون له اى مغزى راهن بالنسـبة لى لاننى ممنوع من أن أتذكر اى شىء عنه » ، فيرد عليه قائلا : « لو أن مخـدرا أعطى للدكتور هويل لكى يمحو ذاكرة شبابه فان كل ذكريات الشـباب لا يمكن أن يصبح لهـا مغزى أدبى راهن بالنسبة له ! انه يتجاهل ان هذه الذكريات هى التى صاغته صياغة فعلية وشكلته على ما هو كائن الآن ، كما لو كان لا يزال يذكرها فعلا . والقـاضى لا يكون فى المعتاد مسـتعدا لاعفاء أى سجين من كل مسئولية أدبية حتى لو تأكد أن هذا السجين لم يعد بمقدوره أن يتذكر الآن شيئاً عن مسئوليته !

وما من واحد منا يمكنه أن يستعيد ذكريات أيامه الأولى على الأرض، ولكن أى عالم نفسانى بمقـدوره أن يؤكد اهميتها ، والأثر الذى أحدثته لدينا . وأحداث الطفولة هذه لم تحدث لانسان آخر غيرنا ، بل لقد حدثت لنـا ، ورغم أننا قد نسيناها الآن الا أنها قد وجهت العـديد من ردود فعلنا الحاضرة نحو الحياة . وطريقة السـلوك الشخصى للحياة فى سن البلوغ عبارة عن صيغة من ذاكرة مخزونة . فنحن لسنا بحاجة لأن نتذكر الانطباعات العقلية حتى نتأثر بها فى سلوكنا .

ان الانســان المؤمن الذكى يؤمن بأن لله خطـة فى حياة كل رجـل وامرأة ، وأن تحقيق هذه الخطة يعنى أن مشيئة الله هى السائدة كما فى السماء كذلك على الأرض ، ولكن كيف يمكن تحقيق التقدم فى العـالم فى الأمور الداخلية — التى هى أخطر الأمور كلها — اذا كان ميلاد كل جيـل جديد يملأ العالم بنفوس ضعيفة يعوزها الرقى ، والتهذيب ، وتغـذيها الميول الحيوانية ؟ ان العـالم لا يمكن أبداً أن يتطور نحو الكمال ما لم يتمكن أولئـك المولودون فيه من الاستفادة من الدروس التى حصلوها فى حيواتهم السابقة بدلا من البـدأ من « الصفر » .

وفى الواقع ان عدد الموهوبين قليل ، ومثله عدد القديسين . ولكن من الجائز انه توجد ثمة كواكب اخرى اكثر ملائمة لهم من هذا الكوكب الأرضى كيما تكون لهم فصولا مدرسية . وبالتالى فانه يتعين أن نتنازل عن الفكرة القائلة بأن عالمنا هذا هو الطريق الى المجتمع الكامل .

وهذه الأفكار تجعلنى أتفق مع المرحوم العميد انج Dean Inge — المفكر بلا ادنى ريب — عندما قال عن نظرية العودة للتجسد « اننى أجدها متصورة وجذابة فى وقت واحد » .

وان الانسان ليعجب لماذا تقبل الناس بسرعة شديدة وعلى نطاق واسع فكرة وجود حياة بعد الموت ، لكنهم قاوموا فى الغرب فكرة وجود حياة قبل الميلاد ، وذلك مع أن الحجج عن الخلود فى اتجاه واحد تبدو لى ملائمة أيضاً عن الحياة فى اتجاهين خارج الجسد الراهن » (١) .

وإزاء هذه الاعتبارات العديدة التى أسلفتها ، والتى لها وجاهتها الواضحة ، اخذ يظهر تدريجيا عدد من رجال الدين المعاصرين الذين أعلنوا صراحة اقتناعهم بصحة العودة للتجسد كمبدأ سليم من الناحية الدينية : اذكر منهم الدكتور بتلر Butler اسقف ديرهام Durham (ببريطانيا) ، والدكتور هنرى مور Henry Moore ، والدكتور شيين Cheyne وغيرهم ، وعددهم آخذ فى التزايد التدريجى ، خصوصاً بعد ذيوع نتائج التحقيقات المدققة الكثيرة والكشوف العلمية ، والتى أتت بنتائج ايجابية متدفقة لم تكن متوقعة فى كثير من الأحيان ، على ما سيرد فى الفصلين الثانى والثالث .

المبحث الثالث

عن « العودة للتجسد » فى الاسلام

بعض الآيات

فى القرآن الكريم توجد آيات عديدة كريمة كلها تشير الى امكان رجعة الروح هذه منها : —

— كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم اليه ترجعون (٢) . (لاحظ أن الموت هنا ورد قبل الحياة مرتين) .

---

(١) عن كتاب : Noel Langley : Edgar Cayce on Reincarnation 1967 p 275 - 278

(٢) سورة البقرة ٢٨ ، ٢٩ .

— قل الله يبرؤ الخلق ثم يعيده فانّى تؤفكون (١) .
— خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى (٢) .
— وهو الذى أحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ان الانسان لكفور(٣) .
— يبرؤ الخلق ، ثم يعيده ، ثم اليه ترجعون (٤) .
— قالوا ربنا أمتّنا اثنتين ، وأحييتنا اثنتين ، فاعترفنا بذنوبنا ، فهل الى خروج من سبيل (٥) .
— وستردون الى عالم الغيب والشهادة (٦) .
— نحن قدّرنا بينكم الموت ، وما نحن بمسبوقين (اى بعاجزين) على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون (٧) .
— يأيها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذى خلقك ، فسوّاك ، فعدلك فى أى صورة ما شاء ركّبك » (٨) .

فلاغرابة لذلك أن تجد أن عددا من شراح النصوص يؤيد نظرية رجعة الروح هذه تحت أوصاف شتى لعل أكثرها ذيوعاً هذا الوصف الخاطىء وهو « تناسخ الأرواح » الذى يعادل فى خطئه وصف « تحضير الأرواح » .

لذا ينبغى أن يقال « رجعة الروح » أو « عودتها الى الميلاد » كمقابل للتعبير الأجنبى Rebirth . لأن المقصود به هو مجرد دوام حياة الروح مع احتمال عودتها للتجسد كما سبق أن قلت ، حين أن وصف « التناسخ » قد يثير فى الذهن معنى مغايراً تماماً ، وهو أن الحياة اللاحقة للروح قد تنسخ حياتها السابقة، مع أن النسخ لامحل له فى نواميس الطبيعة التى لا تعرف الا الدوام مع التطور فى اتجاه أو فى آخر طبقا لمدى الاتساق الصحيح مع هذه النواميس البيولوجية والروحية ، التى تتحكم فى تطور الحياة بوجه عام .

ولكن من شراح النصوص من أنكر احتمال رجعة الروح وقاومه

---

(١) سورة يونس ٣٤ .
(٢) سورة طه ٥٥ .
(٣) سورة الحج .
ولاحظ أن الاشارة الى الموت وردت قبل الاشارة الى الحياة فى عدة مواضع .
(٤) سورة الروم ١١ وراجع ايضاً سورة العنكبوت ١٩ .
(٥) سورة غافر ١ ، ١١ .
(٦) سورة التوبة ١٠٥ .
ولاحظ كلمة « ستردون » وهى تشير الى سبق الوجود فى عالم الغيب والشهادة .
(٧) سورة الواقعة ٦٠ ، ٦١ .
(٨) سورة الانفطار ٥ ، ٦ .

تأسيساً على اقتناعه بأن الحياة التالية للموت هى الخلود راساً فى النعيم او فى الجحيم ، فلا محل فيها لعودة ثانية الى الأرض . وفاتهم أن تلك الحياة التالية قد تكون حياة برزخية ، أو « انتقالية » على النحو الذى فهمه الكثيرون من شراح هذه النصوص ، وقد تفتح هذه الحياة البرزخية بالتالى الباب واسعاً لجميع الاحتمالات ، بما فى ذلك « احتمال » رجعة الروح من جديد فى صورة آدمية وذلك لسبرعة تطورها ولتحقيق اى هدف مما أسلفناه .

والحياة ذاتها ، وفى كل مكان وزمان ، ليست أكثر من تطور بطىء للروح المحدودة داخل الروح غير المحدودة ، وانتقال من حالة سابقة الى حالة لاحقة اتم منها أفضل . وهذه هى بعينها سنة النشوء والارتقاء التدريجى البطىء الذى لا يعرف الطفرة ، كما لا يعرف التطرف ازاء ارتباط النتائج بمقدماتها ارتباطاً محتوماً .

عن موقف الكندى

لذا نجد عددا من ابرز فلاسفة الاسلام والعرب الأوائل — شأنهم شأن فلاسفة المسيحية الأوائل — لم يفتهم الحديث عن موضوع « وجود سبقى » للروح قبل ان تولد على الأرض وهو اعتقاد يمثل عنصراً رئيسياً فى اعتقاد « العودة للتجسد » . ومنهم مثلا يعقوب بن اسحاق بن محمد ابن قيس الكندى (ولد فى أواخر القرن الثانى من الهجرة) ، وكان يحمل فى حياته لقب « فيلسوف العرب » .

« ويذهب الكندى الى أن نفس الانسان جوهر بسيط غير فان ، هبط من عالم العقل الى عالم الحس ، ولكنه مزوّد بذكريات من حياته السابقة . وهى لا يقر له قرار فى هذا العالم ، لأن له حاجات شتى تحول دونها الحوائل الكثيرة فيكون ذلك مثار شعور أليم ... ولا ديمومة الا فى عالم العقل ، فاذا أردنا أن تقر اعيننا بتحقيق ما نصبو اليه ، والا يسلب منا ما هو حبيب الى نفوسنا وجب علينا أن نقبل على نعيم العقل الدائم ، وعلى تقوى الله ، وأن نعكف على طالب العلم وعلى صالح الأعمال » .

والأمر الهام كما ترى انه يتحدث عن « هبوط الانسان من عالم العقل الى عالم الحس ، وأنه مزوّد بذكريات من حياته السابقة ... » وهذه هى نظرية العودة للميلاد كما فهمها بعض فلاسفة اليونان ثم العرب ،

---

(١) عن كتاب « تاريخ الفلسفة والاسلام » تأليف ج . دى بور ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ١٢٠ .

وراجع ما سبق فى الجزء الأول عن آراء لفيف من فلاسفة المسلمين فى الخلود ص ٨٨ — ٩٥ والمراجع المشار اليها فيها .

قبل أن تداخلها الأساطير التى تسللت تدريجيا عندما اتصلت الفلسفة العربية بالفلسفة الهندية ، فعرفت باسم « تناسخ الأرواح » .

واخذ بعض الشراح من شتى المذاهب يرددون فيما بعد هذا الوصف الخاطىء ، بل ويرددون أيضاً بحسن نية بعض الأساطير الهندية بوصفها عناصر ضرورية لا يمكن فصمها عن تلك النظرية ؛ التى عرفتها أيضاً الفلسفة المصرية والاغريقية على ما وضحته فيما سبق ، لكن فى صورة معتدلة جداً اذا ما قورنت ببعض الأساطير التى جاءت من الشرق الأقصى.

عن موقف السهرورْدى

وفى هـذا الشان يقرر الدكتور محمد على أبو ريان أستاذ الفلسفة بجامعة الاسكندرية « تعرضت الأديان القديمة لمشكلة « التناسخ » (١) ، وآمن الهنود به ايماناً عميقا سيطر على حياتهم الدينية والعقلية ؛ ورتبوا له طقوسـاً وأدواراً وتأثر به الفرس والمصريون القـدماء ، وأهل بابل ، وعرف عن الفيثاغورية قبول التناسخ .

ويرجع انتشار الاعتقاد بالتناسخ فى العالم اليونانى القديم الى النزعة الأورفيـة التى كانت تمثـل الجـانب الخفى فى الحيـاة العقليـة عند اليونانيين ... واختلط هـذا الجانب الروحى بالتراث اليونانى وتكونت الثقافة الهللنية من هـذا الاختلاط ، وقـد عمل العرفانيون على ذيوع الاعتقاد بالتناسخ فى حقـل انتشـار الثقافة اليونانية فجاءت الأفلاطونية المحدثة وهى تؤمن بعقيدة التناسخ » .

ثم يعرض المؤلف لموقف الفيلسوف شـهاب الدين عمر بن محمـد السهرورْدى (٥٣٩ — ٦٣٢ هـ) من التناسخ قائلاً عنه أنه « عرض له فى جميع كتبه الا أنه كان قلقـاً متردداً فى تقرير موقف ثابت له . فهـو يعرض للتناسخ عند أصحاب المذاهب المختلفة ، ويذكر أن التناسخ على أنواع : من انسان الى حيوان أو من انسان الى نبات أو الى جماد . وقد يكون التناسخ عكسياً من الحيوان الى الانسان أو قد يكون فى دائرة النوع الواحد، فمن بدن انسان الى بدن انسان آخر،أو من بدن فرس الى بدن فرس واحد (وهذا « التناسخ » فى دائرة النوع الواحد يبدو انه أوثق التئاماً من غيره مع بعض المدارس العلميـة الحديثة ، وما عـداه تنكره جميع المدارس) .

---

(١) راجع ما سبق عن رأينا فى خطأ هذا التعبير .

ثم يذكر أن الشرقيين من حكماء الفرس والهند والصين واليونان كانوا على هذا الرأى ، ولكن أرسطو عارض قضية « التناسخ » وهاجمها مهاجمة عنيفة فى نقده لأفلاطون والفيثاغورية . وجاء الاسلاميون فاقرها كثرة منهم ، ودللوا على دعواهم بآيات قرآنية كقوله تعالى : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » (١) ، وقوله تعالى « وكلما ارادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها » (٢) وقوله تعالى « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين » (٣) .

ثم يصل السهروردى بعد عرض الآراء المختلفة فى هذا الشأن الى القول بأنهم كلهم متفقون فى ضرورة خلاص النفوس الطاهرة من ظلمات البدن . « وصغى أكثر الحكماء الى هذا ، الا أن الجميع متفقون على ضرورة خلاص الأنوار المدبرة الطاهرة الى عالم النور دون النقل ، لأنه انما كان للتطهير وقد حصل » .

ثم يقول السهروردى أيضاً « وطريق خلاص النفوس وتطهرها من آثار الجسد يتعلق بهذه المراتب تعلقاً أساسياً ، اذ أن هؤلاء الكاملين الذين مارسوا الحكمتين العملية والعلمية يصلون الى عالم الأنوار المجردة ، أما هؤلاء المتوسطين فى مرتبة الكمال فانهم يرتقون الى عالم المثل المعلقة . ولا يجب أن نخلط بين هذه المثل والمثل الأفلاطونية . « والمعلقة قسمان : ظلمانية للأشقياء ومستنيرة للسعداء ، وفى المثل المعلقة تبقى نفوس الذين حق عليهم العذاب والذين كتب عليهم نسخ أبدانهم (لاحظ أن الحديث هو عن نسخ الأبدان لا الأرواح) هذا ان صحت قضية التناسخ » (٤) .

* * *

هذا هو كلام شهاب الدين السهروردى الذى كان شيخ الشيوخ فى بغداد . ويقول فيه الدكتور محمد غلاب أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية « كان السهروردى من طراز أبى حامد الغزالى فى حملته على الفلسفة الاغريقية ومناصرة الشريعة الاسلامية عليها . ولهذا كان من فصيلة عمه ... (أبو نجيب السهروردى : ٤٩١ — ٥٦٤ هـ وكان من ائمة المتصوفين أيضاً) .

وللقوى الانسانية عند شهاب الدين السهروردى ثلاث درجات :

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) سورة السجدة آية ٢٠ .

(٣) سورة التين آية ٤ — ٥ .

(٤) عن كتاب « أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردى » ١٩٦٩ ص ٣٥٥ — ٣٥٧ .

علياها الروح ، وهى متجهة الى العالم اللامحس . ودنياها النفس وهى متجهة الى العالم المحس . وبينهما القلب وهو صالح للاتجاهين : الأعلى والأدنى ، فقبل أن يتم نوره يكون اتجاهه موزعاً بين القوتين العليا والدنيا ، لكنه عندما تتم انارته ينجه بكليته الى الروح فيتصل بالعالم الروحانى ، وفى هذه الحالة تنجذب النفس الى القلب . وعلامة اتجاه النفس الى القلب هى احساسها بالهدوء ...

ومما أثر عنه قوله : « ان من فضائل الصوفية أن يكون الانسان رحيماً ، وأن يصفح ويحسن الى من أساء اليه » . وقوله : « لو احب الناس بعضهم بعضاً وقدروا ما فى الاحسان من خير لاستغنوا عن العدالة ، اذ العدالة ادنى مرتبة من الرحمة ، ولا تستعمل الأولى الا عند غيبة الثانية ، وان من ينفذ أوامر الرحمة أسمى ممن ينفذ أوامر القانون ؛ لأن اطاعة القانون خارجية ، أما اطاعة الرحمة فهى داخلية » (١) .

عن موقف بعض المذاهب والنحل

وممن أيد قضية التناسخ من المسلمين القرامطة فى العراق والشام واليمن . ومنهم أيضاً عبد الكريم بن أبى العوجاء المتوفى عام ٧٧٢ م والذين يدورون فى فلكه ...

« ويعتبر احمد بن خابط المتوفى عام ٢٣٢ هـ ٨٤٦ م زعيم هؤلاء التناسخيين وكان يقول ان الله تعالى خلق الخلق فى أبدان صحيحة وعقول سليمة فى دار نعيم ليست هى الدنيا ، وخلق فيها معرفته والعلم به وأسبغ عليهم فى هذه الدار نعمه. فمن أطاعه فى كل ما أمر به من التكليف أقره ومن عصاه أخرجه منها الى النار وهى دار العذاب الدائم .

أما من أطاعه فى بعض ما أمر به وعصاه فى البعض الآخر فانه يخرجه الى الدنيا ويلبسه فيها بعض هذه الأجسام التى هى قوالب كثيفة للروح ويبتليه بالشدة والالم لبعض عصيانه ، أو الراحة والمتعة لبعض طاعته عن طريق التجسد فى صور مختلفة من صور الناس والحيوانات على اختلاف أنواعها ، وبالقدر الذى كانت عليه معصيته فى دار النعيم الأولى ؛ فمن كانت معاصيه أقل وطاعاته أكثر كانت صورته فى الدنيا أحسن ؛ ومن كانت طاعته أقل ومعاصيه أكثر صار قالبه فى الدنيا اقبح . ولا تزال الروح فى هذه الدنيا تتنقل فى قوالب وصور مختلفة ما دامت الطاعة مشوبة بالذنوب ... » (٢) .

---

(١) عن كتاب « التصوف المقارن » للدكتور محمد غلاب ١٩٥٨ ص ٦٢ — ٦٤ .

(٢) من « تناسخ الأرواح » المرجع السابق ص ٢٧ .

« وكان اليهود يقولون برجعة الروح لبعض الناس بعد الموت فيعودون بنفس أجسادهم الى الحياة . وعندهم الكاهن عزرا أو عزير كاتب شريعة موسى الذى عاد الى الحياة بعد موته بمائة عام . وكذلك هارون أخو موسى فقد آمنوا برجعته واستئنافه الحياة من جديد . وقد ناسبت هذه الفكرة بعض فرق الشيعة فقالوا برجعة على بن أبى طالب رحمه الله .

وكان عبد الله بن سبأ يردد القول برجعة النبى محمد (ص) استناداً منه الى الآية الكريمة ٨٥ من سورة القصص ونصها : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » . ويقول الدكتور حسن ابراهيم حسن ان مذهب « تناسخ الأرواح » وهو خروج الروح من جسد وحلولها فى جسد آخر نشأ فى الاسلام من فكرة الرجعة هذه (١) .

ولا ريب أن عقيدة رجعة نفس الروح الى التجسد Reincarnation الأرضى عن طريق الولادة فى العالم المادى من جديد تحت اسم آخر جديد تختلف من نواح كثيرة عن عقيدة خروج الروح من جسد وحلولها فورا فى جسد مولود حديث ، كما تختلف تماماً من باب أولى عن تقمص الأرواح الآدمية لأجساد حيوانية أو نباتية . فلا ينبغى الخلط ، أو التعميم المتعجل الخاطىء . كما لا ينبغى التعويل كثيراً على الآراء السائعة ، أو على أقوال الرواة فليس هذا من الأسلوب العلمى فى شىء .

ماذا يقول ابن الخطيب ؟

وقد تعرض المفسر المعروف محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب لهذا الموضوع بمناسبة شرحه للآيتين الكريمتين « نحن قدرنا بينكم الموت ، وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون » (٦٠ ، ٦١ من سورة الواقعة) .

يقول ابن الخطيب : « وما نحن بمسبوقين » أى بعاجزين على أن نبدل أمثالكم ، أى نخلق غيركم من جنسكم بعد مهلككم . وننشئكم أى نشأة أخرى . « فيما لا تعلمون » أى خلق شئنا ، وأية نشأة أردنا .

ثم يقول : يؤخذ من هذه الآية أن الانسان قد يخلق بعد موته فى خلق أدنأ من خلقته ، وأحط من طبيعته تأديباً له وتعذيباً ، كما أنه يجوز أن يخلق فى خلق أعلا من خلقه وأشرف من جنسه تعظيماً له وتكريماً . وهذا

---

(١) عن المرجع السابق ص ٤١ وهو يحيل القارىء الى كتاب « أديان الهند الكبرى » ص ٦٤ ، و « الدولة الفاطمية » للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٨ .

القول يعارضه الأكثرون تحرزاً من القول بتناسخ الأرواح » (١) ...

وواضح أن ابن الخطيب يشير الى معارضة الأكثرين القول بتناسخ الأرواح ، بمفهوم احتمال عودة روح الانسان فى جسد حيوان يبين احد ملامحها الأخرى . فاذا نفينا هذا المفهوم . وعلى النفى اجمع بحاث الروحية كلهم . فلا تتبقى سوى احتمال عودة الانسان للتجسد فى صورة انسان جديد . وهذا مفهوم مختلف عن ذلك تماما . ويلتئم تماما مع صريح نص هذه الآية ، وغيرها من الآيات العديدة التى أوردناها فيما سبق .

كما يلتئم مع احتمال عودة الانسان — نفسه — فى مستوى اعلى أو أدنى اجتماعياً من مستواه السابق ، طبقاً لسلوكه ؛ ولاستحقاقاته . ولدواعى تطوره وارتقائه ، وكل ذلك يدخل فى قدرة الله تعالى التى لا يحدها قيد ولا حد اذا ما أرادت أن نبدل « أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون » .

ماذا يقول الدكتور نوفل ؟

ويتحدث أيضا الدكتور عبد الرزاق نوفل — وكيل وزارة التجارة الخارجية ، وهو بحاثة معروف وعضو مبرز فى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ومقرر « لجنة التعريف بالاسلام » بهذا المجلس — عن هذه العقيدة من الناحية الدينية فيقول « وتفيد آيات القرآن الكريم وجود خلق أكثر من مرة للانسان مما يؤكد ويساند هذا الرأى . وذلك فى مثل النص الشريف « وهو خلقكم أول مرة » (٢) . فذكر القرآن الكريم للخلق أول مرة انما يفيد وجود أكثر من خلق . وهذا الخلق الآخر المقصود غير قيام الناس يوم القيامة ، اذ أن القرآن الكريم لم يطلق على قيام القيامة الخلق وانما أطلق عليه البعث ...

وفى نفس المعنى وتوضيحاً له نجد أن هناك آيات كريمة قد اوردت اعادة الخلق ، مما يؤكد وجود أكثر من خلق ، وذلك بمثل النص الشريف « قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون » (٣) . ويشير النص الكريم علاوة على زيادة الخلق عن مرة الى أهمية الخلق الأول الذى بدأ به الخلق . كما أن آيات الخلق الأول ثم اعادته أوردت بعد عمليات الخلق الرجوع الى الله ، وذلك فى مثل النص الكريم « الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون » (٤) .

---

(١) عن « أوضح التفاسير » لابن الخطيب ص ٦٦٣ .

(٢) آية ٢١ سورة فصلت .

(٣) آية ٣٤ سورة يونس .

(٤) آية ١١ سورة الروم .

خلق في البداية ، ثم اعادة للخلق ، ثم الرجوع الى الله . ورجوع لفظ لا يحتاج الى تفسير أو بيان ، فالرجوع معناه العودة . حيث كان الانسان مرة . فكأن الانسان كان عند الله سابقاً ثم خلق فى الحياة ، ثم سيرجع الى ما كان عنده ، وسيكون ذلك بعد الحياة ثم الموت ، وذلك كما تنص الآية الشريفة « هو يحى ويميت واليه تُرجعون » (١) .

كما توجد آيات شريفة كثيرة قررت عودة الانسان الى عالم الغيب مما يؤكد وجود الانسان فى هذا العالم الغيبى ، ثم غادره وعليه فسيعود اليه مرة اخرى . ورد الانسان الى جهة انما يفيد وجوده السابق فيها . وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم « وستُردّون الى عالم الغيب والشهادة » (٢) .

فلا شك اذاً فى أن الانسان كان فى عالم الغيب قبل عالم المشاهدة ، أى كان فى حياة سابقة لحياته الأرضية ، ولذلك نجد أن القرآن الكريم قد قرر ان للانسان حياتين وموتتين بالنص الكريم « قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » (٣) . ويكون المعنى الواضح القريب للآية الشريفة وجود حياتين للانسان وموتيين كما يفيد النص . وليست مرتين بالعدد ، وبذلك فالآية أوردت وجود نوعين للحياة ونوعين للممات ولم نقصد مجرد العدد ، لذلك قالت « اثنتين » لتختلف عن « مرتين » التى تشير الى العدد ...

وبعد أن يستشهد المؤلف بآيات كريمة اخرى يقول « فدون أى بحث أو اجتهاد ، وبلا لبس أو غموض ، تقرر الآيات الشريفة أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق جميعاً يوماً ما قبل مولدهم المعروف ، فأخذهم من ظهور آبائهم وأشهدهم على انفسهم أنهم به يؤمنون ...

وهكذا تأكد الأمر ووضحت الحقيقة ، ولم يعد هناك أى مجال للبحث : فلقد كان للانسان حياة سابقة على حياة الأرض ، فكم يا ترى استمرت هذه الحياة ؟ وعلى أى شكل كانت ؟ وكيف كان يعيش الخلق ؟ وهل كانوا جميعاً فى وقت واحد ، أم تعاقبت الخلائق ؟ وكم ظل الانسان فى هذه الحياة ؟ لا شك أنها فترة طويلة اذ تعلم وشهد وأقر ثم رجع الى ظهر آبائه حتى يحين موعد مولده فى الحياة الدنيا ... » .

ثم يقول المؤلف « ان الآيات المنظورة التى نراها بأعيننا فى حياتنا الدنيا موجودة وواضحة فى كل ما خلق الله ، ولا شك أنها كذلك كانت

---

(١) آية ٥٦ سورة يونس .
(٢) آية ١٠٥ سورة التوبة .
(٣) آية ١١ سورة غافر .

الآيات المنظـوره التى رأيناها فى حياتنا السـابقه . فان فى كل خلق الله آيات وآيات ...

فآيات السـماء والأرض كانت الآيات المنظـورة للخلق فى حياتهم السابقة ، وهى نفسها الآيات المنظورة لهم فى حياتهم الدنيا . كما أن خلق الانسان نفسه هو آية منظورة جلية وواضحة . وكما هى آية له فى حياته السابقة حيث خلق . فهى آية له فى حياته الدنيا لأنه خلق فيها أيضاً . وكذلك كل كائن حى يدب فى السماء أو الأرض انما هو آية منظوره يراها الانسان فى حياتيه السابقة والحالية ... » (١) .

ماذا يقول الأستاذ جادو ؟

ويضـع الأستاذ عبد العزيز جادو الأديب السكندرى المعـروف — وصاحب ورئيس تحرير مجلة « الشاطىء » الغراء (١٩٤٨ — ١٩٥٦) — كتاباً قيماً فى هذا الموضوع عنوانه « العودة للتجسـد فى المفهوم العلمى الحديث » (١٩٧٤) وهو كتاب غنى بالأسانيد العلمية والدينية ؛ ومما ورد فيه من الناحية الدينية : « هناك فرق وطوائف وجماعات اخـرى كثيرة كانت تؤمن بمذهب العودة للتجسد منهـا : فرق المحمدية ، والعلبانية ، والمغبرية ، والقدرية ... ولقد ذكر ذلك جماعة من مصنفى كتبهم ، ومن حذاق مبرزيهم من فرق المحمـدية والعلبانية وغيرهم منهم اسحق بن محمد النخعى المعروف بالأحمر فى كتـابه المعـروف بكتـاب « الصراط » (٢) .

عبد العزيز جادو

ولعـل أول من نادى بهذه العقيدة بين المسلمين كما جاء فى مراجـع كثيرة أحمد بن خابط (٣) وكان ذلك قبل عام ٢٣٢ هـ (٨٥٩ — ٨٤٧ م) ، فكان يقول بمبدأ الكرور ، أى « تناسخ » الأرواح التى ابتدعتها النفس الكلية فى صـور تزداد حسناً أو قبحاً بمقدار الفضائل التى اكتسبتها فى

---

(١) عن كتاب « أسرار وعجب » ص ١٨ — ٢٥ .

(٢) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « مروج الذهب » للمسعودى . جزء أول تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٣) وهو متكلم يسلك فى زمرة المعتزلة كان تلميذ النظام وشيخاً للفضل الحدثى .

تجسدها الأول . وهذه النظرية تقتضى وجود خمس مراحل : دار عذاب وهى النار ، ودار ابتلاء وامتحــان وهى دار الدنيــا ، ودارين للجــزاء النسبى ، ثم أخيراً دار النعيم التى خلق الخلق فيها ...

ولقد جاء بعد ذلك كثيرون ممن كانوا يؤيدون العودة للتجسد نذكر منهم : ابن باقــوس ، وجعفــر القــاضى ، وأبو مســلم الخــرسانى ، ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب ، والحسين بن منصور المعروف بالحلاج، ومحيى الدين بن عربى ، والسهروردى ، وأصحاب أبى يعقوب المزايلى ، وأبى جعفر محمد بن على الشلفانى المعروف بابن أبى الفرائز وغيرهم ممن يستندون الى قــوله تعالى : « يايهــا الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فســواك فعدلك فى اى صورة ما شاء ركبك » . وقــوله تعالى : « جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرأكم فيه » (١) .

وبعد أن يستشهد المؤلف بالعديد من الآيات الكريمــة التى أسلفناها يقول : « تظهــر الروح لكى تؤدى — وفقاً لعرف معين — عملية التطــور التى هى أصلاً سبب الوجود . ولهذا التطور حاسة غائية فذة هى التطور الأخلاقى . ونظراً الى أنه ليس فى الامكان ادراك هذا التطور خلال حياة واحــدة مفــردة بمقتضى قانون طبيعى ، فمن الضرورى أن تؤديها على مراحل او اطــوار على قدر ما هنالك من ضرورة ، حتى تضىء الحقيقــة الالهية بكل فخامتها وابهتها ، وبكل اشراقاتها السرمدية ...

ثم يقول «وهكذا يتم توزيع العدل الالهى بالتساوى على كل المخلوقات وعلى جميع الكائنات . وثمة تعبيران جميلان يترجمان قلب القانون ولبه : وهما المحبة والحكمة . الأول يهدى الى الصلاح ، والتقوى ، والكمال ، والطيبة ، والثانى يقود الى التعلم ، والمعــرفة ، والخبرة ، والتجربة . وهذه الأهداف التى هى القوة المنظمة والوجهة الصحيحة للعدل الالهى بمعنى آخر هى الهدف الموضوعى للوجود ، والسبب الفعلى للحياة كبوتقة فيها اختبار قاس للنفوس فى التطور ، وصورة المطلق أو الحقيقة المطلقة تتطلب العمل والتنسك والفهم . والفهم الروحى انما هــو بالانتصــار ، وبالأشياء المكتسبة ، وبالتحصيل . ويتم هذا عن طريق مرات عديدة من رجعة الروح للبحث عن قدرها فاذا وصلت الى هذا الوقت ، فان الحاجة أو الرغبة الملحة لعودة التجسد ستختفى من سبيل الروح المتطورة »(٢) ...

ثم يضيف قائلاً : « ولقد عملت الجماعات الصوفية جهدها للتمييز بين العودة للتجســد Reincarration والرجعية Transmigration وتعــدد

---

(١) عن كتاب « مروج الذهب » للمسعودى جـ ١ ص ٣٨٤ .

(٢) عن « العودة للتجسد فى المفهوم العلمى الحديث » المرجع السابق ص ٦٤، ٦٥ .

الحيوات او التجسدات المتكررة Métempsychosis اذ أن الأسر كان ملتبساً بينها سواء في الشرق ام في الغرب .

والمبدأ المقرر بأن الروح التى كانت تعيش من قبل في صورة بشرية لا يمكن أبدا أن تعاد ولادتها في جسد مادى لحيوان اذ أن المخلوقات الآدمية التى لم يتم نضجها وارتقاؤها ربما تسلك سلوكا بهيميا أو منحرف بكيفية وحشية — واضح وصريح » .

كما يقول ايضاً : « وفي العصر العباسي حين التقت الثقافتان الهندية والعربية اعتنق بعض الفرق الاسلامية هذه العقيدة مثل : البيانية ، والخباحية ، والخطابية ، والراوندية ، والقدرية ، والنظامية (١) . ويرى البيرونى أن بعض المتصوفين المسلمين ذهب الى هذه العقيدة في بعض معتقداتهم .

وفي كتاب « الزهر » أو كتاب « النور » (٢) نقرأ : « ان الأرواح كلها خاضعة لتجربة الرجعة ، اذ أن الروح يجب أن تدخل مرة اخرى في الجوهر المطلق الذى منه انبثقت . ولكن لكى تتم هذه الغاية وتكمل ، يجب عليها أن تنمى جميع الكمالات وتحسنها ... اى أن الجرثومة او النطفة التى زرعت فيها ينبغى أن تبلغ أعلى درجات الكمال . واذا هى لم تحقق هذه الحالة في خلال حياة واحدة ، وجب عليها أن تبدأ من جديد في حياة ثانية ، وثالثة ، وهكذا الى أن تنال الحالة أو الدرجة التى تناسبها للوصول أو التوصل الى رحاب الله » ...

ويمكن أن يقال نفس الشيء فيما يتعلق بتعاليم « الكارما » او القانون الأخلاقي الخاص بالسبب والنتيجة ، أو العلة والمعلول . وفي الكتب المقدسة اشارات كثيرة تشير الى هذا المعنى . ففي القرآن الكريم كثيراً جداً من الآيات البينات التى نفهم منها ما يعنيه هذا القانون :

« من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، ثم الى ربكم ترجعون » (٣) .

« من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » (٤) .

---

(١) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « من الفرق بين الفرق » للبغدادى ص ٦٥٣ .
(٢) وهو كتاب يحتوى على الفلسفة القبلانية .
(٣) سورة الجاثية آية ١٥ .
(٤) سورة فصلت آية ٤٦ .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »(١) .

« وليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط » (٢) .

* * *

ويخلص الأستاذ جادو الى النتيجة الهامة الآتية وهى أننا « لبس لنا أن ننسى أن الاسلام ، دين المسلمين فى بقاع الأرض من المشرق الى المغرب ، اقر هذه العقيدة ، كما أقرتها المسيحية ، واليهودية ، والبوذية ، والهندوكية . ولقد ذكرنا فى بعض فصول هذا الكتاب ، وبالأخص فى الفصل الأول منه كثيراً من الشواهد والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التى يستدل منها على هذه الحقيقة . وهذا دليل واضح على أن عملية التطور من المادة الى الروح ، ومن النفس الى الكمال ، انما تتم عن طريق العودة للتجسد » ...

كما يخلص الى أن المقصود بالولادة الثانية ليس الرجوع الى هذه الأرض بأنفسنا الحالية ، فلا نتجسد ثانية كما كنا . وهذه الشخصية بمميزاتها الجسمية والنفسية والعقلية ، وبالاسم الذى اطلق عليها والسلالة والعقيدة والجنس والنظرة الى الحياة لا تعود ثانية . وطبقاً للحكمة القديمة يطرح بالموت الجسم الوقتى الترابى ولا يبعث ثانية . ويحدث نفس هذا الأمر مع الجهازين النفسى والعقلى (٣) . وما ينظر اليه المرء هنا على الأرض على أنه روحه ليس فى حقيقة الأمر روحه الحقة ، بل ان هذه متميزة تماماً عن الجسم المادى ولو أنها تحتله . وهى لاتموت لأنها خالدة وازلية بعكس الجسم ، فان مصيره الى الفناء لأنه فان بطبيعته ...

وطبقاً لعقيدة العودة للتجسد فان الذى يعود هو النفس الالهية أو النزيل الالهى بداخل الجسم لا الجسم الفانى أو الانسان الجثمانى بمشاعره وأفكاره العابرة . ولذا فاننا حينما يعترض على الولادة الجديدة بمقولة اننى « لست أرغب فى العودة » يجب أن نضع نصب أعيننا اننا لا يجوز لنا أن نخشى شيئاً ، فنحن كما نفهم أنفسنا عادة لا نرجع ، بل ان الذى يرجع الى التجسد هو الجوهر الكامن أو الروح بخلالها الفردية المكتسبة (٤) ...

---

(١) سورة الزلزلة آية ٧ ، ٨ .

(٢) سورة يونس آية ٤ . وللمزيد راجع الأستاذ جادو المرجع السابق ص ٧١–٧٣ .

(٣) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « الموت وما بعده » Death & After تأليف انى بيزانت Annie Besant .

(٤) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « العودة للتجسد حقيقة أم خيال ؟ » تأليف جوفرى هدسن ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى .

فاذا كان الأمر كذلك ، واستطاعت الروح بعودتها الى هذا العالم المادى أن تمر خلال الدرجات المطلوبة . فقد يكون من الأفضل أن يطيل الله حياة الروح فى العالم المادى الى أن تحصل على الكمال وتنال بما تبتغى من النعم الالهية ، ولن يكون ضروريا لها أن تذوق كأس الموت، أو أن تحرز حياة ثانية على الأرض . ان العوالم الالهية مطلقة : سرمدية : لا نهاية لها ، والارتقاء لا تحده حدود ، ولا تقيد هذه الحياة الفانية بحدود ؛ والعوالم الروحية لا تحدها حدود هى الأخرى ولا تقيدها اية قيود (١) .

ماذا عن موقف الأستاذ الكيك ؟

وليس من المتوقع أن تمر عقيدة العودة للتجسد بدون اية مناهضة لها ، بل المتوقع هو العكس ، وقد ذكرت فيما سبق أن هذه العقيدة غريبة على افئدة الكثيرين سواء فى الشرق الأدنى أم فى الغرب ؛ ومن بين الذين لم يتقبلوها فى بلادنا الأستاذ المحترم مصطفى الكيك ، الأمر الذى دفعه الى وضع كتاب عنوانه « تناسخ الأرواح » (١٩٧١) وهدفه الأساسى نقدها .

ومن حق الأستاذ الكيك أن ينقدها بكامل حريته ، وهذا النقد لا ينقص شيئاً من تقديرنا لما لمسناه من جهد طيب فى وضع كتابه هذا ، ولما لمسناه من توفيق ملحوظ فى وضع كتابه الآخر الذى عنوانه « بين عالمين : عالم المادة وعالم الروح » (١٩٦٥) .

ولكن ليسمح لنا الأستاذ المؤلف أن نوجه الى نقده الملحوظات الآتية وهى : —

أولا : أنه من الواضح تماماً أنه ذو اعتقاد مسبق بأن هذه العقيدة منافية للدين ، مع أن هذه المنافاة محض سراب ، كما بينا فى الصفحات السابقة ، والدليل القاطع أنه لم يقدم الينا فى كتابه اى تفسير مقنع للآيات الكريمة الكثيرة التى اشرنا اليها آنفاً ، والتى استشهد بها الأستاذان نوفل وجادو وغيرهما ، وهى واضحة وصريحة ، الا اذا تركنا المعنى الواضح ولجأنا الى أسلوب التكلف أو التعجل فى التفسير .

ثانياً : أن جميع الحجج التى ساقها حجج سلبية ، أو محايدة

---

(١) عن المؤلف « العودة للتجسد فى المفهوم العلمى الحديث » . المرجع السابق ص ٧٥ ، ٨٠ — ٨٣ .

وللأستاذ عبد العزيز جادو مؤلفات أخرى قيمة متنوعة فى النفس والروح والعقل منها : « الأحلام والرؤى » ، و « لكى تكون سعيدا » ، و « الطريق الى النجاح » ، و « نحو حياة مشرقة » ، و « الروح والخلود » ، و « العقل منبع الحكمة » (تحت الطبع) .

أو فى أحسن الفروض تعتمد على الاجتهاد النظرى ، فلم نامس فى مؤلفه هذا حججاً ايجابية كفيلة بدحض الأسانيد الفلسفية والعلمية التى جاءت لكى تعزز هــذا الاعتقاد ، ولنسمه مؤقتاً هــذا « الافتراض » باحتمال العــودة للتجسد فى صورة آدمية من جديد .

ثالثاً : انه اصر على أن يتحــدث عن عقيــدة العــودة للتجســد أو « التناسخ » كما سماها كما لو كانت تتطلب بالضرورة عــودة الانسان للتجسد فى جسم جيوان ، مع أن هذا افتراض ، وذلك افتراض آخر ، ومن الممكن جدا ، بل من الواجب حتماً الآن ، الفصل بين الافتراضين ، وسنبين أسانيد ذلك تفصيلا فيما بعــد .

وسيعرف القارىء كيف أنه فى ضــوء التحقيقات المتواصــلة التى جاءت مؤيدة لهذه العقيدة أصبح يتعين الآن التمييز بين جانبها الصحيح ، وجانبها الأســطورى ، وهو عودة الانسان للتجســد فى جسم حيــوان ، أو « تناسخه » فى جسم حيوان . ولعل اصرار المؤلف على هذه التسمية هو الأمر الذى دفعه الى الاصرار على دمــج الافتراضين معا حتى يهــون عليه عبء الاعتراض والنقــد ، وحتى يرتدى اعتراضه ــ بعــد هــذا الادماج ــ قالبــاً سليما مقنعا من الناحيتين العلمية والفلسفية .

رابعاً : انه عند الــكلام فى الأسانيد « المعمليــة » التى جاءت مؤيدة لهــذه العقيدة تحاشى المؤلف اقواها واحدثها ، أو لعــله لم يطلع عليها بعد مع أنه لو اطلع عليها لجاز أن يعيد النظر فى موقفه منها .

وعندما يناقش أى انسان أسانيــد عقيــدة غير راض هو عنها من الواجب أن يتعرض لأقــوى أسانيدها ويدحضــها ، لا أن يتخير أوهاها وأضعفها ، وأكثرها قبولا لأكثر من تأويل وتعليل .

خامساً : انه عند رفض عقيدة العــودة للتجسد فى صــورة انسان لا نجد انفسنا فحسب فى مواجهة الأسانيد العلمية الكثــيرة التى سنقدمها فيما بعد فاننا سنجد انفسنا فى مواجهة ألغاز كثيرة فى الكون تظل بلا حل منها ألغــاز العــدل الالهى ، والألم ، والشر ، وحــرية الاختيار ... بالاضافة الى ألغاز العلم الخاصة بتفسير التطور ، والوراثة والحمــــل ، واللاشعور ، والعبقرية ، والذاكرة ، والتــكوين الانسانى بوجه عام ... فان هذه المعضلات الفلسفية والعلمية ــ وغيرها كثير ــ تقبل الحــل فى ضوء عقيدة العودة للتجسد ، ولا تقبل اى حــــل مقبــول بدونها ، على ما سيلاحظه القــارىء بنفسه فيما بعد .

سادساً : ثم راح الأستاذ المؤلف يتحــدث طويلا فى نظريات كثــيرة

لا صلة لهـا بالعودة للتجسد ـ اثباتا أو نفياً ـ مثـل نظـرية الحـاول بحسب فهم البراهمة لهـا فى ضـوء أساطير معينة . ومثل تعليل الحروب والأوبئة والكوارث العـامة ، ومثل مصدر الصفات الحيوانية فى الانسان، والأطفال النوابغ ... لكى يعلل هذه الأمور كلها ببعض مصادرها الظاهرة التى لا ينازع أى انسان فى صحتها ؛ وأجهد نفسه فى ذلك مع أن السـاؤل المثـار هو : هل وجود هذه العوامل كلها ينفى احتمال العـودة للتجسد أو يتعارض معه ؟ هذا هو لب القضية ؛ وما عـداه خروج عن الموضـوع وتشتيت لعناصره بلا داع .

فمثلا هو يصر ـ من الناحية البيولوجية ـ على أن الانسان خاضـع للتطور فى المفهوم الداروني الذى يبدو أنه لاينازع فى صحته ، ويصر على أن الشخصية الانسانية « محصـلة التفاعل المستمر بين طبيعـة الانسان الموروثة وبين العوامل الاجتماعية والبيئية المختلفة » . ويتناول بالتالى اثر الوراثة ، والغدد الصماء ، والجهاز العصبى ، واثر البيئة والثقافة فى شخصية الانسـان (١) ... فهل نازعه أحد فى كل ذلك سواءً أكان مقتنعاً بنظرية العودة للتجسد أم غير مقتنع بهـا ؟ !

ان هذا كله مسلم به تماما ، وقد عالجتـه فى مؤلفى عن « مبادىء علم الاجرام » الذى هو فرع من « علم الانسان » أو « الانتروبولوجى »(٢). ولكن السؤال الوحيد الذى يصح أن يثار هنا مما له اتصـال بموضوعنا هو : هل يصح أن نضيف الى كل تلك العـوامل مجتمعة ميراث الذات من نفسها أيضاً أم لا ؟ وحين يقـول المـاديون لا ، لأنهم لا يعترفون بحياة سابقة على الميـلاد المـادى ـ ولا لاحقـة له ـ يقـول سواد الروحيين نعم لأنهم لا يجدون مبررا لانكار هذه الحيـاة السابقة التى تفسر لهم أمورا عديدة أولهـا التفاوت الواضح فى المواهب والملكات بين شقيقين ـ أو حتى توأمين ـ ولو اتحـدت بينهما عوامل الوراثة ، والبيئـة ، والثقافة ... أو تقاربت على نحو ما . أما الحديث عن الغـدد الصـماء ، وعن الجهاز العصبى فهو بدوره حديث خارج عن الموضوع تماماً خصوصاً متى سلمنا بأن الروح هى المهيمنة الفعلية على الغـدد والجهاز العصـبى ؛ وليست وظيفة لهما كما يقرر المذهب المـادى للوجود .

سابعاً : وعندما يتعرض المؤلف لتجارب « ارجاع الذاكـرة للوراء » فى التنـويم المغناطيسى يتجاهل أخطـرها ، وأقواها دلالة مثـل تجارب

---

(١) المرجع السـابق ص ٦٥ ـ ٩٠ .

(٢) راجع منه بوجه خاص ص ١٨٦ ـ ١٩٨ ، ٢٣٩ ـ ٢٥٠ من الطبعة الثالثة ١٩٧٢ . وهى صفحات وثيقة الصلة بهذا النقاش .

دى روشا وآخرين متعددين غـيره لكى بقـدم حالتين اثنتين ، ويحاول تعليلهما كالآتى : « ويحـدث هــذا الانفصال المؤقت فى حالة التنـويم المغناطيسى كما يحدث فى حالة النوم العادى ، وبذلك يخلو الجسد الأرضى مما كان يشغله أثنـاء اليقظة ويكون فى هذه الحالة معرضاً لأى فضولى من الهـائمين فى عالم الروح فيقتحمه كما تقتحم اللصوص المساكن الخاليـة من أهلهـا .

فاذا استطاع هذا الفضولى اقتحام الحدود التى تفصله عن العـالم الأرضى فانه يحتل أجهـزة الجسـم الفـارغ ويهيمن على النفس التى انفصلت عن هـذا الجسم فيمنعها من أن تستعمل أجهـزة الصوت فيـه ويستأثر بهـا لنفسه فى كل ما يعن له أن يفضى به حينـذاك من حقائق أو أضاليـل ، وعندما يفاجأ الناس بمثـل هـذه الظاهرة يظنون أنهم قد وقعوا على كشف علمى جليـل كما حدث لمؤلف قصة روث سيمون »(١) .

وهذا التعليل بالهيمنة الروحيـة من كائن غير منظـور على وسيط التنـويم المغناطيسى كان نصب عين المختبرين عن طريق « ارجاع الذاكرة للوراء » ، وليس فيهم واحد كان مقتنعاً بمبدأ العودة للتجسد من قبل ، ولذا عمدوا — للتحقق من صحة الظاهرة — الى تكرار التنويم مع الوسيط أو الوسيطة الواحد الى حوالى خمسين وأحيانا ثمانين مرة ولمـدى عـدة سنوات فوجدوا أن تسلسل الذكريات المخبوءة فى اللاشعور نحو المـاضى ظل مرتبا على نفس حاله تماما ، وأن تتابع التجسـدات السابقة ظـل محتفظاً بنفس ترتيبه بالضبط .

وهذا أمر من المحال حدوثه لو أن الوسيط ، وهو فى غيبوبة التنويم المغناطيسى ، كان خاضعاً لهيمنة روحية من كائن غير منظور ، أو من عدة كائنات غير منظورة ، لأنه من غير المتصور اطلاقاً عند الدارسين لظـواهر الهيمنة الروحيـة أن تتتابع الهيمنات فى كل مرة بنفس الترتيب ، وعلى نفس النمط ، فى الاستيلاء على وعى الوسيط . ولنـا عودة تفصـيلية الى مناقشة هذه النقطة بعـد عرض عدد كاف من الاختبارات بما يغنى عن المزيد هنـا .

ثامنا : ولمـا كان عرض أسانيد احتمال العودة للتجسد هو موضوع بحثنا الحالى برمته فاننا لا نجد حاجة للوقوف طويلا عند مناقشة الأستاذ المحترم مصطفى الكيك فى كل اعتراضاته ، بل سـندع لصفحات هـذا البحث مؤونة هـذه المناقشة التفصيلية بحجج ايجابيـة نرجو أن تلاقى ما هى جديرة به من تقدير .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠ — ١١١ .

ولكن هذا لا يمنع من أن نقف هنا وقفة أخرى عند حجة نظرية ساقها في اعترضاته عندما قال ان هذه العقيدة « لا تثير في الانسان بالضرورة التحمس لممارسة الأعمال الصالحة ، واداء الواجبات ، وتطهير النفس من الفساد والرغبات الشاذة المنحرفة . انها تضع أمام الناس فرصاً عديدة في حيوات تالية لا عدد لها للاصلاح . وترتيبا على ذلك قد لا يرى الفرد بأساً عليه من أن ينطلق مع رغبات نفسه فيحققها سواء أكانت هذه الرغبات متفقة أم كانت غير متفقة مع المبادىء والقيم الدائمة في المجتمع ، ومن أن يعيش حياته بالطول وبالعرض على أن يطهر نفسه بعد ذلك في أية حياة تالية وأية دورة جديدة »(1) ...

وهذا القول مردود عليه بأن من أصول هذه العقيدة أن الانسان سيدفع الثمن كاملا عن كل غلطة تصدر منه ، أو زلة تقع منه سهواً عن عمد أو اهمال ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ؛ ولا يتصور أن يؤجل انسان عاقل توبته الى حياة أخرى اذا كان مهددا بأن يولد فيها بسبب سوء أفعاله ، أعمى ، أو أبتراً ، أو مشلولا ، أو ذليلا ... وهو يرى بنفسه في أية ظروف رهيبة وتعيسة يولد الملايين في هذه الحياة الدنيا ! ! فالانسان الذى يؤجل توبته الى حياة مقبلة له ؛ كالانسان الذى يؤجل توبته الى يوم لاحق ، كلاهما أحمق وسيدفع حتماً ثمن حماقته ؛ وسوء تقديره ان أصر على التمادى في غيه ، وتجاهل عين الله التى لا تغفو ولا تنام حتى عن « خائنة الأعين وما تخفى الصدور » .

ثم فلأسأل المؤلف المحترم سؤالا بسيطاً ، وهو هل كان رفض هذا الاعتقاد سبباً حقيقيا في دعم أسباب الفضيلة ودرء دوافع الرذيلة في حياة السواد الأعظم من الناس ؟

وحياة الانسان في كتاب الأبدية لا تساوى أكثر من ميلة يوم واحد في كتاب حياته الأرضية ، سواء أسلمنا باحتمال تعدد فرص الحياة الأرضية ، أم أنكرنا صحة هذا الاحتمال . وبعبارة أخرى أن جميع قضايا الاعتقاد ؛ والثواب والعقاب ... تكون على هذا النحو محايدة تماماً في شأن هذا الاحتمال الذى ينبغى أن يخضع في اثباته أو في نفيه ، لأساليب التحقيق العملى دون غيرها ، مع الركون المستمر الى التحليل المنطقى والرياضى بعد تجميع أكبر عدد ممكن من الوقائع التى من فصيلة واحدة . أى بعد توسيع رقعة البحث الى أبعد مدى .

وهذا هو الأسلوب الذى تتبعه حالياً الجامعات والهيئات المعنية بالتحقيقات الروحية بوجه عام وبتحقيقات العودة للتجسد بوجه خاص .

---

(1) عن الأستاذ الكيك . المرجع السابق ص ١٢٠ .

وهى بوجه عام تسير باضطراد فى اتجاه الاثبات لا النفى ، ولو اطلع المؤلف الفاضل على بعضها لوفر على نفسه مشقة الاعتراض ، وعلى قرائه مشقة المتابعة ، وعلى قلمى الضعيف مشقة النقاش الموضوعى الذى أرجو الا يضيق به صدره .

وعلى العموم فان لى عودة الى اهم القضايا المتصلة بهذا الموضوع ، الواحدة بعد الأخرى فأكتفى بهذا القدر الآن منعاً للتكرار ، وحفاظاً على التبويب الذى ارتبطت به فيما سبق .

المبحث الرابع

عن العودة للتجسد فى الديانات الافريقية

مما هو جدير بالذكر أن عقيدة العودة للتجسد شائعة حتى فى أديان افريقيا التقليدية . ومن ذلك شيوعها عند « الكالاباري » الذين يقول جاك مندلسون Jack Mendelson عنهم أنهم يمثلون تمثيلا صحيحاً غالبية سكان افريقيا الذين يقطنون جنوبى الصحراء الكبرى : « ويقسم اللاهوت « الكالاباري » العالم الى قسمين من الكائنات : «أوجو» (المادى أو الجسمانى) ثم «تيم» (الروحانى أو اللامادى) . فكل كائن له «أوجو» يمكن أن يراه الانسان العادى اذا كان فى مركز يسمح له بذلك ، لأن كل أوجو سواء أكان رجلا ، أم سمكة ، أم ثعباناً ، أم شجرة ، أم حشائش ، أم أحجارا يشغل حيزاً محدداً فى الفضاء .

أما « تيم » من الناحية الأخرى فيمكن أن يراه الناس العاديون حينما يكونون صغارا جدا فقط قبل أن يطفىء فساد العالم المادى نور قلوبهم .

ويمكن استرداد هذه القدرة المفقودة ، ولكن لا يستردها الا المستعدون للخضوع لعلاج عشبى شديد يطلق عليه « تجلية العينين والأذنين » . وهكذا يجند المقدسون الذين لهم القدرة على التخاطر مع « تيم » ومعرفة ارادته .

ورغم أنهم يتكلمون عن « تيم » كأنما قد حضر الى مكان معين واستقر فيه ، فهم أيضاً يصفونه بأنه فى كل مكان كالنسيم . ويمكن لتيم أن يكون بغير أى مقابل جسدى فى عالم « أوجو » كما يحدث بالنسبة لآلهة القرية الأبطال أو أمواتها مثلا .

هؤلاء هم الذين لا تراهم . ولكل شىء فى «أوجو» ما يقابله فى «تيم» وحينما يفقد الانسان أو حيوان «تيم» فانه يموت ، وهذا يطبق على كل الأشياء فى العالم العادى ، حيوانية أو غير حيوانية ، بل حتى بالنسبة لفئة

معينة من الآلهـة المعروفة باسـم « شعب المياه » — أن « تيم » يسيطر على أوجو كما يسيطر الربان على قارب الصيد ...

ويختلف « الكالاباري » في تقـدير القوة النسـبية لبعض « تيم » ، ولكن هنالك عائلتين من الآلهـة تحتم قواها ونفـوذها على الكل مراعاة احترامها . وأول طائفة هم الذين يطلق عليهم حكام الكيان والتقـدم . ففي المبـدأ أسس الاله الأعظم قوتين لتعملا معا ، الأولى الانثى الاصلية وسماها « تامونو » ، والأخـرى الذكر الأصلي « سـو » . ومن تامونو جاءت الأرض ، وأعطى «سو» سلطة توجيه الأرض . وكل شيء في العالم به جـزء من تامونو ، وسو . كما أن مجرى الحياة لكل قرية ، وكل كوخ، وكل فرد قد خُلق ، ومُسيَّر : بواسطة «تامونو» و « سو » .

ان مصير الانسان ، كما يقـول الكالاباري : هو « ما قاله قبـل أن يأتي » . ومرة ثانية يختلط الأمر على الانسان الغربي ، ولكن مغزى هذا المثل يمكن تفهمه بعد الشرح . فقبـل مولده يذهب « تيم » (الجسـد الأثيري للشـخص) الى تامونو ليقـول لهـا اي طـرق الحياة يختار . وتستمع « تامونو » الى هـذه الكلمات وتعتز بهـا . وتتجسد الكلمـات « سـو » أو مصير الانسان الذي حضر تيم قبله اليها ليتكلم . وترسـل تامونو بعد ذلك « تيم » الانسان ليدلف الى الجسـد الذي خلقته في رحم الأم . وبذلك يكون منطقياً جدا القول بأن الشخص هو ما قاله قبـل أن يأتي »(١) .

ويشيع في هذه القبائل أيضاً الاعتقاد بأن الأسلاف الموتى هم عبارة عن « تيم » الأشخاص المتوفين الذي انسلخ عن اجسادهم بالموت ليستمروا في كينونتهم في العـالم غير المـادي والاعتقاد بأن شخصياتهم وقيمهم تماثل تلك التي كانت لهم وهم أحياء . كما أن علاقات بعضـهم ببعض هي تماماً كعلاقة الأحياء في الكالاباري ... وأي خـبر أو شر قد يقع على العـائلة يفسر عادة بنشاط وتصرفات الموتى .

ومع هذا ليس الموتى أحياء ، بمعنى انهم ليسوا احياء بمفهومنا نحن عن الحيـاة . ان الموتى كائنون ، وبالتالي فهم ليسوا أمواتاً . هم كائنون ووجودهم يظهر نفسه للأحياء من نسلهم عن طريق قوى مذبذبة .. »(٢).

هكذا يتضح تماماً أن العـديد من اديان افريقيا الوسـطى يحوز

(١) عن كتاب « الأديان في أفريقيا المعاصرة » تأليف جاك مندلسون ترجمة الأستاذ ابراهيم أسعد محمد ص ٤٥ — ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

معلومات صحيحة لا يستهان بها عن الملكات الوساطية . والاجساد الأثيرية ، كما يعرف عقيدة دوام الحياة بعد الموت ، والوجود السابق قبل الميلاد على الأرض ، وهى وثيقة صلة بعقيدة العودة للتجسد بحيث يتعذر الفصل بينهما . وشأن الافريقيين فى ذلك شأن غالبية سكان آسيا ، وان كانت فلسفة الوجود السبقى والعودة للتجسد فى الأديان الأسيوية أكثر وضوحا ، وترابطاً ، وأوثق اتصالا بمفاهيم أخلاقية نقية ، وبفلسفة متفوقة جدا على اديان اواسط افريقيا التى لا تزال تعيش على الفطرة ، فى مفاهيمها وطقوسها أيضاً .

كلمة لابد منها

واحب أن اوجه نظر القارىء فى هذا المقام الى اعتبار ارجو أن يكون له وزنه ، وهو اننى ما وقفت حتى الآن طويلا عند موقف كافة العقائد الدينية من نظرية العودة للتجسد ، الا لأبين كيف أن كافة العقائد لاتعترض طريقها على اى وجه كان الاعتراض ، فلم يكن وقوفى بالمرة لأننى اقر وصاية الاعتقاد على العلم ، على أى وجه كانت الوصاية .

بل لقد كان الوقوف لاعتبار واحد : وهو أن أبين كافة أن الاصول الدينية بوجه عام تقف الى جانب هذا الاعتقاد ، ولا تقف الى جانب من قد يعترضون باسم العقائد بغير اطلاع كاف عليها وعلى الحقائق الهامة التى تكشف عنها العلم . والتى تلعب — أو ينبغى أن تلعب — دورا اساسيا فى القاء اضواءها على مفاهيم العقائد ، وتبدد اخطاء بعض الشروح القديمة المرتجلة وما أكثرها فى كل اعتقاد ، وما أعظم رسوخها فى الأذهان ، ناهيك بأخطاء التزمت والغلو ، التى من شأنها ان تجنى على المفاهيم الصحيحة فى الاعتقاد والعلم أيضاً .

فالوصاية ينبغى أن تكون لمعطيات العلم الوضعى على « مفاهيم العقائد » ، لا « للمفاهيم العقيدية » أياً كان مصدرها أو نطاقها على معطيات العلم الثابتة . وهى بداهة لا تصبح « معطيات » ثابتة الا بعد أن تحظى بكل صور التحقيق والاختبار الممكنة ، والا بعد أن تجتازها بنجاح يرضى عنه أسلوب التحليل الناقد .

* * *

ولو اتبع المفكرون من شتى العقائد والمذاهب والنحل منهج البحث العلمى المحايد عن الحقائق لذابت تدريجياً أعتى عناصر سوء الفهم ، ومصادر الخلاف فى الرأى ، أو بالأقل لتراجعت كثيرا عما كانت عليه من

قبل . ولما وجدت كل عقيدة ، وكل نحلة أنها وحدها على صواب مطلق ، وأن من حقها أن ترمى غيرها بالهرطقة والالحاد كما حدث على مر العصور بين جميع العقائد بل بين أرباب العقيدة الواحدة ، أو المذهب المشترك .

وتكفير المخالفين فى الرأى أمر يسير ، لكن الوصول الى الحقيقة هو الأمر العسير ، لأن الحقيقة هى اسمى شىء فى الوجود ، ولا يمكن أن يصل الانسان اليها لمجرد ارتباطه مقدما برأى ما ، وتكفيره لمن يخالفه فيه . ولو صدقنا غلاة المتعصبين فى حكمهم على غيرهم بالكفر والالحاد لكان الكفر هو الصفة المشتركة الوحيدة المميزة لجميع العقائد ومعتنقيها منذ فجر التاريخ حتى الآن ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها !!

أما فى اطار البحث الروحى فان كل الارتباطات المسبقة لا تقدم ولا تؤخر فى مصير الانسان . والكفر الحقيقى فيه هو التعالى على كل شىء حتى على محاولة فهم حقائق الحياة . وهو الالحاد بطريقها الانسان بين جنبيه ازاء كل مخالف فى الرأى . أو هو تكفير الآخرين لمجرد الخلاف فى الرأى ، مهما كان الخلاف يسيرا أو جسيما . فهذا هو الكفر الحقيقى بالله لانه يتضمن مروقا صريحا على كل نواميس التواضع ، والوداعة ، والتسامح ، والجد فى البحث عن الحقائق ... التى هى كل شىء فى ارتقاء الانسان أو فى تخلفه ، وفى نجاته أو ضياعه ، وفى نجاح الحياة خلقيا واجتماعيا أو فى فشلها الذريع .

ثم ان النضال الجاد للوصول الى حقائق الحيـاة هو انقى صـور العبادة ، لأن الله هو أسمى حقائق الوجود ، ولا يمكن أن يخطو خطوة واحدة فى طريق الوصول الى الله الا من عرف أولا كيف يتجرد من الاعتداد المفرط بالرأى وبالذات ، ومن التصور الخاطىء بانه قد ملك وحده الفهم الصحيح لله ولنواميسه التى أعيت ولا تزال تعمى كبار المفكرين والعلماء .

ولذا فانه اذا أثير أى نقاش هام بين رأيين متعارضين ، وكان كل منهما يعتمد على النصوص ، ولا شىء غير النصوص ، كما يحدث عادة بين أرباب المذاهب والنحل المختلفة حتى تلك التى تنتمى الى اعتقاد واحد ، فكيف يكون الترجيح بينهم ؟ ومن يملك سلطة الترجيح ، أو سلطة التوفيق ان كان ثمة محل للتوفيق ؟ هل هى المناقشات التى لا تنتهى أبدا ، أو تنتهى دائما من حيث بدأت وربما أشد عنفا وغشامة مما بدأت ؟ أم هى معطيات العلم الثابتة التى لم تعد تحتمل بعد جدلا ولا نقاشا ؟

من البديهى ان تكون معطيات العلم الثابتة هى الحكم وهى الفيصل فى هذا النقاش ، ولا شىء غيرها ، عند من يناقشون للوصول الى الحقائق ، لا للمكابرة فيها . وعند من يبحثون عن الصواب بحثـا جادا لا عند من

يبحثون عن اثبات وجودهم وقدراتهم « البلاغية » والدفاع عن آرائهم المسبقة بكل الأساليب مهما كان نوعها ، وأية كانت مراميها .

وأولئك الذين يبحثون عن الحقائق بحثاً جادا مخلصا — وهم بحمد الله كثيرون — سيتفهمون فيما أرى موقفى هذا ، وسيتجاوبون بسهولة مع وجهة نظرى من امكان التوفيق — فى أمور عديدة — بين العلم والعقائد من جانب ، وبين العديد من الأمور الخلافية بين شتى النحل والمذاهب من جانب آخر .

وهذا الأسلوب نفسه تبناه ودافع عنه الامام الغزالى عندما قرر فى كتابه « تهافت الفلاسفة » أن الدين لا يحتج به على العلم ، بمعنى أن ما يقرره العلم لم يعد يجوز لأحد ان يكذبه بما يزعم وروده فى الدين يقول: « من ظن أن ابطال شىء مما يقوله العلم هو دفاع عن الدين فقد جنى على الدين ... فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية لا يبقى معها ريبة ، فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها .. اذا قيل له أن هذا خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وانما يسترب فى الشرع .

وأعظم ما يفرح به الملاحدة — هكذا يقول الغزالى — هو ان يصرح ناصر الشرع بأن ما قد اثبتته البراهين العقلية العلمية هو على خلاف الشرع ، ما دام شرعا تتنافى أحكامه مع نتائج العلم » .

وقد رسم لنا الغزالى — كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود — طريقاً للشك المنهجى لا نرى بعده شيئاً ننسبه الى ديكارت Descartes ولا ننسبه اليه ، وذلك حينما نادى الغزالى مثلما نادى ديكارت من بعده « بالشك فى المعلومات التى سبق أن حصلناها عن طريق الحواس أو عن طريق العقل ، ثم البدء من أوليات يقينية تستمد يقينها من ادراكنا لها ادراكاً مباشرا ، ثم الانتهاء من تلك الأوليات اليقينية الى نتائج تلزم عنها فتكون فى مثل يقينها .

يقول الغزالى فى « المنقذ من الضلال » وهو بصدد تحليله لمعلوماته السابقة ، وذلك بعد أن استعرض معلوماته التى جاءته عن طريق الرواية والتقليد « فقلت فى نفسى انما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هى ؟ فظهر لى أن العلم اليقينى هو ذلك الذى تنكشف فيه العلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغى أن

يكون مقارناً لليقين مقارنة » (١) .

وهـــذا هو بعينــه أســلوب المدرســة التخييرية Eclectique للتوفيق بين القديم والجديد ، أو بين الاعتقاد والعلم ، ولها ما يقابلها فى كل فروع المعارف الانسانيــة ، وقد ادت — ولا تزال تؤدى — خدمات جليلة الى فلسفة القانون ، والى سياسات الشرائع المختلفــة ، كما ادت نفس الدور فى الحد من غلو الاعتقاد وفى نفس الوقت من اندفاعات كثيرة طالمــا حملت خطــأ لواء العلم والعـــرفان ، وما هى من العلم الصحيح فى شىء .

المبحث الخامس

موقف لفيف من اعلام الفلسفة والفكر
من مشكلة ((العودة للتجسد))

يعتقد بعض المؤلفين أن ذيوع الاعتقاد فى العودة للتجسد فى الغرب جاء نتيجة لانتشار الفلسفة الهندية هناك بعد الحرب العالميــة الأولى ، وتزايد الاهتمام بتلك الفلسفة . على أن هذا القول غير صحيح بالمرة . لأن هذا الاعتقاد وجد صــدى قويا له — كما ســبق أن بينت — فى مؤلفــات لفيف من ابرز رجال اللاهوت فى الغرب ، وعلى راسهم ابرزهم اطــلاقاً وهو سانت أوغسطين .

بعض الفلاسفة والمفكرين

كما وجد هذا الاعتقاد صدى اقوى من ذلك بكثــير فى آراء وكتابات لفيف ضخم من ابرز فلاسفة العصرين الوسيط والحــديث ومفــكريهما وشعرائهما ، ممن يضيق المقــام عن ذكرهم كلهم ، وانما اكتفى بذكــر طائفة كافية من أبرزهم ، فمنهم بترتيب تاريخى : —

— روجر باكون Roger Bacon (١٢١٤ — ١٢٩١) .
— دانتى الايجيرى Dante Alighieri (١٢٦٥ — ١٣٢١) .

---

(١) عن مؤلفه « المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى » ص ٣٢١ — ٣٢٢ .

– جوردانو برينو Giordano Bruno (١٥٤٨ – ١٦٠٠) .
– جاكوب بويهم Jacob Boehme (١٥٧٥ – ١٦٢٤) .
– رينيه ديكارت René Descartes (١٥٩٦ – ١٦٥٠) .
– باروخ سبينوزا Baruch Spinoza (١٦٣٢ – ١٦٧٧) .
– توماس براون Thomas Brown ١٦٠٥ – ١٦٨٢) .
– ادوار يونج Edward Young (١٦٨١ – ١٧٦٥) .
– عمانوئيل سويدنبرج Emmanuel Swedenborg (١٦٨٨ – ١٧٧٢) .
– دافيد هيوم David Hume (١٧١١ – ١٧٧٦) .
– فرانسوا فولتير Francois Voltaire (١٦٩٤ – ١٧٧٨) .
– جوتهولد لسنج Gotthold Lessing (١٧٢٩ – ١٧٨١) .
– بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin (١٧٠٦ – ١٧٩٠) .
– سان مارتن Saint Martin (١٧٤٣ – ١٨٠٣) .
– جوهان هردر Johann Harder (١٧٤٤ – ١٨٠٣) .
– عمانوئيل كنط Emmanuel Kant ١٧٢٤ – ١٨٠٤) .
– جوهان شيللر Johan Schiller (١٧٥٩ – ١٨٠٥) .
– جان فشته Jean Fichte (١٧٦٢ – ١٨١٤) .
– بيرسى شيللى Percy Shelley (١٧٩٢ – ١٨٢٢) .
– سان سيمون Saint Simon (١٧٦٠ – ١٨٢٥) .
– وليم بلايك William Blake (١٧٥٧ – ١٨٢٧) .
– همفرى داف Humphry Davy ١٧٧٨ – ١٨٢٩) .
– جوهان جوته Johann Goethe (١٧٤٩ – ١٨٣٢) .
– والتر سكوت Walter Scott (١٧٧١ – ١٨٣٢) .
– صمويل كوليردج Samuel Coliredge (١٧٧٢ – ١٨٣٤) .
– فرانسوا فورييه Francois Fourier (١٧٧٢–١٨٣٧) .
– ادجار آلان بو Edgar Allan Poe (١٨٠٩–١٨٤٩) .
– وليام وردزورث William Wordsworth (١٧٧٠–١٨٥٠) .
– أونوريه بلزاك Honoré Balzac (١٧٩٩–١٨٥٠) .
– توماس مور Thomas Moore (١٧٧٩ – ١٨٥٢) .
– آرثر شوبنهور Arthur Schopenhauer (١٧٨٨–١٨٦٠) .
– شارل رينوفييه Charles Renouvier (١٨٠٤ – ١٨٦٠) .

- جان رينو Jean Reynaud (١٨٠٦ - ١٨٦٣) .
- أدولف جارنييه Adolphe Garnier (١٨٠١ - ١٨٦٤) .
- الفونس لامارتين Alphonse de Lamartine (١٧٩٠-١٨٦٩) .
- الكسندر ديماس Alexander Dumas (١٨٠٢-١٨٧٠) .
- بيير ليرو Pierre Leroux (١٧٩٧ - ١٨٧١) .
- بونسون دى تيراى Poncon de Terrail (١٨٢٩-١٨٧١) .
- تيوفيل جوتيه Theophile Gauthier (١٨١١ - ١٨٧٢) .
- بايار تايلور Bayard Taylor (١٨٢٥ - ١٨٧٨) .
- توماس كارليل Thomas Carlyle (١٧٩٥ - ١٨٨١) .
- لويس بلانكى Louis Blanqui (١٨٠٥ - ١٨٨١) .
- رالف امرسون Ralph Emerson (١٨٠٣ - ١٨٨٢) .
- هنرى لونجفلو Henry Longfellow (١٨٠٧ - ١٨٨٢) .
- فيكتور هيجو Victor Hugo (١٨٠٢ - ١٨٨٥) .
- روبرت براوننج Robert Browning (١٨١٢ - ١٨٨٩) .
- جون هويتير John Whittier (١٨٠٧ - ١٨٩٢) .
- ألفريد تنيسون AlFred Tennyson (١٨٠٩-١٨٩٢) .
- والت هويتمان Walt Whitman (١٨١٩-١٨٩٢) .
- فردريك نيتشه Friedrick Nietsehe (١٨٤٤-١٩٠٠) .
- كامى فلاماريون Camille Flammarioh (١٨٤٢-١٩٢٥) .
- رودلف شتينر Rudolf Steiner (١٨٦١ - ١٩٢٥) .
- جون ماك تاجارت اليس John Mc Taggart Ellis (١٨٦٦ - ١٩٢٥) ..

ومن فلاسفة ومفكرى العرب :

- جبران خليل جبران (١٨٨٣ - ١٩٣١)
- ميخائيل نعيمة .
- ايليا أبو ماضى .

عن مصدر اقتناعهم

ولم يكن لهؤلاء الاعلام من الفلاسفة والمفكرين والشعراء اطلاع خاص فى الفلسفة الهندية ، أو ولع معروف بها ، فيما خلا آحاد قلائل على رأسهم آرثر شوبنهور فانه قد تعمق فيها ، وأعجب بها ، وقال ان

المستقبل سيكون لها ، وأنها ستجتاح أوروبا وتؤثر فى الثقافة الأوروبية المستقبلة ، مثلما فعلت الفلسفة الاغريقية فيما مضى .

أما بالنسبة للباقين فقد كانت العودة للتجسد نظرية مقبولة لكى تفسر الكثير من ظواهر الحياة التى يتعذر تفسيرها بغيرها ، وأهمها مفارقات الدهر العجيبة ، والتفاوت الضخم فى الملكات ، وفى فرص السعادة والشقاء . بالاضافة الى تفسير مصدر الحمل ، وبالتالى مصدر الانسان ولذا أشاروا كلهم اليها بأساليب متنوعة ، تتفاوت فى مدى قوتها ووضوحها لطبيعة الحال ، اما نثرا واما شعرا .

ولذا يتعذر القول بأن أولئك المقتنعين الكبار بعقيدة العودة للتجسد قد أخذوها عن فلسفة الهند أو غيرها من فلسفات الشرق ، خصوصاً عند من يعرفون مدى ما تتميز به الروح الغربية — خصوصاً فى مثل المستويات التى أشرت اليها — من وضوح وترابط ، ونقد ، وحذر ، بالمقارنة بروح الشرق الأقصى بوجه عام ، ناهيك بما يتميز به الغرب من روح واقعية وضعية ، وايجابية أيضاً .

وانما كان ارتباط هؤلاء الأعلام بعقيدة العودة للتجسد بمقدار ارتباط هذه العقيدة نفسها بجانب هام من الحقائق الكونية التى ينبغى دواماً السعى للارتباط بها بدلاً من الجرى وراء الأوهام والترهات .

وفى الواقع أن الفلسفة الهندية تتسم بالكثير من عناصر الغموض ، والتعقيد ، والافتراضات المرتجلة الكثيرة ، الا أنها وصلت فى الروح الى العديد من الحقائق الكونية الصادقة وبالذات فى شأن العودة للتجسد ، والعديد من النواميس الأخلاقية ، ومن الظواهر الروحية ، ودور العقل وتأثيره فى المادة ... وربما كان ذلك عن طريق الهامات صادقة وصلت الى معلمى الهند الكبار فى عصور ازدهار الحضارة الهندية ، كما وصلت نفس الالهامات الى معلمى الفراعنة والاغريق فى عصور ازدهار حضارتهم . وهذا أمر طبيعى اذا ما عرفنا أن الالهام الراقى ظاهرة طبيعية قد أدت دورها الخطير فى تطوير الانسانية منذ فجر التاريخ حتى الآن .

ويتعذر فى نفس الوقت القول بأن هؤلاء الأعلام قد بنوا اقتناعهم على نتائج التحقيقات الوضعية فى الظواهر الروحية ، لأن هذه النتائج لم تكن فى أيامهم قد أعلنت بعد ، أو لم تكن قد بدأت بعد . وبالتالى لم تكن بالنسبة لغالبيتهم العظمى من ضمن عناصر تكوين اقتناعهم .

وهذا هو ما يفرق هذه الطائفة من الفلاسفة والمفكرين والشعراء عن طائفة العلماء والباحثين الوضعيين الذين بدأوا منكرين للعودة للتجسد ، وللظواهر الروحية فى جملتها ، ثم تحولوا تدريجياً الاقتناع بها بعد لأى وطول عناء ، وذلك بناء على مقدمات محددة ، وأسانيد محسوسة

ملموسة يمكن اخضاعها لكل صـور النقد والنقاش . وهـو ما سيكون موضوع الفصلين المقبلين .

فاذا صح تعليل اعتناق نظرية العودة للتجسد عند اثنين أو ثلاثة من الأعلام الذين اسلفنا ذكرهم بالاطـلاع على الفلسفات الشرقية بوجه عام ، فانه بالنسبة للباقين قـد يصح القول بانها قـد جاءتهم عن طريق الالهام أو الحدس ، لأن عبقرية الفلسفة ، أو الشعراء ، أو الأدب الراقى عند دارسى التصـوف الراقى ، والفكر الرفيع كثيراً ما تكون نابعـة من محض الالهام أو الحدس (١) .

هذا وقد بينت فى مناسبة سابقة كيف أن عالمـاً طبيعياً عظيماً مثل أوليفر لودج راح يحذرنا من اهدار قيمة الهامات الفلسفة ، أو الشعر الرفيع ، أو الأدب الراقى . فقد يكون فيها بعض جوانب الصدق النابعة من الاتصال بالحقائق الكونية للحياة ، وهو المعنى الذى عبّر عنه شوقى الخالد فى احدى قصائده المملاة من عالم الروح وفيها يقول : —

فالشـعر الهام ونبع سـجية والشعر منحة خالق لسعيد
والملهمـون منـالهم لا يكترى فالشعر وقف للسراة الصيد (٢)

وهـذا هـو بعينه ما ذهب اليه برجسـون فى دفاعه عن فلسـفة الحدس (٣) .

فلا ينبغى اذاً أن نغفل أن هـذه أسماء قمم عالية فى شتى مجالات الفلسفة ، والشعر ، والأدب . ورسـوخ القدم فى هذا الميدان أو فى ذاك قد يكون مصدره الأول هو تطور الروح وعراقتها ، ومدى ما وصلت اليه من نضج سريع بسبب العودة المتكررة للتجسد ، وربما فى فترات متقاربة ، وفى ظروف مؤاتية .

ولعل الأحاسيس بهذه العودة تكون قد انزلقت عند بعض هؤلاء الى اللاشعور فدفعتهم دفعـاً الى الحديث عنها ، والى الاعتقاد بصحتها على نحـو أو آخـر . ومنهم من تحدث صراحة عن رجوع الذاكرة اليه بسبب وجوده فى أمكنة معينة حركت عنده ذكرياته القديمة على ما سيرد فيما بعد عن الفونس لامارتين ، وتيوفيل جوتييه ، والكسندر ديماس وغيرهم . ومنهم من شيد فلسـفة متكاملة فيما وراء الطبيعـة تأسيساً على مبدأ العـودة للتجسد مثل جون ماك تاجارت اليس .

---

(١) راجع ما ورد فى الجزء الثانى من « المفصل » ص ٤٨٤ وما بعدها الى نهـاية الجـزء .

(٢) المرجع السابق ص ٥٢٦ — ٥٢٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٢ — ٣٣ .

طائفة اخرى من المفكرين والحكماء

ومما هــو جدير بالذكر أن الباحثة ايفــا مارتن Eva Martin فى كتاب عنوانه « حلقــة العودة » (١) جمعت ما يقرب من خمسمائة اسم من ابرز اعلام الفكر والفن والشعر فى الشرق والغرب الذين اعلنوا ــ خلال العصــور المختلفة ــ انهم يؤمنون بالعودة للتجســد ، وكتبوا فيــه نثراً أو شعراً .

كمــا قرر البروفسيور لوتوسلاوسكى Wincenty Lutoslawski « أننا اذا امكننا أن نجمع ما قاله احكم الرجال فى جميع الأصقاع والعصور لكى نحــدد موقفهم من هــذا الموضوع يمكننا بسهولة أن نؤكد أن اغلبية ساحقة منهم لا تؤمن فحسب بأن لهــا وجوداً سابقاً وعودة للتجسد ، بل لقد قاموا بخطوة متقدمة على ذلك ، وهى توسيع اعتقادهم الشخصى الى دائرة نظرية عامة تصدق على جميع الأشخاص ، حتى منهم اولئك الغافلين عن ماضيهم ، غير الواثقين من مستقبلهم » .

ويعلق البحاثة الارلندى شو دزموند Shaw Desmond مؤسس « المعهــد الدولي للبحث الروحى » بلندن بقوله ان الوقائع تثبت صــحة ذلك ، وقد اتفق جميع مؤسسى البرهمية والبوذية على العودة للتجســد ــ ورغم اختلافاتهم الجوهرية فى امور كثيرة ــ كما نجد أن صفحات الفلسفة الهندية غاصة بأسماء الحكماء الذين انضموا الى هذا الاعتقاد بكل جوارحهم خلال ثلاثة آلاف عام . وهو ما ينطبق ايضاً على بلاد الفرس ، والصين ، ومصر القديمة ، والدرويد ، والصلتيين ، والاغريق ، والرومان ، والفلسفة العبرية ايضاً .

ويستشهد دزموند ببعض اقوال شاعر المــانيا العظيم جوتة Goethe فى رواية فاوست Faust ، وشاعرى بريطانيا الكبيرين تنيسون Tennyson و وردزورث W. Wordsworth حتى يصل الى شاعر الهند العظيم طاغور Tagore ثم فيلسوفها المناضل غاندى .

بين دوام الوجود والعودة للتجسد

وعقيدة العودة للتجســد قد تبدو بحسب المنطق الواضــح وثيقــة الاتصال بعقيدة دوام الوجود الفردى بعد الموت ، أو بالأدق بعد الانفصال عن الجسد المــادى بحيث لا يتصور صحتها ، ما لم تصح أولاً عقيدة دوام

---

(١) The Ring of Return.

(أ) فى مؤلف عنوانه « عودة التجسد لكل انسان » .
Reincarnation For Everyman P. 66 - 70.

شخصية الانسان بعد الموت . والعكس غير ضرورى بمعنى أنه من الجائز أن تصح عقيدة دوام شخصية الانسان بعد الموت دون التسليم بعقيدة العودة التجسد من جديد على الأرض على أساس أن الحياة فى أى مستوى من مستويات ما بعد المادة قد تغنى عن الميلاد من جديد على مستوى المادة .

قد يقال هذا ، ولكن الأمر الذى لوحظ لدى بعض من كبار الفلاسفة أو المفكرين أنهم قد قبلوا التسليم بمبدأ العودة للتجسد الأرضى من جديد ، رغم رفضهم قبول مبدأ دوام الشخصية الانسانية بعد الموت بكامل مقوماتها وخصائصها . ومن هذا الفريق الاخير الفيلسوف المتشائم آرثر شوبنهور ، الذى قد ظهر من بعض آرائه عدم اعتراضه على العودة للتجسد من الناحية الفلسفية . وان ظهر تماماً اعتراضه على مبدأ دوام الوجود الفردى بعد الموت . وهذا الدوام هو محور علم الروح الحديث ، بل حجر الاساس فيه . وفى كل ما ارتبط به من تحضيرات . وآراء . وفلسفات .

ومنهم ايضاً الفيلسوف فردريك نيتشه الذى كان مادياً ملحداً وراح يقيم فلسفته برمتها على مبدأ سيادة « الانسان الأسمى » . وفناء الانسان فى الطبيعة ، لكنه لم يجد غضاضة من الحديث عن مبدأ « العود الأبدى » الذى استقاه من فلسفة المعلم الدينى الفارسى زرادشت .

وهذه الحالات النادرة فى الفلسفة الغربية من تقبل مبدأ العودة للتجسد دون تقبل مبدأ دوام فردية الانسان بعد موته قد يعلل « بوضعية » العقلية الغربية بوجه عام ، وبالاتجاه الذى كان سائداً فى الفلسفة المادية من أن الانسان بالموت يفقد شخصيته بالاندماج فى المجرى الكونى للحياة وهو مجرى محض موضوعى .

اما بحسب كشوف العلم الروحى الحديث فانه ينبغى التمييز بين « فردية » الانسان و « شخصية » الانسان . فالفردية باقية أزلية لايمكن أن تتلاشى . أما الشخصية فهى متطورة دواماً نحو الأفضل — وبالتالى نحو الموضوع الاسمى — عن طريق تبادل العيش بين عالمى الروح والمادة .

وعن طريق التطور تتحول الذات تدريجياً — وببطء شديد — من الخصائص الشخصية الى الموضوعية ، وهذا هو الهدف النهائى من تطورها البطىء . أما الذات نفسها فتحافظ على فرديتها على الدوام فى وسط التغيرات التى لا تتوقف ولا تنقطع للجسد وللوعى معاً .

ولذا فان الذات حتى عندما تصل الى قمة تطورها ، عن طريق التحقيق المتواصل لخصائصها السخية المطلوبة ، قد تندمج فى المجرى

الكونى للحياة ، وتسعد بالنرفانا Nirvana اى السعادة الأزلية التى لا تشوبها اية شائبـة بحسب التعبير الهندى ، وذلك بعد ما تتخلص من شهواتها الترابية.واوجه ضعفها وقصورها فى المواهب والملكات ، لكنها تظل مع ذلك محتفظة بفرديتها ، التى لا تقبل التلاشى ولو أرادته باصرار ، كما ان الانسان وهو فى المـادة لا يمكن ان يتلاشى ولو أقدم بنفسه علىالانتحار.

وعلى اية حال فان الآراء التى تتقبل مبدأ العودة للتجسـد ، وفى نفس الوقت ترفض ان تتقبل مبدأ دوام الوجـود الفردى بعد الموت هى آراء متناقضة مع نفسها تناقضاً واضحاً ، لأن مبدأ العودة للتجسد اذا كان صحيحاً ، فانه لا يتصور صحته بغير مبدأ دوام الحيـاة بعد موت الجسد المـادى ، ولذا فلم اقابل رأياً ينفى الروح والخلود ويسلم بالعودة للتجسد — ولو على وجه ما — الا عند نيتشه الفيلسوف الألمـانى المريض بعقله الذى كان يصر على اتباع أسلوب « خالف تعرف » .

انما الأمر المسلم به عند جميع العلماء والمفكرين الروحيين والوضعيين هو ان التسليم بمبدأ العودة للتجسد يجر بطبيعته الى نفى الفناء وافتراض دوام الوجـود الفردى بعد الموت ، على نحو ما ، وفى صيغة ما من صيغ الوجود غير الخاضعة لحواسنا .

ماذا يقول جبران

ولا يتسع المقام لأن نعرض مواقف كل المؤمنين بالعودة للتجسد من فلسفة هذه العودة ، خصوصاً وان اعتمادنا ينبغى أن يكون بصفة أساسية على التحقيقات الوضعية وما تكشفت عنه من نتائج محـددة مترابطة . وانما نكتفى هنا بنموذج من موقف أحـد أعلام هؤلاء المفكرين وهو جبران خليل جبران .

وعنه يقول الأستاذ عدنان يوسف سكيك فى رسـالته عن « النزعة الانسانية عند جبران » (١٩٧٠) : « والانسان فى مد الحياة وجزرها متطور ابداً لا تنتهى حيـاته بالموت . فمـا حيـاته فى رأى جبران سوى سلسلة مستمرة متطورة لا تنقطع . وسيعود الانسان كرة أخرى بعد فترة زمنية محـددة ليكمل ما بداه فى الحيـاة الأولى . يعود بصورة أوضح وادراك افضـل » .

ثم ينقل عنه قوله فى كتاب « النبى » (ص ١٥٩) : « لا تنسوا أننى سوف ارجع اليكم . فترة قصيرة ثم يجمع اشتياقى وحنينى التراب والفقاقيع لأجل جسد آخر . فترة قصيرة ، لحظة من الراحة فوق الهواء ، ثم تحملنى امرأة أخرى » . كما ينقل عنه قوله فى كتابه « حديقة النبى » (ص٦٦) قوله « سأمثل امامك مرة أخرى . . ولسوف احيا بعد الموت . . . فالموت لا يغير شيئاً الا النقاب الذى يخفى وجودنا . . . »

جبران

كما يحيل القارىء الى قصة « رماد الأجيال والنار الخالدة » فى كتاب « عرائس المروج » (ص ١١) (١) .

ويقول الأستاذ طنى زكا فى مؤلفه « بين نعيمة وجبران » (١٩٧١) عن هذا الأخير : « عندما كانت الحلقات الصوفية تنمو فى امريكا بسرعة الفطر ، وجد جبران فيها ما استهواه ، وما جعله يؤمن بعقيدة التناسخ ووحدة الوجود ، فأخلص لهما الاخلاص كله ، واصبحا اطارين يلازمانه ملازمة الاطار للصورة .

فهو يستمد من عقيدة التناسخ — بعد ان اضحت فى روح أدبه — أجمل التعابير واكثرها شاعرية . اسمع اليه يلجأ الى هذه الصورة الرمزية الرائعة ليجسّد تلك العقيدة تجسيداً شاعرياً جميلاً : « ان مياه البحر تتبخر وتتصاعد ثم تتجمع وتصير غيمة وتسير فوق الطلول والأودية حتى اذا ما لاقت نسيمات لطيفة تساقطت باكية نحو الحقول وانضمت الى الجداول ورجعت الى البحر موطنها الأول .

حياة الغيوم فراق ولقاء ، كذا النفس تنفصل عن الروح العام ، وتسير فى عالم المادة وتمر كغيمة فوق جبال الأحزان وسهول الأفراح ، وتلتقي بنسيمات الموت فترجع الى حيث كانت ، الى بحر المجد والجمال ،

---

(١) عن كتاب الأستاذ عدنان سكيك ص ١١٤ ، ١٦٦ .

الى الله » (١) .

ويقول المؤلف ايضا : « وبكلمة واحدة كان جبران يجتاح ينابيع الصوفية الشرقية ، ويتلقى رياها ، ويترسم غايتها التى هى النقاء والتطهر من الحس والمادة ، والاتحاد بالله ، ويتغنى بها نغنى المؤمن الذى وجد ضالته ... مما أعطى لكتبه مسحة الأسفار المقدسة ، وشيئاً كثيرا من لغتها ونكهتها » .

ثم يقول ان جبران قد تأثر فى هذا الشأن أيضاً بالشاعر والرائى والفنان الانكليزى وليام بلايك William Blake ، اذ « نجد بلايك يؤمن بالتناسخ ، وبوحدة الوجود ، ونجد ان بلايك كجبران يدعو الى قلب الشرائع ليقيم بديلها نظماً فى الأخلاق جديدة ، ويفتعل الحرمان لأن الحرمان فوارة الأحلام ، والرؤى مكونة من العالم الأسطورى الذى يضج بالأشباح والأرواح والجبابرة والاخيلة » (٢) .

ويراعى دائماً عند الاطلاع على ما كتبه المؤلفون بلغة الضاد عن جبران ونعيمه وبلايك وغيرهم ... أنهم غالباً يتجاوزون فى التعبير فيستخدمون خطأ كلمة « التناسخ » حين كان ينبغى أن يستخدموا وصف « العودة للتجسد » أو « العودة للميلاد » أو نحوهما .

وذلك لأن التناسخ قد يثير فى ذهن القارىء غير المطلع مفهوماً مغايراً لاينفبله ابدا مبدأ العودة للتجسد وهو من جانب مفهوم النسخ اى الالغاء ، ومن جانب آخر مفهوم احتمال العودة فى شكل غير آدمى ، وهوما لم يرد مطلقاً على ذهن أحد من هؤلاء المفكرين الكبار أو الباحثين العلميين .
ويا حبذا لو تعودنا فى لغة الضاد الدقة فى استخدام المصطلحات العلمية أو الفنية دفعاً لأى خلط أو لبس محتمل فى ذهن القارىء .

---

(١) عن كتاب الأستاذ طى زكا ص ٧٢ — ٧٣ ، ٧٧ .

الفصل الثانى

فى موقف العلم الحديث

من « العودة للتجسد »

تمهيـــد

مما لا ريب فيه أن العودة للميلاد او للتجسد موضوع هام ودقيق ، وقــد كان يستند فى المــاضى الى مجرد الاعتقاد ايماناً او تقليداً او الى محض الفلسفة النظرية كما سبق ان بينت فى الفصل السابق . أما الآن فقــد تكشف اسلوب البحث الوضعى ــ الذى سيطر سيطرة تامة على الأوساط العلمية منذ عصر النهضــة او التنوير ــ عن فتح ابواب جديدة للبحث قائمة على أسلوب الملاحظة والتحليل . على أوسع نطاق ممكن حتى يتأتى تشييد النظريات المناسبة عليهما ، وهى أبواب كانت مغلقة تماماً فيما مضى .

ومما لا ريب فيه ايضاً ان البحث الحــديث فى الخلود وفى الظواهر الروحية بأساليب وضعية هــو الذى يرجع اليه الفضل الاول فى تجميع الوقائع . وبالتالى فى توسيع رقعة البحث . مع اخضاعها فى النهاية للتحليل المنطقى الموضــوعى . ولذا ازدهرت تحقيقات العودة للتجسد عن طريق البحث فى الظواهر غير المألوفة وذلك بالنظر للصلة الوثيقة بين هذه الظواهر وبين محاولة القاء أضواء لها قيمتها على التكوين الحقيقى للانسان . وبالتالى على قدره ومصــيره ، بمــا فى ذلك احتمال عودته للتجسد . ولو كمجرد افتراض علمى لا ينبغى قبوله ولا رفضــه مسبقاً ما لم تعــززه الوقائع الثابتة وتبرّره تحليلها تحليلاً صحيحاً .

بعض الباحثين الوضعيين

وفى نطاق الباحثين الوضعيين فى الظواهر غير المــألوفة ثمة اجماع ــ خصوصاً عند الفرنسيين منهم ــ على أن العودة للتجسد لم تعد مجرد افتراض علمى له ما يبرره ، بل اصبحت حقيقة تؤيدها مشاهدات يقينية لا تحصى ، وتعززها حقائق العلم المتنوعة عن الحياة ، والمــادة . والتطور ،

والعقل ، والشعور ، واللاشعور ، والهيولى المحايدة ، والطاقة الطبيعية . . . الخ على ما سنرد بيانه فيما بعد .

ومن أهم العلماء الفرنسيين الذين كرسوا حياتهم فى دراسة الظواهر غير المألوفة وفى تحاليلها ، والذين قدموا بيانات كثيرة متراكمة تلتئم تماماً مع نظرية العودة الى الجسد ، ولا تلتئم مع غيرها ، نذكر : ـ

ـ آلان كاردك Allan Kardec (١٨٠٤ ـ ١٨٦٩) وهو أبرز اسم فى الحركة الروحية اللاتينية منذ نشأتها لغاية الآن (١) .

ـ جابريل ديلان Gabriel Délanne (١٨٥٧ ـ ١٩٢٦) وهو من ابرز الأعلام فى نفس هذه الحركة (٢) .

ـ ليون دنى Léon Denis (١٨٤٧ ـ ١٩٢٧) وهو أيضا بحاثة روحى له مكانته البارزة (٣) .

ـ جوستاف جيلى Gustave Géley (١٨٦٥ ـ ١٩٢٤) وهو أول مدير « للمعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس وصاحب سمعة عالمية فى تحقيق الظواهر الوساطية (٤) .

ـ أوجين أوستى Eugène Osty الذى خلف جيلى فى ادارة هذا المعهد من سنة ١٩٢٥ ـ ١٩٣٨ (٥) .

ـ رينيه فاركولييه René Warcollier الذى خلف أوستى فى ادارة هذا المعهد ، وظل يديره من سنة ١٩٣٨ الى حين وفاته فى سنة ١٩٦٢ (٦) .

وذلك بالاضافة الى اسماء كثيرة لأعلام فرنسيين كبار منهم بوجه خاص : ـ

ـ شارل لانسلان Charles Lancelin (٧) .

ـ والبير دى روشا Albert de Rochas (٨) .

---

(١) راجع ما ورد عنه فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول ص ٤٦٨ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٢ .

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٩ .

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٤ .

(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٧ .

(٦) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٨ .

(٧) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٨ .

(٨) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٥٤ .

— وموريس ماجر Maurice Magre (١) .

— وادوار شوريه Edouard Schuré (٢) .

— وهكتور دورفيل Hector Durville .

— وجيرار انكوس Gérard Encausse (أو الدكتور [illegible]) (٣) .

— وجورج باربران George Barbarin (٤) .

— وبيير نوفيل Pierre Neuville .

ومنهم فى سويسرا :

— راؤول مونتاندون Raoul Montandon .

— وكارل موللر Karl Muller .

— ومنهم فى بلجيكا موريس ماترلنك Maurice Maeterlinck (٥)

ومنهم فى انجلترا وارلندا : —

— سير آرثر كونان Arthur Conan Doyle (٦) .

— سير أوليفر لودج Oliver Lodge (٧) مدير جامعة برمنجهام .

— مارشال الطيران لورد داودنج Dowding (٨) .

— تشارلى بروض Charlie Broad الأستاذ بكامبريدج (٩) .

— موريس باربانيل Maurice Brarbanell عضو « جمعية البحث الروحى » بلندن . ورئيس تحرير مجلة « الأنباء الروحية » (١٠) .

— شو دزموند Shaw Desmond مؤسس « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن (١١) .

ومنهم فى الولايات المتحدة الأمريكية : —

— ادجار كايس Edgar Cayce (١٢) .

— وآرثر فورد Arthur Ford (١٣) .

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٩ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٥ .
(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص ٢٣٢ — ٢٣٥ .
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٨١ .
(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٨٥ .
(٦) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٠٧ .
(٧) المرجع السابق جـ ١ ص ٤١٢ .
(٨) المرجع السابق جـ ١ ص ٨٠٣ .
(٩) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٤٦ — ٤٤٧ .
(١٠) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٤٣ .
(١١) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٣٨ .
(١٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٤٩ .
(١٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٤٧ .

ـ وايان ستفنسون Ian Stevevson وهو حالياً أستاذ للتحليل النفسى بكلية الطب بجامعة فرجينيا (١) .

عن الحركة الثيوصوفية

وتعتبر رجعة الروح أو العودة للتجسد محوراً أساسياً من محاور الحركة الثيوصوفية Theosophy ، وهى حركة ترجع الى حوالى مائة عام مضت . وقد أنشأتها الوسيطة الروسية هيلين بنروفا بلافانسكى Helen B Blavatsky (١٨٣١ — ١٨٩١) بالاشتراك مع الكولونيل الأمريكى هنرى استيل أولكوت Henry Steele Olcott .

وكان هدفها الأساسى هو استثارة روح الاهتمام بدراسة مصير الانسان دراسة تجمع بين فلسفة الحكمة القديمة وبوجه خاص الفلاسفة الهندية ، وكشوف العلوم الحديثة . وقد انضم اليها منذ انشائها عدد ضخم من صفوة المثقفين فى أنحاء عديدة من العالم وكان من بينهم اديسون المخترع المعروف الذى انضم للحركة فى سنة ١٨٧٨ .

وممن عالجوا موضوع العودة للتجسد من بين أعضاء هذه الجمعية — غير مؤسسها السيدة هـ.ب. بلافاتسكى (٢) — نذكر :

ـ السيدة آنى بيزانت Annie Beasant (٣) .

ـ الأسقف ك.و. ليدبيتر C. W Leadbeater (٤) .

ـ ا.د. والكر A. D. Walker .

ـ جوفرى هدسون J Hudson .

ـ كريستماس همفريز Christmas Humphreys وغيرهم ...

وسنحتاج فيما بعد الى عرض وجهات نظر هؤلاء المؤلفين خصوصاً فى موضوعات الكارما أو الجزاء من جنس العمل ونظرية التطور لفرط اتصالها بمشكلة العودة للتجسد ، ولو أن اعتمادنا سيكون بصفة أساسية على أعمال العلماء والمحققين الوضعيين كما كان الشأن فى أغلب موضوعات هـذا الكتاب .

وعلى اية حال فليست العبرة بعدد الباحثين ، ولا بمكانتهم العامية ؛

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) راجع ما ورد عنها فى « المفصل » جـ ١ ص ٣١١ .

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٩٦١ .

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٨٧٤ .

ولا حتى بعدد السنين التى امضوها فى تجميع البينات والشواهد . بل ينبغى أن تكون فحسب بماهية هذه البينات والشواهد وبالنتائج التى يؤدى اليها اخضاعها لاسلوب التحليل العلمى . فان كل كشوف العلم الحديث تدين بكل الفضل لاتباع هذا الأسلوب دون غيره وهذا هو موضوع الفصل الحالى .

تبـويب

وبالنظر الى الخطورة المفرطة لهذا الموضوع وتشعب نواحى البحث فيه ، فانه ينبغى أن يعالج فى أناة شديدة ؛ ومن أهم زواياه الرئيسية التى ينبغى أن تكون كل زاوية منها موضوع مبحث على حدة على النحو الآتى :ـ

المبحث الاول : عن اختبارات ارجاع الذاكرة الى الوراء بالتنويم المغناطيسى .

المبحث الثانى : عن ظاهرتى « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » (فى أثناء كامل الوعى وبدون تنويم مغناطيسى) .

المبحث الثالث : عن بعض النتائج العلمية الهامة التى خلص اليها الباحثون (فى الظواهر السابقة) .

المبحث الرابع : عن بعض الاختبارات الفريدة فى الأحلام او فى الاتصالات الروحية .

المبحث الخامس : عن آراء بعض الأرواح الراقية فى شأن « العودة للتجسد » .

المبحث الأول

عن اختبارات « ارجاع الذاكرة الى الوراء » بالتنويم المغناطيسى

المطلب الأول

من اختبارات دى روشـا فى ارجاع الذاكرة

من اغرب الاختبارات التى يعتقد الكثيرون أنها ذات وثيق صلة بموضوع احتمال « العودة للتجسد » تلك التى تستخدم التنويم المغناطيسى فى محاولة ارجاع ذاكرة الشخص المنوَّم للوراء régression de mémoire ، لعله يتذكر شيئاً من احداث حيواته الماضية .

وقد أمكن أحياناً عن طريق بعض الحالات النادرة للتنويم المغناطيسى ارجاع ذاكرة الشخص المنوّم الى ما قبل الولادة فى حياته الحالية ، فروى بعضهم ذكريات معينة عن حيوات سابقة له مؤيدة بوقائع محددة ، وبأسماء أشخاص ، ومدن ، وطرقات ، ومعالم جغرافية ثبتت صحة البعض منها بطرق التحقيق المادى المألوفة .



دى روشا

ولا ريب أنه يرجع الفضل فى افتتاح هذا الأسلوب الجديد فى استكشاف اغوار الذاكرة الانسانية للبحاثة الروحى المعروف الكونت البير دى روشا E A• De Rochas الذى كان مديرا « للمدرسة الفنية العسكرية بباريس » Ecole Polytéchniques وكان رائداً من أعظم رواد البحث الروحى فى العالم ، وتعد مراجعه فيه من أمتن المراجع وأعمقها لغاية الآن (١) .

ولم ينازع أى انسان فى صحة هذه التجارب وفى الثقة التامة فى صاحبها ، وأن كان الجدال كله يدور حول تعليل النتائج التى وصل اليها ، وهل تشير فعلاً الى صحة « العودة للتجسد » أم فحسب الى أن وعى الشخص المنوّم كان على صلة بعقول اخرى عديدة متحررة من أجسادها المادية ، يستمد منها قدراً ما من المعلومات الصحيحة . وقد رجح التعليل الأول لاعتبارات كثيرة مررنا ببعضها آنفا . وسنمر بباقيها فيما بعد .

وهذه التجارب أجراها الكونت دى روشا فى الفترة من سنة ١٨٩٣ الى سنة ١٩١٠ ، ودفعته نتائجها الى أن يكتب قائلاً : « من المؤكد انه عن طريق السبل المغناطيسية يمكن — لدى اشخاص يملكون حساسية كافية ، احداث سلسلة من أوجه السبات Léthargie ، وحالات اليقظة النومية الحركية (٢) états somnambuliques التى تتتابع بانتظام

(١) راجع ما ورد عنه وعن أبحاثه فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول . ص ٤٥٤ — ٤٥٥ ، ٩٤٠ — ٩٤٢ .

(٢) وهى من مراحل التنويم المغناطيسى .

كما تتتابع الليالى والأيام . وخلالها تبدو الروح وقد تخلصت شيئاً فشيئاً من أربطة الجسد واندفعت الى مناطق فى المكان وفى الزمان ، لا يمكنها أن ترتادها بوجه عام فى حالة اليقظة العادية .

ومن المؤكد أنه عن طريق عمليات مغناطيسية معينة يمكن للانسان أن يقود تدريجياً غالبية الوسطاء الى عصور سابقة لحياتهم الراهنة ، بكل ما فى هذه العصور من خصائص ذهنية وفسيولوجية مميزة ، وذلك الى لحظة ميلادهم . وليست هى محض ذكريات توقظ ، بل هى حالات متتابعة من الشخصية تستدعى ، وهذه الاستدعاءات تحدث دائماً بنفس النظام ، وخلال تتابعات من السبات ، ومن حالات اليقظة النومية الحركية .

ومن المؤكد أنه بمتابعة هذه العمليات المغناطيسية الى ما بعد الولادة ، وبدون حاجة من اللجوء الى الايحاءات ، يمكن للانسان أن يمر بالمنوّم الى تجسدات سابقة ، والى فترات تفصل بين هذه التجسدات . والموكب هو نفسه يتم عن طريق تتابعات السبات ، وحالات اليقظة النومية الحركية .

وهذه الحالات من « كشف الماضى » عندما امكن تحقيقها لا تعبّر عن الحقيقة دائماً ، لكن من الصعب أن نفهم كيف أن نفس التجارب الفيزيقية التى تحدد ابتداءً تراجع شخصيات حقيقية للوراء الى لحظة الميلاد يمكن بغتة أن تسمح بحدوث هلوسات زائفة تماماً .

ومن المؤكد أنه بمتابعة « التمريرات الموقظة » Les Passes reveillantes الى ما بعد العمر الحالى للشخص المنوّم يمكن للانسان أن يحدث ظواهر مماثلة لتلك التى أحدثها فى الماضى ، بمعنى حدوث نفس الأوجه المتقابلة من السبات ومن حالات اليقظة النومية الحركية ، وفيها يلعب الشخص أدواراً تقابل أدوار حياته اللاحقة ، اما فى حياته الراهنة ، واما فى حيواته المستقبلة .

ولم يمكن بعد مراقبة حقائق التوقعات المستقبلة التى يمكن أن يعزى بعضها فى الراجح الى مخططات الشخص فحسب . ومع ذلك فقد ثبت فى ظروف عديدة بما يكفى ، وان كانت لم تحدد بعد ، انه أمكن للانسان أن يرى أشياء فى المستقبل » (١) .

---

(١) راجع ما ورد فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الثانى : عن التنبؤ بالمستقبل خصوصاً ما قد يتم فى اثناء التنويم المغناطيسى ، (ص ٣٥٤ — ٣٦٨) .

وهـذه النتائج الخطيرة تمثل ثمرة بحوث جـرت على تسعة عشر شخصاً ، وامكن تكرارها مـع لويز Louise ومايو Mayo لمدى عـدة سنوات متتابعة . ويضيق المقام عن ايراد جميع هذه الحالات ، لكن تكفى هنا الحالة رقم ٧ التى جرت أحداثهـا فى سنة ١٩٠٥ والتى هى اهمهـا اطلاقاً ، واكثرها استرعاءً للانتباه ، وقد تكشفت عن أحد عشر تجسداً متتابعاً ، وهى حالة السيدة روجيه Roger ، وقد سردها دى روشـا على النحو الآتى : (بعد أن نختزل بعض الوقائع ونكتفى بتلخيص البعض الآخر لضيق المقام) .

حالة السيدة روجيه (فى تجسدها الراهن)

ورغم أن دى روشا كان منـوِّماً بارعاً الا انه كان مع ذلك يستعين بمنـوِّم قـدير يدعى بوفييه Bouvier من ليون وكان فى نفس الوقت رئيساً لتحرير مجلة تدعى « السلام العالمى » La Paix Vniverselle وكان ابن بوفييه يقوم بتدوين مضابط الجلسات . وكانت هذه الجلسات تبدأ بمحاولة ارجاع ذاكرة الشخص المنـوم بتمريرات طولية مصحوبة بالايحاء على النحو الآتى (١) .

س : (الكولونيل دى روشـا للسيدة المنـوَّمة روجيه . وكانت فى التاسعة والثلاثين من عمرها) : انت الآن فى الخامسة والثلاثين فمـاذا تعملين ؟

ج : اعمل فى صناعة الحرير ، ولا احبها .

س : أنت الآن فى الثلاثين فقط ، فماذا تعملين ؟

ج : فى صناعة الحرير .

س : انت الآن فى العشرين فماذا تعملين ؟

ج : أنا مع والدىَّ ، وأعرف رجلاً اعتقـد اننى سأتزوجه لكننى لست متمسكة به كثيراً ، انها أمى هى المتمسكة به ولست انا .

س : وماذا يدعى ؟

ج : اندريه André .

س : هل يعجبك ؟

ج : الى حد ما .

---

(١) من أهم عناصر نجاح مثل هذه التجارب براعة المنوم المغناطيسى فى فنه وطول خبرته . بالاضافة الى ملكة خاصة ينبغى ان تتوافر فى الشخص المنوم ، حتى يطفو عقله الباطن الى مستوى الشعور اثناء الغيبوبة المغناطيسية .

س : ماذا يعمل ؟

ج : عامل بالأجرة عند ساعاتى .

س : هل تعرفين السيد بوفيبه (المنـوّم) من ليون ؟

ج : كلا .

س : ومع ذلك فهو معروف جداً فى ليون بوصفه منـوّماً قديراً .

ج : لا أعرفه .

س : (من السيد بوفييه) ماذا كنت تعملين عندما كنت فى الثانية عشرة من عمرك ؟

ج : أطهو الحساء .

س : أين تقطنين ؟

ج : شارع بلفدير ، ٤ حديقة بيساردون (4 Clos Bissardon) مع أبى وأمى .

س : هل أنت سعيدة ؟

ج : انهم يؤنبوننى كثيراً .

س : هل تذهبين الى المدرسة ؟ واين هى ؟

ج : مدرسة الآنسات حيث توجد الآنسة روز Rose والآنسة اجات Agathe ...

ثم يقوم بوفييه بارجاع ذاكرة المنـوَّمة الى مرحلة الحمل ، ثم الى ما قبلهـا .

س : ماذا تعملين فى الفضاء ؟

ج : السياحة .

س : ما شكلك ؟

ج : فتاة شابة .

س : هل ترين أشياء من حولك ؟

ج : لى رفيقات ، وأراهنّ ضاحكات .

س : هل لديهن تكوين جثمانى ؟

ج : تبدو أحياناً لهن أشكال أطول منى ، وأسعد منى .

س : هل لك مدة طويلة وأنت على هذه الحال ؟

ج : نعم وقت طويل بما يكفى .

س : وماذا أنت ؟

ج : أنا آنسـة .

س : هل عشت على الأرض ؟

ج : نعم وقد قالوا لى اننى غادرت جسدى .

س : وكم كان عمرك (وقت مغادرته) ؟

جـ : ١٩ عاماً وبضعة شهور .

س : استردى جثمانك لانك تبلغين التاسعة عشرة فقط من عمرك .

جـ : وعندئذ تتذمر المنوّمة ، ويبدو عليها الالم مع صعوبة التنفس .

س : أنت تعلمين انك مريضة ، فهل ذلك منذ مدة طويلة ؟

جـ : منذ ثلاثة سنوات .

عن التجسد الأول (السابق مباشرة على تجسدها الراهن) :

س : ما اسمك ؟

جـ : مادلين Madelèine .

س : ماذا تعملين فى السادسة عشر من عمرك ؟

جـ : لست سعيدة ، ويبدو لى اننى لن اعيش طويلا .

س : اسمك مادلين ، وما هو اسمك الثانى ؟

جـ : مادلين بوليبيه M. Baulier .

س : فى أى عام نحن ؟ (أى فى اى عام انت تشعرين الان ؟)

جـ : فى سنة ١٧٢٤ .

س : ماذا تفعل أسرتك ؟

جـ : تتجول .

س : هل تتجول للترفيه أم للتجارة ؟

جـ : للترفيه .

س : وانت ماذا تعملين ؟

جـ : اتجول احياناً مع أسرتى ، واحياناً اخرى امكث مع والدىّ الطيبين .

س : وأين يقطن والداك الطيبان ؟

جـ : فى مونبلييه Montpellier .

س : فى أى شارع ؟

جـ : شارع سانت ايلير Saint Hylaire .

س : هل يوجد رقم على المنزل ، أم ثمة أشجار امامه ؟ ... اعطنا أية علامة حتى نتعرف عليه (١) .

جـ : توجد أشجار أمامه .

س : ماذا تعملين ؟

جـ : أتعلم التطريز والغناء .

س : هل تذكرين أيام شبابك ؟

جـ : لا أذكرها جيداً .

---

(١) اى هل كان منزلكم داخل المدينة ، أم خارجها فى الريف مثلا .

وفى هذه اللحظة بدا عليها مظهر البحث عن شىء ، وقالت انها تريد أن تعمل .

س : فى سن العاشرة ماذا كنت تعملين ؟

ج : ألعب مع رفاقى .

س : ما اسم والديك ؟

ج : بولييه ، وهما متقدمان فى السن ، وجدتى بيضـاء تماماً ، وهم مرضى .

س : ماذا يعمل والداك ؟

ج : يجولان فى المدن الكبرى .

س : هل يعملان فى التجارة ؟

ج : يعملان فى التجارة قليلا ، وتجوالهم بالأكثر للترفيه ...

س : فى سن السادسة ماذا تعملين ؟

ج : الهو . وبدا عليهـا أنهـا تلقى شيئاً ، وتطلب أن يلقى لهـا « البالون » ، كما بدا عليها ضيق الصـدر والغضب عند التأخير . وفى سن الثالثة أخذت تطلب الحلوى بالحاح . وفى سن الواحدة أخذت تحطم كل شىء يعطى لها وبدا عليها سوء الطبع . وفى سن الستة اشهر أخذت فى البكاء ، وفى اتخاذ مظهر العناد . وفى رحم الأم أخذت وضع الجنين...

عن التجسد الثانى (للوراء)

س : ماذا تفعلين كروح ؟

ج : أنا أتنزه طيـلة الوقت ، وارى أقاربى وأصـدقائى الذين لا يروننى (لأنهم لا يزالوا فى عالم المـادة) . كمـا أتمنى أن أرى خطيبى لويس الذى سبقنى الى عالم الروح لكننى لا أجده .

س : هل ترين جثمانك ؟

ج : اننى أرى جثمانى كائنسة فى مقبرة فى بريانسون Briancon

س : هل شاهدت نفسك فى لحظة الاحتضار ؟ (١)

ج : لقد رأيت نفسى بنفس الشكل .

س : أنت تغادرين جثمانك (عندئذ أخذت المنـوّمة فى السـعال بكثرة ، ومرت بحالة الموت ، ومال الجسم للوراء ، وأصبح بارداً) .

س : أنت تعيشين من الناحية المـادية ، فما هو عمرك ؟

ج : ٢٥ عاماً .

س : فى أى عام أنتِ ؟

---

(١) الاشارة الى انسلاخ الجسـد الأثيرى من المـادى فى لحظة الاحتضار ، حيث قد يشاهد بعض المحتضرين أجسادهم المـادية .

ج : ١٨٦٠ .
س : ما اسمك ؟
ج : مرجريت ديشين Marguerite Duchesne .
س : فى اية سنة ولدت ؟
ج : فى سنة ١٨٣٥ .
س : ما اسم أبيك ؟
ج : لويس ديشين .
س : ماذا يعمل ؟
ج : صاحب تجارة بقالة بشارع الثكنة .
ثم اخذت فى السعال ، وشكت من صدرها وقلبها .
س : ماذا يؤلمك ؟
ج : أنا مريضة تماماً ، ويقولون ان داء الصدر قد يقضى علىَّ ، وأنا فى عذاب .
س : انت اذاً تتعذبين ، فما هى العلة ؟
ج : كنت احب جندياً شاباً لكنه توفى .
س : ما اسمه ؟
ج : لويس — جيل مارتان Louis - Jules Martin آه انا لويسى العزيز .
س : أين كان جندياً ؟
ج : فى بريانسون .
س : هل كان من بريانسون ؟
ج : كلا بل كان من مرسيليا .
س : انت الآن لا تتجاوزين العشرين من عمرك ، فماذا تعملين ؟
ج : أفكر فى لويس مارتان .
س : وفى الثامنة عشرة ماذا تعملين ؟
ج : أساعد والدىَّ فى تجارة البقالة .
س : وفى الخامسة عشرة ماذا تعملين ؟
ج : تركت مدرسة « راهبات الترينيتيه » التى احبها كثيرا .
س : وأين تقع هذه المدرسة ؟
ج : بشارع جارجوى Gargouille (١) .
س : وفى سن الثامنة ماذا تعملين ؟

---

(١) يقول دى روشا انه اتضح فعلا انه توجد فى بريانسون مدرسة للبنات الصغيرات تديرها راهبات الترينيتيه تقع بشارع جارجوى .

ج : اذهب الى راهبات شارع جارجوى ...
س : وفى سن الثانية ؟
ج : لا اريد أن اذهب الى شقيقتى ...
س : وفى سن الواحدة ماذا تعملين ؟
ج : اجلس على ركبتى والدتى تدللنى .

وبعدئذ عجزت المنـوّمة عن الاجابة ، فجعلها المنـوّم السيد بوفييه تسترد قـدرة الرؤية بدلاً من أن تعيش ماضيها ، واخـذت فى الاجابة كانسان واعٍ تماماً لمـا يجرى فى طفولته .

س : ماذا تعملين فى سن ستة شهور ؟
ج : اننى مريضة تماماً ، وكان عندى تشنجات .
س : ما نوع هذه التشنجات ؟
ج : يقولون اننى أتلوى .

وهنـا يجعلهـا السيد بوفييه تتقـدم فى العمر الى سبعة شهور ويسألها : ماذا تعملين ؟

ج : يضعوننى فى المـاء لعلاجى ويقولون اننى عصبية تماماً .
س : وفى سن الشهرين ماذا تعملين ؟
ج : لقد وضعوا علىّ غطاءً ثقيلاً ...
س : لا زلت جنيناً فى بطن أمك ؟
ج : الدنيا ظلام . وهنا اخذت المنـوّمة منظر الجنين الموجود فى بطن الأم ، وانطوت تماماً على نفسها . وبعد الايحاء اليها بتمام خمسة شهور من الحمل فردت نفسها قليلاً ، لكنها ظلت بلا حراك ، وذراعاها ساقطان الى جوارها ، ملقية ظهرها على « الفوتيل » وتبدو بلا حياة .

عن التجسد الثالث .

وهكذا تسير التجارب حتى تنتقل السيدة المنـوّمة الى حياة ثالثة لها فى سنة ١٧٨٠ كانت فيها رجلاً باسم جيل روبير Jules Robert ولد فى سـان بيير Saint Pierre بالقـرب من بريانسون وكان والده مزارعاً ، وتوفى فى سن الثانية والأربعين .

واعطى « هذا الرجل » بيانات دقيقة كثيرة منها اسم قس الناحية انطوان Antoine ، وصاحب المزرعة بارنو Barnéoud . وقال انه عمل فى صناعة الأحذية وفشل فيها ، ثم عمـل بائع جرائد . ولمـا سئل عن اسم الجريدة قال جريدة « الاستمرار » La Durance ، وقد اتضح فعلاً وجود جريدة محلية بهذا الاسم كانت تصدر فى «الألب العليا» فى وقت الاختبار . كما عمل فى بقالة فى بريانسون ، وعمل مساعداً لنحات معروف

فى ميلانو يدعى باولى Paoli كان يصقل له الرخام . ووصف بعض قطعه الفنية . وقال انه كان بائساً ، وتوفى فى ميلانو بمرض السل .

عن التجسد الرابع

وفى وجوده الرابع يقول انه كان انثى من جديد ، واسمها جينى ليدوفيك Jenny Ludovic وانها تزوجت أوجست ليدوفيك Auguste Ludovic الذى كان يعمل حطاباً فى بلورميل Plouermel وانها انجبت طفلين : اوجست ، وجان . ويبدو أن جينى هذه توفيت فى سنة ١٧٠٢ بسبب ولادة متعسرة وكانت فى الثلاثين من عمرها .

واعطت جينى تفصيلات كثيرة عن طفولتها قائلة انها لم تشاهد والديها ، وكفلها عمها الذى كان يعمل عطاراً ... كما قالت ان زوجها كان ارملاً ، وله ولدان من زوجته الأولى آلان Alain وايفون Yvonne وقالت انها كانت تجمع النباتات والأزهار النادرة اللازمة لعطارة عمها .

عن التجسد الخامس

أما الوجود الخامس لهذا الشخص فينتمى الى الذكورة باسم ميشيل بيرى Michel Berry . ويقول انه ولد فى مونتمورانسى Montmorency فى سنة ١٤٩٣ . وانه منذ العاشرة من عمره عمل خادماً بالبلاط الملكى وروى عدة تفاصيل عن عمله ، وقال انه فى العشرين من عمره حلم بأن سويسرياً طعنه طعنة قاتلة بخنجره .

وانه كان ازرق العينين ، أشقر الشعر ، جميل الملامح ، وموضع تودد النساء . كما روى مغامرات غرامية مع شارلوت دى مونتمورانسى ، وديان دى كوسى Diane de Coucy عندما كان يعمل فى خدمة والدها فى بلوا Blois . ثم انضم الى حرس الملك ، واشترك فى حرب ضد السويسريين تحقق فيها الحلم الذى سبق أن رآه ؛ وكان عند ذاك فى الثانية والعشرين من عمره : —

س : وفى أى مكان أصبت بجرحك القاتل ؟
ج : فى مارينيان Marignan سنة ١٥١٥ .
س : وفى أى جانب كنت تحارب ؟
ج : مع الفرنسيين ، وتحت امرة فرانسوا Francois .
س : أى فرانسوا ؟
ج : فرانسوا سيدى ورئيسى ، وبحق الله ملك فرنسا .
س : وما اسمك ؟
ج : ميشيل بيرى .

س : ومن ذا تحارب ؟

ج : أولئك السويسريين الخنازير .

عن التجسد السادس

وبعدئذ يقوم دى روشا باحياء الوجـود السابق ، اى السادس فى هذا التسلق الزمنى المذهل ، فاذا بهذا الوجود متعلق بفتاة شابة تدعى ماريييت مارتان Mariette Martin مرت على الأرض مروراً عابراً ، اذ توفيت فى العشرين من عمرها .

وقالت انهـا ولدت فى سنة ١٣٠٢ . وعند سؤالها عن اسم الملك المعاصر اجابت : « لا اعلم ، لكنهم يقولون ان اسمه فيليب الجميل » . واعطت عن طفولتها بيانات قليلة ، منها أن والدها يصنع رسوماً لوضعها فى الغرف ، وأنه يعمل لحساب الملك . وأنها تذهب الى المدرسة ، وتعذر تماماً الحصـول منها على اية بيـانات عن الفترة من ١٢ الى ١٦ سنة ، وان كان يبدو أنها كانت تعانى من مرض خطير .

وفى الثامنة عشر تقول انها شابة وصيفة تقيم عند « الكونتيسة » جيز Guise التى عهدت اليها بتعليم أبناء شقيقها . وفى التاسعة عشر تلتقى بمن يدعى جاستون Gaston وتزمع الزواج منه ، لكن خطيبهـا يروح ضحية حادثة سقوطه من على ظهر فرسه . فتمضى عامها الأخير فى فان Vannes عند والدة جاستون كمعلمة ، وتقضى بعد معاناة آلام ضـخمة .

عن التجسد السابع

أما الوجود السابع لهـذا الشخص فهو أغنى من هذا بالبيانات . واغرب ما فى الموضوع أنه عندما كان دى روشا يدفعه الى تخطى الحاجز بين هـذا الوجود وسابقه كان يبـدو عليه عدم التنبه الى أنه قد غادر جسده المـادى . ويقول انه يعمـل رئيسة دير ، وانها توفيت فى سنة ١٠١٠ ، وكانت فى السابع والثمانين من عمرها .

وعندما سئلت عما كانت تفعله فى سن السابع والسبعين قالت ان ذلك يقع فى سنة ١٠٠٠ ، وأن العرافين قد تنبأوا بقرب يوم القيـامة ، وبوفاة جميع البشر لذا كان الذعر عظيماً .

وتقول ان اسمها كان لويز دى ماراى Louise de Mareuil ، وأنه

كفلها عمها الفيكونت دى ماراى . ودخلت الى دير ســان دنيز Saint Denis عندما كانت فى الثامنة عشر ، وترهبت فى العشرين واصــبح اسمها الأخت مارتا Marthe . وكان رئيس الدير قس كهل يدعى الأب لوتى Lotty فى السبعين من عمره ...

وبعد عشرة أعوام اخرى لا تزال فى الدير ، وتصبح عشيقة للرئيس الجديد للدير الأب شوازيل Choiselies ، وتتحمل تأنيب الضمير بسبب ذلك .

وفى الستين تصبح رئيســة للدير ، وعليهــا الاشراف على فتيات شابات من أسر عريقــة ونحاول أن تضمهن للدير بكل السبل ، وبينهن بلانش من باريس التى تؤكد أنها أودعت فى الدير بأمر الملك نفسه .

س : اى ملك ؟

ج : الملك كابت Capet (١) .

س : ولمــاذا أمر الملك بايداعها ؟

ج : حتى يستونى شقيقها روبير على كل مالها

ويبــدو من تأنيب ضميرها أنهــا كانت سبباً فى آلام هاته الفتيات الشابات ، وأنها كانت حارسة عليهن وتمنعهن من مغادرة الدير . وظلت كذلك الى أن توفيت .

س : هل تستطيعين أن تخبرينى عن اسم الملك ؟

ج : انه روبرت الثانى .

س : وحينما كنت فى السبعين من عمرك من كان الملك ؟

ج : كابت Capet .

س : وفى الستين ؟

ج : لويس الرابع .

س : وفى سن ٣٦ ؟

ج : لويس الرابع ، ويقولون انه رجل ليس جميل المنظر ، فهـو سمين متورم ولم أره قط .

س : وحينما كنت فى سن ٢٤ فماذا كانت السنة ؟

ج : ٩٤٧ ميلادية .

---

(١) لقب الملك هيج Hugues ، وهو اول ملك من السلالة الثالثة ثم اصبح لقبا لكل ملوك هذه السلالة التى انتهت بحكم لويس السادس عشر الذى اعدم فى الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٨٩ .

س : ومن كان الملك ؟
ج : لويس الرابع .
س : وحينما كنت فى سن الخامسة عشرة ؟
ج : هو نفسه لويس الرابع .

عن التجسد الثامن

وعندما يتابع دى روشا استكشافه لماضى هذا الشخص خلال حيواته المتعاقبة يصل الى وجوده الثامن على الأرض الذى يقع فى سنة ٤٤٩ . وعندئذ يفرك الشخص عينيه بعنف ويبدو متألماً منهما . وبسؤاله يبين انه محارب متطوع اسمه كارلوميه Carlomée وانه وقع اسيراً فى قبضة اتيلا Attila فى معركة «شالون سير مارن» Chalons Sur Marne حيث احرقوا عينيه .

وعندما سئل عن السبب اقتصر على القول بأن هذا هو ما أعجبهم مشيراً بذلك الى ملوك « الهون » (١) . وقال أيضاً أنه لم يكن محارباً بسيطاً ، بل قائداً ، ولذا نكلوا به . وأن رئيسه ماسويه Massoée كان بدوره مرؤوساً لمن يدعى ميروفيه Mérovée الذى كان قائداً للقواد .

فسأله دى روشا عما اذا كان يعرف الله ، فأجاب : « يوجد واحد فوق الجميع هو ثيوس Théos » .

س : كيف تعبدونه ؟
ج : يقدمون له الرجال الذين يحرقونهم أحياء ، وهذا جميل جداً !

وسئل عن سنى مراهقته وطفولته فكانت الاجابات عادية . وحدد اسم والدته بانه لى كارلوميه Li Carlomée ، وانه ولد فى ألبينو Albinos على نهو التورن Le Tourn .

عن التجسد التاسع

وعندما تبدأ استثارة الوجود التاسع يبدو على الشخص الألم الشديد ، وتبدو قبضتا يديه ـ اللتين وضعهما الواحدة فوق الأخرى ـ كما لو كانتا مقيدتين ، ويحاول الخروج من قيوده ، وعندما يسأل عن مصدر آلامه يقول انه يحترق ، وقد اصبحنا فى سنة ٢٧٩ .

---

(١) شعب همجى من اصل فنلندى أو تتارى قدم من شواطىء بحر قزوين ، وغزا بلاد الغال La Gaulle (فرنسا القديمة) بقيادة قائده اتيلا فى حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى .

روبرت الثانى : ٩٩٦ — ١٠٣١ .
لويس الرابع : ٩٣٦ — ٩٥٤ .
أتيــلا : ٤٣٤ — ٤٥٣ .

وبمقارنة هذه التواريخ بتلك التى ذكرتها السيدة وهى واقعة فى التنويم المغناطيسى اتضح أنها تكاد تكون متطابقة عدا حالة أو اثنتين فى حياتيها السادسة والسابعة ، فان التواريخ تختلف عن الواقع ببضع سنين فقط ، وهذا أمر طبيعى اذا روعى البعد السحيق لهذه التجسدات عن الحياة الحالية .

كما أن تكرار نفس الاختبارات عدة مرات كثيرة مع الشخص الواحد أدى الى اعادة سرد نفس التجسدات بترتيبها الزمنى الذى سبق بيانه ، وهو ما يتعذر تعليله عند القول بأن هذه الوقائع من محض الخيال . كما يتعذر تعليله أيضاً عند القول بأن هذه الشخصية — وهى فى غيبوبتها المغناطيسية — كانت واقعة تحت تأثير كائنات غير متجسدة تروى عن طريقها ذكرياتها الأرضية الخاصة .

ذلك أنه فى هذا الفرض الأخير — يكون تعاقب الأرواح كيفما اتفق ، ولا يتبع تسلسلا زمنياً معيناً . وعند تكرار التجربة بجىء تعاقب جديد بوقائع جديدة تماماً وهو ما لوحظ فى جلسات الغيبوبة الوساطية عندما يقع الوسيط أو الوسيطة تحت تأثير هيمنات مختلفة فى الجلسة الواحدة ، أو فى عدة جلسات متعاقبة حيث تتنوع الوقائع تنوعاً ضخماً ، ولا تتبع تسلسلا ثابتاً ، ولايمكن اعادة الوقائع بنفس تفاصيلها وترتيبها ، ولو كان الوسيط لم يتغير .

وذلك على عكس ما حدث فى الحالات التى قدمها دى روشا والتى بلغت ١٩ حالة روى بعضها لغاية أحد عشر وجوداً على الأرض على النحو الذى بينته ، وثبتت صحة العديد من البيانات عن العناوين ، والأسماء ، بوسائل التحقيق المادى ، وان كان الخطأ هنا محتملا أيضاً ، ولذا لم تثبت صحة البعض الآخر من البيانات المملاة خصوصاً ما تعلق منها بالتواريخ اذ غالباً توجد فيها أخطاء لسبب مفهوم وهو أن الانسان ينسى عادة حتى ما يتصل بتواريخ وجوده الحالى فما بالك بحيواته السابقة ؟ ! ...

واذا أضيفت الى ذلك الثقة المستمدة من سمعة دى روشا كباحث ممتاز ذى نزعة علمية تماماً ، لتبين لماذا لا تزال لاختباراته ، ولنتائجها ،

قيمتها القصوى ، وقد تابع آخرون نفس الأسلوب ، وحصلوا على نتائج مشابهة لتلك (١) .

وقد كانت تجارب دى روشا موضع عناية من « المؤتمر الروحى الدولى » الذى عقد بباريس سنة ١٩٠٠ . وقد أكد بعض المؤتمرين انهم حصلوا على نتائج مشابهة لنتائجه منهم أثنان من المختبرين الأسبان هما فرنانديز كولافيدا Fernandez Colavida ، واستيفا ماراتا Esteva Marata (٢) .

كما تناولها بعض المعلقين بالتحليل العلمى بالعناية التى تستحقها أمثال هذه الظواهر النادرة التى قد يتصورها البعض بالنظر لندرتها « تافهة » مع أن لها أكبر القيمة فى محاولة استكشاف مجاهل اللاشعور ، وما أوعرها من مجاهل . ومن هؤلاء الأخيرين الدكتوران سولييه Sollier وكومار Comar فى « المجلة العلمية والأدبية للروحية » (٣) .

فلا ينبغى أبداً أن تهدر دراسة أية ظاهرة بحجة أنها نادرة أو تافهة متى ثبتت صحتها على وجه اليقين : ولمجرد الذكرى من كان يتصور منذ قرن واحد فقط أن ملاحظة ظاهرة « تافهة جداً » وتنجم عن احتكاك الكهرمان بالصوف يمكن أن تكون مصدراً لاكتشاف أعظم طاقة فى الوجود وهى الكهرباء ؟ ! ومن كان يتصور عندئذ أن هذه الكهرباء يمكن أن تستخدم على النحو الذى نلمسه حالياً ، وانه بدونها تظلم جميع المدن ، وتتوقف جميع الصناعات ، وتنقطع جميع سبل المواصلات والارسال السلكى واللاسلكى ... ، وتزول أخطر معالم الحضارة المعاصرة كلها ؟ !

---

(١) وروى لنا أكثر من منوم مصرى انه حصل فى تجاربه فى التنويم المغناطيسى على نتائج مشابهة لهذه ، لكنه لم يبينها فى أوراقه ، أما فى الخارج فقد تعودوا اثبات أمثال هذه الأمور البادرة بدقة تامة للتحقق منها ، وللرجوع اليها وقت اللزوم .

(٢) راجع اعمال هذا المؤتمر ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٣) La Revue Scientifique et Morale du Spiritisme juillet et Aout 1904.

المطلب الثانى

من اختبارات باحثين متعددين
فى موضوع ارجاع الذاكرة

تنويم مفناطيسى مع استحواذ وعودة للتجسد

روى المنويّم المغناطيسى بوفييه Bouvier الذى ساعد الكونت دى روشا فى تحقيقاته التى تحدثت عن بعضها فى المطلب السابق انه عثر على وسيطة ممتازة تدعى ايزيدور ل Isidore L. فكانت فى غيبوبتها تحدث ظواهر الطرح الروحى او الخروج من الجسد بالاضافة الى ظواهر الخضوع لهيمنة كائن آخر لم ينفصل عن جسده المادى بعد .

ويقول بوفييه أن هذه الوسيطة كانت « مسكونة » - فى معنى ما - بشخصية أخرى كانت تعبّر عن نفسها عن طريقها وكان المنوّم يعتقد فى مبدأ الأمر أن الاستحواذ كان لشخصية « موفاة » ، لكن اتضح له أنه لامرأة لا تزال على قيد الحياة ، كانت تقرر انها مريضة جدا ، وأنها تنتهز فرصة غيبوبتها المرضية لكى تغادر جسدها وتأتى الى جلسات التنويم المغناطيسى التى كان بوفييه يعقدها .

وكانت هذه الشخصية الأجنبية تظهر نفسها يومياً خلال شهر كامل ، وافصحت عن نفسها قائلة انها روح فتاة تدعى انا ستازى ن . Anastasie N. ، وأنها تقيم فى دير حددته ، منتظرة خلاصها الأخير من الأغلال القاسية التى تربطها بهذا العالم وكانت خلال هذا الشهر تروى ما يحدث لها ، قائلة ان نهايتها قد اقتربت مع ذلك . كما قالت له ان شقيقاً للوسيطة قد توفى حديثاً ورجته الا يخبر شقيقته الوسيطة ، وهو ما تحقق حيث تلقت الوسيطة بعد بضعة أيام من تلك الحادثة ما يفيد نبأ وفاة شقيقها .

واخذ بوفييه يتحرى عن السيدة المريضة التى كانت تستحوذ وهى فى غيبوبتها على وسيطة التنويم المغناطيسى وهى فى غيبوبتها فاتضحت له صحتها ، وتوصل الى عنوان أسرة هذه السيدة بميدان لافاييت Lafayette بمدينة روان .

وبعد مضى شهر من الاتصالات اليومية اعلنت اناستازى ما يلى : « وقع الأمر ، وفى هذه المرة جئتكم وقد غادرت جسدى منذ فترة قصيرة ، ولم أجئكم قبل الأوان ، لأن العبء عندكم اكثر مما ينبغى ،

ولكننى لست مع ذلك حرة لوقت طويل ، لاننى ارى اننى سأعود قريباً للتجسد مرة أخرى ، وهذا أمر لا يرضينى ، لكنه ضرورى » .

وبعد مداولات طويلة مع الروح حول ظروف عودتها للميلاد وحول البيئة التى ستوجد فيها ، قالت انها ستولد من جديد بمدينة ليون حيث كانت تجرى تلك الاختبارات ، فى أسرة عينتها عنوانها ٢٠٤ شارع بوالو Boileau ، وفى نفس جنسها السابق ، وانها ستحيا فحسب لمدة بضعة شهور ستغادر الأرض بعدها لكيلا تعود اليها ثانية .

وكانت هذه الأقوال سبباً فى زعزعة بوفييه من شكوكه فاخذ يراقب الأسرة التى عينتها أناستازى . وفى جلسة معينة حددت أناستازى تاريخ عودتها للتجسد بأنها ستكون فى خلال ثلاثة شهور تقريباً ، وانها بالتالى ستولد فى حوالى عام مقبل ، وان الأحداث ستتحقق الى الحد الذى سيتمكن بوفييه معه من التأكد من حدوثها .

وتوقفت الاتصالات مع تلك الروح بعد مضى حوالى ثلاثة شهور . وبعد خمسة أو ستة شهور لاحقة ، لاحظ بوفييه حدوث أعراض حمل لدى سيدة صغيرة فى نفس الأسرة التى عينتها أناستازى . وبعد مضى عام من التخلص من الجسد ، وتسعة شهور من الاتصالات الأخيرة مع اناستازى ، ولدت فى نفس الأسرة ، وفى نفس الظروف التى سبق الارشاد عنها طفلة صغيرة أودعها أهلها فى دار حضانة بمونتلى Montluel عاشت فيها لمدة أربعة شهور ثم توفيت ، ومنذ تلك اللحظة اختفى كل أثر لتلك الشخصية ، ولم يسجل عنها شيئاً مطلقاً .

* * *

وليست هذه هى الحالة الوحيدة التى سجلها بوفييه من هذا النوع ، بل يقول انه حضر جلسة روحية مع بعض آنسات من جاراته ، وسجل فى احداها أن روحا اتصلت بهم بوصفها صديقة للوسيطة تدعى بولين ر. Pauline R. كانت تقيم معها فى بنسيون فى سالان Salins ، وأعطت تفصيلات لم تدع أى شك فى صحة شخصيتها ، لكنها بطبيعة الحال لا تقنع خصوم الروحية ، اذ من الجائز ان يقال ان الوسيطة قد تخيلت تلك الوقائع بصورة شعورية أو لا شعورية .

والأمر الغريب فى الموضوع أن تلك الروح أعلنت أنها ستعود للتجسد قريباً فى أسرة عينتها تعرفها الآنسات الحاضرات ، ولكنهن استغربن جدا ، لأنه بحسب معلوماتهن لم يكن يوجد فى تلك الأسرة سوى

شاب صغير لم يكن يبدو عليه انه بسبيل الزواج . ومع ذلك أصرت الروح على أقوالها قائلة انها ستولد فى نفس جنسها السابق ، ولكن سيكون عليها ان تتالم كثيرا بسبب اعتبارات خاصة ، لم يجد بوفييه نفسه فى حل من نشرها علانية .

وبعد عدة شهور من ذلك الاتصال تزوج الشاب الآنف الاشارة اليه . وبعد عشرة شهور أو أحد عشر شهرا ولدت له طفلة مصابة بالتهاب فى مفاصل الحوض . وعندما نشر بوفييه موضوع هذا الاتصال كانت المولودة قد أصبحت فتاة صغيرة مضعضعة الصحة ومصابة بداء خطير فى القلب (١) .

وعلى العموم لا ينبغى الخلط بين ظواهر ارجاع الذاكرة للوراء . واستحواذ كائن أجنبى على وعى الوسيط ، فبين الظاهرتين فروق واضحة سنعود الى بيانها فيما بعد ، كما سنعود الى موضوع الاتصالات الروحية وظاهرة العودة للتجسد ، والى موقف تلك الاتصالات من نفس الظاهرة أو بوجه خاص من ناحية آراء الباحثين الروحيين المعروفين والأرواح المراسلة الراقية .

اختبار له مغزاه لاميرين بولنديين

وروى أمير بولندى كان معنيا بالبحوث الروحية هو الأمير ويزنيسكى Wiszniewski أنه كان فى سياحة مع الأمير جاليتزين Galitzin وعند مرورهما بأحد شوارع مدينة .... قابلا امراة تتسول وهى فى أسمال بالية ، ولاحظ جاليتزين — الذى كان يجيد التنويم المغناطيسى — نظرة غريبة فى عينيها اجتذبت انتباهه ، فدعاها لتناول العشاء ، وبعد ذلك دعاها للتوجه معهما الى الفندق .

وبمجرد تنويمها صرخت بانها تملك اعترافا خطيرا تريد الافضاء به ، وهى أنها كانت فى تجسدها السابق بايطاليا تدعى الكونتيسة .... بمدينة .... وتقطن قصرا ، وأنها كانت متغطرسة ، وقاسية ، وسيئة السلوك . وأن زوجها توفى فى نظر الناس جميعاً من « حادثة » ولكن فى الواقع تسلقت معه الى قمة جبل بحجة الرياضة ، ومنها دفعته فسقط فى سفح الجبل قتيلا محطماً . وأفلتت من العقاب ، لكنها عادت فتجسدت فى ظروف أليمة من التعاسة الشديدة بحيث لا تجد الآن قوت يومها الا بأحط السبل ، وباستثارة شفقة الناس نحوها .

---

(١) Pierre Neuville : Ces Autres Vies que Vous Avez Pourtant Vecues (1970) p 170 - 172.

ولما كانت هذه « المتسولة » قد قدمت بيانات محددة جدا ، توجه الأميران ومعهما المراة المتسولة الى مسرح الواقعة التى روتها ، ولم يزودهما احد بأية بيانات عنها ، وعندما كانا على وشك ركوب سيارتهما شاهدا مزارعا بلغ من العمر أرذله ، ولما سالاه عن الواقعة قرر لهما انه عندما كان صبياً سمع الرواة يتناقلون هذه الواقعة ، وارشدهما الى الصخرة التى سقط منها الكونت .... واضاف ان اشخاصا عديدين ظنوا السوء بالكونتيسة واخذوا يتقولون عليها ، لكن لم تتم عليها اية دعوى (١) . وهكذا قد يفلت الانسان من عدالة الارض لمهارته فى اخفاء جريمته ، لكن هيهات أن يفلت من عدالة السماء ، ومهما طال به الأمد ....

من اختبارات بيير نوفيل

ومن البحاث المرموقين فى فرنسا حالياً بيير نوفيل PierreNeuville (ولد بباريس فى سنة ١٩١٠) ، وهو عضو « بأكاديمية رابليه » Rab.lais بدأ منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، يجرى بحوثاً مثابرة فى الظواهر الروحية ذات طابع علمى وعملى ، مما جعل مؤلفاته غنية بالوثائق عن النتائج العملية التى حصل عليها بنفسه .

وانتهى نوفيل من بحوثه الى الاقتناع بأن الانسان يتجاوز ولا ريب نطاق الحدود الفيزيقية التى نعرفها عنه : فكل شىء يجرى كما لو انه — خارج الحدود التحكمية للمكان وللزمان — فان للانسان امتدادات فى كون يتجاوز ما نطلق عليه نحن وصف « الكون » ، ولا يتفق معه فى شىء . والانسان كائن متطور فى أجواء مجهولة من عالمنا ذى الأبعاد الثلاثة ، المستقل عن الآراء « العقلية » عن الماضى ، والحاضر ، والمستقبل .

فهل من الجائز الوصول الى تلك الأجواء ، والاتصال بها ، والدخول فى علاقات مع الكائنات التى تتحرك فيها ؟ هذا هو التساؤل الذى يشغل بال نوفيل منذ شبابه الباكر ، والذى دفعته محاولة الاجابة عليه الى وضع مؤلفات قيمة عديدة فى البحوث الروحية ، منها مؤلفات خاصة بالعلاج الروحى اشرت اليها فى الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » (٢) :

ومنها مؤلفات أخرى : مثل « مستكشفو العالم الآخر : الوسطاء

---

(١) من بيير نوفيل . المرجع السابق ص ١٦٩ — ١٧٠ .

(٢) فى ص ٨٣١ منه .

وحياتهم » (١) ، ومثل كتـاب « مارى ليز غـير منظـورة وحاضرة » (٢) بالاشتراك مع جيرمين بوجيت Germaine Beauguitte ذلك بالاضافة الى عدد من المؤلفات فى ميادين ذات صلة بالطب وبالصـحة العـامة منهـا « قاموس طبى عملى صغير » (٣) .

ومن احدث كتبه واحد عنوانه « تلك الحيوات الأخرى التى عشتها رغم ذلك » (٤) (١٩٧٠) وفيه لا يجزم بحصول عودة للتجسد ، لكنه يقدم محض النتائج التى وصل اليها عن طريق اختباراته الخاصة فى موضوع ارجاع الذاكرة للوراء .

وبعد أن يلخّص نوفيل النتائج التى تكشفت عنها تجارب دى روشا فى فرنسا ، ومورى برنشتين فى أمريكا ، يسرد بعض النتائج التى وصل اليها هو فى الفصـل الخامس وعنوانه « الاستكشاف الأول فى العـالم الآخر المجهول » .

وقد أشرف نوفيل بنفسه على تلك التجارب التى كان يجريها منوِّم مغناطيسى قـدير يدعى أندريه ديبيل André Dupil وكان ينـوّم الفتاة يشير اليها المؤلف باسم مستعار هو جيزلين Ghislaine كانت تروح فى سبات مغناطيسى بسرعة . ثم ظل المؤلف يستجوبها بالاشتراك مـع المنـوّم خلال حوالى أربعين جلسـة تنويم جرت فى المدة من يوليه الى نوفمبر ، أى حوالى خمسة أشهر متتالية .

ماذا قالت جيزلين ؟

واخـذت جيزلين تسرد تفصيلات دقيقة كان من المحال عليها ان تعرف شيئاً عنها بالسبل العادية . وهـذه التفصيلات متعلقة بأحداث جرت فى بلادها فى المدة من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٩٨ ، ويبدو انها كانت هى نفسها بطلة هذه الأحداث .

ومن بين هذه الأحداث انها قالت انها تدعى ميراندا Miranda وانهـا وُلدت فى ١٧ يونيـة سنة ١٨٧٢ ، وتوفيت فى بلدة سـواسون Soissons (بالقرب من باريس) عندما كانت فى السادسة والعشرين من عمرها . وانها عندما كانت فى الخامسة من عمـرها تركوها فى ملجأ للأطفال ، وانها لا تذكر شيئاً عن أبويها ، لكنها تعرف سيدة تدعى جان ديمزنيل jeanne Dumesnil تبنتها من هـذا الملجأ واصطحبتها الى

---

(١) Les Explorateurs De L'Au Délà.

(٢) Marie - Lise Invisible et Presente

(٣) Petit Dictionnaire Médical Pratique.

(٤) Ces Autres Vies que Vous Avez Pourtant Vecues

منزلهـا بالقـرب من سواسون . وأنها كانت مصابة بالشلل منذ هـذا التاريخ . ووصفت بالتفصيل المنزل الذى كانت تقطنه ، وكيف انها كانت محل رعاية من طبيب ذكرت له اسمين وهما ديبوا Dubois ، وكيلبك Quelbec .

وقالت انهـا فى الثامنة عشرة من عمرها كانت لا تستطيع الوقوف وكانت تشكو من داء عياء فى القلب . وكان الطبيب العجوز يعودها يومياً تقريباً . وفى سن الخامسة والعشرين كانت تقيم فى مستشفى فى باريس نقلوها اليه بسبب حالة قلبها . وفى سن السادسة والعشرين عادت الى منزل أمها بالتبنى حيث توفيت من أزمة قلبية .

واخـذت تروى ذكريات محـددة عن أحداث ذلك العصر ، وعن الأسعار المنخفضة التى كانت تشترى بهـا السلع مثل ثمن الجريدة ، وثمن رغيف الخبز ، وعن سبل الاضاءة ، وسبل المواصلات . وذكرت اسم احدى جاراتها وهى السيدة ديهامل Duhamel . كما ذكرت اسمين لجـارتين لها كانتا ترقـدان الى جوارها بالمستشفى ، كل على فراشها الخـاص ، وهمـا مادلين Madeleine الى اليمين ، والسيدة بواريير Porière الى اليسار .

ووصفت نفسها بانهـا كانت شـقراء الشعر ، خضراء العينين ، لا ترتدى ملابس ثمينة ، ووصفت زيهـا بمـا يتفق تماماً مع أزياء ذلك العصر . كمـا ذكرت أن عمـدة الناحية كان يدعى بارو Barrault وأن كنيستها كانت تحمل اسم سان برنار Saint Bernard .

ويقول المؤلف انه لاحظ أن هذه الفتاة كانت لا تتعارض مع نفسها أبداً عند تكرار توجيه نفس الأسئلة اليها فى جلسـات متتالية لاحقـة ، وأنهم كانوا يكررون توجيه نفس الأسئلة اليها للحصول منها على المزيد من التفصيلات . كما يقول انه حاول تحقيق صحة جميع البيانات التى ادلت بها الفتاة بالانتقـال الى سواسون لكنه تعذر عليه اجراء التحقيق على الوجه المطلوب بالنظر الى قـدم العهد بهذه الأحداث ولأن ملجأ الأطفال الذى عينته رفض ذكر أية بيانات ، لأن التعليمات المتبعة فيـه تستلزم السرية المطلقـة عن اسماء الأطفال الذين كانوا يقيمون به وعن أسماء والديهم بالتبنى ، مهما تقادم العهد بهم .

مارى ليز غير منظورة وحاضرة

وفى الفصل السادس وعنوانه « مارى ليز Marie Lise غـير منظـورة وحاضرة » ، يروى نوفيل احداثاً اخطـر من هـذه وادق عن

جلسات أخرى للتنويم المغناطيسى جرت تحت رقابته الخاصة ورقابة السيدة اندريه بوجيت André Beauguitte وهى قرينة وزير فرنسى . وكان المنوم هو نفسه اندريه ديبيل ، وكانوا يدونون عنها مضابط دقيقة ، فى حضور عدد من الشهود منهم طائفة من الأطباء الذين كانوا يشتركون احياناً فى استجواب الوسيطة المنومة . وكان التدليس محالاً وروح البحث المحايد عن الحقائق تسيطر على الجميع ، الذين لم يكن لأى واحد منهم أية مصلحة فى ان تجرى نتائج التحقيقات فى اتجاه معين أو فى آخر ، خصوصاً وكلهم من المنكرين للعودة للتجسد .

وكانت الوسيطة سيدة ريفية شابة من ناحية مو Meaux يشير اليها المؤلف باسم دنيز ك. Denise C. . وسردت هذه السيدة تفصيلات عديدة مذهلة عن حياة سابقة لها باسم مارى ليز كانت فيها ابنة لماريشال فرنسا فرانسوا جوزيف ليفيفر François - Joseph Lefebvre وهو احد قواد الامبراطور نابليون الأول . وقالت انه توفى فى سنة ١٨٢٠ عندما كانت هى فى السادسة عشرة من عمرها .

وقد ورد فى قاموس « لاروس العالمى » Larousse Vniversel عن هذا الماريشال انه « دوق دانتزيج Dantzig وماريشال فرنسا . ولد فى روفاتش Rouffach وتوفى بباريس (١٧٥٥ — ١٨٢٠) . عمل فى الجيش الفرنسى وبرز فى فلبريس Fleurus واستولى على دانتزيج ببراعة فى سنة ١٨٠٧ . وكان محتفظاً فى بلاط نابوليون باللهجة العامية لجندى ، لكن بصفات عالية من انكار الذات ومن الميول الانسانية ..

وكانت زوجته كاترين هيبشبه Catherine Hubscher أصلها غسالة ملابس من قريته ، لكنها امرأة شريفة تماماً ذات اسلوب نشط وصريح ، وقد ذاعت شهرتها فى الروايات باسم مدام سان جين Madame Sans Gène » .

وظلت دنيز هذه السيدة الريفية موضع استجواب دقيق متواصل عن حياتها السابقة تلك — باسم مارى ليز — على مدى ستين جلسة متتابعة للتنويم المغناطيسى بين شهرى اغسطس واكتوبر من نفس العام ، فأعطت فيها أدق التفصيلات عن الحياة فى عصر نابليون ، وكان من المحال على هذه الريفية الساذجة أن تعرف شيئاً عنها بالسبل العادية للادراك .

وقد تكشف الاستجواب الدقيق لها عن حقيقة رهيبة وهى انها كانت فى ذلك التجسد السابق ابنة طبيعية لهذا الماريشال — الذى

اشترك فى بعض حروب نابليون — وثمـرة علاقة غير شرعيـة بينه وبين شقيقة جميلة لنابليون تدعى بولين بونابرت Pauline Bonoparte قيل عنها فى بعض كتب التاريخ انهـا كانت مستهترة . ولهـا مغامرات عديدة مع أكثر من عشيق .

وقد ورد فى قاموس لاروس — الآنف الاشارة اليـه — عنها انهـا « تدعى مارى بولين ، وانهـا ولدت فى أجاكسيو ، وتوفيت فى فلورنسا (١٧٨٠ — ١٨٢٥) وكانت ذات جمـال باهر ، وانهـا تزوجت الجنرال ليكلير Leclerc فى سنة ١٨٠١ ، وبعـد ترملها تزوجت الأمـير كامى بورجيز Camille Borghèse (١٨٠٣) فأصبحت دوقة جاستالا Guastalla ، ثم انفصلت عن زوجها كيما تعيش على هواها بباريس أو روما » .

وعلى أية حال فالظـاهر من الوقائع أن المـاريشال ليفيفر أنشـأ علاقة غير شرعية مع مارى بولين هـذه ، وكانت الثمـرة هى تلك الفتاة مارى ليز ، التى أودعتها والدتها بمجرد ولادتها فى أحـد الأديرة وظلت بالدير فترة ما . وقد وصـفت فيها مارى ليز رئيسـة ذلك الدير الأم كلوتيلد Clotilde التى كانت تحـذرها من السـؤال عن مكان أمهـا فاعتقـدت انهـا يتيمة الأم . كمـا وصفت صـديقة لهـا فى الدير كانت تدعى اليزابت .

وبعد فترة من اقامتها فى ذلك الدير ابتدأ المـاريشال يزورها هناك بملابسه المدنية . ولم تكن تعرف فى مبدأ الأمر انه والدها الى أن فهمت ذلك فيما بعد .. لكنـه كان يصر على زيارتها بملابسه المدنيـة الى أن طلبت منه هى أن تكون الزيارة بملابسه العسـكرية حتى تفتخر به بين لداتها من الطالبات المقيمات فى الدير .

ثم طلبت منه ان يصطحبها الى خارج الدير فى أيام الأعياد والأجازات اسـوة بصـديقاتها ، فاسـتجاب لهـا واصطحبها الى قصر كومبـو Combault حيث كان يقيم مع زوجنـه « المـاريشالة » التى عرفت قصته وغفرت له علاقته الآثمـة مع بولين بونابرت لأن الماريشالة كانت طيبـة القلب بمقـدار ما كانت ذكيـة وحكيمـة بحسب وصف مارى ليز .

وقالت ان والدها الماريشال كان يروى لها قصص الحروب التى خاضها مع نابليون ، وكان يشيد كثيرا بعبقريته الحربية . كما كانت زوجته الماريشالة تغدق عليها الكثير من النصح الحكيم ، وكانت اقل حماسا لنابليون من زوجها .

وفى اكتوبر من نفس العام عادت مارى ليز الى الدير ، لكن كانت فى جميع الأجازات والأعياد تغادره حيث تذهب لزيارة والدها فى قصر كامبو ، أو فى مقره بباريس فى شارع « كونفنسيون » Convention . تم يجرى التاريخ فى مجراه وتنهار امبراطورية نابليون ، ويعود آل البوربون les Bourbons الى عرش فرنسا .

وفى يوم معين تخبرها رئيسة الدير أن والدها مريض فى خطر وانه أرسل يستدعيها لرؤيته ، فتوجهت الى مقره بباريس حيث وصلت قبيل الاحتضار لكنه أدرك وجودها الى جواره ، وأخذ يزجى اليها نصائحه عن ضرورة التحلى بالطيبة ، وبالأمانة ، وبالبر ، وكانت تستمع اليه فى أسى، وفى انفعال .

* * *

ويلاحظ نوفيل أن فكرة الزمان والمكان كما نتصورها تبدو غريبة تماماً على أذهان الكائنات التى نستجوبها ، فلا ينبغى أن نعلق اهمية أكثر مما ينبغى على التواريخ فى مثل هذا النوع من البحوث ، لأنها تخطىء فيها كثيرا ، وهذا امر متوقع لأننا نخطىء كثيرا حتى فى التواريخ المتصلة بأحداث وثيقة مرت بنا فى حياتنا الراهنة .

ويقول ان المنوم اندريه ديبيل حاول فى احدى الجلسات أن ينصب فخاً للوسيطة فى غيبوبتها لما بدأت تسرد قصة حياتها عندما بلغت الثانية والعشرين من عمرها وانتقلت للاقامة عند الكونتيسة دى شفينيه de Chevigné فى قلعة بورسو Borsault فى مقاطعة المارن Marne وكان هذا الفخ كالآتى : —

— عندما كنت تقيمين مع الكونتيسة هل كانت تستخدم التليفون ومع من ؟

— الكونتيسة لم تكن تتكلم فى تليفون ... بل كانت ترسل تابعا يحمل خطابا الى شخص يركب فرسا هو الذى كان يوصل خطاباتها .

وفى خلال جلسة اخرى اعطت مارى ليز فى دقة مذهلة أوصافا لقلعة بورسو ، وجرى الحديث كالآتى : —

— انت تتحدثين عن بورسو ، فصفى لنا القلعة ، واذكرى لنا السنة التى نعيش فيها (أى فى ذلك الوقت) .

ـ انهـا بجوار كنيســة ... وكانت مملوكة لبـارون ... وهي قلعــة قديمة ، ومملوكة الى أسرة الدوقة آن Anne ، ولقد شاهدت قلعة أخرى تشيد فى الحديقة ... وكان ذلك فى سنة ١٨ .... ١٨٤٣ .... وقامت بتشييدها ســيدة ... كنت أراها أحيـانا ... كانت قادمة من ابرناى Epernay وسكنت فى القلعة الجميلة فى سنة... ٤٨ ... وقد وضعونى فى تلك القلعة لأنه لم يكن بمقدورى بعد أن أظـل بباريس .

ـ لـماذا ؟

ـ لا أعلم ... ولكن كان يتعين على الا أظـل بباريس .

ـ تحدثى الينا عن السيدة التى حضرت لرؤيتك .

ـ كانت تسمى كليكو Cliquot .. نعم ولقد أودعونى فى القلعـــة ، وكان الحـــارس بوارل Poirel هو الذى يحضر الى الطعام ، ولم أكن أشاهد انساناً .

وبدات فى البكاء الشديد فتعين ايقاظها .

* * *

وفى جلسة أخرى واصـل ديببل استجوابها فى نفس هذا الموضوع على النحو الآتى : ـ

ـ لـماذا كنت تعيسة ؟

ـ لقد كنت تعيسة لأننى كنت أعلم ان لى أما على قيد الحيـاة ، وكنت أريد أن أراها بلهفة ، ولكن لم يكن بمقدورى ذلك .

ـ عندما عرفت امك ألم تفكرى فى الكتابة اليها ؟

ـ لم يكن من حقى الكتـابة . نعم لم يكن من حقى الكتـابة ... (وبدا عليها الانفعال) ... وكنت أخشى الدوقة (من المؤكد انها تقصد الكونتيسة) ... وقالت لى اننى اذا حررت اليها فانهـا ستعتقلنى ... انهـا لم تكن ترغب ، وكانت تهــددنى . آه نعـم . آه نعـم لقــد كانت تحبنى بدافـع من مصـــلحتها لأن والدنى كانت ثرية ، وأعطتهـا الكثـير .

ولكن عندما توفيت والدتى أخذت منها الدوقة ذلك المقـر العظيم الذى كان ينبغى أن يؤول الى ، ولهـذا السبب كانت تحتفظ بى ... لقد ســمعت ذلك يقـال . وكان الدوق والدوقة يتحدثان فى هـــذا الشأن فى المكتب ، فانصت اليهما . وفى يوم رفضت الدوقة أن تعطينى مالاً ، فقلت لهـا انها ينبغى عليها أن تعطينى هـــذا المـال فأجابتنى عندئذ بأنها ليست مدينة لى بأى شيء . فقلت لهـا انهـا تقطن مقـر

والدتى فغضبت منى ... واتهمتنى بالكذب مع اننى كنت قد سمعتها تقول ذلك .

— ولماذا طلبت منها النقود ؟

— لاننى كانت تراودنى فكرة الهرب كيما احيا حياة افضل .

— هل كنت تعيسة الى هذا الحد ؟

— نعم ، لاننى لم أكن أملك حق الخروج ، ولم يكن بمقدورى أن أفعل ما أشاء .

* * *

وفى المرحلة الثالثة من تاريخ حياتها يبدو أنها انتقلت للاقامة الى مقر آخر مملوك لنفس الأسرة يسمى « أوتيل بورجيز » Borghèse عنوانه رقم ٥ ، ٧ شارع لاشيز La Chaise بباريس وفيه دخلت فى مغامرة غرامية مع الماريشال هوراس سباستيانى Horace Sebastiani الذى كان فى نفس الوقت سفيرا لبلاده فى القسطنطينية، وخطيباً ، وديبلوماسيا من ابرز الدبلوماسيين فى أوروبا بعد سقوط نابليون (١) .

وقد ورد عن سباستيانى هذا فى قاموس « لاروس العالمى » ما يلى : « هو الكونت هوراس فرانسوا باستيان Horace - Francois - Bastien ماريشال فرنسا . ولد فى بورتا دامبينانو Porta - d'Ampugnano بجزيرة كورسيكا فى سنة ١٧٧٢ وتوفى فى باريس فى سنة ١٨٥١ . لمع فى معركة مارنجو Marengo وفيمابعد فى حملة فرنسا .

كان وزيراً للخارجية فى ظل « ملكية يوليه » Monarchie de juillet وفجع فى شيخوخته بمصرع ابنته الكونتيسة براسلان Praslin » . كما ورد عنه فى بعض كتب التاريخ أنه كان مغامرا و « دون جوان » لا يشق له غبار فى اموره العاطفية .

وقالت مارى ليز (اى الفلاحة دنيز) انها تعرفت عليه بمناسبة رقصة « فالس » وتناولت كاسا من الشمبانيا برفقته ، وقد أثر فيها بشخصيته القوية الى حد انه أصبح حلم حياتها ، واصبحت تتحين الفرص للقائه . وتقول انه فى ذلك الوقت بالذات تقدم الكونته

---

(١) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب للوى كامبى Louis Campi : بعنوانه La Vie de Maréchal Sébastiani.

دى مورنمـــار de Mortemart لخطبـــة كلمنتـين دى شيفينيه Clementine de Chevigné (ابنة الكونتيسة دى شيفينيه) .
وكانت لقاءاتهما العاطفية تضاعف من آلام حرمانها ، عندما كانت تتخيل نفسها فى نفس الأوضاع بين ذراعى سباستيانى ! ...

ولم تكن تعرف عند ذاك حقيقة شـخصيته ولا مكانته . وفى ذات مساء كانت تجلس وحيدة ضجرة فى المنزل عنـدما دخل عليها التـابع جوزيف ليخبرها أن سيدا بالخارج يعمل سـفيرا يريد مقابلة السـيدة الكونتيسة ، وأنه حضر من مكان بعيد . فشعرت مارى ليز بصـدمة ، لأنهـا كانت تعلم أن سباستيانى يمارس عملا سياسيا رفيعا فى الخارج ، حتى لقد خشيت أن تنهار ، لكنها تمالكت نفسها وأشارت بادخاله .

واتضح فعـلا انه سباستيانى الذى لم يظهر عليه الضيق من تلك المفـاجأة ... وبجمل لبقـة قليلة أمكنه أن يقنـع مارى ليز — بعد أن جلسا معـاً على الأريكة — أنه لم يكف عن التفكير فيها حتى عنـدما كان يعمل على شاطىء البوسفور المكان الذى قدم منه ، وأن لقـاءهما الأول ظـل محفورا فى ذاكرته لمـا سـبّبه له من سـعادة .

وطلب منها ميعادا للقـاء آخـر فى مكان هادىء ، فكان اللقـاء فى غرفتها الخاصة بارشاد من جوستين Justine الوصـيفة المخلصة لهـا ، وايضا بعـلم من التـابع جوزيف الذى يبـدو أن سباستيانى الدبلوماسى اللبق عرف كيف يكتسب مودته ، وفى غرفتها استسلمت له .

ثم أخذت مارى ليز تروى كيف كان سباستيانى يزورها متنـكرا ، وكان يخفى عليها انه كان زوجاً وأباً ، وكان فى ذلك الوقت قد أصبح سـفيرا لبـلاده فى لندن بعد القسطنطينية . وكانت ظـروف الاقامة فى ذلك الوقت قد أصبحت تسمح بتكرار الزيارات لغياب الكونتيسة وسفر كريمتها مع زوجهـا الى الخارج بحيث لم يتبق معها فى المنزل بباريس سـوى التابع جوزيف والوصيفة جوستين .

وهكذا أصـبحت مارى ليز عشيقة طيّعـــة للدبلوماسى اللبـق ، والجندى المقـدام سباستيانى . ولم تكن تتصور انه كان متزوجاً وأباً ، بل كان يدور بخلدها انه سيتقدم سريعاً الى خطبتها فتنجو من حيـــاة الأسر والحرمان التى كانت تحياها حتى ذلك الوقت .

ثم تغـير مكان اللقـاء من « أوتيـــل بورچيز » الى مكان خاص بهوراس سباستيانى بضاحية أوتى Auteuil . وكانت مارى ليز تزعم أنها تتردد على طبيب للفحص وللعلاج ، الى أن اشتبهت الكونتيسة فى أمرها . ثم تدخلت فى العلاقة بينها وبين سباستبانى شارحة له كيف

أن بولين بونابرت كانت قد عهدت اليها بابنتها الطبيعية مارى ليز ، لكى تكفلها وتربيها فى حياتها وبعد وفاتها .

وكان ذلك من ضمن الأسباب التى حملت سباستيانى على المزيد من التعلق بمارى ليز ، لأنه فيما يبدو كان — هو ايضاً — ابناً طبيعياً لوالديه ! ثم سافر سباستيانى الى مقر عمله الجديد بلندن فى الوقت الذى كانت مارى ليز تتصور فيه انه لا يزال سفيرا فى القسطنطينية .

كما روت مارى ليز كيف أن الكونت مورتمار صهر الكونتيسة دى شيفينيه — بعد أن رجع من رحلة شهر العسل مع عروسه — كان يحاول أن يلقى شباكه من حولها الى حد اضطرها ان تصارح عروسه كلمنتين بالموضوع . ولما علمت بذلك الكونتيسة الأم غضبت من تصرفها ولامنها على هذا الموقف الأحمق ، بالاضافة الى مواقفها مع سباستيانى . وحفظاً للسلام فى المنزل قررت الكونتيسة أن تتخلص من متاعبها باعادتها للاقامة فى قلعة بورسو طيلة العام .

* * *

وقد أمضت مارى ليز بقية حياتها فى تلك القلعة ، وكانت حياة مملة خالية من الذكريات العنيفة التى كان يصح ان تغذى اختبارات « ارجاع الذاكرة للوراء » ، والتى كان يمارسها أندريه ديبيل على هذه الفلاحة الساذجة دنيز .

وكان من ضمن الأحداث التى روتها ان الكاتب المعروف اونوريه دى بلزاك Honoré de Balzac كان يزور قلعة بورسو وتعرف الى مارى ليز ، فكان يروى لها اخبار متاعبه المالية رغم أن صيته كان قد بلغ شأواً كبيراً . وذكرت كيف انه كان صديقاً للكونتيسة ، وكيف أنه وعدها بأن يرسل اليها نسخة من كتابه الجديد « مذكرات زوجين شابين » (١) .

* * *

وتمضى حياة مارى ليز فى سآمة وبلا احداث تذكر ؛ الا انها فوجئت ذات يوم بقدوم سباستيانى خصيصا للبحث عنها فى قلعة بورسو . وكان قدومه على ظهر فرس ، ولقاؤهما فى حديقة القلعة ، وكانت سعادتها بهذا اللقاء المفاجىء لا توصف . واخذ يعتذر لها ، ويصارحها بالحقيقة وهى أنه لم يتقدم لخطبتها لأنه كان زوجا وابا لشابة كبيرة . فذهلت ولم يكن يعنيها اعتذار عاشقها لها ، بل لقد القت اللوم كله على القدر .

---

(١) Mémoires de deux jeunes mariés.

وكان سباستياني فى ذلك الوقت قد أصبح كهـلا ارملا ، وهى فى الأربعين من عمرها . وروى لهـا مأساة اليمـة مرت به ، اذ أن ابنته الوحيدة تزوجت المـاركيز شوازيل براسـلان Choiseul - Praslin ثم فاجأته هذه فى موقف فاضح مع مربيـة الأولاد . ولمـا ثارت مشادة تخلص من الموقف بأن طعنها بخنجر كان عنده فأودت الطعنة بحياتها .
وانتهت علاقة مارى ليز مع سباستيانى بزواجها منه وسـفرها للاقامة معه فى جزيرة كورسيكا Corse وهى موطنه الأصـلى ، وأمضت هناك حياة سعيدة هادئة .

لكنها كانت أحياناً تزور قلعة بورسو . ومن ذكرياتها الجديدة فيها أن لويس بونابرت Louis Bonaparte الذى أصـبح رئيسـاً للجمهورية الثالثة زار القلعـة فى أثنـاء زيارة له شـبه رسـمية الى شرقى فرنسا ، وكان موضع حفاوة أسرة الكونتيسة . وقالت انه كان فى ركب الرئيس الجنرال سانت ارنو Saint Arnaud بملابسـه الرسمية ، وفيليان دى برسينى Filian de Persigny ، وآخرون . وان الكونتيسـة صارحتـه بتـاريخ مارى ليز وبقصـتها مع هـوراس سباستيانى فسألها الرئيس عن أخبار هـذا الأخير فأفهمته أن صحته أصبحت مضعضعة جدا تحت تأثير التقدم فى السن ، ومأساة كربمته مع زوجهـا .

وتوفى سباستيانى بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٨٥١ ، واحتفل لويس بونابرت (نابليون الثالث) بتشييع جنازته احتفالا كبيرا ثم أصيبت مارى ليز بمتاعب فى معدتها ، وبآلام شديدة . وأقامت فى القلعة الجديدة فى بورسو طيـلة أيام شيخوختها وكانت تألف الجـلوس على كرسى طويل وتطل على الحديقة . وكانت كلمنتين دى مورتمار (الكونتيسة الصغيرة) تحنو عليها كثيرا فى شيخوختها ، وتجلس بجوارها لمـدى ساعات طويلة ، بل كانت تقوم بتمريضها ، والتسرية عنها بأن تقرأ لهـا فى بعض الكتب .

وتقـول مارى ليز انها فى ظهيرة سعيدة من أيام الربيع أفلتت من اسار هذا العـالم ، حينما كانت كلمنتين الى جوارها ، وكذلك الخادمة المخلصة ، وتمت مراسيم دفنها فى هدوء .

الانتقال الى مسارح الأحداث

ويقول نوفيل انه اصطحب الوسيطـة دنيز الى نفس الأماكن التى عاشت فيها مارى ليز ، والى نفس المقبرة التى دفنت فيها والتى اندثرت معالمهـا ، ومعالم الكنيسة التى بجـوارها ، ولم يبقَ قائما سـوى قلعـة بورسـو .

ويقول ان دينز اغمى عليها تلقائياً هناك ، وانها شعرت بكثير من الانقباض عند وصولها الى البقعة التى ارشدت انها — وهى فى غيبوبتها المغناطيسية — قد دفنت فيها . وانه بداخل القلعة اوقعها ديبيل فى غيبوبة مغناطيسية حتى تروى احداثها الأخيرة هناك .

وقالت انها فى الثامنة والخمسين من عمرها ، وانها تعيش فى سأم وفى آلام حادة من معدتها ، وانها عاجزة عن تناول الطعام . ثم قالت انها بلغت الواحد والستين من عمرها ، وانها ترقد فى غرفتها عاجزة عن الحركة ، ثم روت واقعة « وفاتها » .

ثم تقول عما تلا ذلك من احداث :

هاأنذا بين الأحياء ، مع جميع الأشخاص الذين على الارض . اننى اطفو ... اطفو ... اننى ارى ... اننى اتحدث ولا يفهموننى . نعم اننى أرى كل الناس ... لكن احدا لا يرانى ... ارى كل شيء ... أرى كل شيء ... وأفهم كل شيء .

— وماذا بعد ؟

— اننى بين السماء والأرض ، اذهب ، وأجيء ، وأميز الاشخاص ، وذلك يجرى عن بعد .

— هل تشاهدين أولئك الذين كنت تحبينهم ، وهل بمقدورك ان تفعلى لهم اى شيء ؟

— كلا اننى لا ارى ... لا ارى سباستيانى ، اننى ظل لكنه ظِلٌ يُرَى ، ظلٌ شفاف . ولكننى لا اتألم ، وأرى جيدا حياتى الماضيَة ، أرى كل شيء .

— اذاً من كانت مارى ليز ؟ ومن كان أبوها الحقيقى ؟

— الماريشال ليفيفر ، وأنا متأكدة من ذلك .

— وماذا اصبحت فيما بعد ؟

— لقد انتظرت ... انتظرت وقتا يبدو طويلا ثم اصبحت دنيز Denise C. .

— أريد أن اعرف ماذا صنعت عند وفاتك ومغادرة جسدك ؟ كيف تصرفت ؟

— ان هذا أمر يصعب شرحه .

— وماذا فعلت فى التربة ؟

— عند الموت نغادر جسدنا ، والجسد هو الذى يذهب الى التربة ، ولقد شاهدته وهو يوضع فيها ، شاهدت جسدى يوضع فى القبر . انه جسدى فقط .

— هل كنت وحدك فى القبر ؟

— نعم كنت بمفردى ، وازالوه عندما ارادوا توسيع الكنيسة ... وبه بعض عظام ... توجد به عظمنان فقط ...

— عندما تطفين هل تشاهدين ظلالا أخرى ؟

— نعم نحن عديدون ، وتوجد ظلال أخرى تطفو مثلى ، وهى تطفو وتتنزه ، ولا تتبادل الحديث ، ولا نعلم شيئاً .

— ومن الحاكم ؟

— لا يوجد شخص حاكم ، ونحن وحيدون لا نستشعر حـــرا ولا بردا ، بل هو دائما نفس الطقس ... والجو مضىء ، ولا نميز جيدا الضـوء من الليـل .

— وماذا تشبه تلك الظلال ؟

— تشبه أجسادا آدمية شفافة يخرج من وسطها شىء متميز تماماً . وأبيض كلـه ...

— هل عاقبك احد ؟

— كلا ! لأننا كثيرون ... كثيرون ...

— وقبل أن تكونى مارى ليز ماذا كنتِ ؟ وأين ؟

— لقد كنت أطفو ... نعم لقد كنت شخصاً ... لا ارى جيدا ... آه نعم منذ زمن بعيد كنت ... اننى أرى من كان يقطن هـذا الجسد . انه ظل . واننى اراه ... لقد كنت أقطن جسدا آخر .

— ماذا كنتِ ؟ وفى اى عصر ؟

— فى سنة : ١٧٩٠ ... توفى هذا الانسان .

— ماذا كنتِ ؟

— كنت رجلا ... نعم ... نعم ، لكن رجلا كدَّ كثيراً حتى يتمكن من تربية كل أولاده .

— ما اسـمه ؟

— نيسيز Nicaise ... نيسيز .... آه آه .

ثم شعرت دنيز بضيق اقتضى ايقاظها .

* * *

وهكذا يقدم بيير نوفيل النتائج الفريدة التى وصـل اليها ويقـول معلقاً عليها : « باننى مقتنع بأن الباحثين الروحيين سيجدون فيها سندا كفيـلا بتقدم « علم الانسان » سواء اتجه الى الروحيـة الصرف أم الى المادية البنّاءة ، وفى الحالين ينبغى أن يكون الهدف هو سعادة الانسانية .

وانني أكون راضياً اذا أمكن للمـادة التى جمعتها مع السـيدة جيرمين بوجيت ، وأندريه ديبيل أن تستخدم فى هذا الشأن .

وقصة مارى ليز ليست أكثر من خطوة فى طريق الاستكشاف المثير الذى قمنا به للبحث عن الحقيقة . وفى هذا الميدان لا ينبغى للباحث أن يكون مسلحاً بأمر آخر سوى الارادة الطيبة ، والنية الحسنة . والايمان كما قال أحدهم هو شجاعة الروح التى تسير نحو الأمام واثقة من العثور على الحقيقة . وهذا الايمان ليس عدوا للعقل ، بل هو شعلته المضيئة . وهو الشعلة التى أضاءت الطـريق أمام كريستوفر كولمبس وجاليليو ، والتى تبحث عن الدليل ، والدليل المضاد ، وهذا هو الطريق الوحيـد الممكن الآن » (١) .

وهذا القول يبرز الحقيقة التى ذكرتها فى مناسبة سابقة ، وهى أن جل بحاث هذه الأمور ليسوا بالمرة من أرباب عقيدة العودة للتجسد ، أو حتى من المقتنعين بدوام حياة الانسان بعد الموت . بل هم بحاث يشعرون أن مهمتهم الوحيدة هى تجميع المـادة الخام لتشييد النتائج الصحيحة عليها بعد توسيع رقعتها واخضاعها لمتطلبات أسلوب التحليل العلمى . فهم ليسوا اذا أصحاب عقيدة مسبقة أية كانت .

وهذا الاعتبار يضفى بذاته قيمة خاصة على نتائـج تحقيقاتهم فى أمثال هـذه الظواهر التى تصدوا لتحقيقها وتسجيلها فى مثابرة ، ومهما كبدتهم من عنـاء ومن مشقة الانتقال الى مسارح الأحداث للتحقق من مدى صحتها على النحو الذى فعله دى روشا ، ونوفيـل وغيرهما على ما سيرد تباعا فيما بعد سواء فى فرنسا ، أم فى أمريكا ، أم فى انجلترا : أم فى المـانيا ، أم فى السويد ، أم فى غيرها ....

تعليق

واذا كان من ملحوظة تستحق التسجيل فى ختام تجارب بيير نوفيل مع هذه القروية السـاذجة دنيز فهى عجز هذه القروية عن أن تتذكر شيئاً له قيمته عن حياتها السابقة فى الأثير رغم ايقاعها فى الغيبوبة المغناطيسية ؛ وقدرتها على أن تتذكر أحداثاً كثيرة محددة لها وزنها عن حياتها السابقة فى عالم المـادة .

وحتى حالات « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » التى سنعالجها فى المبحث المقبل تدور حول ذكريات محـددة عن أحداث وقعت فى عالم المـادة ، ولا تتضمن ذكريات لها وزنها عن أحداث محددة وقعت فى عالم الأثير سوى فى حالة واحدة أو اثنتين .

---

(١) عن بيير نوفيل . المرجع السابق طبعة ١٩٧٠ ص ٨٨ — ١٦٦ .

والظــاهر أن جميع الذكريات السابقة تنزلق بالميلاد الجـديد الى اللاشعور ، فلا تطفو منها الى الشـعور سوى نسبة ضئيلة اذا توافرت شروط معينة ، اما فى غيبوبة التنويم المغناطيسى ، واما فى حالة اليقظة الكاملة خصوصاً فى الطفولة المبكرة . ولكن طفو الذكريات من اللاشعور الى الشعور عن حياة عالم المــادة أيسر بكثير من طفوها عن الحياة السابقة فى عالم الأثير . وذلك يرجع — فى تصورنا — الى اعتبارات متعـددة اهمها ما يلى : —

أولاً : أن المستوى الاهتزازى لعــالم الأثير يعلو كثيراً عن المستوى الاهتزازى لعالم المــادة . وتقارب ، أو اتحاد المستوى الاهتزازى للحياة الحاضرة مع الحياة السابقة فى المــادة يجعل التذكر أيسر منالاً ، والصوره اكثر وضوحاً فى ذهن صاحبها من الفرض الآخر .

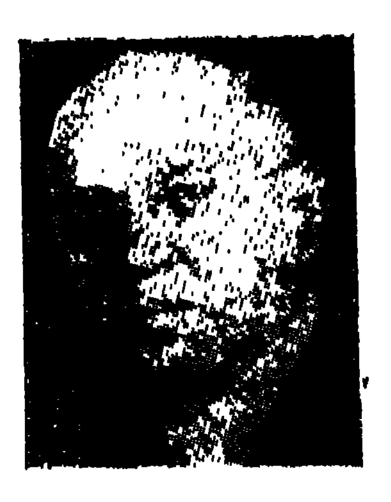
ثانياً : يبدو أن ذكريات حياة المــادة تكون فى المعتاد أشد مرارة ، ولذا تحدث خدشاً اقوى أثراً فى الذاكرة الشعورية واللاشعورية معـاً ، من ذكريات حياة الأثير ، التى يضيع فيها حتى الاحساس بالزمان وبالمكان ، والتى قــد تقصر — بحسب مقاييسنا الأرضية — الى أيام قلائل أو تدوم الى قرون عديدة .

ثالثاً : أن اسلوب الذاكرة فى العمــل فى الأثير بالعقل رأساً وبدون الاستعانة بجهاز المخ ، مغاير تماماً لأسلوبها فى العمل فى عالم المــادة عن طريق المخ . ولذا فان ارتباط الذاكرة الأرضية بالمخ يجعلها اقــدر على تذكر المــاضى البعيد عندما كانت تعمل أيضاً عن طريق المخ السابق ، وهو واحد فى طبيعته .

رابعاً : أن العيش فى عالم المــادة من جديد قد يساعد على تحريك الذكريات الدفينة فى اللاشعور ، والتى تتحـرك فى بعض الأحيان لمجـرد العودة لارتياد نفس مسارح الأحداث القديمة ، أو لمشاهدة بعض أحداث مماثلة قد تكون سبباً فى تحريك الذاكرة عن الأحداث المماثلة القديمة ، ولو بطريق تداعى المعانى ، كما يحدث أحياناً فى الاحلام .

ومن يدرى فلعل صعوبة تذكر المــاضى الذى أمضته الروح فى عالم الأثير — بالمقارنة بتذكر الماضى الذى أمضته فى عالم المــادة — هو الاعتبار الذى يقع خلف بعض المذاهب الهندوسية التى تتصور أن التجســد فى الأرض يحــدث بعد الوفاة مباشرة ، أو حتى فى أثناء الاحتضار ؟ ! وانه بالتالى لا توجد فترات للراحــة والاستجمام قد تمضيها الروح فى الأثير وقد تطول الى دهور ودهور ! ! ...

من اختبارات ادجار كايس وآرائه



ادجار كايس

وممن ارتبط اسمهم ارتباطاً وثيقاً بموضوع العودة للتجسد وسيط من أغرب وسطاء هذا العصر وابعدهم صيتاً وهو ادجار كايس Edgar Cayce وقد كان صاحب عدة مؤلفات في الموضوعات الروحية (١) ، كما كتبت عنه ولا تزال تكتب عدة مؤلفات أخرى (٢) . بل لقد نوقشت عن حياته وظواهره رسالة حصل بها مقدمها على « الدكتوراه في الفلسفة » من جامعة شيكاغو في شهر يونيه سنة ١٩٥٤ .

وقد ولد هذا الوسيط — الذى وصفه بعضهم بانه أعجب شخصية فى أمريكا — فى ١٨ مارس سنة ١٨٧٧ وتوفى فى ٣ يناير سنة ١٩٤٥ وكانت أهم مواهبه التنبؤات الصحيحة ، والعلاج ، والتراسل الفكرى Telepathy ، والجلاء البصرى . وكان هذا الوسيط متديناً — الى حد أنه قرأ الانجيل ستة وخمسين مرة كما قال — وبدأ اختباراته منكرا نظرية العودة للتجسد ومعتقداً أنها تناقض عقيدته « كبروتستانتى » شديد التدين ، الى أن تبين له تدريجياً أنها عقيدة صحيحة ، وانها تفسّر أموراً كثيرة كانت تبدو له غامضة فيما مضى ؛ وأن فى الانجيل اشارات كثيرة عنها بعهديه القديم والجديد ، وأن التناقض الذى تصوره لم يكن سوى سراب من صنع سوء الفهم والاذعان المطلق لما تلقنه فى الصغر .

وابتدأ هذا الوسيط يروح فى غيبوبة تلقائية مغناطيسية منذ سنة ١٩٠٠ فيقوم بانباء الشخص الجالس معه عن الكثير من أسرار حياته الخاصة الحاضرة بطريقة صحيحة دقيقة حيرت الناس . وكتبت عنه

---

(١) راجع ما ورد عنه فى الجزء الاول من « مفصل الانسان روح لا جسد » ص٣٤٩ .

(٢) منها : Thomas Sugrue : The Story of Edgar Cayce.
There is a River 1942.
Glenn. D. Kittler : Edgar Cayce : On the Dead Sea Scrolls 1970.
Harmon H. Bro : The Approach of Edgar Cayce 1971

الصـحافة كثيراً منذ هـذا التاريخ ، ووصفت طريقته بأنهـا قـراءات الحياة « Life Readings .

ولمـا ذاع صيته توافد عليه الآلاف فأخذ يستعين بزوجته بوصفها سكرتيرة اختزال عن طريق الآلة الكاتبة . وعندما توفى فى سنة ١٩٤٥ فى شـاطىء فرجينيا ترك ما يتجاوز اربعة عشر الف تقرير دونت بمعـرفة زوجته عن الحالات التى نجح فيها جلاؤه البصرى فى الكشف عن الأمور الغامضـة . وقـد جمعت هـذه الفـراءات العجيبة عن المـاضى بمعرفة جمعية اسمها « جمعية البحث والاستنارة » تأسست منـذ سنة ١٩٣٢ خصيصاً للبحث فى الأمور الروحية وتحليلها (١) .

ويقول كايس عن نفســه — فى محاضرة له القـاها فى سنة ١٩٣١ بمستشفى يحمل اسمه — أنه عند الوقوع فى الغيبوبة المغناطيسية التلقائية كان يشاهد نفســه خارج جسده ، ويرى كائنـات من عالم آخـر الى جواره (٢) وأن « اللاشعور » يكون عند ذاك قد استيقظ فيه على حساب « الشـعور » وانه اقترب الى حد ما من « عقله الأسمى » الذى أصبح بمقدوره استخدامه فى قراءة تاريخ حياة من يطلب هذه القراءة ، وذلك عن طريق محاولة ضبط لاشعوره الخاص بلاشعور من يطلب هذه القراءة ، فيجيئه الالهـام متدفقاً وهـو فى غيبوبته عن الشخص طالب القراءة . وكانت غيبوبة كايس تتفاوت فى عمقهـا ووصلت فى بعض الحـالات الى التوقف الكامل لكل وظائفه الحيوية مثل النبض والتنفس الى حد انه ظل فى هذه الحالة ذات مرة لمدة يومين فشخّص الأطباء وفاته خطأ ، وكاد كايس المسكين أن يدفن حياً ، كمـا يحـدث فى حالات أكثر ذيوعاً بكثير مما قـد نتصـور (٣) . وكان عنـدما يستيقظ من غيبوبته المغناطيسية التلقائية لا يذكر شيئاً مما يكون قد سرده .

وما يعنينا هنا بوجه خاص هو أن كايس كان لا يكتفى بقراءة الحياة الحاضرة للشخص الجالس معه ، بل كان يقرأ له أحياناً حياته الماضية ، بل عـدة حيوات ماضية متتابعة وكان يساعده — عن هـذا السبيل — فى تفهم متاعبه الحاضرة ، وأمراضـه النفسية والجثمانية ، ولاستكشاف ملكاته ومواهبه الدفينة . وكان الكثيرون يؤمنون بصدق هـذه القراءة لمـا يلمســونه بأنفسهم من صدق قراءاته لحياتهم الحـاضرة ، وانبائه

---

(١) Association for Research and Enlightenment Inc P. O Box, Virginia Beach, Virginia 23451.

(٢) راجع ما ورد عن هذا الشان فى « مفصل الانسان روح لا جسد » . الجزء الأول ص ٩٣٥ — ٩٥٩ . او فى كتاب « ظواهر الخروج من الجسد » ١٩٧٥ ص ١١١ — ١٣٥ .

(٣) راجع ما ورد عن هـذا الشأن فى المرجع السابق . الجزء الأول ص ١٠٢٢ — ١٠٢٨ حيث تجد وقائع واحصائيات تثير الحيرة والذهول وتستوجب الاحتياط الشديد عند تشخيص الموت . وكذلك فى مؤلفنا «ظواهر الخروج من الجسد» ١٩٧٥ ص١٩٨—٢٠٤ .

الصحيح عن مشكلاتهم الراهنة ، بالاضافة الى ما عرف عنه من نزاهة واستقامة فى الخلق .

وكذلك كانت قراءاته عن الحيوات الماضية تنبىء عن معلومات غزيرة جداً عن أمكنة كثيرة فى العالم لم يزرها ، وعن حضارات ، وتقاليد ، وتواريخ ، وأحداث ، ومعتقدات ، وطقوس ، وأزياء ، وظروف جغرافية ، وطبيعية ... لم يعلم عنها شيئاً بالأساليب العادية . بل لقد كانت قراءاته ترجع بصاحبها أحياناً الى حضارات الرومان ، والاغريق ، والفرس ، والعرب ، والبابليين ، والفراعنة ، وقارة الأتلنتس أيضاً التى ترجع حضارتها الى ما قبل عشرة آلاف سنة قبل الميلاد (١) .

ولا يتسع المقام الحالى بطبيعة الحال لسرد بعض اختباراته المدونة فى عدد من المراجع التى كتبت عنه ، ولكنه ينبغى أن يتسع لسرد بعض النتائج التى وصل اليها هو عن مفهوم العودة للتجسد ، بحسب تقديره الخاص ، فانها نتائج لها وزنها لأنها ثمرة اختبارات عشرات من السنين على الآلاف من الأشخاص .

وهو يعتقد أن « الكارما » ناموس طبيعى للسبب والنتيجة من شانه أن يزوّد الروح بفرص كثيرة للنمو الفيزيقى والعقلى . وكل روح أو كل كائن بحسب تعبيره عندما يعود من جديد الى المستوى الأرضى يكون له الصال لا شعورى بما يكون قد حصل عليه من ملكات ومواهب وخصائص عقلية فى حيواته الماضية . وذلك رغم انه يتعين على الكائن أن يناضل ضد التأثير السلبى الذى قد يجىء من ناحية الحيوات الماضية بسبب الانفعالات الضارة كالكراهية ، والخوف ، والقسوة ، والجشع ، مما يكون قد عاق تقدمه المطلوب .

وبالتالى فان رسالة الكائن على الأرض هى أن يستفيد من الميلادات المتكررة كيما يحدث توازناً بين عناصره الايجابية والسلبية « الكارمية » بأن يسيطر على دوافعه الأنانية ، وبأن يشجع تطلعاته الخلاقة . وان هذا يفسر علة التساؤل المنطقى الذى قد يثار عن الألم الذى « لا حاجة به » ، ومن أين جاء ؟ وكيف جاء ؟

ويقول كايس ان الحالات التى اكتشف فيها أن الشخص الجالس أمامه لقراءة حياته يمثل تجسداً لشخصية تاريخية لها وزنها ... قليلة جداً . وهو يعتقد أن التجسد فى حياة متواضعة هادئة يتيح للروح فرصاً للتطور والارتقاء ، تتجاوز الفرص التى تتيحها له حياة تجرى « تحت الأضواء » بكل انفعالاتها الشديدة ، ومتاعبها الصاخبة ، ومصادر القلق والخوف التى تكتنفها .

---

(١) راجع ما ورد عنها فى المرجع السابق . الجزء الأول ص ٨٣ — ٨٤ .

وهـو يعتقـد أيضاً أن الجـولة الأخيرة لن يخوضها الانسان على الأرض ، بل ستحدث بين النفوس التى تغادر الأرض وتلك التى تحاول العودة اليها . أى بين النفوس التى تعود الى الله الذى هجرته يوماً ما ، وبين المنفوس الضـائعة التى تنكر الله ، وتتمسـك بكل قواها بالتردد على هـذا الكوكب الضائع بدوره . أو بحسب الاعتقاد الحرفى سيكون السجال بين « الموتى » لا بين الأحياء .

وهو يجعل الفارق بين أولئك الموتى والأحياء كالفارق بين الدودة والفراشة . وبالتالى فان النفوس التى ستخوض الجولة الأخيرة ستكون هى نفس الأرواح التى كانت منذ البداية ، ولم يتغير فيها شىء الا فى أن مستوى الوعى الذى أصبحت تشغله أصبح أفضل من مستواها القديم ، بارتفاعها عن تخوم المـادة الى المستوى الأبدى المعد لها منذ البداية (١) .

من اختبارات مورى برنشتين

ومن الباحثين المعاصرين فى موضوع العودة للتجسد باحث أمريكى يدعى مورى برنشتين Morey Bernstein ذهب الى ولاية فرجينيا بعد وفاة ادجار كايس فى سنة ١٩٤٥ بتصميم أكيد على أن يهاجم تجارب هذا الأخير وأن يتهمه بالتدليس .

وقـد كان برنشتين هـذا طبيباً نفسياً ومعنياً بدراسـة التنويم المغناطيسى . فاخـذ يتردد على مقـر « جمعيـة البحث والاسـتنارة » A. R. E. التى اشرت اليهـا آنفاً لفحص الآلاف من مضابط « قراءات الحياة » التى كان يَقوم بها ادجار كايس ، وانتهى برنشتين الى الاقتناع بأن ثمة رقعـاً أعمق من غيرها من العقـل غير الواعى يمكن أن تحتفظ بذكريات عن حيوات سابقة .

ثم قادته الظروف الى بلدة بولدر Boulder بمقاطعـة كولورادو Colorado حيث عثر فى سـنة ١٩٥٢ على سيدة تدعى روث سيمونز Ruth Simmons (ولدت فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٢٣) تصلح وسيطة ناجحة لاختبارات التنويم المغناطيسى . فنجح فى ارجاع ذاكرتها الى وجود سابق لها بوصفها فلاحة ايرلندية عاشت فى مدينتى بلفاست Belfast وكاونتى كورك فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . ونشر فى سنة ١٩٥٦ عن تجاربه معها كتاباً عنوانه « البحث عن بريدى مورفى » (٢) ، وهو اسم هـذه السيدة فى وجودها السابق فى ايرلندا ، وقد كان لهذا الكتاب دوى شديد فى الصحافة وفى الراى العام الأمريكى .

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(٢) The Search For Bridey Murphy.

وقد روت الوسيطة — وهى فى تنويمها المغناطيسى — كثيراً من البيانات والتفصيلات عن حياتها السابقة ، التى يتعذر اعتبارها من محض مبتكراتها : من بينها أسماء بعض المحلات التجارية التى كانت موجودة فى ذلك العصر فى بلفاست ، وأسماء الصحف والمجلات الشائعة ، والعملات المتداولة .

وقالت أنها ولدت فى سنة ١٧٩٨ وتوفيت فى سنة ١٨٦٤ : وذكرت أسماء الأطعمة الايرلندية التى كانت تتناولها ، والأدوات التى كانت تستخدمها باللغة الايرلندية الدارجة . كما عبّرت عن رهبتها من الأب جورمان Gorman وهو كاهن الناحية الذى كان فيما يبدو صاحب نفوذ كبير فيها .

وقالت بريدى مورفى انها فى وقت ما كانت زوجة لأحد المحامين فى المحاكم العليا اسمه بريان ماك كارثى Bryan Mc Carthy وكان عضواً فى هيئة أساتذة « كلية الملكة » فى بلفاست ورسمت خريطة أوضحت عليها — بدوائر صغيرة — موقع بيتها .

وأضافت أنها توفيت عندما بلغت السادسة والستين ، وأنها خلعت جميع أسنانها . وكانت جميع أحاديثها باللهجة الايرلندية العامية التى كان يستخدمها دهماء القوم هناك ، وهى لهجة لم تعبر ابداً المحيط الأطلسى ولم يستخدمها أحد من الممثلين الأمريكيين .

وكل هذا سجله برنشتين على أشرطة تسجيل الصوت التى كان يستخدمها فى اختباراته معها . وبطبيعة الحال لم تكن للوسيطة روث سيمونز أية صلة بهذه اللهجة ، ولا يمكنها تقليدها أو تمثيلها وهى فى صحوتها . وذلك الى حد أنه يمكن القول بان اسلوب روث سيمونز فى سلوكها المسجل على الأشرطة يعد أكثر اقناعاً من جميع البيانات والأسماء والتفصيلات التى ذكرتها عن الحياة فى بلفاست فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

وبالاضافة الى ذلك تبين بالتحقيق أن هناك سيدة تحمل اسم بريدى مورفى مكارثى عاشت بالفعل فى المكان والزمان اللذين ذكرتهما السيدة الأمريكية وانها مرت بالأحداث والظروف التى وضحتها وهى فى غيبوبتها المغناطيسية .

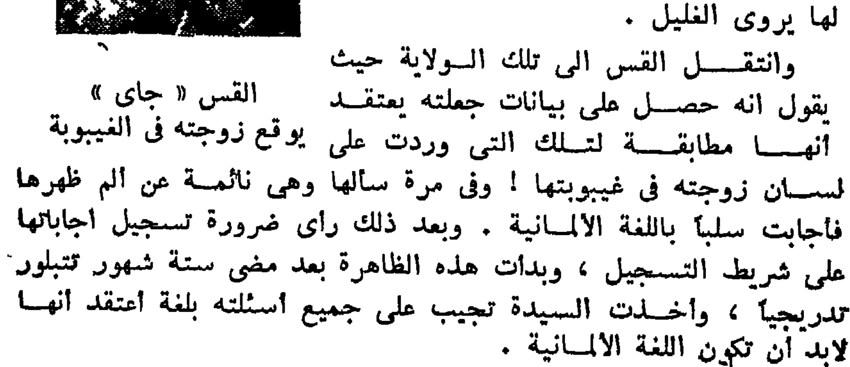
هذا وقد عنى ك.ج. ديكاس C. J. Ducasse أستاذ الفلسفة بجامعة براون بأمريكا بهذه الحالة فى مؤلف له عنوانه « دراسة انتقادية

فى الاعتقاد فى دوام الحياة بعد الموت » (١) (١٩٦١) نخصص لها صفحات كافية من التحليل العلمى المحايد ، ودافع فيها عن برنشتين ، كما أيد فيها الوسيطة روث سيمونز نافياً عنها شبهة التدليس (٢) .

اختبارات لاحقة من نفس النوع

وهذه أيضاً اختبارات حديثة تتلخص وقائعها فى أن قساً امريكياً يدعى كارول جاى Carroll Jay يعمل راعياً من مذهب الميثوديست بقرية تقع بوادى شناندوه Shenandoah Valley بالقرب من مدينة الكتون Elkton بالولايات المتحدة الأمريكية اتخذ التنويم المغناطيسى هواية له منذ سنة ١٩٥٤ ، وكان هدفه الأصلى منه مجرد المساعدة على علاج زوجته من الصداع ، ومن بعض آلام ظهرها .

ولذا أخذ هذا القس ينوّم زوجته دولوريس Dolores التى كانت عندئذ فى الحلقة الثالثة من عمرها والآن فى الثانية والخمسين . ثم دفعه حب الاستطلاع لأن يختبر ظاهرة ارجاع الذاكرة للوراء فاذا بها تسرد وقائع معينة يظهر منها انها كانت فيما يبدو سيدة أمريكية تعيش فى ولاية انديانا Indiana وتوفيت بها فى سنة ١٩٢٢ .



القس « جاى »
يوقع زوجته فى الغيبوبة

وعندئذ بدأ يفكر فى التثبت من صحة تلك الوقائع التى وردت على لسانها وهى فى غيبوبتها المغناطيسية ، كما فعل العديد من الباحثين عندما بوغتوا بحدوث ظواهر مماثلة ، وذلك لمحاولة الوصول الى تعليل لها يروى الغليل .

وانتقل القس الى تلك الولاية حيث يقول انه حصل على بيانات جعلته يعتقد انها مطابقة لتلك التى وردت على لسان زوجته فى غيبوبتها ! وفى مرة سألها وهى نائمة عن الم ظهرها فأجابت سلباً باللغة الألمانية . وبعد ذلك راى ضرورة تسجيل اجاباتها على شريط التسجيل ، وبدأت هذه الظاهرة بعد مضى ستة شهور تتبلور تدريجياً ، واخذت السيدة تجيب على جميع اسئلته بلغة اعتقد انها لابد أن تكون اللغة الألمانية .

---

(١) A Critical Examination of the Belief in a Life after Death

(٢) للمزيد راجع نويل لانجلى المرجع السابق ص ٢١٧ — ٢٢٩ .

وعندئذ حرر زوجها بياناً الى مجلة مهتمة بالوقائع الروحية ، فاتصل رئيس تحريرها بالدكتور ايان ستفنسون Ian Stevenson أستاذ الباراسيكولوجى بجامعة فرجينيا الذى أعطاها العناية المطلوبة ، فأخذ يواظب على حضور هذه الاختبارات منذ سنة ١٩٦٩ مصطحباً معه عدداً ممن يتقنون اللغة الألمانية وظل مثابراً على ذلك لمدى ثلاث سنوات حضر فيها ١٨ دورة للتحقيق والاختبار .

وفى هذه الجلسات أخذت دولوريس تسرد بيانات عديدة عن حياة سابقة لها كفتاة بروسية تدعى جريتشن جوتليب Gretchen Gottlieb وكان والدها يدعى هيرمان Herman وكان أشيب الشعر وعمدة لمدينة أبرسوالد Eberswalde تقع حالياً بالمانيا الشرقية . وكانت توجد عندهم طباخة تدعى فراو شيلدر Schilder أو شيللر Schiller وكان لديها طفلان يحملان اسم كارل Karl فى السابعة وكارين Karin فى التاسعة .

وقالت أن والدها وضع فى السجن بسبب صراع مذهبى عنيف نشب بين البروتستانت والكاثوليك فى تلك الأيام وانها بعد سجن والدها حاولت أن تهرب من المدينة مع عمها الذى كان يخفى بعض الاشياء فى الغابة ، والظاهر أنها لقيت مصرعها فى الغابة واثناء محاولة الفرار ، وكانت فى السادسة عشر من عمرها فقط .

واتضح للدكتور ستفنسون أن ابرسوالد كانت مدينة تقع فى الشرق من الدولة البروسية ، وأن وصف جريتشن للصدام المذهبى العنيف الذى جرى مع ابداء مخاوفها من السناتو (مجلس الشيوخ) البروسى Bundersat يُرجع هذه الأحداث — بحسب الراجح — الى سنة ١٨٧٠ حين نشب تناحر مذهبى فى المنطقة اطلق عليه Kulturkampf (تحت حكم بسمارك) ، وكانت أبرسوالد [illegible] مناطق هذا الصراع المذهبى الذى اثير فى وجه الكاثوليك ، وكانت تقع فى مركز اقليم تغطية الغابات .

وحسبما قرره الدكتور ستفنسون فى بيانه عن الوقائع كانت جريتشن تجيب بطريقة شخص تائه ! dazed بين الأحداث ، لكن كان الأسلوب مناسباً . بل كان بعض الكلمات الألمانية التى تستخدمها تنتمى أحياناً الى لغة القوم فى بروسيا فى القرن التاسع عشر والمام جريتشن بالنحو الألمانى ضعيف جداً .

كما قرر أن أسرة « جاى » مكونة من أشخاص امناء جداً . ويبدو

أن الذاكرة تشسبه صندوق مغلق به ملابس ، ولكن قد تظهر منه أحياناً بعض أطراف هذه الملابس ، وليس كل شيء يناسب الغرض منه ، ولكن هذه حالة هامة » .

ويقصد ستفنسون بذلك أنه يعتبر اللاشعور بمثابة مخزن لذكرياتنا السحيقة التى تختبىء فيه ، والتى هى ثمرة الاختبارات التى مرت بنا مهما كان مداها من القدم ، ولكن من المحتمل ــ تحت تأثير ظروف معينة ــ أن تبرز من ثقب أو آخر فى هذا المخزن بعض أطراف الذكريات التى لم يُحكم العقل الواعى اغلاقه عليها ، عن طريق تجسده فى المخ ، الذى هو تجسد مؤقت لجانب فحسب من الوعى الانسانى الشامل . وهذه الأطراف قد تظهر فى الغيبوبة عن طريق التنويم المغناطيسى ، وقد تظهر فى اليقظة عن طريق تحقيق ظاهرتى « رؤى من قبل » أو « سمع من قبل » التى سنتناولها فى المبحث التالى ، وبوجه خاص موقف ستفنسون منها .

وبلغ من حذر ستفنسون ــ فى تجاربه مع أسرة « جاى » هذه ــ انه استخدم جهازاً لكشف الكذب detector ، فلم يسجل حدوث اى كذب من الأشخاص الذين اخضعهم للتحقق الدقيق .

ويقول ايضاً انه مما يدعوه الى الاقتناع بالموضوع أن أحداً من اسرة « جاى » لم يتعلم اللغة الألمانية من قبل رغم أن الجدين البعيدين لها قدما من المانيا . وقد وقّع اقاربها وجيرانها اقرارات بأنهم لم يتبادلوا اى حديث بالألمانية . كما قرر القس كارول من جانبه بأنه يعتقد بأن جريتشن كانت فيما يبدو طفلة متخلفة عن عمرها فى الذكاء ، وربما لم تذهب الى المدرسة أبداً ، بل لقد قالت انها أمّية ، وهو يعتقد أنها بطيئة التعلم وجميع أحاديثها بالألمانية محفوظة على أشرطة تسجيل .

وبطبيعة الحال فان السيدة دولوريس لا تعرف شيئاً عن شخصيتها الأخرى الا من خلال هذه الأشرطة ، والمضابط التى تم تدوينها بمعرفة المحققين . ولم تكن أبداً ترحب بأن تقع فى الغيبوبة وأن تفقد نفسها فى شخصية جريتشن ، بل لقد حاولت مراراً أن توقف هذه الاختبارات لولا تمسك ستفنسون بتكرارها وبمواصلتها بالنظر لأهميتها الشديدة للتحقيق العلمى ، ولذا اصطدمت معه اكثر من مرة . وهى لا تؤمن بالعودة للتجسد ولا أفراد أسرتها كذلك .

وقد ناقش زوجها بعض الأشخاص فى هذا الموضوع ، وصرّح لمندوب مجلة « نيوزويك » Newsweek قائلاً « نحن لا نؤمن بالعودة للتجسد ، ولكننى لست خبيراً بالقدر الذى يسمح لى بأن أنفى أن تكون

الحالة حالة عودة للتجسد . وكل ما أعلمه هو أن هـذه الحالة صحيحة أياً كان التعليل » . كما قال أيضاً انه ينبغى الوصول الى هـذا التعليل من النواحى العلمية ، واللاهوتية ، والفلسفية .

وقد حاول بعض مندوبى جريدة الديلى ميل Daily Mail العثور على بيانات رسمية خاصة بمن يدعى هيرمان جوتليب وأسرته فلم يتمكنوا بالنظر الى ضياع جميع سجلات المواليد فى المنطقة فى الحرب العالمية الثانية، وفى الأحداث التى تلتها، والتى منها احتلال الحلفاء للمدينة فى سنة ١٩٤٥ .

* * *

وهـذه وقائع حديثة مماثلة أثبتها طبيب ألمانى للأمراض النفسية يعمل فى معهد « علم النفس غير المألوف » (١) بمدينة ميونيخ Munich فى تقرير رسمى له ، وهـو يدعى ثوروالد ديتهلفسـون Thorwald Dethelfson .

ويقول فى تقريره انه قـد نوَّم طالباً يدعى تيزنجر Teisinger تنويماً مغناطيسياً بقصد العلاج ، وانه ارجـع ذاكرته للوراء عندما كان عمره عامين فقط ، ثم عام واحد ، ثم الى تاريخ ولادته ، ثم الى ما قبل الولادة . وعندما حدد له عام ١٨٧٠ قال الطالب فجأة « أنا فى زنزانة » فى ويسيمبورج Wissembourg بفرنسا .

وأعطى اسـم الشـارع الذى يقيم فيـه وهـو شـارع كونتابل Connetable ، وقرر انه مسجون بسبب الحـرب مع البروسيين . وفى النهاية يقول الطبيب « وجدت نفسى أتبادل الحديث مع شاب فرنسى يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً ، يتحدث لغتين ، ويعيش خلال الحرب الفرنسية البروسية . وقال أن اسمه جويلافارجو Guilafargo وانه عاش من سنة ١٨٥٢ الى سنة ١٨٨٠ ، وتوفى بغتة عندما كان فى السابع والعشرين ، أو الثامن والعشرين من عمره بسبب حادثة لم يشرحها » .

ويقول أيضاً أن هذا الطالب — وهو فى يقظته لا يذكر أى شىء عن الأقوال التى تصـدر منه وهـو فى غيبوبته المغناطيسية (٢) . وتحـوى اختبارات العديد من العلماء المدققين المئات من الحالات المماثلة .

متابعة لنفس الاختبارات

ومن التجارب التى أجـريت منذ وقت قريب تلك التى قام بهـا الدكتور لاند الأستاذ فى جامعـة ابسالا Upsala وقد اكتسبت هـذه

---

(١) The Institute of Extraordinary Psychology.

(٢) عن جريدة « سايكك نيوز » العدد الألف الاشارة اليه ص ٨ .

التجارب أهميتها من أن ذلك العالم السويدى جعل هذا الجانب من موضوع العودة للتجسد فى المتناول ووضعه فى مقدمة الموضوعات الهامة .

وعلى سبيل المثال سجل الدكتور لاند بحضور عدد من الشهود حالة سيدة فى الأربعين من عمرها بعد أن نومها مغناطيسياً ، وأرجعها تحت هذا التأثير الى طفولتها المبكرة فتصرفت السيدة كطفلة صغيرة جداً تسلك سلوكاً حسناً .

بعد ذلك راح الدكتور يستدرج الطفلة الى ما قبل مولدها فتأتأت وفأفأت ، ثم أخذت وضعها كجنين . واستمر الدكتور فى تجربته عائدا بها القهقرى حتى سألها : « أين كنتِ قبل مولدك بخمس سنوات ؟ » . وهنا تغيّر صوت السيدة فجأة ، وباتت نبراته خشنة وقالت :

الجو شديد الحرارة هنا .

س : ما اسمك ؟

ج : ايج كاريستروم .

س : ما هى مهنتك ؟

ج : فلاح من مجولبى .

س : هل لك أولاد ؟

ج : لى ثلاثة أولاد (وذكرت أسماءهم) .

وقد اتضح من نتيجة التحقيق أن مزارعاً بهذا الاسم كان يعيش فى مجولبى وتوفى قبل مولد هذه السيدة بأربعة أشهر تاركاً وراءه الأطفال الثلاثة الذين ذكرت أسماءهم فى أثناء الغيبوبة المغناطيسية » (١) .

ويلاحظ هنا أن هذه السيدة لم تفصح عن ماضيها فى تجسدها السابق الا عندما أرجع المنوّم ذاكرتها الى ما قبل مولدها بخمس سنوات ، فذكرت عندئذ اسمها القديم وبعض ظروف حياتها التى لا تزال عالقة بعقلها الباطن . وهذا الاعتبار يلتئم تماماً مع القول بأنها كانت تسرد تجسداً حقيقيا مر بها من قبل ، فلم تكن الحالة حالة تقمص أو استحواذ خارجى لأن هذا الفرض الأخير يحدث بمجرد الوقوع فى الغيبوبة الوساطية أو المغناطيسية ، ولا يحتاج لارجاع الذاكرة تدريجياً الى الوراء ، كما حدث فى كل الحالات المماثلة التى من نفس الفصيلة (فصيلة العودة للتجسد ، لا فصيلة الهيمنة أو الاستحواذ) .

---

(١) عن مجلة « الحوادث » اللبنانية عدد ٢٥ أبريل سنة ١٩٧٥ (رقم ٩٦٣ سنة ١٩) ص ٤٩ .

حالة هيلين سميث

ومن أكثر الحالات غرابة تلك التى لوحظت على فتـاة تدعى هيلين سميث . وقـد تولى دراستها ت. فلورنوى F Fleurnoy أستاذ علم النفس بجامعة جنيف ، والمشهور بعدائه لمبدأ واقعية الظواهر غـير المـألوفة ، لأنه كان ينسب كل شىء الى أحلام اليقظة ، وتناقل الأفكار (التلباثى) ومع ذلك اضطر البروفسور الى أن يعترف بأن بعض هذه الظواهر يجعله يشد شعره من الحيرة والعجز عن التفسير .

وهيلين سميث كانت تدعى فى الحقيقة كاترين اليز موللر وهى من مواليد مارتينى بمنطقـة فاليه بسويسرا فى ٩ ديسمبر سـنة ١٨٦١ ، وتوفيت فى جنيف فى ١٠ يونيه سنة ١٩٢٩ وكتب فلورنوى عنها قائلا : ـ

« هذه الوسيطة التى أدعوها هيلين سميث كانت طويلة القـامة ، جميلة ، فى حوالى الثلاثين من عمرها ، شعرها أسـود تقريباً ، وكذلك عيناها . وجهها صبوح وذكى ، ونظراتها عميقة توحى بالثقة ، وصحتها كانت جيدة وتفكيرها سليما .

وكانت فى أثناء طفولتها تتراءى لها فى أحلامها مناطق ذات طابع شرقى جميل وفخم . وحدث فى سنة ١٨٩٢ أثناء جلسة روحية أن اكتشفت موهبتها الوساطية ، فطوّرتها بسرعة .

وفى التجـربة الأولى اقتصرت على تحـريك مائدة ، وعلى رؤى قصيرة . . . وفى حوالى سنة ١٨٩٥ تمكنت هيلين من وساطتها وتوصلت الى مشـاهدة رؤى واضـحة وضـوحاً مدهشا . وأحياناً كانت ترى « سيمانوينى » الأميرة العربية التى كانت زوجـة مفضلة للأمير الهندى « سيفرو كاناياكا » التى حكمت منطقة « كانارا » وشيدت فى سنة ١٤٠١ قلعة « تشاندرا جيرى » .

والمدهش فى موضوعها هو اتجاه الدراسة التى قام بها فلورنوى الى أنها كانت متقمصة روح الأميرة سيمانوينى ، فكثيراً ما كانت وهى فى حالة حلم اليقظـة تتناقش مـع الفقير « كانجا » ومع خدمهـا « موجيـا » و « ميوزيا » و « كانجيا » أو « كانا » . وقد استعادت ذات مرة سورة موتها محترقة .

وفى احـدى الجلسـات عاملت البروفسـور فلورنوى كما لو كان متقمصا روح « سيفروكا » (احـد معاصريها السابقين) فحيته باللغـة السنسكريتية بعبارة كانت شـائعة عندهم وقتذاك وهى « احييك باسم جانا باتى » . وجانا باتى هو بحسب الأساطير اله هندى له رأس فيل !

وفى مرة أخرى غنَّت هيلين بالسنسكريتية، وأمكن تسجيل نوتة للحن الأغنية ، الأمر الذى أوقع البروفسور فى حيرة ، فقال لعلها قرأت يوماً ما قواعد اللغة السنسكريتية دون أن يعلق شىء منها فى عقلها الواعى ! » .

وقد ازدادت حيرة فلورنوى عندما اتصل بالاخصائيين فى الدراسات الهندية حتى اكتشف كتاباً نشر فى سنة ١٨٣٨ وعثر فيه على المقطع التالى « كانارا هى المقاطعات المجاورة لمدينة دلهى ، ويمكن اعتبارها مثل جورجيا الهندستانية ، وكانت هذه المقاطعات مشهورة بنسائها الجميلات المحجبات عن الأجانب » . أما « تشاندراجيرى » التى تعنى « جبل القمر » فهى قلعة بناها الراجا سيفروكا ناياكا فى سنة ١٤٠١ .

ونظراً لأن فلورنوى ظل متمسكاً بآرائه فقد اكتفى بالقول بأن الوسيطة ربما تكون قد عرفت بأمر هذا الكتاب ثم نسيته ، الا انه ما لبث أن أقر بأن هذا الافتراض فى غير محله لانه لم يكن فى جنيف سوى نسختين فقط منه احداهما فى « جمعية القراء » وهى جمعية خاصة ، والثانية فى « المكتبة العامة » التى لم تطأها قدما هيلين .

ومن جهة أخرى أقر فلورنوى بدافع من ضميره انه حتى لو كانت الوسيطة قد قرأت تلك الفقرة من الكتاب لتذكرتها حرفيا ، وهو ما لم يحدث ، ومع ذلك أضاف قائلا : « رغم كل شىء أفضل الأخذ بنظرية الامكانات الطبيعية على الملكات الروحية » (١) .

وفى الواقع يبدو أن جميع هذه الوقائع لا تمت بصلة واضحة الى طائفة ظواهر « رؤى من قبل » أو « سُمع من قبل » ، كما لا تمت أيضا الى طائفة ظواهر ارجاع الذاكرة الى الوراء فى غيبوبة التنويم المغناطيسى لانه — فيما يبدو — لم تحدث أية محاولة هنا لارجاع ذاكرة هيلين سميث الى ما قبل حياتها الراهنة ، كما حدث فى الحالات المماثلة التى سبق سردها . بل هى أقرب فى رأينا الى ان تكون من ظواهر « الجلاء البصرى » و « الجلاء السمعى » مجتمعة معاً ، وهى كثيرا ما تتلازم معاً عند وسطاء عديدين ، وقد تكون مصحوبة بغيبوبة روحية وقد لا تكون .

وبالتالى فان هذه الحالة بالذات ، وبالوضع الذى وردت به فى المصدر الذى اطلعنا عليه ، لا تشير الى موضوع العودة للتجسد ، ولا هى مرتبطة به اثباتاً ولا نفياً ، ومع ذلك فقد أوردناها هنا لمجرد تنبيه القارىء الى ضرورة التمييز بين كل طائفة من الظواهر الروحية والأخرى وعدم الخلط بينها ، وذلك لامكان الخروج منها بدلالاتها المنطقية السليمة .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٥٠ .

وشأن ظاهرتى الجلاء البصرى والسمعى فى هذا النطاق هو شأن ظاهرة الهيمنة الروحية المصحوبة بالغيبوبة ، فانها بذاتها ظاهرة محايدة لا يؤدى ثبوت صحتها الى ثبوت العودة للتجسد ولا الى نفيها .

ماذا يقول كولن ويلسون ؟

وفى شأن نتائج أمثال هذه الاختبارات يقول البحاثة الروحى كولن ويلسون Colin Wilson فى كتابه القيم عن « الغيب » (١٩٧٢) (١)



كولن ويلسون

« من المؤكد أن هذه الأرواح تحل فى أجساد أشخاص عديدين ، أو تعود الى الحياة فى اجساد اخرى ... ولكن من النادر أن تحتفظ هذه الأرواح بقوة ذاكرتها ... ومن الملاحظ أن الأرواح التى تحتفظ بذاكرتها تكون فى المعتاد قد ماتت فى ظروف عنيفة .

والذين يعملون فى التنويم المغناطيسى يقابلون أحيانا البعض من هذه الأحداث . فقد يحدث أن يطلب القائم بالتنويم الى الشخص المنوّم أن يعود الى طفولته ، وأن يروى بعض ذكرياته ، فاذا بهذا المنوّم يروى أحداثا ترجع الى قرون مضت ، تبدو مستقلة عن ماضيه كل الاستقلال » .

ويؤكد المؤلف أن بداخل الانسان قوى خفية لا يدركها واضحة الآن ... وانها تؤدى الى حدوث ظواهر روحية متنوعة ، وانها على اتصال بقوى أخرى ، وبأرواح غير منظورة . وكثيراً ما تكون هذه فى حالة تشبه الحمى ، أو الهلوسة ، او فى حالة من العجز عن التمييز بين الواقع والخيال .

ولكن حدث فى حالات اخرى أن كشفت هذه الأرواح عن وضوح ملحوظ فى الذاكرة ، وامكنها اعطاء بيانات دقيقة محددة ، وارشدت عن معالم ، وأحداث ، وذكريات معينة أمكن تحقيقها بوسائل التحقيق العادية كما سبق أن قلت .

وهكذا يبدو أن التفاوت بين الأرواح فى قوة الذاكرة ضخم ، كما هو ضخم الى ابعد مدى فى المواهب والملكات العقلية والخلقية . كما

---

(١) The Occult p. 523

يتضح بجلاء صحة ما تبت تماماً من انتفاء الارتباط المحتوم بين العقل والمخ ، وبالتالى امكان استقلال الذاكرة الانسانية عن جهاز التـذكر فى حالات نادرة ، ولكن لها دلالتها البالغة فى التعرف على الطبيعة الروحية للانسان (١) .

وفى سنة ١٩٧٤ أصـدر ويلسـون كتاباً جديداً عن « الطاقات الغريبة » (٢) عالج فيه بعض الظواهر الوساطية التى صادفها منـذ بدأت اهتماماته الروحية فى سـنة ١٩٥١ وكان لا يزال فى العشرين من عمـره . ويقول انه اتبع فى دراستها المبدأ الهـام الذى نادى به توماس هكسلى T. Huxley والذى يتطلب منا أن نجلس أمام الحقائق كأطفال صـغار حتى نتعلم منها ، ثم ندع هذه الحقائق تقود تفكيرنا حيثما تشـاء .

وهو يرى أن اتباع هذا الأسلوب قد يقود الانسان الى انفعال من التصوف المتفتح المسالك ، والى عالم مليء بالوقائع الغريبة التى تنتظر من يستوعبها ، ويتمثلها فى مملكة المعرفة الانسانية . كما يرى أن العلم يقوم بصفة أساسية على ملاحظة الوقائع التى تتكرر ، سـواء أكانت هذه الوقائع عبارة عن شروق الشمس فى فجر كل يوم ، أم دورة مجرة من المجرات كل مائة وخمسين عاماً .

كما يرى أن الطاقات الروحية تمثل مستوى جديداً من الطاقات الغريبة المتحررة التى تطلق العنان للحاسـة السادسة ، أو « للرادار الروحى » بحسب وصفه . وبمقدار ما يعنى الانسان بتنميتها فانه تنمو أيضا لديه حاسة الجـلاء البصرى أو « النظر الثانى » Second sight ، كما تنمو لديه ملكة التلباثى (أى التخاطر) ، والتخمين الصحيح ، والطرح الكوكبى (أى الخروج من الجسد) . وهذه الملكات تمثل عنده نتائج طبيعية لتمتع أصحابها بالصحة النفسية . وقد تعرض هذا الكتاب أيضا لاختبارات الدكتور آرثر جيردهام Arthur Guirdham وهو من المقتنعين بالعودة للتجسد .

---

(١) راجع ما ورد فى الجزء الثانى من « المفصل » ص ٩١ — ١٠٧ .

(٢) Strange Powers.

المطلب الثالث

عن التعليـــل العلمى
لظواهر ارجاع الذاكرة

من الطبيعى أن يثار التساؤل حول تعليل هذه الحالات . وثمـة اجماع على أن هذه الظواهر التى تحـــدث أحياناً فى غيبـــوبة التنويم المغناطيسى صحيحة لا شك فيها ، بالنظـــر الى تكرار حدوثها فى بيئات كثيرة ، والى الروابط التى بينها ، والى السمعة النقية التى لاغبار عليها لمن قاموا باثباتها ، ولانتفاء كل مصلحة لهم فى الاثبـــات أو فى النفى ، لانهم جميعهم ليسوا من أرباب عقيدة العودة للتجسد ، ولا يعنيهم فى كثير أو فى قليل ان تكون هذه العقيدة صحيحة أو زائفة .

فمحور النقاش هو فى الواقع الوصول الى تعليل صحيح حاســـم لهـــذه الظواهر . ولو حدثت هذه الظواهر فى بيئات تؤمن بالعـــودة للتجسد كعقيدة شائعة راسخة فى الأذهان كما فى الهند أو اليابان مثلا ، لكان التعليل بالعـــودة للتجسد أوضـــح من أن يحتاج الى المزيد من البرهان ، أو لأن يثير أى قدر من النقاش .

ولكن فى بيئات لا تزال تنكر فى جملتها صحة هـــذه العقيدة من الناحية العلمية ، بل كانت تنكر حتى احتمال دوام الحياة بعد الموت ، كما كانت الحال فى البيئات العلمية فى الغرب كان من الطبيعى أن يثـــير تعليـــل هذه الظواهر نقاشاً طويلا ، وأن يحتمل فى نظر الباحثين العلميين أكثر من افتراض .

وأول افتراض أثير للتعليـــل كان القـــول بأن الشخص المنـــوّم يتلقى جميع المعلومات التى يدلى بهـــا عن طريق الايحاء Suggestion من المنوّم شخصيا . ولكن هذا الافتراض سرعان ما ينهار اذا ما ادركنا أن هذه المعلومات نفسها غالبا ما تكون غريبة حتى عن عقل المنـــوّم الذى لا يعـــرف عنها شيئا بالمرة . والتى قد يفاجأ بهـــا كما قد يفاجأ بها أى شخص من الحاضرين . وقد يبذل المنـــوّم جهدا طويلا بعد الحصـــول عليها للتثبت من صحتها كما سبق أن رأينا ... فكيف يقال ان عقـــل المنوّم كان هو المستودع الوحيد لهذه المعلومات التى قد تكون بعيـــدة كل البعد عن ثقافتـــه مهما كان نوعها ، وعن نواحى اطـــلاعه ؟ ! ومن الغريب أن هذا الافتراض غير العلمى وغير المطابق للوقائع الثابتة لا يزال يثار بمعرفة بعض المعترضين لدحض هـــذه التجارب ولنفى دلالتهـــا الواضحة .

وبعد أن أخـذ يتزايد الاقتناع بدوام الحياة بعـد الموت وبامكان حصول استحواذ أو هيمنة روحية على عقل وسيط التنويم المغناطيسى أخذ يبرز تدريجياً افتراض آخر جديد لنفى احتمال العودة للتجسد : وهو أن وسيط التنـويم المغناطيسى قد يستمد المعـلومات الصـحيحة الغزيرة التى قد يقدمها من عقول كائنات سابحة فى الأثير تتابع الواحد بعد الآخر فى الاستحواذ على وعيه ، لامداده بهذه المعلومات الغريبة من ذكريات محددة عن تجسدات سابقة فى هذا العـالم الأرضى .

وهذا الافتراض الثـانى سرعان ما ينهار بدوره اذا ما لاحظنا أن تتابع عقول الكائنات السابحة فى الأثير فى الاستحواذ على وعى الوسيط من المحال أن يتكرر الواحد بعد الآخر دائمـاً بنفس الترتيب الزمنى ، كلمـا أعيدت التجارب ولو لعشرات من المرات وعلى مدى سنين عديدة كما حـدث فى بحوث دى روشا ، وديرفيـل ، واندريه ديبيل ، وبيير نوفيل ، وموری برنشتين ، والكساندر كانون ، ... وغيرهم فى أنحـاء كثيرة من العـالم . فان الواحد منهم كان أحيانا يوقـع نفس الوسيط أو الوسيطة خمسـين مرة أو أكثر فتتتابع المعـلومات والوقائع بنفس الترتيب السابق سرده تماماً . ولا يتلقى وسيط التنويم من المنـوِّم أكثر من الايحاء بارجاع الذاكرة للوراء ، أما نفس المعـلومات والوقائع موضوع هذه الذاكرة فهو لا يعلم عنها شيئاً بالطبع بما فى ذلك التواريخ العامة والخاصة ، وأسماء الشعوب والأشخاص ، والأمكنة ، والمدن ، والشوارع والأنهار ، والجبال ، والتقاليد ، والعادات ، والمعتقدات ، والأجهزة المستخدمة ، والمعالم الحضارية ...

ثم ان أى افتراض — حتى يكون مقبولا علمياً — ينبغى أن يلتئم مع سائر الظواهر الأخرى المشابهة ، والا ينبغى رفضه كافتراض صحيح . والمطلوب هنا هو الوصـول الى تعليـل شامل يلتئم مع ظواهر ارجاع الذاكرة فى غيبوبة التنويم المغناطيسى بقدر التئامه مع الظواهر الأخرى المشابهة التى منها ظواهر « رؤى من قبـل » ، و « سمع من قبـل » عندما تحدث وصاحبها فى تمام يقظته ، ولنـا اليهـا عودة فيما بعد ، ناهيك بظواهر أخرى حققها باحثون ثقـات حـدثت فى غرف الجلسات الروحية ، ناهيك بحقائق العلم وكشـوفه الأخرى عن التطـور ، وعن العقـل ، وعن الشعور واللاشعور ... على ما سـيرد بيانه تباعاً فيما بعد . ولا يوجد حتى الآن تعليـل يصلح لمواجهة كل هـذه الأمور مجتمعة يضاهى فى قوته التعليل البسيط الواضح بالعودة المحتملة للتجسد .

ثم يتبقى بعدئذ الافتراض الأخير الذى قد يثار ، وهو أن التنويم المغناطيسى يجعل المنوِّم على صلة بالعقل الباطن للوسيط وبالتالى يتمكن

من اكتشاف محتوياته ، فكل المعلومات التى قد يدلى بها هذا الوسيط مستمدة من عقله الباطن الذى لا يزال لغزا مغلقا على علم النفس .

واذا سلمنا بذلك كان من حقنا أن نقول ان هذا الافتراض الأخير لا ينفى نظـرية احتمال العودة للتجسـد ، ولا يتعارض معها ، ولذا استبقيناه حتى الآن ، لأنه يمثـل فى الواقع التحليـل الصـحيح بعد الوصول الى التعليل الذى أسلفناه ، فان العقـل الباطن أو اللاشـعور هو المستودع الوحيد لاختبارات المـاضى السحيق برمتها ، سواء أكانت هذه الاختبارات لا تزال تقبع فى هذا العقل كذكريات محددة واضـحة يمكن اسـترجاعها بتنويم أو بغـير تنويم ، أم كانت قد انمحت بمرور الأيام فلم يبق منها غير درجة التطور التى وصلت اليها الذات .

وكل هذا سنعالجه فيما بعد تفصيلا فى الفصـل الثالث ، وانمـا يكفى أن نبادر من الآن الى القول بأن من البديهات التى يقـوم عليها علم النفس التقليدى أن كل ما ينزلق الى العقل الباطن من معلومات ينزلق اليه عن طريق المرور بالعقل الواعى أولا . فاذا كانت الحيـاة الراهنـة للمنوَّم مغناطيسيا تعجز — منذ الولادة حتى لحظة التنويم — عن اعطاء تعليل مقبول عن انزلاق هـذه المعـلومات الى عقله الباطن فلا بد اذاً من البحث عن مصدر آخر لتعليل وصول هذه المعلومات اليه .

وهـذا المصدر يكون اذاً هو التجسدات السابقة التى كان عقـل الوسيط فيها — غير الواعى الآن — واعياً لمـا يدور حوله من اختبارات وأحـداث حلوة ومرة . وفى الأثير يحدث اندماج بين العقلين كمـا قلت أكثر من مرة . وعند العودة للتجسـد يتجسد جانب أو شطر محـدود فحسب من وعى الانسان فيصبح هـذا الجانب وحده واعياً وما عداه غير واع ، وهكذا الى أن تتكامل الشخصية عن طريق التجسدات المتكررة، ببطء شديد وبعد أحقاب بعيدة (١) .

المبحث الثانى

عن ظاهرتى « رؤى من قبل » و « سُمع من قبل »

ثمة حالات نادرة عن عودة الذاكرة الواعية تلقائياً الى صاحبها عن أحـداث لا تمت بأية صلة الى حياته الحاضرة ، فيروى امورا لا يعرف

---

(١) للمزيد راجع ما ورد فى الجزء الثانى من « مفصل الانسـان روح لا جسـد » ص ٢٩٤ — ٢٩٦ على لسان الدكتور جوستاف جيلى مدير « المعهـد الدولى لمـا وراء الروح » بباريس .

احـد مصـادرها فى تسلسل عمليـات عقله الواعى ويطلق عليها ظاهرة « رؤى من قبـل » (Seen before بالانكليزية أو déjà vù بالفرنسية) .

او قـد يروى أموراً لم يسمع عنها من قبل فى حياته الحاضرة ، ولا تمت بأية صلة الى هـذه الحياة ولكن قد يثبت فيمـا بعد صحتها بسـبل التحقيق المـادية ، ويطلق عليهـا ظاهرة « سُمع من قبـل » heard before بالانكليزية أو déjà entendu بالفرنسية) .

وثمة حالات أخـرى قد يثبت بسبل التحقيق المـادية انها غـير صحيحة وبالتالى تنتمى الى تخيل موهوم للرؤى أو للسماع من قبـل ويطلق عليها عندئذ ظاهرة « ما وراء النسيان » Paramnesie ، بمعنى أن هـذه الأحداث لابد أن تكون قد مرت بصاحبها من قبـل فى حياته الحاضرة ، ثم ظلت قابعـة فى العقـل الباطن الى أن طفت من جديد الى العقل الواعى ، وذلك بتأثير الوجود فى مكان أو فى ظروف معينة .

وهـذه الظواهر النادرة أصبحت موضـع اهتمام بالغ من الأبحاث الحـديثة فى الباراسيكولوجى التى تحـاول استكشـاف أغـوار الذات الانسانية بمـا فى ذلك اغوار العقلين الواعى والباطن ، سواء أفى غيبوبة التنويم المغناطيسى على النحـو الذى تعرضنا له فى المبحث السابق ، أم خارج الغيبوبة ، وهذا هو موضوع المبحث الحالى . والأمر الهـام ليس فحسب هو تسجيل هـذه الظواهر بدقة ، وعناية ، ومثابرة ، بل ايضاً تحليل هـذه الظواهر تحليلاً علمياً صحيحاً ، للخـروج منها بدلالاتهـا المحتومة .

* * *

وهذه الظواهر ليست حديثة ، بل هى قديمة قدم الانسان ، ولكن كان علم النفس القديم لا يعطيها ما تستحقه من عناية ، أو ينكر حدوثها بتاتاً . واذا سلم بحدوثها فذريعة العقل الباطن أمامه يستند اليها بالحق أو الباطل . واذا لم تسعفه الملكات المسلّم بها للعقل الباطن ، اذاً فليسبغ على هذا العقل الباطن ملكات متجددة شاذة لا حدود لها ، ولا يسلم بها نفس مفهوم العقل الباطن كما وصلوا اليه ، كما لا يسلم بهـا أى بحث موضوعى محايد عن موضع الانسان الحقيقى فى الأرض ، وعن تحـديد صلته بنواميس الكون المـادية أو الروحية .

ولكن كيف تتوقع بحثاً موضوعياً محايداً من علم كان قـد ارتبط ارتباطاً تاماً منـذ قرنين كاملين بالفلسفة المـادية عن الوجـود ، فجعل الفترة القصيرة الأليمة التى يقضيها الانسان على الأرض هى مبدأ حياته

ونهايتهـا ولا شيء غير ذلك ؟ وباصرار عجيب وعنـاد لا يقبل جدلاً ولا نقاشاً ؟

ولذا فاذا فرضنا ان طفلاً من الاطفال اخذ فى الحديث عن أحداث محددة يرويها على انها حدثت له فعلاً ، وقد يختلط عليه الحاضر بالماضى ، فيأخذ مثلا فى البحث عن أم غير امه ، وعن أب غير ابيه ، وينادى على أسماء ذويه ، ويعيّن معالم محددة لمدن ، وطرقات ، وازياء ، وأطعمة ، وعادات ، وطقـوس ، وآراء ، واهوال غريبـة كل الغرابة عن حيـاته الحاضرة ، فان التعليل الواضـح عند علم النفس القديم هـو ان العقل الباطن عند هذا الطفل يدور فى دوامة نشاط غير عادية ، فلا ينبغى ان نقلق له أو أن نتصور فى الأمر شيئاً هاماً ، او انه قد يخفى دلالات لها مغزاها عند من يبغون الوصول الى الحقائق .

ولكن من أين يستمد العقل الباطن هذه المعلومات ؟ وما هو المنبع الغريب المتدفق الذى ينبع منه مثل هذا العقل الباطن الذى يغلى وهو فى يقظة صاحبه بنشاط غير مألوف ؟ هذه هى المشكلة ، أو فى الواقع هذه هى عقدة العقد اذا ما سلمنا بصحة امثال هذه الظواهر وبصحة وقوعها فى أماكن عديدة ، ومناسبات لا حصر لها . وفيمـا يلى نعالج فى مطلب أول طائفة من الوقائع والتحقيقات الموثوق فى قيمتهـا ، وفى مطلب ثان نعالج موضوع التعليل العلمى لهذه الظواهر .

المطلب الأول

طائفـة من الوقائع والتحقيقات

ماذا يقول لامارتين ؟

الوقائع التى من هـذا القبيل كثيرة واكثر مما نتصـور ، وبعض رواتها كانوا من كبار العلماء أو الشعراء ، أو رجال الفكر الذين لا يهزلون ولا يتسرعون . ومن هؤلاء مثـلاً الشـاعر الفرنسى الكبير الفونس دى لامارتين A. de Lamartine الذى يقول فى كتاب له عنوانه « رحلة الى الشرق » (١) عن سياحة قام بها الى فلسطين : « لم يكن عندى انجيل ، ولا دليل سياحى ، ولا مرشد ، ومع ذلك لقد تعرفت تلقائياً على مواقع كثيرة ، منها الأرض التى حارب فيها شاؤول .

وعندما كنا فى الدير ، أيّد لى الآباء صحة أحاسيسى ، ولم يصدّق

---

(١) Voyage en Orient.

ذلك مرافقيَّ . وفى مكان ما اشرت الى تل من التـلال وعينت اسـمه ، وكان عليه انقاض مبنى قلت انه من المحتمل ان يكون محل ميلاد السيدة العذراء . وفى اليوم التالى تعرفت على قبور المكابيين ، واشرت اليها بغير أن يرشدنى احد .

وفيما عـدا لبنان فاننى تقريباً لم أقابل فى ارض اليهودية مكاناً او شيئاً لم يحـرك فىَّ تذكاراً ما . فهل نحن عشنا اذاً مرتين ام الف مرة ؟ وهل ذاكرتنا ليست سوى صورة باهتة تحييها نسمة الاله ؟ » .

ويتعـذر تعليل ذلك باطلاع لامارتين على الانجيل ، لأن الانجيل لا يعطى اية بيانات محددة عن هذه المعالم ، أو المناظر ، او البقاع ، التى كانت مسرحاً للأحداث التاريخية . كما يتعذر تعليلها بنوع من الجـلاء البصرى الذى يحدث فى الغيبوبة ، أو فى اليقظة النومية الحركية ، لأن لامارتين لم يكن فى حالة من هذه الحالات . كما يتعذر تعليلها بارشاد روحى لأن للارشـاد الروحى دلائل وعلامات معينة . ثم لمـاذا تعرف لامارتين على معـالم موجودة فى بقاع معينة ولم يتعرف على معـالم غيرها كتلك الموجودة فى لبنان كما قال ... فهل عاش لامارتين هناك فى فلسطين فى حياة سابقة ؟ !

طائفة اخرى من « ذكريات » بعض الأعلام

وفى جريدة اسمها « الصحافة » La Presse نشر احد الكتاب الفرنسيين — بتـاريخ ٢٠ سبتمبر ١٨٦٨ ويدعى بونصـون دى تيراى Ponson de Terrail — وكان مناهضـاً للروحية — انه يذكر انه عاش فى انجلترا تحت حكم هنرى الثالث وهنرى الرابع ، وأن الملك العظيم بحسب ذاكرته لم يكن يشبه فى شىء ذلك الذى كان يتحدث عنه والده .

ويقول ان تيوفيل جوتييه Théophile Gautier والكسندر ديماس Aléxander Dumas أكدا فى مناسبات عديدة اعتقادهما بأنهما قد مرا بحيوات سابقة استناداً الى ذكريات شخصية باقية لديهما منها .

* * *

كما يقول كاتب آخر فى « الجريدة الأدبية » journal Litttéraire الصادرة بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٦٤ فى مقالة عن تاريخ حياة الكاتب ميرى Méry انه كان يعتقد اعتقاداً جازماً انه سبق له أن عاش عـدة مرات . وأنه يذكر بعض الظروف الصغيرة المتعلقة بتلك الحيوات ، ومنها انه اشترك فى حرب أهل الغال وحارب فى المـانيا تحت امرة جرمانيكوس

Germanicus . وانه تعرف على عدة مواقع سبق أن عسكر فيها ، وعلى بعض وديان حارب فيهـا وكان اسـمه عند ذاك يدعى مينيوس « Minius » .

وهنا واقعة هامة قد تبين أن هذه الذكريات ليست مجرد انعكاسات قادمة من الخيال : وهذه الواقعة هى أنه فى يوم من أيام حياته الراهنة كان فى روما يزور مكتبة الفاتيكان وهناك قابله بعض السيدات والرهبان الذين تحدثوا معه بلغة لاتينية فصحى ...

وعندئذ بدا له أن غشـاوة ما قـد انقشعت من على عينيه ، فانه ـ رغم أنه كان يعرف اللاتينية لكنه لم يتحدث بها مطلقاً ـ وتذكر عندئذ أنه سبق له فيما مضى أن تحدث باللغة اللاتينية مع أصدقائه القدامى الذين كانوا يتحدثون بها ، فأخـذت الجمـل تتدفق من بين شفتيه باللاتينية وبمقدرة غريبة ، وعثر فجأة على أناقة العبارة وصحتها ، وتحـدث بهـا بطلاقة كما لو كان يتحدث بالفرنسية . وكل ذلك كان من المحال أن يحدث الا نتيجة تعليم ومران ، وأنه ما لم يكن قد مر بهذه اللغة فيما مضى فانه كان من المحال عليه أن يحصل بغتة على قدرة كهذه .

ويقول صاحب المقال ان الحديث هنا لم يكن عبارة عن نطق بضع كلمات بلغـة أجنبية كما يحـدث أحياناً فى بعض حالات اليقظة النومية الحركية ، أو فى حالات الحمى الشديدة ، حيث يتفـوه أحياناً الانسـان ببضـع كلمات ، أو يروى بعض مشاهد تكون قـد مرت فعلاً فى حياته الراهنة ثم نسيها . كلا بل لقـد كان الأمر متعلقاً بحوار أجراه شخص متيقظ فى طلاقة بلغـة لم يستخدمها من قبل فى الحديث ، وبلا تردد ، أو تعثر ، وباستخدام كامل لمواهبه الدفينة .

وهذا يعنى بحسب الظاهر ، بالنسبة للنطق ، وللتعبير عن الآراء استخدام قـدرة ظلت خامدة لأمد طويل ، لكنهـا استيقظت فى الوقت المناسب ، وبتأثير دَفعـة من جهوده الخاصـة . ولا يمكن لانسان أن يستحوذ بغتة على قدرة الحديث فى طلاقة بلغة ما حتى ولو كان يعرفه كلماتها ، وقواعدها النحوية .

ثم يتبقى الجانب الاخطر وهو التعبير عن الآراء فان ذلك يتوقفه على حسن استخدام عضلات الحنجرة ، وعلى الجهاز العصبى ، ولايمكن تحقيقه الا بالمران . فاذا أضيف الى البعث المباغت الذى حدث فى اللغة ،

الذكريات المحددة التى تحركت لديه عن الأماكن التى كان فيما مضى يسكنها ويرتادها . فانه تتوافر قرائن قوية جداً لتقبل الحيوات المتعددة بوصفها تمثل اكثر التفسيرات قبولاً من الناحية المنطقية .

* * *

ويروى الجنرال الأمريكى جورج باتون George Button (١٨٨٥ — ١٩٤٥) عن نفسه انه كان وسيطاً للجلاء البصرى . ويقول انه واجه موقفاً حرجاً فى الحرب العالمية الأولى عندما كان يقود جيشه فى فرنسا ثم شاهد أرواح بعض اقاربه المنتقلين ، فكان أن جاءه الالهام بالمبادرة الى الهجوم الفورى ، فنهض وقام بهجمة مباغتة حققت النصر لجيشه ، واصيب فيها بجراح بليغة شفى منها فيما بعد .

كما يقول انه شاهد روح والده مراراً عديدة ، وانه ظهر له بعد وفاته فى سنة ١٩٢٦ بسنة واحدة ، وانبئه بانه سيشترك فى أكبر حرب فى التاريخ ، وقد تحققت النبوءة باشتراكه فى الحرب العالمية الثانية .

وكان الجنرال باتون يعتقد ايضاً فى صحة العودة للتجسد ، ويقول انه فى تجسد سابق له اشترك فى حروب طروادة ، ثم فى فرقة قيصر العاشرة ، ثم فى الحروب الصليبية .

وهو فى ذلك يشبه نابليون بونابرت الذى كان يعتقد انه هو نفسه الاسكندر الأكبر ، وقد عاد للتجسد من جديد . وكان نابليون يؤكد ذلك لبعض خلصائه الذين كانوا يحملون أقواله على محمل الدعابة لا الجد .

وبطبيعة الحال يتعذر اقامة الأدلة على صحة هذه الأقوال ، التى لا قيمة لها البتة فى مقام الدراسات العلمية ، وانما أوردناها هنا لبيان كيف أن عدداً من الشخصيات البارزة لم تجد غضاضة فى الحديث عن تجسدات سابقة لها ، تقول ان آثارها لا تزال عالقة بذاكرتها .

ولعل هذه الظاهرة تفسر أيضاً لماذا أن العدد الأكبر من كبار الوسطاء الروحيين يميل الى القول بصحة هذا الاعتقاد نقلاً عن بعض الأرواح المراسلة أو المرشدة ، ولنا فى مكان لاحق وقفة كافية عند هذا الموضوع ، وانما ينبغى الآن ان نسرد أولاً بعض الوقائع التى تأيدت بتحقيقات متعددة فى بيئات وظروف متنوعة ، عن ظاهرتى « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » .

بعض الوقائع التى تأيدت بتحقيقات

وفيما يلى نقدم بعض نماذج من هذه الوقائع الفريدة التى تأيدت بتحقيقات مأخوذة من كتاب قيم لمؤلف يدعى جوفرى هدسون عنوانه « العودة الى الحياة وهل هى حقيقة أم خرافة » (١) ، وذلك عن الترجمة العربية (١٩٥٧) لصديقنا الأستاذ زكى عوض المحامى بالنقض . وفيه يقدم المؤلف عدة حالات محوطة بضمانات كافية ، ويقول فى تقديمها :

حالة صبية هندية

ولقد سجلت حالات عديدة عن تذكر الحوادث السابقة وكانت دلهى عاصمة الهند مسرحاً لاحداها ، حيث أفلحت صبية هندية فى الثامنة والنصف من عمرها فى اقتفاء اثر منزلها الغابر والتعرف على أقارب حياتها المنصرمة . وهذه القصة كما حققها بنفسه عضو بارز فى الجمعية الثيوصوفية قد نشرت بمجلة « الثيوصوفية فى الهند » (٢) بعدد يناير — فبراير سنة ١٩٣٦ ، فى وقت كانت فيه القصة ماثلة للأذهان .

وكانت الفتاة فى السنوات الثلاثة الأولى لطفولتها خرساء لاتنطق ، يشيع الاكتئاب فى محياها وتعكف على التأمل ، ولكنها منذ سنتها الرابعة شرعت تتحدث عن منزل لها فى بلدة ماتورا التى تبعد عن دلهى نحو ١٠٠ ميل . ولم يعرها أبواها ولا أقاربها آذاناً صاغية مع أن مربياتها وصفنها بالذكاء . وبعد نحو ثلاث سنوات أو أربع صمم جار للعائلة وهو محام على أن يبحث ويستقصى .

وقد اعتادت الفتاة أن تقول أن الحلوى والفاكهة والنقود كانت متوفرة فى منزلها القديم . ثم وصفت بالتفصيل اعمال زوجها ، وحددت موقع منزلها وتصميمه وطلاء جدرانه ، وألمحت الى اقاربها . وحينما كان يرد ذكر زوجها كانت تحنى رأسها بايماءة الاحترام التقليدية . ولو أنها فاهت باسم صهرها ، الا انها طبقاً لعادة متاصلة لدى الهنود لم تنطق باسم زوجها ، بل قنعت بالقول بأنها كانت أماً لطفلين مات أولهما أثناء مقامها على الأرض ، ثم قضت هى بعد مولد طفلها الثانى بعشرة أيام .

وحتى يتسنى للمحامى صديق الأسرة مواصلة تحرياته فانه استدرج الفتاة الى ان تذكر اسم زوجها ، وطلب من الفتيات اترابها اللواتى كن يلهون معها ان يسألنها عن ذلك ، فخطت الفتاة لاحداهن على قطعة ورق

---

(١) Reincarnation Fact or Fallacy?

(٢) Theosophy In India.

باسم ك.ش. من ماثورا . وكان التأييد نصيب هذه المعلومات ، واثناء ذلك كانت الفتاة دائمة الالحاح على والديهـا بان يصحباها الى منزلهـا القديم بماثورا . وحدث أثناء تلقى أحد الدروس انها أخذت تبكى وتتوسل الى مربيتها أن تأخذها الى ماثورا ، وقـد أجابتها المربية باستحالة ذلك ما لم تصرح باسم زوجها وعنوانه ، فخطت الفتـاة مرة أخرى اسـمه ك.ش. على قطعة من الورق وناولته لمربيتها . وهكذا اقتنع والداها بأن معلوماتها صادقة . وقد بعث المحامى الصديق بخطاب الى السيد ك.ش. يخبره بجلية الأمر دون أن يدرى أن التأييد كان فى طريقه اليه .

فبعد أيام قليلة أجاب السيد ك.ش. بان حوادث حياته كما سردتها الفتاة تنطبق عليه ، واقترح عقد اجتماع بأخيه الذى كان يؤدى اذ ذاك عملا بدلهى . وقد تعرفت عليه الفتاة كأخ لزوجها . وتبين من الاستجواب الذى تلا ذلك أن أوصاف المنزل وظروف وفاة زوجـة السيد ك.ش. كانت صحيحة جملة وتفصيلا ، وتشبثت الفتاة باصطحاب صـهرها فى الحياة السابقة فى الذهاب الى ماثورا ، الا أنه نظراً لعدم وجود صداقة بين الأسرتين ، فقد تعذر تحقيق ذلك .

وبالطبع اهتم السيد ك.ش. بهذا الأمر وانتقل بعد قليل من ماثورا الى دلهى مع ابنه الذى ولد له من تلك الطفلة فى حياتها السابقة ، ليرى بعينيه الأم الصغيرة والتى انفجرت باكية حينما رأته ، وأحنت له رأسها احتراماً . وحينما سئلت عن هوية ذينك الشخصين ، فانها لم تتردد فى القول بأن أحدهما كان زوجها والآخر ابنها . ثم سردت تفصيلات عمـا يهواه زوجها وعما يعافه . ووصفت بدقة الشـامات والسمات الأخـرى التى تميز جسم زوجها .

ولفرط اندهاش الأصدقاء والأقارب الذين كانوا مجتمعين بالمنزل فقد أيد السيد ك.ش. جميع ما قالته الفتاة . وعلى الفور توثقت عرى الصداقة بين الصبية والطفل وأصبحا مسرورين . وبهذا تقـوى الدليل على أن الفتاة لابد أنها كانت الزوجة السابقة للسيد ك.ش. وأنها عادت للحياة بعد سنتين وثلاثة شهور من وفاتها .

ولتخفيف أثر الصدمة التى يحدثها الفراق المباغت فى ذهن الفتاة الصغيرة فقد أخـذ المحامى فريق المجتمعين فى جـولة فى أرجـاء دلهى الجديدة ، حيث كانت الفتاة فى أثنائها تمرح مع الصبى اذ كانا سعيدين بعشرة أحدهما للآخر . وفى الواقع قـرر المحامى الصـديق الذى كان يعرف الفتاة منذ طفولتها ، بأنه لم يرها أشـد مرحاً مما رآها فى تلك المناسبة .

وهنــاك بيّنة أخرى ترقى الى مصاف الدليل على أن الفتاة كانت تجسداً ثانياً للزوجة السابقة . فقبل أن يقوم المجتمعون بالجولة اسرت الفتاة الى أمها بأن تعدّ للضيوف الواناً معينة من الطعام ، وأن تقدمهــا اليهم قبل رحيلهم . وحين عودة السيد ك.ش. من تجواله دهش ، بل انه صـــدم فعــلا ، حينما رأى أمامه على المــائدة الوان الطعــام المحببة اليه ، والتى كانت زوجته المتوفاة تعدها له. وسلّم السيد ك.ش. بانه مع زوجته السابقة كانا ، كما زعمت الفتاة الصغيرة ، زوجين هانئين ، وان تلك الزوجة كانت تكن له كل اخلاص .

دليل قضائى عن حياة سابقة

وهناك حالة أخرى تثبت جلياً حياة سابقة ، وقد نشرت فى كتاب « مغامرات عند العرب » (١) بقلم و.ب. سيبروك ، جاء به ما يلى :

« أن كل نفس قد مرت قبلا بتجسدات بشرية عديدة ... واكثر هذه الحالات تشويقاً هى قصة سمعنها عن شخص يدعى منصور اطرش ، ويجزم بصـــدقها عشرات الناس فى جبل الدروز . وكان منصور اطرش هذا قد تزوج من صبية فى الثانية عشرة تدعى أم رمان ، وحدث أن قتل الزوج فى غارة منذ ثلاثين عاماً . وفى ذات الآونة التى لفظ فيها منصور أطرش أنفاســه الأخيرة ــ وهــو وقت تحققت صحته ، ولد لأسرة من الدروز فى أحد جبال لبنان يبعد مئات الأميال ، طفــل أطلق عليه اسم نجيب ابو فاراى . وقد شبّ الطفل حتى بلغ العشرين دون أن يغادر موطنه الجبلى ، ولكنه ما أن انتقــل بطريق الصـــدفة الى جبل الدروز الموطن السابق لمنصور أطرش حتى هتف قائلا : « لابد أن اكون فى حلم ؛ فهــذه الأماكن شاهدتها قبلا ، وهى مألوفة لدىّ أكثر من جبالنــا » .

وحينما بلغ الصبى القرية التى كان منصور اطرش يعيش فيها قال : « ان هذه قريتى ويقع منزلى فى نهاية الشارع وفى ناحية معينة منه » . ثم سار رأسا فى الشوارع المتعرجة صوب منزل منصور اطرش . واتجه الى مخبأ مسور وهدم جداراً وكشف عن كيس صغير به نقود تذكر انه وضعه هناك فى حياته السابقة . وبعد ذلك ذهب الى كروم عائلة اطرش حيث كانت بها حدود متنازع عليها . واشار الى الحدود وقرر انه هو الذى وضعها حينما كان منصور أطرش فيما سبق . وبهذا القول المدعم بالدليل أخــذت محكمة للدروز . كما انه بسبب الأدلة العــديدة التى ساقها على شخصيته ، فقد تعرف عليه منصور أطرش وسلموا بأن اباهم

---

(1) Adventures In Arabia

عاد الى الحياة . وقد تلقى من عائلة اطرش شحنة حبوب على قافلة من الجمال هدية له .

قوة الذاكرة تتعزز بأدلة مادية

في عــدد مايو سنة ١٩٤٤ نشرت مجلة Life Digest مقالا بعنوان : « هذا الصبى عاش قبلا » (١) الحالة التالية لتذكر حياة سابقة :

« في النصف الثانى من سنة ١٩٢٢ وفي مدينة باريللى بالهند أثار طفل هندى فى الثالثة يدعى « فتسوانات » دهشــة والديه بأن سرد لهم تفاصيل دقيقة لمـا زعم أنه حياة سابقة له . وقد أرهق الطفل والديه بمعلومات عن مكان يدعى بيلبهست وألح في معرفة بعده عن باريللى . كما التمس من ابيــه أن يصحبه اليه . ولمـا كان والداه يعتقدان خطـأ ان الأطفال الذين تكون لهم مثل هذه الذاكرة يموتون صغاراً ، فانهما عملا ما فى طوقهما ليقلع الطفل عن أوهامه الغريبة . الا أن الطفل حينما شب زاد انشغاله بحياته السابقة مما اضطر الوالدين الى النزول على رغبته . فصحباه الى المدرســة الحكومية العليا فى بيلبهيت . ولكنــه صرح بأنه لا يعرف شيئاً عن تلك المدرسة . وفعلا اتضح أن المدرسة كانت حديثة البنـــاء .

وقــد ادهش فشـــوانات سامعيه بفيض من المعلومات عن حيـــاته السابقة فى بيلبهيت ، فقال أن جارا له يدعى « لافاسندرلال » كان يفخر ببوابة خضراء وسيف وبندقية ، وكان يحيى حفلات راقصة تقوم بهـــا فتيات فى فناء منزله . وقال أن اباه كان حينذاك مالكاً لعقارات ، ومدمناً على الخمر ، ومولعاً بتناول سمك « روهو » وبالحفلات الراقصة . ثم أنه تلقى علومه فى المدرسة الحكومية ، ونجح فى اللغة الاردية والهندية والانجليزية ، وانه بلغ الفصل السادس بها . وقد ثبت بعد ذلك صدق هذه الاقوال . ووصف الصبى محتويات المنزل الذى كان يعيش فيه . وحينما اخذ الى المبنى فقد وجد كل شيء مطابقاً لوصفه بما فى ذلك موقع درج السلم . وقد اشار الصبى بأصبعه الى شخص فى صورة فوتوغرافية وقال انه هار نارين . وفى النهاية توج ذكرياته الغريبة لحياته السابقة بان أشـــار الى نفسه فى الصورة كصبى يجلس فى مقعد . وهذا الصبى الذى اشار اليه كان « لكسمى نارين » ، ابن « بابوناى نارين » ، الذى توفى بذات الرئة فى الثانية والثلاثين بمدينة شاجهنبور فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٨ . ومن بين التفصيلات الأخرى التى سردها فشوانات بدقــة ، الموقع الصحيح للفصــل السادس بالمدرسة المحلية والمظهر الخارجى لأستاذه ، وأسماء

(١) نشرت القصة اصلا فى مجلة Answers بلندن .

الأماكن التى عمل بهـا ، واسم خادمه الخـاص . وقد ايّد خال الصبى العديد من هذه التفصيلات ، ومن بينها حقائق سها عنها الجميع » .

استرداد الذكرة والموهبة

اقسم هـ. فيلدنج هـول مؤلف كتاب عنوانه « روح شعب » (١) على صحة قصة فتاة صغيرة فى السابعة عن تجسدها السابق ، وجاء بهـا انها كانت رجلا اداز معرضاً للعرائس المتحركة . وانه للتاكد من مطابقة القصة للواقع ابتاع لها والدها عروسـة او دمية ، فما كان منها الا ان امسكت على الفور خيوطها بيديها بكيفية صحيحة ، مع انها لم تكن قد رات عروسة متحركة من قبل وقالت : « لقد تزوجت باربع نسوة ماتت منهن اثنتان وطلقت الثالثة ، وظلت الرابعـة على قيد الحياة حتى وفاتى ، ولا تزال حية ترزق . واننى كنت احبها حباً جماً واما التى طلقتها فانها كانت امراة سليطة . واذ اشارت الى ندبة على كتفها اضافت : « تطلع الى هذا ! انها امسكت بساطور وهوت به على كتفى » .

وقد اجرى فيلدنج هول بعض التحريات فتبين له ان علامة مميزة ولدت بهـا الطفلة تطابق تماماً علامة احدثتهـا بالمـالك السابق لمعرض العرائس زوجته المطلقة والتى امكنه العثور عليها . اما الزوجة المطلقـة والزوجة المحبوبة فقـد كانتا لا تزالان على قيد الحياة . وحينما سئلت الفتاة ، لمـاذا لا تذهب للاقامة مع الزوجة التى احبتها كثيراً ، اجابت ببساطة الأطفال : « كيف ! لقد تم كل هذا فى حياة سابقة ! » . وفوق ذلك فانها وصفت بدقة اماكن واناساً لم ترهم يعيشون فى بقاع نائية ، ولكنها عرفتهم فى حياتهم السابقة .

جندى يولد من جديد

نشرت الحالة التالية بمجلة American Magazine بنيويورك عدد يوليو سنة ١٩١٥ بقلم احدى الرسامات فى مينا بوليس . وتلك الرسامة كانت الأخت الكبرى للصـغيرة آن ، وحتى وقـوع الحادث لم تكن هى ولا اى فرد من-افراد اسرتها يعتقد ، او يعلم شيئاً عن عقيدة العودة الى الحياة . قالت :

« كانت آن ، وهى اخت غير شقيقة تصغرنى بخمسة عشر عاماً - فتاة غريبة الأطوار منذ نعومة اظفارها ، وهى لم تكن تشبه احدا من افراد الأسرة لأن لونها كان قاتماً فى حين كان الآخرون شقراً ، ينبئون بغير خطأ عن اسلافنا الارلنديين . وما ان شرعت الفتاة تنطق بعبارات مترابطة حتى

---

(١) The Soul of a People

أخـذت تسرد قصصـاً خياليـة ، وللتسلية كنت اخط بقلمى فى يومیتى العتيقة ، ما كانت تثرثر به . ولسبب مشغولية أمى فقد كان امر الفتاة موكلا الىّ . وكنت فخورة بأختى ، ولم يكن نسيجها الفكرى من خيالات الأطفال المعتاد ، بل كان يتضمن شذرات من المعرفة يقصر الطفل عن الاحاطة بها ، أو ارتشافها بأية وسيلة .

وثمـة أمر آخـر عجيب ذلك أن كل ما كانت تأتيه آن كان يبدو انه بطريق عادة متأصلة فى نفسها . وفعلا كان الحاحها قوياً ، ولو أنهـا لم تستطع أبداً أن تفسر ما تقصده به . ولو كان قد أتيح للقارىء أن يرى الكيفية الصاخبة التى كانت ترفع بها الى فمها كوز اللبن ، حينما لم تكن قـد جـاوزت الثالثة فقط من عمـرها ، وكيف كانت تجرعه فى جرعة واحـدة ، لا غرق فى الضحك . وقد ازعج أمى هـذا الأمر فوبخت آن مراراً . وكانت الطفلة روحا طيبة ومطيعة ، فاذا ما أقدمت فى لحظة من شرود الذهن على عمل يسبب كمداً ، فانها تشرع فوراً فى الاعتذارات مرة بعد أخرى ، وتقول بنبرات الطفولة والدموع تترقرق فى مآقيها : « لست أستطيع غير ذلك يا أماه . لقد كنت أفعل ذلك بتلك الطريقة ! » .

وقـد بلغت تلك الحـركات الطفيفـة كعادتها فى الكلام والتفكير والتذكر من الكثرة حداً قررنا معه أن لا نعيرها اهتماماً . كما انها هى ذاتها كانت غير واعية بانها تختلف كثيراً عن أترابهـا . وحدث ذات يوم حينما كانت فى الرابعة أن غضبت مع أبى لأمر ما . وحينمـا جلست القرفصاء على أرض الغرفـة أمامنا كشفت عن نيتها فى الانطـلاق ومفارقتنا الى الأبد ...

واجابت الفتـاة بطريقة عرضية : « كلا . كلا . لقد كنت هنا على الأرض مرات عديدة . وأحياناً كنت رجلا ، وأحياناً أخرى امرأة ! » .

وكانت الفتاة رصينة فى حديثهـا حتى أن أبى ضحك ملء قلبه ، مما اثار غضب الفتاة لأنها كانت تمقت أن يسخر منها أحد » .

واكدت الفتاة فى حنق : « نعم لقد كنت كذلك ! وحدث ذات مرة ان ذهبت الى كندا حيث كنت رجلا . اننى أتذكر اسمى جيداً حينذاك » .

وهـزأ بهـا الأب مستخفاً وقال : « ان بنـات الولايات المتحـدة لا يصبحن رجالا فى كندا ! لعمرى ماذا كان اسمك الذى تذكرينه جيداً ! » .

وصمتت الفتاة هنيهة ثم هتفت قائلة : «كان اسمى ليشس فابر» . ثم رددت الاسـم بقـوة أوفر « نعم كان اسمى ليشس فابر » . وقـد ربطت النبرات معاً بحيث لم أستجمع من اللفظ أكثر من ذلك . ولا يظل هذا الاسم فى يوميتى حتى الآن : ليشس فابر .

وابتدرها الأب بتلك الرزانة الساخرة التى تتلاءم مع تأكيداتها حتى يهدىء ثورة غضبها : « وماذا كانت مهمتك يا ليشس فابر فى تلك الأيام الخوالى ؟ » .

واردفت الفتاة بلهجة الظفر قائلة : « لقد كنت جندياً واستوليت على الأبواب ! » .

وكان هذا ما سجلته بمفكرتى . واذكر أننا حاولنا مرة بعد اخرى أن نستدرج الفتاة لكى تفسر لنا ما اغلق علينا فهمه من عباراتها الغريبة ، ولكنها لم تفعل اكثر من تكرار كلماتها . ثم حنقت منا لعدم فهمها اذ وقف خيالها عند هذا الحد . وكنا اذ ذاك نعيش فى احضان بيئة مهذبة . ورغم أننى رويت القصة لأستعلم عن مغزاها ، كما يفعل المرء احياناً فى سرد قصص الأطفال المحببين ، فان احداً لم يجد لها تفسيراً .

على أن البعض استحثنى أن اسبر غور الأمر . ولمدى عام عكفت على دراسة كتب التاريخ التى وقعت تحت يدى عن كندا ، بحثاً عن معركة « استولى فيها شخص ما على الأبواب » ولكن دون جدوى . واخيراً وبعد مرور عام فقدت فيه كل أمل فى الوقوف على دليل ، وجهنى بائع كتب الى مخطوط عتيق ومضحك تتشابه فيه رسوم الحروف وتتشابك . ولئن كان الكتاب عتيقاً وغريباً الا انه كان بهياً وشيقاً فى سرده لكثير من القصص وقد استرعت انتباهى قطعة حجبت من ذهنى سائر ما عداها ، اذ كانت سرداً موجزاً لاستيلاء فرقة من الجنود قليلة العدد على مدينة صغيرة مسورة ، وهى مأثرة ممتازة من نوع معين ، ولكنها ليست بذات بال . ثم قفزت امام عينى العبارة التالية : « وقد استولى على الأبواب ملازم ثان شاب مع فرقته القليلة العدد ، وكان اسم هذا الشاب ليشس فابر ! » ...

من تحقيقات ستفنسون

والحالات الحديثة التى تم تحقيقها جديا فى هذه الظاهرة الفريدة تعد الآن بالمئات وربما بالآلاف ، واعنى بها تلك التحقيقات الدقيقة التى قام بها بحاث يعرفون كيف يميزون تماماً بين الروايات أو الأساطير من جانب ، وبين الوقائع الصادقة التى لا تمت باية صلة الى الرويات او الأساطير من جانب آخر ، كما لا تمت باية صلة الى الاقتناع السهل المبتسر .

وهذه التحقيقات آخذة فى التزايد المستمر بالنظر الى اتجاه اهتمام علماء الباراسيكولوجى فى بعض جامعات الغرب الى تجميع اكبر عدد منها لتوسيع رقعة البحث من جانب ، ولاستخلاص العنصر الثابت فيها طبقاً للأسلوب الرياضى ، لاستخدامه فى الكشف المثمر عن اغوار الذات الانسانية ، ويا لها من اغوار لا تنتهى ابداً ! !


أيان ستفنسون

ومن أبرز هذه الأخيرة تلك التحقيقات التى قام بها حديثاً الدكتور أيان ستيفنسون Ian Stevenson استاذ التحليل النفسى حالياً بكلية الطب بجامعة شارلوتسفيل بفرجينيا Virginia بالولايات المتحدة الأمريكية والذى بعد أن جمع حوالى ثلاثمائة حالة منها استبقى عشرين فقط بوصفها جادة تماماً وجديرة بالاستبقاء، وبالتحليل العلمى التفصيلى وسردها فى كتاب قيم له عنوانه : « عشرون حالة ترشح لعودة التجسد » (١) (١٩٦٦) .

وهذه الحالات التى حققها ستيفنسون منها حالة وقعت فى لبنان . وسبع فى الهند ، وثلاث فى سيلان ، وحالتين فى البرازيل ، وسبع فى جنوب آلاسكا بين هنود التلينجيت Tlingit Indians . وتحقيق كل حالة منها استغرق العشرات من الصفحات ، وجرى على نمط التحقيقات الجنائية الحذرة من ناحية ضرورة تقصى الحقائق كلها ، واستجواب أكبر عدد ممكن من الأشخاص المحيطين بالحالة ، واجراء أكبر عدد من المقارنات والمعاينات ووضع جميع الاختبارات الدقيقة اللازمة للاثبات أو للنفى قبل الحكم للحالة أو عليها .

حالة عماد الأعور

وكمثال أولى نقدم فى ايجاز حالة منها وقعت فى لبنان والنتائج التى وصل اليها أيان ستيفنسون عندما زار لبنان فى سنة ١٩٦٤ خصيصاً لتحقيقها برافقه ترجمانه الامريكى وهو من أصل لبنانى . وهذه الحالة جرت أحداثها الأخيرة المذهلة فى قرية « قرنايل » ؛ وهى خاصة بصبى لبنانى يدعى عماد الاعور كان عمره عندئذ ١٢ سنة .

ومنذ بلغ الثانية من عمره اخذ عماد هذا يروى لوالديه وقائع منوعة عن اسرة معينة كان يعيش بينها من قبل فى قرية بعيدة عن « قرنايل » تدعى « الخريبة » . وبين أشقاء وشقيقات ذكر أسمائهم . ثم أخذ

---

(١) Twenty Cases Suggestive of Reincarnation.

يسرد ذكريات محددة عن سيارة نقل بضائع ، وعن « أوتوبيس » ، وعن كلب ، وعن فتاة كان يحبها ذكر اسمها وهو « جميلة » .

وعندما تمكن من السير على قدميه أظهر سروراً بالغاً ودهشة فريدة لقدرته على المشى ، واخذ يسرد قصة عن سيارة دهمت رجلاً كان يسير على قدميه ، الى حد ان والد عماد ظن أن ابنه عبارة عن تجسد روح انسان مات بسبب صدمة سيارة فى حياة سابقة !

فلما تولى ستفنسون تحقيق الموضوع اصطحب الغلام الى قرية « الخريبة » التى كان يشير اليها فى احاديثه ، حيث تعرّف هناك على بيته السابق ، وعلى شقيقته هدى التى بادرها بأن أخرج لها لسانه كما كان يفعل معها من قبل عندما كانا صغيرين فأجهشت بالبكاء ثم ميز باقى اشقاءه ، وناداهم بأسمائهم . ثم تعرف على بندقية كان يحوزها ، واخرجها من مخبئها !

واستطاع عماد أن يحدد الفراش الذى مات عليه . وقرر انهم قد غيّروا موضعه وأبعدوه عن النافذة ، لانه يذكر انه فى اثناء مرضه الأخير قد عزلوه عن اشقائه مخافة العدوى فكان يعادثهم خلال النافذة . بل لقد تذكر الغلام أن اصبع أمه كانت قد « دهست » فى الباب فاتضح أن اصبعها كان لا يزال يحمل آثار هذا الحادث نفسه .

واتضح أن هذه الأسرة كان عندها شاب يدعى ابراهيم بشير ابو حمزة ، وأنه توفى فى ١٨ يولية سنة ١٩٤٩ ، بعد أن أصيب بسل النخاع الشوكى ، وكان فى الخامسة والعشرين من عمره عند وفاته ، وقعيد الفراش عاجزاً عن المشى . وهو ما قد يفسر سلوك الطفل عماد الأعور عندما أبدى دهشته من قدرته على المشى فيما بعد .

وتبين أيضاً صحة حادثة السيارة التى دهمت شخصاً كان يسير على قدميه ، واتضح أن المصاب فيها هو ابن عم للغلام ابراهيم بشير ابو حمزة ، وأن الغلام قد شاهد الحادث فحسب ، فلم يكن هو نفسه المجنى عليه فيه كما تصور والده الجديد . كما تبين صحة ما رواه هذا الغلام ذو الذاكرة العجيبة عن سيارة نقل البضائع ، وعن الأوتوبيس ، وعن جميلة الفتاة التى كان يحبها ، والتى اتضح انها تزوجت وكانت لا تزال على قيد الحياة الارضية ، وعما رواه عن الكلب أيضاً .

كما تعرّف الغلام عماد الاعور على أحد جيرانه عندما كان يعيش فى حياته السابقة فى قرية الخريبة وكان فى الثالثة من عمره حينئذ . وقد شاهده فى قرية قرنايل وكان مرافقاً لجدته ، فركض نحوه وضمه اليه

بحرارة قائلا" له أنت جارى فى الخريبة وهو ما اتضح صحته فيما بعد وقد شهد الأقارب والأصدقاء والجيران بصحة هذه الوقائع فى تحقيق استغرق تلخيصه حوالى خمسين صفحة .

كما تأكد ستفنسون من أنه لم تكن هناك أية رابطة ، أو اية صلة بين أسرة عماد الأعور التى تقيم فى قرية « قرنايل » ، وبين اسرة بشير ابى حمزة التى تقيم فى قرية « خريبة » وذلك مع أن الغلام الأعور كان يعيش بكل جوارحه وعواطفه مع أسرته السابقة الى حد انه أصر على تسمية احدى شقيقاته فى أسرته الجديدة باسم هدى، وهو اسم شقيقته فى حياته السابقة .

ومما هو جدير بالذكر ان محررين فى مجلة « الحوادث » اللبنانية هما الأستاذة غادة السمان ، والأستاذ غسان مكارم ، بعد أن اطلعا على كتاب العالم الأمريكى — الذى أرشدهما اليه الدكتور سامى مكارم الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت — قاما فى شهر فبراير سنة ١٩٧٣ بتحقيق جديد فى نفس هذه الوقائع الواردة به فتحققا من صحتها كلها . بعد أن اتصلا بعماد الأعور الذى أصبح شاباً ، وقد جاوز العشرين من عمره ، وبأفراد أسرتيه الحالية والسابقة .

وقد ورد فى هذا التحقيق الصحفى القائم بذاته : « ها هو عماد الأعور لطيف ، وذكى ، وعيناه شفافتان . أكد الحكاية التى رواها الدكتوران سامى مكارم وستفنسون . تقول أمه انها سمعته فى طفولته مرات عديدة يتحدث مع نفسه ويقول : « أنا ابراهيم » . وأنه كان يركب على « الدبوان » (الكنبة) ويصفت اخوته خلفه ليلعبوا لعبة «الاتوبيس»، فقد كان فى حياته السابقة يملك واحداً منها ويحسن قيادته .

سألته : هل تعرف الآن قيادة السيارة ؟

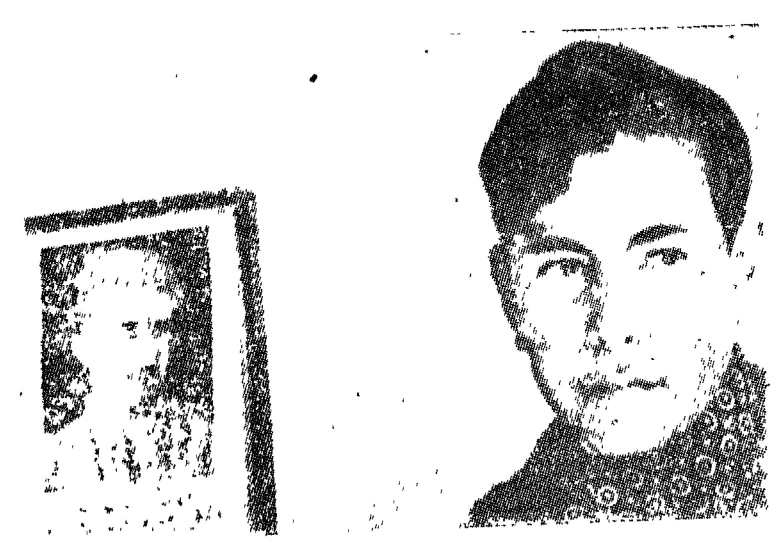
قال : أجل اننى أقود أحياناً سيارة « فولكس فاجن » يملكها ابن عمى عفيفى .

— هل علمك قيادة السيارة ؟

— لا ، لا احد علمنى ، ما زلت أذكر كيف أقود السيارة .

وحدثنى عماد بانه حزين لان أمه السابقة (أم ابراهيم بشير أبو حمزة) توفيت ، ولم يعلم بذلك الا مؤخراً (أى قبيل هذا التحقيق الصحفى الأخير) ... ودار بيننا حوار طويل ... المهم أن اللقاء بعماد يؤكد ان كل حرف قرأته عنه كان صادقاً . خصوصاً وأن الدكتور ستفنسون سبق وأجرى له تحقيقاً أين منه التحقيقات الجنائية ؟ وتأكد من انه لم تكن هنالك اية علاقة أو اية معرفة بين أسرة عماد الأعور وأسرة ابى حمزة قبل زيارة عماد معه للخربة .

ومما لا يخلو من دلالة في هذا الشأن أن الغلام عماد الأعور الذى كان فى الثانية عشرة من عمره عندما جرى معه تحقيق العلامة ستفنسون ، والذى صار فى الواحد والعشرين عندما جرى معه هذا التحقيق الصحفى الأخير قد أصبح يشبه فى الملامح شبهاً واضحاً صورة الشاب المتوفى « المرحوم » ابراهيم بشير أبو حمزة ، وهى لا تزال معلقة فى منزل أسرته . وعندما التقطت صورة فوتوغرافية لعماد الأعور بجوار صورة « المرحوم » ابراهيم أبو حمزة ظهر هذا التشابه كما يتضح من الصورة عن مجلة « الحوادث » عدد رقم ٨٥٢ فى ٩ مارس سنة ١٩٧٣ (١) .



---

(١) وبنفس العدد تفصيلات أخرى تؤكد صحة ما ورد فى تحقيق العالم الامريكى وذلك بالاضافة الى سرد لحالات متعددة مماثلة جرت فى لبنان وفى خارجه عن ظاهرة « دزى من قبل » من ناحية صلتها بموضوع العودة للجسد .

ولعل هذه الصورة الفريدة تعد من اندر الصور التى تكشفت عنها التحقيقات الروحية فى اى بلد اذ انها تمثل صورة فوتوغرافية لشخص معين بجوار صورة له هو نفسه فى تجسد مباشر سابق ، وفى نفس المنزل وفى نفس الجيل ايضاً ؛ وكم فى الكون من عجائب تفوق فى غرابتها كل قدرات التصور الانسانى !

من حالات هنود التلنجيت

وهذه حالات وقعت بين هنود التلنجيت Tlingit الذين يقطنون شمال شرقى امريكا ، وهم من سلالات الهنود الحمر واصحاب ديانة تقوم على مبدأ العودة للتجسد شأنهم شأن الاسكيمو الذين يقطنون شمال غربى آلاسكا ، والاليوتس Aleuts الذين يقطنون غربى أمريكا .

ويعتقد هنود التلنجيت اكثر من ذلك أن الأرواح تعود الى نفس اسرها القديمة مباشرة . وبين عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٥ زار الدكتور ستفنسون هنود التلنجيت أربع مرات فحص فيها ست وثلاثين حالة ادعاء بالعودة للتجسد ، ولم تكن مهمته شاقة بينهم لانهم يتحدثون الانكليزية ، ولان عددا من أولئك « العائدين للتجسد » كان يحمل علامات تشير الى الأسلوب الذى انتهت به حياتهم السابقة .

فمثلاً من بينها حالة ظروفها انه فى سنة ١٩٤٩ توفى صائد سمك من بينهم يدعى وليام جورج ، وقال لابنه ولزوجة ابنه قبيل وفاته فى السنين من عمره انه سيعود اليهم بوصفه ابناً لهم . كما وعدهم بأنهم سيتعرفون عليه بعلامات معينة كانت موجودة فى جسمه ولد بها . كما سلمهم ساعته الذهبية للاحتفاظ بها له (الى حين عودته طبعاً) .

وبعد مضى بضعة أسابيع خرج للصيد فى قاربه كالمعتاد لكنه لم يعد ، واختفت كل آثاره . وبالكاد بعد تسعة أشهر أخرى وضعت زوجة ابنه مولودا ذكراً يحمل بالضبط نفس العلامات الجثمانية التى كان يحملها جده المختفى وهى عبارة عن عدة « شامات » moles (مفردها شامة او خال) سوداء على السطح الأعلى لكتفه اليسرى ، وكذلك على السطح الداخلى للعضد الأيسر بالضبط فى نفس المواضع التى حددها لهم قبل وفاته .

وبقدر نموه اخذ سلوك الابن سبلاً تشبه نفس سبل سلوك جده ؛ بما فى ذلك العرج فى السير بسبب اصابة كان الأخير قد أصيب بها أثناء ممارسته لعبة كرة السلة ! وقبل أن يبلغ الخامسة من عمره كان الولد قد يعترف على ساعته ، واخرجها من تلقاء نفسه من صندوق

للمصوغات مملوك لأمه ، وتمسك بعناد بحقه فى تملكها ، وكان يتحدث عن أعمامه بوصفهم أولاده ، وعن عمته بوصفها شقيقته (كما كان الحال فى حياته السابقة) .

ويكتب ستفنسون عن هـذه الحالة قائلاً : « الولد يقـدم معرفة سابقة لأوانها عن الصيد وقوارب الصيد ، كما يظهر منه خوف من الماء أكثر من المألوف بالنسبة للأولاد الذين فى مثل سنه » (اذ الظاهر انه عندما اختفت آثاره كان قد مات غرقاً) .

* * *

وحالة أخرى بين هنود التلنجيت وقعت لمن يدعى فكتور فنسنت Victor Vincent الذى كان معروفاً فى القبيلة باسم كاهكودى Kahkody وتوفى فى سنة ١٩٤٦ . ولكنه فى سنة ١٩٤٥ أخبر ابنة شقيقه التى كان يعزها وتدعى كورليس شوتكين Corliss Chotkin وزوجها أنه سيعود بوصفه ابناً لهما . ووعدهما بانهما سيتعرفان عليه بعلامتين كان يحمل احداهما فى جانب انفه ، والأخرى على ظهره ، وهما من بقايا التئام عملية جراحية كانت لا تزال ظاهرة به .

وبعد ثمانية عشر شهراً لاحقاً وضعت السيدة شوتكين مولوداً ذكراً يحمل علامتين طبق الأصـل من العلامتين اللتين كانتا بجسم فنسنت . وعندما بلغ عمـره ١٣ شهراً كانت أمه تحـاول أن تعلمه كيفية النطق باسمه فقاطعها قائلاً لها : « الا تعرفيننى اننى انا كاهكودى ! » .

وعندما بلغ العامين تعرف تعرفاً صحيحاً على كريمة زوجته السابقة سوزى Susie ، وعلى ابنه وليام ، وعلى أرملته . وظل يقـدم ذكريات تفصيلية عن حياته السابقة الى سن التاسعة ، ثم ابتدات ذاكرته تخونه عن حياته السابقـة ، وتلاشت تماماً فى سن الخامسة عشرة . ومع كل ذلك فان ستفنسون لا يزعم أنه وصـل الى اثبات العودة للتجسد ، بل أنه فحسب يقدم نتائج تحقيقاته الدقيقة المفصلة بوصف انها « ترشح » مجرد ترشيح لاحتمال العودة للتجسد .

حالة نيرمال براكاش

وهـذه حالة من الهند حقق وقائعهـا ايان ستفنسون فى مؤلفـه الآنف الاشارة اليه ، وهى حالة صبى هندى يدعى « نيرمال » Nirmal من قرية « كوزى كالان » Kosi Kalan بالقرب من ماثيورا Mathura توفى بالجـدرى فى شهر ابريل من عام ١٩٥٠ . وعندما كان يحتضر قال لأمه : « انت لست أمى . انت اجنبية عنى وسأذهب الى أمى » . ثم أشار

بيده فى اتجاه ماتيورا ومدينة أخـرى أصغر منها فى نفس الاتجاه تدعى شاهاتا Chahatta .

وفى شـهر اغسطس من عام ١٩٥١ ولد فى قرية « شاهاتا » مولود ذكر أطلقوا عليه اسم « براكاش » Prakash ولمـا بلغ الرابعة من عمره ظهرت عليه ظاهرة المشى أثناء النوم . وكان ينهض من فراشه ، وينزل الى الطريق العـام ويسير فى اتجاه قرية « كوزى كالان » . فاذا أدركه أحد وأوقظه وعاد به الى البيت بكى قائلا" انه كان يريد العودة الى بيته السابق فى « كوزى كالان » . ولمـا بلغ « براكاش » الرابعة والنصف من عمـره أخـذ يسرد على والديه قصة حياته السابقة فى قرية « نيرمال » وحدد أسماء والديه ، وأشقائه ، وأصدقائه هناك .

وازاء الحاحه على الذهاب الى هناك اصـطحبه عمه — للتخلص من هذا الالحاح — الى قرية أخرى ، لكن الصبى فطن الى الخدعة ونفى نفياً باتاً أن تكون هذه هى قريته السابقة . وعندئذ اضـطر عمـه الى اصطحابه بالسيارة الى قرية « كوزى كالان » الحقيقية حيث أرشـده الى محل تجارى قائلا انه محل والده السابق . ولمـا كان هذا المحـل مغلقا فى ذلك الوقت عاد به عمه من حيث أتيا .

ولمـا تحرت أسرته عن الوقائع التى كان يسردها الصبى ثبتت لهـا صحتها ، وتوصلت التحريات الى أسرته السابقة التى اتضح أنها تقيم فعـلا فى قـرية « كوزى كالان » ، وأنه كان لهـا ابن يدعى « نيرمال » توفى فى العاشرة من عمره فى التاريخ الذى بينته آنفـاً . ولمـا اصطحبته أسرته الى هناك تعرف فورا على والده السابق ، وعلى والدته وذكّرها بما سبق أن قاله لهـا فى ساعة احتضاره من أنه سيذهب الى أم أخرى.

كما تعرف « براكاش » على شقيقته الكبرى ، وجىء اليه بشقيقة فى زحمة من الأشخاص فتعرف عليه بسهولة وناداه باسمه . ونعـرف أيضاً على جار لهم واقتادهم الى محله التجـارى وأرشـد أسرته الى فراشه الذى مات عليه ، والذى نقل اليه عندما اشتدت عليه وطـأة المرض . وشاهد سلسلة معلقة على الجدار فأشار اليها وقال انها خاصة بجده . ودخل أحـد الضيوف فأشـار اليه وقال انه طبيب الأسره . وشاهد ضيفاً آخر فقال انه هو محصل العوائد ... وهـذا كله تبين صحته برمته الى حد أن اسرته السابقة اقتنعت بأن هذا هو بالفعـل ابنهم السابق نيرمال وارادوا الاحتفاظ به بحجـة تبنبه ، ولكن أسرته الجديدة تمسكت به بطبيعة الحال .

وهكذا نشب بين الأسرتين نزاع شديد ، تطور الى نزاع بين سائر أهل القريتين . ولمـا كان الدكتور ستفنسون موجوداً كادوا أن يفتكوا

به ، لأن الجميع تصوروا خطأ أنه هو الذى أقنع أسرة الصبى القديمة بأن تتبنى ولدها القديم وتتمسك به من جديد ...

ويقول المؤلف تعليقاً على المعلومات التى وصل اليها الطفل براكاش أننا اذا تركنا جانباً وبصفة مؤقتة العناصر الانفعالية فى سلوكه ، فاننا قد نساءل انفسنا عن التماثل المتصور أن يكون بين المعلومات التى قد يحصل عليها بالطرق المألوفة فتى فى العاشرة من عمره ، وتلك التى قدمها عندما زارته أسرته السابقة لما قدمت الى شاهاتا ، وعندما قام هو بزيارة كوزى كالان .

فقد يفترض احد الأشخاص أن ترترة الجمهور الذى تجمّع على طول الطريق من محطة الأوتوبيس الى كوزى كالان قادت الفتى الى المنزل . ولكن ليس لدينا دليل على ذلك ، بل بالعكس لدينا أدلة عن محاولات قامت بها شقيقته (فى حياته السابقة) لتضليله . ومن الصعب تعليل الاستعرافات الصحيحة التى توصل اليها الفتى على العديدين من افراد أسرته القديمة (أسرة جين Jain) وجيرانهم مع ذكر اسمائهم ، وروابطهم الصحيحة . أو بعض الأمارات الأخرى عنهم .

ومن هؤلاء الجيران اثنتان من النساء المحجبات تماماً التى تقضى تقاليدهن بألا يرفعن النقاب الا للأزواج والأولاد ، وأوثق الأقرباء . فلا يمكن للفتى أن يكون قد رآهما من قبل (فى حياته الراهنة) .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان لدى براكاش بيانات صادقة عن غرف منزل آل جين ، وعن محتوياتها وعن استخداماتها . كما قدم أيضا بعد معلومات عن المنزل وعن بعض « الدكاكين » صادقة بالنسبة للعصر الذى عاش فيه نيرمال ، وأصبحت بالية بالنسبة للوقت الذى قام فيه براكاش بزيارة كوزى كالان ... كل ذلك يرجّح الحصول القديم على هذه المعلومات على احتمال الحصول الحديث عليها .

وهذا موجز يسير للتحقيقات التى تمت فى شأن براكاش . وقد روى المؤلف عنها تفصيلات أخرى كثيرة ، ووضع قائمة دقيقة عن الوقائع التى سردها والتى صمدت للتحقيق ، مع ذكر أسماء الاشخاص الذين استعان بهم فى هذا التحقيق ومع تحديد جميع المعالم الجغرافية التى ورد ذكرها على لسان الصبى لمضاهاتها بالمعالم الصحيحة (١) .

حالة ويجيراتن

ومن تلك الحالات التى حققها ستفنسون حالة وجيراتن

---

(١) للمزيد راجع أيان ستفنسون . المرجع السابق ص ٢٠ — ٣٨ .

Wijeratne وهو طفـل ولد بتاريخ ١٧ ينـاير سنة ١٩٤٧ بقرية اوجالكالتبتا Uggalkalteta بجزيرة سـيلان وكان بالجـانب الأيمن من صدره تشـويه . وكان ذراعه الأيمن أقصر من ذراعه الايسر ببضع بوصات ويعادل فى نحافته نصف نحافة الذراع الأيسر ، والأصابع عاجزة وغير نامية .

وبعد أن جاوز عمره العامين بقليل ابتدأ يقـول ان ذراعه الأيمـن كان قصيرا لأنه طعن زوجتـه ، ومات مشـنوقا من اجـل جريمته ، ووصـف كل ذلك تفصـيلا . كما قال ان والده الراهن كان حينذاك هو شقيقه الأكبر . وعندما سمعت أمه هـذه الوقائع سألت زوجها الذى يدعى تيلاراث هامى Tilarathe Hami عن هذا الموضوع فأجاب بأنه كان له شـقيق متزوج يدعى راتران هامى Ratran Hami ولد فى سـنة ١٩٠٤ ثم ترك زوجتـه مع والديه لفترة ما ، وعندما عاد لاصطحابها رفضت الذهاب معه ، فعاد الى منزله ثائرا وشحذ سـكينا وطعنها بهـا بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٧ . وجرت محاكمته فى يونيه سنة ١٩٢٨ وحكم باعدامه شنقاً ، ونفذ الحكم فيه بعد شهر واحد من هذا التاريخ .

وعندما بلغ هذا الطفل الرابعة والنصف من عمره اخذ اناندا مترايا Ananda Maitreya الذى هو أستاذ الفلسفة بجامعة كولومبو فى استجوابه ، فروى له كل التفصـيلات حتى تلك الزكاة الدينية التى تبرع بها قبل تنفيذ حكم الاعدام فيه . وعنـدما بلغ الخامسة والنصف من عمره توقف عن الحديث عن تجسده السـابق الا اذا سـأله أحـد الأشخاص عن هذا الموضوع ...

وعندما سأله عن ذراعه أجابه بأن هذه نتيجة « عقابية » (لجريمته السابقـة) . كما درس نفس هـذه الحالة السـيد ف . سـتورى F. Story فى يونيه سنة ١٩٦١ كتمهيد لزيارة ستفنسون التى جرت فى اغسطس من نفس العـام .

كما تعرَّف الطفل على حزام كان يملكه فيما مضى عنـدما شاهد أحد أبنـاء عمه مرتدياً اياه . وعندما كان أصـغر سنا من ذلك تذكـر أيضاً حياته فى « العالم الآخر » . وحرر ستفنسون كشـفاً يحوى ٢٦ بياناً تفصيليا عن الأمور التى تذكرها . ولمـا سأله ستفنسون — وكان الصبى قد بلغ من العمر عنـدئذ أربعـة عشر عاماً ونصف — « كيف ستتصرف لو تكرر نفس الخـلاف القـديم ؟ » ، أجاب قائلا « اننى سأقتلها ثانية » . وقبيل تنفيذ الاعدام فيه بفترة قصيـرة قال راتران

لشقيقه أنه يتمنى أن يولد من جديد ابناً له ، وحدثت هذه الواقعة منذ ثماني عشر عاما ونصف .

والعيوب الجثمانية فى هذه الحالة تمثل نوعا من صنف خاص لأنه لا صلة لها بجروح حدثت فى جسم الشخص السابق ، بل بالعكس ان تشويه الصدر يقابل موضع الجروح التى أحدثها هو بزوجته عندما طعنها بالسكين . وعدم النمو الكافى للذراع الأيمن هو الذى يمكن النظر اليه بوصفه عقاباً رمزياً له عن جريمته ، كما يمكن أن يعتقد الانسان .

ومن حسن الحظ أن هذه الحالة قد حدثت تماماً ، والا لكان ينبغى النظر اليها كما لو كانت قصة من قصص « الجنيات » . فان والران تنبأ بانه سيولد من جديد ابناً لشقيقه ، وربما كانت هذه مجرد رغبة .... وأحياناً يعترض أعداء قانون الكارما بانه لا يصح لانسان أن يعاقب بناء على وقائع قد نسيها ، لكن هنا حدث العقاب مع تذكر تلك الوقائع . فهذا المثال ذو قيمة تعليمية قصوى لأنه واضح فيه أن الشخص لم يغتفر لزوجته ، ولم يندم على قتله اياها . كما يلاحظ كارل موللر على نفس هذه الحالة أن تفسير صور التشويه المتعددة التى لازمت هذا الشخص بالوراثة تفسير محال ، حتى مع التسليم بالقرابة العائلية (١) .

حالة وارناسيرى اديكارى

وهذه حالة اشترك فى تحقيقها البحالة ف. ستورى والعلامة ستفنسون ، ونشرا عنها مقالا بعنوان « حالة نموذجية للعودة للتجسد فى سيلان » بعدد ابريل سنة ١٩٦٧ من جريدة « الجمعية الأمريكية للبحث الروحى » (٢) . وقد حقق صحة هذه الحالة ستورى فى عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٥ ، ثم اشترك مع ستفنسون فى اعادة تحقيقها فى سنة ١٩٦٦ ، وظروفها كما يلى :

وُلد طفل يدعى وارناسيرى Warnasiri بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧ بقرية كيريكيتا Kirikitta التى تقع على بعد حوالى عشرين ميلا من كولومبو Colombo (عاصمة جزيرة سيلان) . وكانت أمه تدعى ب. أ. روزلين اديكارى B. A. Roslin Adikari وكانت فى سنة ١٩٦٢ (أى عند اجراء أول تحقيق فى الحالة) فى الثلاثين

---

(١) عن كارل موللر المرجع السابق ص ٥٦ - ٥٧ .

(٢) Journal OF American Society For Psychical Research

وراجع ما ورد عنها فى « المفصل » الجزء الأول ص ٣١١ - ٣١٤ .

من عمرها ، ولهـا ابن آخر أصـغر من سابقه فى الثانيـة والنصف من عمـــره .

وعندما بلغ وارناسيرى الرابعة من عمره اخذ يحدث والده جوليس اديكارى Julis Adikari عن حياة سابقـة له فى قـرية كيمبولجودا Kimbulgoda على بعـــد ســـتة أميـال من قـريته الحاليـة حيث كان يعيش فى منزل افضل من منزله الحالى ، وكان سقفه منقوشا ، ونوافذه وأبوابه زرقاء اللون . وكانت أمه (السابقة) تعمل فى التدريس وهى أجمل واسمن من أمه الحالية ثم توفى زوجها . وحدد موقع منزله السابق أنه كان قريبا من المدرسة ، ومن قناة مغطاة للميـاه .

وعندما اقتادوه الى كيمبولجودا تعرَّف على طريقه تلقائيا الى مكان وقف فيه وقال : « ان المنزل لم يعد هنا » ، وتبين أنه فعلا قد هُـدم حديثاً . كما أضاف أن شجرة « جوافة » ضخمة كانت موجـودة أمام المنزل وهو أمر صحيح . كما تعرَّف على أمه وأخرجها من بين مجموعة من الناس رغم وجود عدد من النساء اللائى حاولن اجتذابه للتضليل . وقد اعترفت تلك السيدة أنها فعلا فقدت ابناً يدعى أناندا Ananda عندما كان فى الثلاثين من عمره بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٦ عقب أزمة قلبية . وأن زوجها توفى فى سـنة ١٩٥٣ عنـدما كانت فى العشرين من عمرها . ومن رأيها أن شـخصية وارناسـيرى تطابق شخصية أناندا تطابقاً وثيقاً ، وقد اقتنعت بأنه هو ابنها نفسه وقد وُلد من جديد .

وقد سألهـا الطفـل عن دراجته وعن لعبته (التى كانت تضرب الطبلة) . ولاحظ أن والدته فقدت أسنانها ، وتذكر شقيقاته وتعـرف عليهن ، وذكر اسـمين من أسـماء التدليـل التى كانوا ينادونه بهـا فى المنزل . وتذكر أنه كان يتناول فاكهة مع طعام الافطار ثم توفى بغتـة . وكان حبه لأمه القديمة يتجاوز حبـه لأمه الحاليـة واعتزم أن يصبح راهباً حتى لا يعود للتجسد من جديد ! .

كما قال أنه ولد بعدئذ بوصفه ابناً لأمه الحالية . وقال أيضاً انه فى حياة ثالثة سابقة كان يعيش فى قرية كيلانيا Kelaniya بالقـرب من كولومبو وانقلب به قارب فى نهر كيلانى جانجا Kelani Ganga فغرق فيه ، وأنه كان يرتاد معبد القرية يومياً ويضع فيه زهوراً . وهذه التفصيلات الأخيرة لم يكن بعد قد تم تحقيقها .

وهذا النموذج هام من ناحية أن صاحبه يقول انه قد تذكـر ثلاثة تجسـدات سابقة ، منها تجسد توفى فيه بعد ساعة واحدة من ولادته ، وذلك فى نفس الشهر الذى توفى فيه بالغـاً بقرية كيمبولجودا . وهـذا

الأمر يفترض عودة مباشرة للميلاد ، أو حمل سبعة شهور كان خلالهـ الشخص السابق أناندا لا يزال حياً (١) . ولكن التجسد اللاحق الثانى فى كيمبولجودا هو أكثرها وضوحاً لأن الغلام لم يذهب الى هناك اطلاقاً، ولم يسمع عن اسم المكان ، ولم تكن هناك أية رابطة بين الأسرتين ، ولم تعرف الفترة التى مضت بين هذه الحياة ، وحياته السابقة فى قـرية كيلانيا . واذا كان هذا الشخص قد تذكر ثلاث حيوات فذلك ربما لأن حياته السابقة دامت لمدة ساعة واحدة ، وأن تلك التى سبقتها انتهت بمأساة غرقه وهو كل ما يذكره عنها مع تعوده اليومى على تقديم الزهور الى المعبد (٢) .

حالة جناناتيليكا

وهذه حالة جرت احداثها فى وسط جزيرة سيلان بجنوب الهنـد حيث ولدت فى ١٤ فبراير سـنة ١٩٥٦ طفـلة أطلقوا عليها اسـم « جناناتيليكا » Gnanatilleka وكالمعتاد اخذت — منذ تعلمت الكلام — تسرد أحداثاً سابقة عاشتها من قبل فى قرية « تالاوواكيـل » Talawakele عنـدما كانت صبياً يعيش فى أسرة ضـخمة مكونة من أبوين وشقيقين من الذكور ، وبضع شقيقات من الاناث .

واهتم باقوالهـا احـد رجال الدين فى قريتهـا ويدعى « بياداسى ثيرا » Piyadassi Thera الذى انتقل الى القـرية التى عينتها الطفلة فعثر على أسرة تحمل نفس الأسماء التى كانت ترددها فى أقوالهـا ، وعلم منهم أن قد فقدوا صبياً فى عام ١٩٥٤ .

وسرعان ما جمعوا الطفلة بأفراد هـذه الأسرة الأخيرة حيث ذهبت لزيارتهم فى قريتهم ، ولم تكن هناك أية معـرفة سابقة . فتعرفت الى جميع أفرادها بمجرد رؤيتهم ، ونادتهم بأسمائهم ، وروت تفاصـيل متنوعة عن حياتها معهم ، أكدوا صحتها . منها أن أمها تعودت ان تشترى الحطب بالمـال على خلاف الحال فى قريتها الجديدة حيث يتوافر هـذا الحطب مجانا . ومنها أنها كانت تذهب الى المدرسة فى قطار يمر بنفق .

ومن هذه الذكريات أنها لم تكن على وئام مع شقيقيها السابقين . وأنها عندما كانت صبياً (فى حياتها السابقة) كانت تفضل اللعب مـع

---

(١) يبدو أن حلول الروح فى الجنين لا يشترط ان يكون دائما منذ مبدأ الحمل ، بل بعده بفترة تتراوح فى مداها ، وربما يحـدث قبل الولادة بفترة قصيرة ، وهناك آراء متنوعة بهذا المعنى .

(٢) من كارل موللر . المرجع السابق ص ٥٧ ٥٨ .

الفتيات ، وكانت مولعة بالملابس الحريرية ، وبطلاء الأظافـر ، وباللون الأزرق .

ومنها أنها كانت تتردد على مدارس معينة ، وتفضل أستاذا معينا، ولما شاهدته تعرفت عليه وركضت باكيـة نحوه . وتذكرت قصـة خرافية للأطفال كان نفس هذا الأستاذ قد رواها على مسمعها . وهذه القصة أكد أفراد أسرتها الجديدة أنهم لم يسمعوا بها من قبل ، ولايعلمون من أين قد جاءت بها الصـبية ! وكانت الصبية تسـتخدم أيضاً بعض ألفـاظ غريبة ، وتراكيب صعبة يبدو أنها ترجع الى حياتها السابقة .

ومن هذه الذكريات التى تبين صحتها ما روته الطفلة من أنهـا فى حياتها السـابقة شاهدت ملكة الجـزيرة فى القطـار اثنـاء مروره على قريتها السابقـة « تالاواكيلى » . وأنها ذهبت مع رحلة مدرسـية الى جبل من الجبال وتسلقت قمة معينة فى هذا الجبل تدعى قمة آدم .

وكانت الفتاة تفضل حياتها الجديدة فى الأنوثة على حياتها السابقة فى الذكورة . ويبدو انها فى الجملة لم تكن سـعيدة مع أسرتها السابقة ، ولذا لم تبدر منها رغبة ملحة فى تكرار العودة الى زيارة هـذه الأسرة السابقة ، مكتفية بهذا اللقاء الوحيد بهم ، وبأستاذها المفضل .

والفتاة فى حياتها الجديدة لا تخشى الوحدة فى الظلام ، ولا تخاف من الحشرات ، ولكنها تخشى السقوط . وقد تبين أن الصبى السابق المتجسد فيها قد توفى اثر سقوطه على أم رأسه من مرتفع عال .

ويعتقد الدكتور ستفنسون أن تغيير جنس هـذا الصبى الى فتاة فى التجسد الجديد له صلة بحالته السابقة عنـدما كان يشعر بعـدم السعادة لكونه صبياً ، ولأنه تربى فى جو نسائى ، ومال الى التخنث على ما شهدت به الأم السابقة . والظاهر أنه كان شديد الغيرة من شقيقاته البنات ، ويشعر بالنفور من شقيقيه الذكرين .

وعن تحقيقات هذه الحالة يسرد ستفنسون الكثير من التفصيلات الأخرى عن أسماء الأشخاص الذين عاونوه فى التحقيق ، وعن المعلومات التى سردتها الفتاة عن الوقائع ، وعن المعالم الجغرافية . ويضع جدولا للتوضيح من ست صفحات غير باقى صفحات هـذا التحقيق المثـابر الدقيق كما هو الشأن فى باقى الحالات الأخرى التى عرضها بأسـلوب مدقق يجتذب الانتباه حقا بدقته ورصانته (١) .

---

(١) للمزيد راجع ايان ستفنسون . المرجع السابق ص ١١٨ — ١٣٤ .

المطلب الثانى

عن التعليل العلمى
لظاهرتى « رؤى أو سمع من قبـــل »

ليست تحقيقات ستفنسون هى الأولى أو الأخيرة فى ظاهرة رؤى أو ســمع من قبل بل ان ثمة تحقيقات مماثلة قام بها بحاث لهم مكانتهم فى عدة بلاد ، وانتهوا الى نتائج ايجابية منذ أوائل القرن الحالى لغـــاية الآن .

ولكن تحقيقات ستفنسون — فيما نعلم — هى أدق التحقيقات التى جرت فى هذا المحيط ، واغناها بالتفصيلات ، وأشدها تحفظاً ، واكثرها ارتباطاً بمنهج التحليل الناقد . وقد اقتضت منه مشقة ضخمة فى التنقل المستمر — لحساب جامعة فيرجينا — بين ارجاء العالم المختلفة ، ناهيك بمشقة تجميع التفصيلات ، وعمل الجداول الكثيرة للتمكن من تأصيل هذه الأحداث وتحليلها .

وهو يقرر أن هذه الظواهر تحدث فى كل مكان ، لكنها تتكرر بوجه خاص فى البيئات التى تؤمن بعقيدة العودة للتجسد حيث تكون الأذهان متنبهة اليها ، وبالتالى مدفوعة الى ملاحظتها ، والى تتبع حدوثها على نحو أو آخر .

وهذه الأحداث هامة فى الكشف عن طبيعة الانسان ، وعن طبيعة صلته بالكون العجيب الذى يعيش فيه . وهى لم تكن تحظى بأية عناية من علم النفس القديم ، لكنها فى علم الروح الحديث تحظى بأجـل عناية من زاوية تحليلها العلمى الصحيح ؛ ومن شأن المثابرة فى تتبعها أن تلقى الكثير من الأضواء على بعض الغاز النفس ، أو ان شئت الروح الانسانية، التى لا تزال تحير الألبـاب فى كل مكان ، وتتكشف كل يوم عن أبعـــاد جديدة من العمق والتركيب لم تكن تخطر على بال أى عالم .

ملحوظات مبدئية

١ — وهنا ملحوظة مبدئية عن نتائج الحـالات التى عرضـها أبان ستفنسون وغيره وهى أن العودة للتجسد لم تكن فورية ، اى بمجـرد الوفاة . وذلك يدحض بعض الاعتقادات التى تذهب هذا المذهب والتى لهـا اتباعها فى الشرق الأقصى . ففى جميع الحالات اتضح مضى فترة

تراوحت فى مداها قضتها الروح فى عالم الغيب محتفظة بشخصيتها وبذاكرتها — ولو على وجه من الوجوه — وهذه الفترة قد تمتد الى سنين وربما الى قرون وعلى ذلك أجمعت رسائل الأرواح الراقية ، وبحوث الباحثين الجادين ، ومع مراعاة أن الزمن ، فى الطبيعة الأزلية للروح كلمة جوفاء لا معنى لها ولا سبيل لقياسها .

وبطبيعة الحال كلما كانت العودة للحياة الأرضية قريبة العهد بالتجسد السابق كلما كانت الذكريات عن ذلك التجسد أغزر وأوضح وكلما كان التحقق من صحتها أيسر منالا ، لأن معالم المكان والزمان تكون لا تزال موجودة بما فى ذلك بقاء بعض الأشخاص الذين يكونون قد عاصروا التجسدين السابق واللاحق .

وكلما كانت هذه العودة الى الحياة الأرضية بعيدة العهد بالتجسد السابق كلما كان التحقق من صحة التجسد السابق صعب المنال ، بل ربما صار متعذراً تماماً بالنظر الى تراجع الذكريات أو اختفائها وبالنظر الى زوال جميع معالم المكان والزمان . ولذا نجد أن جميع الحالات التى نجح العلامة ايان ستفنسون فى متابعتها وتحقيقها قريبة العهد جداً اذ لم يمض على غياب صاحب الحالة فى عالم الغيب سوى فترة تتراوح بين سنة واحدة وعشر سنوات فقط . ومجرد احتمال صحة التجسد القريب تحمل على الاعتقاد بامكان صحة المبدأ من الناحية العلمية — الفلسفية ، ولو تعذر التحقق القاطع لطول العهد بالماضى السحيق للانسان .

٢ — وثمة ملحوظة ثانية : وهى أن العودة للتجسد كانت دائماً فى صورة آدمية ، وربما قريبة — ولو على وجه ما — من صورتها السابقة مباشرة . فلم يثبت فى أية حالة من الحالات أن العودة يمكن أن تكون فى صورة حيوان ، أو طائر ، أو شجرة ... أو غير ذلك على نحو ما تذهب اليه بعض الأساطير خصوصاً فى الشرق الأقصى .

ولذا — كما سبق أن بينت — فان مبدأ « العوده للتجسد » أو « الميلاد من جديد » ينبغى أن يعتبر مبدأ متميزاً تماماً عن مذاهب « التناسخ » أو « التقمص » أو نحوهما — كما سبق أن قلت — وبالتالى عما داخل هذه المذاهب الأخيرة من خرافات كثيرة مستمدة — ولا ريب — من الغلو العقيدى ، هذا الغلو الذى أساء الى كل العقائد والمذاهب وفى كل مكان ، فنأى بهذه الاعتقادات فى كثير من الحالات عن النصوص الصريحة وعن المفاهيم الصحيحة للنصوص ، وما يرتبط بها من مدارس منوعة .

ووصف الغلو العقيدى يصدق على من انكروا عالم الروح بسبب ايمانهم « بالتقمص الفورى » ، كما يصدق بنفس المقدار على من انكروا « العوده للتجسد » رغم ايمانهم بعالم الروح ، ورغم النصوص الصريحة الحاسمة فى معنى هذه « العودة للتجسد أو للميلاد » . وذلك ربما بسبب اصرارهم على الخلود الفورى فى عالم الروح ، وربما أيضا على الاستئثار بمعاملة خاصة لا يصح أن يشاركهم فيها غيرهم من أرباب العقائد الأخرى .

وهكذا يجنى الغلو العقيدى دائماً على كل فهم نقى للايمان ولعلاقة الانسان بالكون وبأخيه الانسان ، بل على كل محاولة تبذل للوصول الى هذا الفهم الصحيح ، مهما كان أقرب الى الحق والى الاعتدال . وأوسع افقاً من كل ما عداه من مفاهيم الاغلاق والتزمت ، بل خصوصاً اذا توافر له ما ذكرنا من خصائص ...

فالاعتدال هو الوزر الذى لا يعادله وزر آخر فى مفاهيم الاغلاق والتزمت ، وما أخطرها على العقل ، وعلى العلم ، وعلى تطور الروح فى طريق الصفاء والنقاء ، والفهم النقى لحقائق الوجود .

ولا تقف الآن قوة فى الوجود فى وجه هذا الغلو العقيدى وما يرتبط به من ضيق فى الأفق ، وتزمت فى الحرف ، قدر قوة هذا البحث المحايد فى مصير الروح الانسانية . وهذا سبب واحد من أسباب كثيرة تعلل الحرب العوان التى يلاقيها هذا البحث المحايد من جهات متعددة تناضل بكل جوارحها دفاعاً عن الجهالة والجمود والاغلاق .

٣ — وثمة ملحوظة ثالثة عن جميع هذه الحالات وهى ان النفس العائدة للتجسد — مهما كانت عودتها قريبة — لا يمكن أن تتذكر ابدا كل ماضيها ، انها تتذكر فقط لمحات أو ومضات سريعة من هذا الماضى تكون قد ربضت قابعة فى عقلها الباطن فلا تطفو الا متى أتيحت لها فرصة الطفو على السطح من جديد .

ولذا فان امتحان هذه الروح العائدة للتجسد فى هذا الماضى امر لا يجدى شيئاً فى اثبات شخصيتها . بل يكفى فى هذا الشأن قدرتها على تذكر بعض الأحداث أو بعض الأسماء التى سبقت لها رؤيتها ، اوسماعها ، والتحقق من صحة هذه وتلك للتعرف على مدى صحة الحالة .

وهذا أمر بديهى اذا روعى الاختبار الحيوى الهام الذى تعرضت له الروح مرتين : مرة عند انفصالها عن جسدها المادى . واخرى عند اتصالها بجسد مادى جديد فى رحم الأم ، وأثر ذلك كله فى ذاكرتها وفى وعيها .

وهذا هو نفس الوضع الذى يقابله كثيرا الباحثون الروحيون عند محاولة الاتصال بأى روح وهى خارج الجسد ، ثم عند رغبة تحقيق شخصيتها عن طريق اختبارها فى ذكرياتها الأرضية . فهذا الاختبار غير منتج فى المعتاد ، اذ ينبغى أن نترك للروح أن تعبر عن نفسها وأن تروى ذكرياتها على النحو الذى يتفق مع سليقتها والذى يتراءى لها ، والذى تقدر عليه هى بحسب حالتها الجديدة خصوصا بعد تغير كلى لظروفها ، وحدوث اندماج جزئى أو كلى بين الجانبين الواعى وغير الواعى للعقل أو بين الشعور واللاشعور ، واثر ذلك فى الذاكرة أثر عميق ، وخطير ، ومتعدد الجوانب(١) .

ومن الملاحظ بوجه عام أن تذكر الروح العائدة للتجسد أحداث حياتها الماضية يكون باهتاً ضعيفاً ، واضعف بكثير من تذكر الروح العائدة للتجسد عن طريق التنويم المغناطيسى الفنى لنفس هذه الأحداث . لأنه فى هذه الحالة الأخيرة يطفو العقل الباطن للروح الى مستوى الذاكرة الواعية لدرجة أن الروح قد تتذكر عدة حيوات لا حياة واحدة فحسب ، وهو ما لا يحدث الا عند التنويم المغناطيسى فيما بعد اذا توافرت اعتبارات معينة .

من تعليقات ستفنسون على نتائج تحقيقاته

ويقول ستفنسون انه يهمه أن يوجه نظر القارىء الى أن بعض الحالات التى حققها تنتمى الى بيئات لا تعرف شيئا عن العودة للتجسد ، وحدثت منها حالات عديدة فى الغرب فى أسر اما لم تسمع اطلاقا عن هذه العودة ، واما لا تعطى هذا الاعتقاد أى اعتبار ، بما فى ذلك بعض حالات فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا ، وانجلترا .

ففى هذه البلاد تجرى الثقافة فى مجرى الكراهية لعقيدة العودة للتجسد ، وكثير من الأشخاص لم يسمع حتى مجرد سماع عن هذه العقيدة ، أو سمع عنها ولكنه اعتبرها خرافة حمقاء يؤمن بها القوم هناك فى آسيا ... ويقول انه واثق من أن كل أسرة من تلك الأسر التى تحدث فيها أطفالها عن ذكريات معينة عن حياة سابقة تلقت تلك الأقوال بدهشة ، بل بعدم تصديق .

كما حدثت حالات مماثلة فى الهند فى أسر اسلامية لا تؤمن بالعودة للتجسد ، بل وتنكر صحتها . وقد يعترض بعض الأشخاص قائلا انه

---

(١) راجع ما ورد فى الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » من ٢٨٤ — ٢٨٥ .

توجد جيوب معزولة من الناس تميل الى الايمان بالعودة للتجسد حتى فى الغـرب ، وهو أمر صـحيح بلا ريب . أو قائلا ان ثمـة اسرة ما قد لا تؤمن بالعودة للتجسد ولكن قد يكون أفرادها مسئولين عن حديث أحد أطفالها عن حياة سابقـة له ، بغير أن يتعمدوا ذلك .

ومثل هذه التأويلات تدفعنى الى توسيع مفهوم التأثيرات الثقافية الى ما وراء ، بل الى ما يناقض الوقائع التى وصلت اليها والتى حدثت خارج اطار الثقافات الموالية للعـودة للتجسد ، ولا أعتقد أنه يتعين علينا ان نصوغ نظرياتنا لكى تلائم الاستثناءات ، بل أن نصوغها بحيث ندخل فيها تلك الحالات الاستثنائية أيضا .

واذا كان احد الأشخاص بمقدوره أن يحوز بياناً يمكن تحقيقه عن حياة سابقة ، وهذا البيان ليس بمقدوره الحصول عليه عن طريق عادى ، بمقدار ما يمكننا القول ، واذا كان هذا الشخص يقـدم بيانه بوصف أنه اتصل به كذكرى من حياة سابقة ، فانه فى الواقع من الجائز فعلا أن يكون الأمر كذلك . فاذا كانت العودة للميلاد تحدث فعلا فان علينا أن نتوقع ذكر بيانات عن حياة سابقة على الحاضر كتذكارات عن المـاضى ، وعلينـا أن نستغرب اذا لم يكن الأمر كذلك .

وعلينا فى الواقع أن نتساءل ـــ اذا كان ثمـة طفل يزعم وجود هذا البيـان عن شخصية سابقة له ـــ عما اذا كان هـذا البيـان ينتمى الى شخص آخـر غير متجسد (أى الى روح) ؟ ولكن اذا كان هناك دليـل آخر يدعونا الى الاعتقاد بأنه يصف لنا شخصيته الخاصـة التى لا تزال مستمرة معه فلا مندوحة من الاعتقاد بصحة ذلك .

وهذا الافتراض يتحقق بشكل نموذجى عندما يحمل المولود حديثا علامات معينة ذات خصائص محددة عالية مشتركة بين شخصين (احدهما سابق وثانيهما لاحق) كما حدث فى حالة كورليس شوتكين Corlis Chotkin . ولدى حالات عديدة تحمل علامات حقيقية ، وقواعـد صحيحة للاقتناع بأن الطفل ما كان بمقدوره أن يحصل بالسبل العادية على البيانات التى قدمها عن شخصيته السابقة » ...

ثم يضيف ستفنسون بعد تحليـل واف لهـذه الحـالات قائلا :
ولقد عثرت على بيّنة قليلة على ان بعض أولئك يحوز قدرة خاصـة على الادراك خارج الحـواس بصرف النظـر عن دائرة الالمـام بشـخصيته السابقـة . وكانت البينـة عبارة عن معلومات قدمتها أسرهم مفادها أن أولئك الأطفال قد تنبأوا عن احداث وقعت لأقارب او لاصدقاء للأسرة ، قبل وقوعها ، أو كانوا بعيـدين عنهم . وكان ذلك فى اسر جنانانيليكا

Gnantılleka ، وسوكلا Sukla ، ومارتا Marta
ولكن هناك أسر اخرى نفت حدوث أمور من هذا القبيل (١) .

* * *

وقوة تحديد شخصية الأشخاص الذين يدعون تذكر حيـاة سابقة لهم بالمقـارنة بشخصيتهم الحاضرة تتفاوت . فبعض أولئـك الأطفـال يستخدم صيغة الماضى لوصف الحياة السابقة فيقولون مثلا : « كنت أحمل أسم كذا وكذا » . لكنهم يتقبلون ايضاً اسماءهم الحاضرة . اما البعض الآخر فهو يناضل ضد الشخصية الحاضرة ويقـول مثلا « لا تنـادونى يا فريد Fred لأن اسمى جون . وانتم لسـتم اقاربى ، فان أبى وأمى يعيشان بعيدا عن هنا » .

بل ان ثمـة أطفالا يحوزون تحديدا قوياً عن شخصية سابقة يمكنهم أن يميزوا أحداث الحياة السابقة بوصفها أحداثا ماضية . فيقول أحدهم مثلا : « لقد حدث لى حادث كهذا عندما كنت كبيراً » . وهم فى المعنـاد لا يعيشون المـاضى من جديد كما لو كان يحدث الآن . وهذا يحدث أيضاً فى أحلام كثيرة اذا حدثت ايحاءات بوجود حياة سابقة .

وفى تلك الأحلام بالذات يشعر الانسان بأن له فى الحلم شخصية مغايرة كانت تعيش فى عصر ماض ، وفى مكان مختلف . وطيلة الحلم ، وربمـا لمدة أطول من الحلم قليلا ، يشعر بنفسه كما لو كان شـخصية أخرى . وبعضهم ينظر عند اليقظـة فى مرآه حتى يتأكد انه مثـلا يملك لحيـة أو لا يملكها .

وتحدث أمور مماثلة لهذه فى حالات التنويم المغناطيسى عندما تؤدى الى ارجاع الذاكرة الى حياة سابقـة . كما تحدث أيضا كثـيرا فى بعض الحالات التى فيها يتذكر انسان وهو فى يقظته حادثة قديمة لكنه يشعر كما لو كان لا يزال يحيا فى مجرى الحادثة كما حدثت فى أصلها ، ويتصرف كما لو كانت هذه الحادثة لا تزال تجرى فى الحاضر (٢) .

* * *

ثم يتعرض ستفنسـون لموضوع آخر دقيق ، وهو الى أى مدى يمكن للوالدين أن يفرضا على طفلهما سلوكا معينا ، خصوصا فيما يتعلق بتذكر حياة سابقة له ؟ وبعبارة أخرى الى أى مدى يمكن للوالدين ان يؤثرا فى

---

(١) عن ستفنسون : المرجع السابق ص، ٣١٢ — ٣١٦ .

(٢) عن المرجع السابق ٣٢٠ — ٣٢١ .

شخصية طفلهما بما يدفعه مثلا الى القول بأنه كان فى حياة سابقة هذا الشخص أو ذاك ؟ !

ويقول ان هذا النوع من الأحداث مرّ به الطفل الهندى رانجيث Ranjith الذى كان يعتقد اعتقادا جازماً أنه كان فى حياته السابقة شخصا يعيش فى انجلترا . والموضوع ليس موضوع تشابه فى الملامح بل موضوع احساس منه بأنه يمثل دوام حياة شخص آخر . وكان رانجيث يحس بذلك احساسا متدفقا الى حد انه كان أحياناً يستخدم صيغة الحاضر للحديث عن الحياة السابقة فيقول : « ان لى أباً وأماً فى انجلترا » أو أن أمى تدعونى قائلة « يا عزيزى darling أو يا حبيب قلبى sweetheart » .

وللاجابة على التساؤل السابق فان بمقدورى أن أقول اننى فيما خلا حالات العودة للتجسد التى من هذا القبيل ، فاننى لم أسمع أبداً عن طفل يضع نفسه فى شخصية أخرى يزعم طويلا أنها تمثل شخصيته الخاصة كما يفعل أولئك الأطفال الذين يزعمون انهم قد عاشوا من قبل .

وقد يحدث هذا عندالبالغين المرضى بمرض نفسى معين psychotic ، لكن هذا المرض نادر جدا عند الأطفال . وتشخيص الطفل نفسه تشخيصاً زائفاً بأنه شخص آخر أكثر ندرة . وقد ناقشت هذا الافتراض مع الاخصائيين فى علم التحليل النفسى للأطفال ، ولم يذكر لى اى واحد انه سمع أبداً عن حالة يزعم فيها طفل ما أنه يمثل شخصاً آخر . ولم اكتشف فى كل اطلاعى فى « علم نفس الأطفال » حالة واحدة من هذا القبيل فيما عدا حالة لعب الأطفال مع الآخرين أو مع الحيوانات .

ثم يقول ان بعض أولئك الأطفال مثل براكاش ، وسكلا ، وبارمود ، وعماد كان يريد مغادرة والديه وقريته والذهاب الى أسرته الحقيقية فى قرية أخرى ، وأن هذا السلوك هو آخر ما يفكر فيه الآباء ، أو آخر ما يمكن أن يعزى الى ايحاءاتهم أو الى تأثيراتهم فى أطفالهم (١) .

وينبغى أن نلاحظ عند تقدير هذه الآراء الخطيرة التى وصل اليها ستفنسون انه قبل كل شىء آخر عالم نفسى ، وانه يعمل حاليا استاذا للتحليل النفسى بجامعة فيرجينيا ، فهو يتكلم فى ميدان من صميم اختصاصه العلمى ، الذى يؤهله للحديث فيه عن دراية وخبرة كافيتين (٢) .

---

(١) ص المرجع السابق ص ٣٣٣ — ٣٣٤ ، ٣٣٦ .

(٢) راجع ما ورد فى الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

من حديثين له مع جريدة بريطانية

ويجمل بى أن اشير فى هذا المقام الى حديث صحفى جرى بين أيان ستفنسون وبين محرر جريدة الأنباء الروحية Psychic News البريطانية عند زيارة ستفنسون لبريطانيا فى سنة ١٩٧٠ ، وكان مما ورد فيه : —

س (من المحرر) : ان معظم ما قرأته عنك أو ما قرأته لك ببحث فى العودة للتجسد ، فهل هذا الموضوع هو الذى اخترته لدراساتك والذى استغرق أكثر وقتك فى الباراسيكولوجى ؟

ج : قد يكون ذلك . وقد يكون على وجه التحديد شاغلا ٧٥٪ من وقتى . اننى أهتم أيضاً بالوساطة ، ولذلك بدأنا فى اعداد منهاج لدراسة الوسطاء فى جامعة فرجينيا . ان اهتمامى شديد بسلسلة الحالات التلقائية كلها : الأرواح ، والأحلام الكاشفة وغير ذلك ، وانى أشارك أيضا من وقت الى آخر فى القيام بتجارب أخرى أرى أنها لا تبعدنى عن تركيز اهتمامى حول الموضوع الأساسى .

س : ألا يصلح التلباثى (انتقال الأفكار) لتحليل هذه الظواهر ؟

ج : اننى لا أوافق على هذا التفسير القاصر وغير المناسب لجميع الاتصالات الوساطية . ولكنه يعتبر دفعة الى الأمام يقوم بها المتشككون . ويمكن أن يحصل الانسان على حالات من العودة للتجسد فيها بالأقل سمات معينة لا يمكن تفسيرها على أساس التلباثى بين الأحياء .

وهناك نموذجان من الحالات . افرض أن رجلا قد أصيب بطعنة سكين قاتلة تركت علامة واضحة على جسمه ، فان طفلاً قد يولد فيما بعد بعيدا عن مكان الحادث بخمسين ميلا أو مائة ميلا أو أكثر من ذلك ، وفى جسمه علامات مختلفة تشبه « الوحمة » متطابقة ومماثلة فى المظهر ونفس الوضع الذى أصيب فيه الرجل المتوفى ولم يسمع أهله شيئا عنها !

وأكثر من ذلك فان هذا الطفل قد يظهر معرفة خارقة يتعذر تعليلها عن الرجل المتوفى . أعتقد أن هذه بينة قوية على أن جسم الرجل المصاب قام بطريقة ما كنموذج (موديل) على جسم الطفل ، ولا يمكن أن يحدث هذا عن طريق التلباثى ...

س : انك بنيت قدرا كبيرا من الأهمية على المظاهر الخارجية الفيزيقية كعلامات الوحم .

ج : نعم أعتقد أن هـــذه السمات مؤثرة جـدا فى حالات الولادة الجديدة . لقد درست نحو مائة حالة من هذه الحالات وعندى كثير منها مزود بالصور ، وبعضها لا يتضـمن علامات على الجـلد فحسب ، ولكن تظهر عليه تشوهات وعاهات جسدية فعلية . وهناك حالات عديدة أعدها من الحالات القوية على طول الخط وسأضمنها الى كتابى القادم ...

* * *

(ومن هذا القبيل روى ستفنسون لمحررة صحيفة « الحـوادث » اللبنانية واقعــة الصبى طليع سويد « فقد شاهدت بعينى أثر الرصاصة فى الخد الأيسر لهذا الصبى الذى لم يصب برصاصة فى حياته — كما علمت أن الشخص الذى تجسدته روحه وهو المرحوم سعيد أبو الحسن كان قد مات مقتولا برصاصة فى خـده الأيسر وفى الموضـع ذاته . وقد ازدادت دهشتى حين علمت من الدكتور سامى مكارم بصعوبات النطق التى يعانى منها طليع سويد ، والتى ترجع أسبابها الى الاصابة التى صرعت الجسد السابق لروحه) . ثم نستأنف تلخيص حديثه مع هذه الصحيفة اللبنانية فيما يلى : ـ

س : هل تسلم بالعودة للتجسد ؟ وهـل تساعدك فى فهم أكثر من غيره للحيـاة .

ج : ان موقفى من هذه القضية هو انى اعتقد انها أحسن تفسـير لعدد معين من الحـالات التى لدينـا فى الوقت الحاضر . وعلى كل حال ربما أغير رأيى فى هذا غدا ، اذا قدَّم لنـا شـخص ما تفسيرات أفضل .

وانى لا أظن أن اية حالة فردية ، أو كل الحـالات جميعـاً تعطى البرهان الحاسم والنهائى ، ولكنها تبدو لى فرضيات مساعدة على العمل ومعقولة جداً ، ويمكن أن يعتمد عليها الانسان فى مباشرة تحقيقات أخرى . وان العودة للتجســد اذا حدثت فهى كما يبدو لى تجعل للحيـاة معنى وطعماً ، ويجد فيهـا المضطهدون أملهم .. اننى اميل الى الاعتقاد بأن العودة للتجسد قائمة بعملها فعلا ...

نعم ان العودة للتجسد تحدث فى كل مكان؛ وانا الآن أحضر كتاباً آخر عن العودة للتجسد فى أوروبا والولايات المتحدة ، وقد درست فيه ٣٠ حالة عودة تجسد أوروبية ، كما درست بعض حالات العودة للتجسد فى المانيا ، والولايات المتحدة ، واستراليا .

س : حينما نقول كلمة « عودة للتجسد » هل تفهمها انت بمفهومها التقليدى ؟ وهل يمكن أن يكون التجسد هو اللاوعى المتوارث جيلاً بعد جيـل ؟

ج : لا يوجد شيء اسمه المفهوم التقليدي . فالمفهوم يختلف بين قوم وقوم ، ولكن روح الفكرة تظل واحدة . وثمة علاقة بين شكل الايمان وشكل العودة للتجسد. مثلاً في لبنان، وهو اكثر بلدان العالم كثافة من حيث حالات العودة للتجسد ، لا توجد حالات تغيّر جنس (اى أن الروح تتجسد أنثى بعد أن كانت في جسد سابق ذكراً ، أو بالعكس) أما عند الهندوس فاننا نجد كثيراً من حالات تغير الجنس في العودة للتجسد .

أما عن « اللاوعي المتوارث » فانه يفسر بعض حالات العودة للتجسد لا كلها (تذكرت هنا حكاية عن صبي انجليزي وُلد يتحدث اليابانية ، ويحمل عادات يابانية منها اكل السمك نيئاً، وهو أمر يشمئز منه الانجليزي العادي . وهذه الحادثة لا يمكن تفسيرها باللاوعي المتوارث ، والعودة للتجسد وحدها تفسرها) .

س : هل أنت وحدك في أمريكا مهتم بهذا الحقل ، أم أن هنالك أساتذة جامعيون سواك ؟

ج : في أمريكا أعرف حوالي اثني عشر أستاذاً في الجامعات متفرغين لحقل الباراسيكولوجي ... بينهم ثلاثة مهتمون بقضايا الروح ، ولي زميل يدرس رؤى المحتضرين ، أي لحظة انفصال الروح عن الجسد المشحونة بطاقات عجيبة من الرؤيا ويقظة ما بعد الحواس ، والطرح الروحي (١) ، وهناك زملاء لي استطاعوا تصوير أفكار شخص بواسطة أجهزة في غاية الحساسية ... (٢) .

عن التمييز بين « العودة للتجسد » والاستحواذ

وينبغي عدم الخلط بين العودة للتجسد ، وهي تبدو ناموساً طبيعياً للميلاد من جديد على هذا المسنوى المادي من الكوكب الأرضي ، وبين الاستحواذ Possession الذي قد يحدث أحياناً من روح انسان منتقل على جسد انسان لا يزال يواصل حياته الأرضية ، والذي لا يعتبر ناموساً طبيعياً بمقدار ما قد يعتبر — في غير حالات الهيمنة للارشاد ، أو للعلاج ، أو للاقناع ، أو للالهام ... — ظاهرة مرضية قد تدوم طويلاً أو قصيراً .

والأصل انه بمجرد زوال حالة الاستحواذ المرضي يعود المريض الى

---

(١) راجع الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » ص ٨٩٠ — ٩٣٤ .
أو من كتاب « ظواهر الخروج من الجسد » ص ٦٦ — ١١٠ .

(٢) من كتاب الأستاذ عبد العزيز جادو ، المرجع السابع السابق ص ١٨٥—١٩٤ .

شخصيته السابقة تماماً . وقد عرضنا حالة من هـذا القبيل خضعت لتحقيق دقيق هي حالة « معجزة واتيسكا » Watseka (١) . كما قابل بعض خبراء التنويم المغناطيسي حالات من استحواذ كائن اثيري أو شبحي على جسد الوسيط أو الوسيطة في الغيبوبة . وقد سلم الفيلسوف الامريكي وليام جيمس W James بامكانية حدوث هذا الاستحواذ (٢) وايضاً عدد لا يستهان به من أبرز العلماء .

على أن ثمة صورة أخرى للاستحواذ صادفها بعض البحاث . وهي استحواذ كائن وهو خارج جسده المادي على جسد انسان في لحظة الوفاة ، اي في نفس لحظة خروج صاحبه منه ، أو محاولته الخروج منه عند الإحتضار . ومن هـذه الحالات الأخيرة حالة صادفها الدكتور ايان ستفنسون ، وكان ذلك بمناسبة اجراء بعض تحقيقاته الدقيقة في حالات العودة للتجسد التي ذهب الى الهند خصيصاً لتحقيقها .

وهي حالة نقدمها فيما يلي لضرورة التمييز بين الاستحواذ من جانب والعودة للتجسد من جانب آخر . وهي تبرز في نفس الوقت كيف أن تحقيقات ستفنسون في الهند لم تكن أمراً سهلاً ، بل كلفته مشقات باللغة غير الانتقال والتفاهم بالترجمة ، وهي مشقة اقناع الناس بأنه لا يريد بهم شراً ، وانه لا يريد التدخل في عقائدهم وعلاقاتهم . وراحة أرواح الأحياء أو « الأموات » منهم .

ومن تلك الحالات الغريبة التي صادفها حالة جاسبير Jasbir وهو طفل هندوسي في الثالثة والنصف من عمره قيل انه كان ضحية استحواذ كامل من روح شاب برهمي يدعى سوبهارام Sobharram توفي — أو ان شئت فقد جسده الأرضي — عندما كان في الثانية والعشرين من عمره .

وهـذا الطفل المدعو جاسبير كان من سكان قرية راسولبور Rasulpur وأصيب في ربيع سنة ١٩٥٤ بمرض الجدري اصابة شديدة الى حد أن « توفي » أو بالأدق ظهرت عليه جميع الأعراض اللازمة « للجزم بالوفاة » . ولكن بعد بضعة أيام من « وفاته » استرد صحته بالكامل ، ثم احتاج الى بضعة أسابيع لكي يسترد قدرته الكاملة على النطق .

وعندئذ ظهر سلوكه شاذاً غريباً عما كان عليه قبل « وفاته » .

---

(١) راجع ما ورد في « المفصل » الجزء الأول ، ص ٨٢٠ — ٨٢٧ .

(٢) راجع ما ورد في المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

ومن ذلك انه اصبح يصر على انه برهمي لا هندوسي (كما كان من قبل) . وانه يدعى سوبهارام ، وانه ابن المدعو شانكار لال تياجي Shankar Lal Tyagi من سكان قرية فيهيدى Vehedi التي تبعد نحو ثلاثين ميلاً من قريته راسولبور Rasulpur .

وذات يوم زار هذه القرية الأخيرة مدرس من قرية فيهيدى (التي كان يعيش فيها سوبهارام) فتعرف عليه جاسبير على الفور ، كما اخذ في الحديث عن قريته فيهيدى ومنزل « والده » هناك . فاستغرب جميع الموجودين واخذوه الى فيهيدى — وكان عندئذ قد بلغ السابعة من عمره — حيث تعرف طريقه تلقائياً الى منزل اسرة شانكار ، وسرد تسعة وثلاثين بياناً محدداً عن حياة سوبهارام . كما تبين أن سوبهارام هذا وهو ابن شانكار كان قد تزوج وانجب اولادا وتوفى بغتة بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٥٤ ، اى بتاريخ معاصر لتاريخ هذا التحول العجيب الذى لحق شخصية الطفل « المتوفى » جاسبير .

وظل هذا الطفل يصر على انه يدعى سوبهارام وانه من البراهمة لا من الهندوس وكان بالتالي يرفض تناول اى طعام ما لم يكن معداً بالطريقة البرهمية التي لم تكن تعرف عنها شيئاً أسرته الهندوسية ، فتطوع جار برهمي للأسرة باعداد هذا الطعام . وكل من يعرف شيئاً عن صرامة تقاليد طائفة البراهما يفهم كيف أن البرهمي يفضل أن يموت جوعاً على ألا يتناول طعاماً برهتمياً ، مهما كانت الأمور . وظل الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية عشر شهراً كاملاً .

ومن الصعوبة بمكان ايضاً أن نتصور كيف أن الطفل جاسبير وهو في الثالثة والنصف من عمره تحول من سلوكه كطفل وديع الى سلوك انسان بالغ العمر يزيد عنه بحوالى ثمانية عشر عاماً . وفى هذا الشأن يكتب ستفنسون : « لقد لاحظت خلال اقامتي بسهولة كيف أن هذا الطفل أصبح يرفض اللعب مع باقى الأطفال ، بل ظل منعزلاً عنهم ووحيداً بينما كان يقبل راضياً على الحديث مع ترجماني ، رغم انه كان يحمل تعبيرا حزينا على وجهه الهادىء الذى يحمل علامات اصابته بالجدرى لكنه يبدو جميلا » .

وكانت أسرة الشاب البرهمي المتوفى سوبهارام تعامل الطفل جاسبير بروح العداء ، (لأنه من اسرة هندوسية ، وقد عز ذلك على الأسرة البرهمية التي تعتقد انها أسمى طبقة من الهندوس) ولذا أبت على هذا الطفل أن تزوره « أرملة » سوبهارام البرهمية التي تركها في حياته السابقة على الأرض .

ويقول ستفنسون : « ان القراء يريدون طبعاً أن يعرفوا بيـــانا عن نوع الأحداث التى مرت بالطفل جاسبير منذ وفاة شخصية سوبهارام ، وظهور شخصيته فى جاسبير ، وعن ذكرياته منذ كان يدعى ســوبهارام . وعلى هذه الأسئلة أجاب جاســبير فى سنة ١٩٦١ قائلا انه عنــدما توفى (بوصفه سوبهارام) قابل « هناك » شخصاً يعتقد أنه شــيخ أو رئيس دينى Sadhu نصحه بأن يستحوذ على جسد الطفل جاسبير الذى كان فى حالة احتضار .

ورغم أن انتهاء شخصية جاسبير الظاهرة (باتخــاذه شــخصية سوبهارام) حدث فى الفترة من ابريل الى مايو ســنة ١٩٥٤ وهو تاريخ معاصر لتاريخ وفاة سوبهارام ، الا أن التحول فى شخصية جاســبير لم يحدث مباشرة بعد تلك الليــلة التى ظهــر فيها كمــا لو كان قد توفى من الجدرى ، ثم عاد الى الحياة فجأة . بل لقد ظــل جاســبير فى الأسابيع التالية مريضاً فى خطر الموت بالجــدرى وكان يتناول طعــامه بصــعوبة ، وعاجزا عن ابراز أية معالم لشخصيته . ولذا فان تغيير الشخصية ربما حدث سراعاً أو تدريجيا خــلال الأسابيع التى بدات مباشرة بعــد وفاة جاسبير (حين توقفت جميع وظائفه الحيــوية كالنبض والتنفس بسبب مرضه بالجدرى فاعتقد الجميع انه قد توفى) .

وعلى هذه الحالة الفريدة يعلق نويل لانجلى Noel Langley فى مؤلفه عن « العودة للتجسد بحسب ادجار كايس » (١) قائلا انهــا حالة فريدة ، لأنه فى معظم الحالات التى من هذا القبيل يعطى الروح وقتــا ما بعد مغادرة جســـده الأرضى قبل أن يعــود الى حمل جــديد حتى فى حالات الموت المباغت .

والاشــارة التى حدثت الى « الرئيس الدينى » الذى اشــــار على سوبهارام أن يتخذ له مسكنا من الجسد الميت أو المحتضر للطفل جاسبير تمثل حالة مروق أو خروج على النواميس العامة للخليقة . ولقد أقــــر ادجار كايس أنه تحدث فى بعض الأحيان أخطاء فى هذا الشأن ، ولو انهــا نادرة . كما أقر بأن المستوى الأول من عالم الروح مســـتوى بدائى ، الى حد يجعله يشبه الى حد ما المستوى الأرضى ، ويمكن أن تقطنه « اشكال عقلية » لأرواح متخلفة او غير متطورة بمقدورها أن تتخــذ كل صــور الفخاخ أو الشراك التى تصادفنا فى « الكابوس » .

---

(١) Edgar Cayce On Reincarnation.

وبالتالى فلا يُستبعد أن يكون قد ظهر للشاب سوبهارام كائن حقود يكرهه لروابط « كارمية » متوارثة من حيوات قديمة ، وأنه أراد الانتقام منه ، وظل متحينا فرصة احتضاره لتصفية حسابه القديم معه . وذلك بأن ظهر له فى اللحظة التى كانت الأمور لا تزال مختلطة فى ذهن سوبهارام بسبب احتضاره ، ذلك الاختلاط الذى منعه من أن يدافع عن نفســه ، فظهر له عنــدئذ روح لطيف ، أو مراقب للأحــداث ، فى صــورة رئيس دينى Sadhu ، وأرشده الى المــأوى الوحيد الذى قد يحميه من عدوه ، وهو القوقعة التى تركها الطفل الصغير .

ومن الجائز أن يكون ذلك بمثابة اجــراء وقتى حتى يزول الخطــر المباشر القادم من ناحية المستوى الكوكبى المنخفض ، ويتمكن سوبهارام من أن يتجــه فى أمان الى مستوى أكثر ثقافــة ، وأوفر حمــاية من ذلك المستوى المنخفض . ومن الجائز أيضا أنه بمجرد ما دلف سوبهارام الى جسد الطفل تعذر عليه أن ينسحب منه ثانية ، وبالتالى تعين عليه أن يظل ملازماً للأرض فى صورة جاسبير حتى يســدد ديونه الكارمية ، ولحسن الحظ أن ذاكرته عن حيواته السابقة ستتلاشى تدريجيا ، كما يحــدث عادة .

وفيما بعد لنــا حديث فى « الهيولى المحايدة » أو الجسد الأثيرى الذى لا هو عقل ولا هو مادة كافتراض علمى له وجاهته فى تعليل ظاهرة حدوث الحمل عند العودة للتجسد ، وأيضاً فى تعليل ظاهرة الاســتحواذ الروحى بوجه عام ، وهى لها الآن أسانيد لا تحصى وضعت بمعرفة علمــاء كبار مدققين الى آخر مدى .

المبحث الثالث

عن بعض النتائج العلمية الهــامة التى خلص اليها الباحثون

بعد أن بينت فى المبحثين السابقين جانباً من الشواهد التى جمعها الباحثون عن طــريق دراســة اختبارات ارجاع الذاكــرة الى الوراء ، وظاهرتى « رؤى من قبل » و « سُمع من قبل » مع اخضاعها للتحليــل العلمى يتعين أن أعالج فى المبحث الحالى بعض النتائج العلمية العامة التى خلص اليها الباحثون فى شأن احتمالات العودة للتجسد ، خصوصاً ما كان منها نافعاً لخدمة طب التحليــل النفسى الذى يلاقى الآن ثورة جذرية فى العديد من مفاهيمه القديمة .

وســيكون اعتمادى ـ بالاضافة الى مراجع أخــرى ـ على مؤلف

حديث لعـالم معروف يدعى كارل موللر Karl Muller بذل جهداً ضخماً فى تجميع المئات من وقائع هـذا الموضوع ، وفى تحليلها للخروج منها بدلالاتها المنطقية ، بالاضافة الى عدد آخر من النتائج الهـامة التى خلص اليها غيره من الباحثين .



كارل موللر

وكارل موللر هـذا (١٨٩٣ — ١٩٦٨) بحـاثة روحى سويسرى له وزنه بدأ تحقيقاته الروحية مبكراً مع القـاضى جورج سولزر George Sulzer الذى كان رئيساً لأكبر هيئة قضائية فى زيوريخ Zurich . اما موللر فقد كان مهندساً كهربائياً ناجحاً . وقد أفادته خبرته هـذه فى مواصلة تحقيقاته المثـابرة فى دائرته الخاصة بمنزله فى زيوريخ حتى وصل الى تسجيل ظواهر التجسدات بكاميرا تعمل بالأشعة دون الحمـراء ، وقد واصـل هـذه التحقيقات منـذ بدأ نشـاطه فى دائرته الروحيـة فى سـنة ١٩٣٦ الى حين انتقاله الى عالم الروح فى سنة ١٩٦٨ .

وأسس موللر جمعية للبحث الروحى فى زيوريخ وكان رئيساً لها ، كما أصبح فيما بعد رئيساً «للاتحاد الدولى للروحيين(١) » (I. S. F) وكان موللر مقتنعاً بصحة العودة للتجسد .

ماذا يقول موللر

ويقول موللر انه خلال تحقيقات متواصلة لمـدى ثمانى سـنوات جمع اكثر من سـبعمائة حالة ، وقال فى شأنها « اننى مقتنع تماماً بأن دعوى العـودة للتجسد قد ثبتت نهائياً ، كما ثبتت دعوى دوام الحياة بعد الموت . واذا تقبلت احداهما ستتقبل الأخرى » . كما يرى انه كان يكون من المفارقات أن يتقبل العلم العودة للتجسد قبل أن يتقبل دوام الحياة بعد الموت .

---

(١) International Spiritualist Federation.

والحالات التى عنى موللر بتجميعها عن العودة للتجسد كلهـا من فصيلة حالات التذكر الواعى أى حالات « رؤى من قبل » ، و « سمع من قبل » التى عنى بتحقيق أمثالها أيان ستفنسون ، وغيره من أساتذة التحليل النفسى خصوصاً فى الولايات المتحـدة الامريكية وقد نشرها فى مؤلف حـديث قيم عنوانه « العودة للتجسـد مؤسسة على وقائع » (١) (١٩٧٠) .

ويتناول موللر هذه الحالات بالتحليل العلمى الذى يساعده فيـه المـام كاف بدراسة الظـواهر الروحيـة المتنوعة بما فيها « التلباثى » أو التخاطر التى اقتنع بصـحتها ، كما اقتنع بصـحة سائر الظـواهر العقلية ، ويقول فى شأنها : انه يبدو أن عدد الأشـخاص ذوى المواهب الروحية يتجاوز كثيراً عدد أولـئك الذين يمكنهم أن يتذكروا بصـورة واعية حياة سابقة لهم . ويمكن تقدير عدد أصحاب المواهب الروحيـة بواحد من كل عشرين واحـد (أى بنسبة ٥٪) ويعتقد الدروز بجبـل لبنان انه فى كل عشرة آلاف شخص يوجد شخص واحد يمكنه أن يحوز ذكرى واضحة عن حياة سابقة له .

وحتى اذا قلنا ان هذه الأرقام تمثل مجرد رجم بالغيب فانهـا تبين أن الموهبة الروحية ــ وهى تنمو بالمران ــ اكثر شيوعاً من حالات التذكر الواعى ... بالاضافة الى ذلك فان حدوث انفعال ما ، أو ارتباط معين بحادثة خاصة قد يفتح الطريق الى تذكر القديم .

وقد يرى هذا الشخص رؤى معينة تشير الى ذكريات تنتمى الى وجود سابق ، بغير أن تحوز هذه الرؤى وضوحاً كافياً ، وبعض هـذه الرؤى قد يكون رمزياً ، مما يؤدى الى زيادة الصعوبة فى تكملة الصورة عن المـاضى ...

وعندما تصل ذاكرة معينة الى وضوح معين ، فلا يتبقى من بعـد شك فى العقل أن هذه المناظر التى تم تذكرها تمثل تجارب شخصية . ويطلق أيان ستفنسـون على هـذه الظـاهرة وصف التشـخيص Personation . وبالاضافة الى ذلك فان انفعـالا قوياً يصاحب عادة التذكر ، وقد يدفع بعض الأطفال الى المطالبة بالعودة الى آبائهم الأقدمين ، أو قد يدفع زوجة ما الى المطالبة بالعودة الى زوجها فى الحياة السابقة (٢) .

---

(١) Reincarnation Based On Facts 1970.

(٢) عن المرجع السابق ص ١٥٥ ــ ١٥٦ .

ويقـول ديون فورتيون Dion Fortune فى مؤلفـه « الروح تدافع عن نفسها » (١) ان دخول المفاهيم الغيبية الى العقل الواعى قد يميل الى ايقاظ الذاكرة اللاشعورية عن اختبارات مماثلة فى حيوات سابقة . وان الانفعال الذى يحيط بتذكر معين قد يتحرك قبل أن تحدث الصورة الراهنة للحادثة القديمة . وهذه واحدة من أحسن الاختبارات عن صحة الذكريات المتعلقة بحيوات سابقة .

وهذا الانفعال الذى قد يجىء مبكرا قد يظـل معلقاً لفترة طويلة على عتبة الوعى قبل أن تتضح صور المـاضى بشكل كافٍ ومحسوس . وهكذا يبين أن الموضوع ليس فحسب موضوع العـلم بحوادث سابقة ، بل هو موضوع انفعال قد يكون هو الجزء الأمامى من الصورة برمتها قبل أن تخرج الى حيز الوجود .

وبعض الأحـداث الروحيـة مرتبط بذاكرة عن مكان معين ، قد تتحرك بلا سبب ظاهر عند زائر ما لهذا المكان . وسواء أكان « الظرف الكهربى للطقس » له صلة ما بتحـرك « الذكرى » أم ليست له صلة ما بذلك ، فان بمقدورنا أن نتفهم هذه المسألة بوصفها نوعاً من السيكومترى (أى قياس الأثر الروحى فى المكان أو فى الزمان) (٢) .

ويمكن أن نفترض أن هناك حالات تثـير الشـك فيما اذا كانت « الذكرى » ترجـع الى نفس المكان ، أم الى نفس الواقعة الخبيثة فى ذاكرة صاحبها . وينبغى أن يواجه الموضوع بدرجات الانفعال ، وبمدى وضوح الصورة ، وتركيزها فى ذهن صاحبها (٣) .

و « نضيف » الى ذلك أيضاً أن ثمـة حالات لاسترجاع ذاكـرة التجسد السابق حدثت بسبب ارتفـاع درجـة حرارة المريض فى أثناء الحمى ، أو بسبب التخدير الجراحى ، أو بسبب الغيبوبة عقب حادثة تصـادم . وهى حالات على حـدة اذ تتنبه فيها الذاكرة بغتـة ، ولكن بصورة مَرَضية .

وعلة هذا التنبه المباغت هى فيما يبـدو حدوث خروج جزئى من الجسد يسـهّل لصاحبه الاتصـال بعقله البـاطن وبالذكريات المخبوءة

---

(١) Psychic Self Defense p. 106.

(٢) راجع « الفصل » . الجزء الاول ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) عن كارل موللر . المرجع السابق ص ١٥٦ - ١٥٧ .

فيه (١) . ولا توجد حالات كثيرة من هذا النوع ، لكنها لا تغاير كثيراً حالات استرجاع الذاكرة فى الظروف الأخرى . ومنها حالات النطق بكلمات من لغة أجنبية عن الشخص متى ثبت أنه لم يكن واقعاً تحت هيمنة روحية تتميز عادة بغيبوبة لها أوضاع وشروط معينة .

وبعض حالات المس الروحى والاستحواذ قد يكون ذا صلة أيضا باسترجاع الذاكرة عن تجسد سابق ، لأن الروح الماسة أو المستحوذة قد تكون ذات صلات عريقة بالانسان ضحية المس والاستحواذ ، بمعنى أن هذه الصلات قد يرجع العهد بها الى تجسد سابق ، لكنها لا تزال محفوظة فى ذاكرة صاحبها .

ويلاحظ موللر أيضاً أن تذكر حياة سابقة يحتمل أن يفترض نوعا من الحساسية أو من الموهبة الروحية . ان قنطرة ما ينبغى أن توجد لتربط بين الذاكرة وبين العقل الواعى سواء أكان هذا الأخير يقع فى جانبه من البنيان الروحى للانسان ، أم فى موقع آخر مثل «الذاكرة الكونية» .

والتعريف الشائع للوسيط يكون عن طريق قدرته على احضار معلومات مسلم بها الى عقله الواعى بطريقة مغايرة للمألوف ، أوالحصول عليها عن طريق بعض الأجهزة (مثل جهاز الكوميونجراف) (٢) . أو لوحة الحروف الهجائية (٣) .

عن موطن الذاكرة

والذاكرة موطنها بطبيعة الحال الجسد الأثيرى لا المخ (٤) . والجسد الأثيرى لايفنى بالموت كالمخ ، بل يظل حاملا وعى الانسان الشامل الذى كان يعمل جانب منه فقط عن طريق المخ وهو الجانب الشعورى والآخر كان يعمل عن غير طريق المخ وهو الجانب اللاشعورى ، وهو يمثل الجانب الأخطر ، والأعمق ، والأوسع من الوعى (٥) .

وبعد الوفاة بوقت يتراوح فى مداه يحدث اندماج تدريجى للجانبين الشعورى واللاشعورى من الوعى ، وباندماجها معاً يبدو الوعى السليم العادى أكثر اشراقاً ، وانطلاقاً وصفاء ، وذكاء . وهذا هو الاتجاه السائد عند كبار الباحثين الروحيين وأوثقهم اتصالا بالبحث فى صلة

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٨٩٠ — ٩٥٩ ، ١٠١٠ — ١٠١٥ أو كتاب « ظواهر الخروج من الجسد » ص ٦٦ — ١١٠ ، ١٨٦ — ١٩١ .

(٢) راجع ما ورد عنها فى « المفصل » الجزء الأول ص ٢٨٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٨١ .

(٤) راجع ما ورد عن الجسد الأثيرى فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٤١ — ٨٨٢ .

(٥) راجع ما ورد عن العقل الباطن فى « المفصل » الجزء الثانى ص ١٠٨ — ١٢٢ .

العقل بالمخ ومنهم مايرز ، وبروض فى انجلترا ، وجيلى وأوستى فى فرنسا . ولنا عودة تفصيلية الى ذلك فيما بعد عندما نتحدث فى مصدر هذا الجانب غير الواعى وهو اللاشعور لنبين كيف أن نظرية العودة للتجسد تلقى على تعليل هذا المصدر أضواء لا تظفر بها محاولة التعليل عن اى طريق آخر .

والانسان العادى لا يتذكر أحداث حياته الماضية ، لكنه يمكن أن يكون خاضعاً لتأثيرها بدرجات مختلفة وبأساليب متنوعة ، بما فى ذلك الأمور التى قد يحبها أو يكرهها ، وربما لسبب غير ظاهر . ويقول كارل موللر انه يبدو أن قوة هذه التأثيرات تتوقف على الطاقة الانفعالية التى لا تزال مرتبطة بجانب معين من التذكر . وسواء كانت الانفعالات المكبوتة تعتبر مسئولة ، أم غيرها من صور الطاقة الروحية ، فان هذه الذكريات لها تأثيرها حتى فى احداث بعض الاضطرابات العقلية . ومن الصعوبة بمكان أن نعين اى التذكارات المتنوعة ينبغى بالتالى أن يعتبر مسئولا فى حالة أو فى اخرى ، ولماذا يتلقى هذا التذكار طاقة روحية متحركة دون غيره بدلا من ان يظل خاملا فى اللاشعور .

ومما يثير الحيرة العلامات التى فى أجسام بعض العائدين للتجسد ، والتى تتفق مع بعض الجروح أو التشوهات التى صادفتهم فى تجسد سابق لهم ، وتوجد عدة أمثلة لذلك (١) . لذا تجدنا مضطرين لأن نفترض أن نمو الجنين فى رحم أمه لا يكون محكوماً بعوامل الوراثة وحدها ، لكنه قد يكون خاضعاً أيضاً لتأثير الروح التى على وشك أن تتجسد .

فمثلا وجد أن الموت العنيف فى ظروف قاسية قد يحدث علامات مماثلة، وربما لأن ذاكرة التجسد الأثيرى تكون قد انفعلت بالطاقة العاطفية التى من شأنها أن تؤثر فى نمو الجنين . وعلم النفس المعاصر يتقبل التأثيرات الروحية ـ العضوية psychosomatic التى تسببها الانفعالات ومن بينها العلامات التى تظهر على البشرة تحت تأثير الايحاء فى أثناء التنويم المغناطيسى . وايضاً قدرة بعض أتباع المذهب اليوجى على الدخول فى حالة تشبه حالة الموت (بما فى ذلك توقف النبض ودورة الدم والتنفس) (٢) .

واذ كنا نتقبل امكانية تأثير الذاكرة فى نمو الجنين ، فان العلامات الجثمانية لا تعكس فحسب ظروف التجسدات السابقة ، بل قد تظهر أشكالا رمزية Symbolic Features .

---

(١) راجع ما سبق عنها مأخوذاً عن تحقيقات ستفنسون .

(٢) راجع ما ورد بهذا الشأن فى « المفصل » الجزء الأول ص ١٠٢٢ — ١٠٢٤ .

والجسد الأثيرى هو الذى يعطى الهـالة لونها ، وهى الهـالة التى يمكن لذوى الحساسية الخاصة مشاهدتها ، والتى أطلق عليها العالم الألمانى ريخنباخ Reichenback « الطاقة الشاذة » (١) . وهذه الهالة يُفترض أنها نصف مادية ، وأن لها بعض الوزن ، بالأقل قبلما تصبح فى مرحلة انعدام الوزن عند انفصالها عن الجسد المـادى شأنها شأن سفينة الفضاء عندما تصبح فى حالة انعدام الوزن عند انطلاقهـا من جاذبية الأرض أو القمر . وأنها ذات اتصال وثيق بالوظائف الحيوية للجسد المـادى ، ويتوقف عليها انتاج الاكتوبلازم والطاقة الروحية المسئولة عن ظواهر الوساطة الفيزيقية. ومنذ نشر العـلامة ريخنباخ والبحاث الفرنسيون ومنهم بوجـه خاص ديرفيل Durville كشوفهم فى هـذا الشأن فانه يمكن العثور بعناء على تحقيقات لها قيمتها فى هذا الموضوع ...

ويلاحظ ستفنسون أن نطق الطفل بكلمات أجنبية عنه (كما حدث فى بعض حالات العودة للتجسد التى حققهـا بنفســه) يفترض الالمـام السابق بهذه الكلمات ، كما يفترض قدرة خاصة على السيطرة أيضاً على أعصاب الحنجرة واللسان ، والشفاه ، والوجنتين ... فاذا ظهرت قدرة كهذه بدون تدريب سابق ، فيكون علينا أن نفترض أن هذه القدرة الخاصة أتى بها صاحبها من حياة سابقة ، وأنها تؤثر فى العضلات بطريقة مباشرة . وبعبارة أخرى أن هذه القدرة انتقلت عبر الجسد الأثيرى ...

ويقول موللر ان تأثير الذكريات القديمة يشاهد بدرجات كثيرة من الكثافـة ، من مجـرد الميول البسيطة الى النفـور الذى قد يستوجب الاضطراب ، وهـو تأثير غير مرتبط بأى فهم لمصدره ، خصـوصاً عند الأطفـال . وقد يقـدم اللاشعور عندهم بعض تفسير لذلك ... وقـد تكون الذكرى عن حياة ماضية ذكرى سربعة الهرب كما يظهر فى اختبارات ارجاع الذاكرة الى الوراء فى التنويم المغناطيسى عندما يصل المنوَّم مغناطيسياً الى حالة من الخروج من الجسد أو من النوم العميق فيفقد ذاكرته . ولذا كان الدكتور بجورخيم Bjorkhem يستخدم التنويم الخفيف ، وعندئذ كان الشخص المنوَّم يتمكن من تذكر الاختبار . وكثيراً ما كان هذا الأخير ينسى كل شيء بعد بضع دقائق (٢) .

عن تغيير الجنس

ويتحدث كارل موللر Karl Muller عن موضوع تغيير الجنس

---

(١) راجع عن الهالة ما ورد فى المرجع السابق ص ٨٧٤ — ٨٨٢ .

(٢) عن كارل موللر : المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٨١ .

بسبب العودة للتجسد فيقول ان عدداً من الناس لا يستسيغ فكرة العودة للتجسد بسبب احتمال تغيير الجنس من الذكورة الى الأنوثة أو بالعكس.

ويرد على ذلك بأن الوقائع تثبت قيام هـذا الاحتمال : فقـد تبين بالنسبة للأطفال أن ١٦٪ من البنات اللائى أمكنهن أن يتذكرن شيئاً عن حياتهن السابقة تذكرن تغيراً فى الجنس . وأن ٢٣٪ من النساء البالغات اللائى أمكنهن أن يتذكرن شيئاً عن تلك الحياة السابقة تحدثن عنها بوصف أنهن كن فيها رجالاً لا نساء . وهو يرى أن الرقم الأول ربما يكون أقرب الى الاحتمال من الثانى ، وانه بالتالى فى كل حالة من ست حالات للعودة الى التجسد تكون تلك العودة مصحوبة بتغير فى الجنس .

كما يقول ان الرجال الذين يتذكرون حياة سابقة لهم فى الجسد فى ظل الأنوثة أقـل بكثير من النسـاء اللائى يتذكرن حيـاة سـابقة لهن فى ظل الذكورة . وهـو يعتقد أنه ربمـا تكون « سيكولوجية » الرجل من خصائصها أن تجعل تذكر الأنوثة السابقة أمراً صعب المنال .

وهو يقول انه من المؤسف أن تفصيلات قليلة عن تغيير الجنس وردت فى الحـالات الستمائة من عودة التجسـد التى فحصها الدكتور جـون بجـورخم John Bjorkhem وفى الحـالات الخمسمائة التى فحصها الدكتور الكساندر كانون A. Canon ، (١) وفى الحالات الخمسين التى فحصها آرنال بلوكسهام Arnall Bloxham .

والدكتور جون بجورخم الذى يتحـدث عنه موللر عالم سـويدى ذائع الصيت فى الطب النفسى Psychotherapist وأستاذ بجامعة أوبسالا Upsala ، وكان يجرى تجاربه فى التنويم المغناطيسى على المئات من طلبة الجامعة وطالباتها ، وعرض نتائج هذه التجارب فى كتاب له عنوانه « تفوهات التنويم المغناطيسى » (استوكهلم ١٩٤٣) .

أما الدكتور آرنول بلوكسهام فهو طبيب نفسانى بريطانى له تجارب عديدة فى التنويم المغناطيسى ومحاولات ارجاع الذاكرة ، ولنا اليه عودة فيما بعد .

فكل هؤلاء الباحثين أشاروا الى حالات من تغير الجنس . ويعتقد بجورخم الذى كان يستخدم التنويم المغناطيسى لارجاع الذاكرة — مثل دى روشا — ان التنويم المغناطيسى قد تكون له مزية تحقيق هذا الهدف . وأنه عند حدوث تغير فى الجنس ، فان الشخص المنوم كان يحاول مقاومة الكشف عن جنسـه السابق لكن ظاهرة تذكر القـديم تكون ذات طـابع

(١) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق الجزء الأول ص ٤٢٩ .

تشنجى ، فكانت طبيعــة الجنس السابق تظهر رغم المقــاومة ، ويبدو الوعى الراهن عاجزاً عن التدخل لمنع كشف سر هذا الجنس السابق .

وأن ذلك يثبت أن هناك « سيكولوجية آلية » تحمى طبيعة الجنس الراهن من تأثيرات الجنس العكسى عند حــدوث تغير فى الجنس بسبب العودة للتجسد . ويبدو أن هذا « العــازل السيكولوجى » عند الرجال أقوى منه عند النساء . ولذا فان الرجل قلما يتحدث عن أنوثته السابقة مثلما تتحدث المرأة عن رجولتها السابقة .

ويخلص كارل موللر الى أننا اذا ادخلنا فى الاعتبار جميع الحــالات التى خضعت للبحث من حالات العودة للتجسد نجد أن النسب العــامة كالآتى : ٤٪ من الرجال غيّروا جنسهم السابق ، ٢٤٪ من النساء غيرن جنسهن السابق ، وأن المتوسط ١٣٪ للجميع .

وانه رغم صعوبة تفسير هــذه الأرقام تفسيراً صحيحاً فانه لم يعد اى شك فى أن تغيير الجنس امر جائز الحدوث . وهــو يعتقد أن تغيير الجنس يبدو أقرب الى الاحتمال بعد أربعة تجسدات متتابعــة فى نفس الجنس . وأن تغيير الجنس ليس معضــلة ، كما أن تخنث الرجل ، أو استرجال المرأة فى الحيــاة الراهنة ليس هــو القــاعدة ، بل هــو أمر استثنائى (١) .

آفاق جديدة فى التحليل النفسى

ولا ريب أن هذه الكشوف التى اخذت تظهر فى تدفق شديد ، وفى ترابط يسترعى الانتباه ، وفى وضــوح وخطــورة تمثل ثورة ضخمة فى الكشف عن مجاهل النفس الانسانية وما أوعرها من مجاهل : وهى تلقى مسئوليات جديدة على علم التحليل النفسى فى طوره الراهن . وفى نفس الوقت تفتح أبواباً جــديدة للأمل فى العثور على مصــدر بعض الأمراض النفسية والعصبية ، كما أن الاقرار بامكان المس الروحى أو الاستحواذ يفتح أبواباً أخــرى جديدة لتشخيص بعض الأعراض العضوية والعقلية ولعلاجها أيضاً (٢) .

ومهمة المحلل النفسانى هنا ستصبح مهمة دقيقة للغاية لأنها تتطلب ايقاع المريض فى غيبوبة مغناطيسية ثم محاولة ارجاع ذاكرته الى الوراء

---

(١) عن كارل موللر : المرجع السابق ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٢) راجع ما ورد فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الثانى ص ٨٢١ — ٨٢٧ .

الى ما هو أبعد من حياته الحالية ، وذلك على النحو الذى وصـل اليه الرائد العظيم دى روشـا de Rochas والذى وضحته ببعض أمثلة فيما سبق .

وعلى المحلل النفسانى أن يستعين بجهـاز لتسجيل كل ما يسرده مريضه فى هذا الشأن حتى اذا ما نجحت التجربة — يعيد على مسامعه — بعد يقظته — كل ما تفـوه به فى غيبوبته ، فقـد تسـاعد الاعادة المحلل النفسانى على صحة التشخيص كمـا تساعد المريض على سرعة الشفاء عن طريق التعرف الواعى على مصدر ما قد يعانيه من آلام نفسية بسبب الكبت فى اللاشعور .

وقد يبدو هذا كله غريباً للمحلل النفسانى التقليدى ، لكن غرابته لا تنفى صحته ، لأن علم النفس الحديث أخذ يتحرر تدريجياً من الفلسفة المـادية عن الوجـود كما أشرت الى ذلك مراراً ، وأيدته بأسانيده (١) ، وأخـذ يتجه اتجاهاً صريحاً نحـو تقبل أخطر القضـايا ، أو ان شئت النظريات الروحية الواحدة بعد الأخرى .

واما عن أثر التنويم المغناطيسى فى استكشاف مجاهل اللاشعور فهذا الآن أمر مسلّم به علمياً وفيه يقرر الدكتور أحمد عكاشه الأستاذ بكلية الطب بجامعة عين شمس « يؤكد علماء النفس أنْ حالة التنويم المغناطيسى هى أفضـل الحالات التى يمكن أثنـاءها استكشاف محتويات العقـل البـاطن ... واذا عرفنا أنه بين كل جلسـة تنويم واخـرى لا يتذكر الشخص الأحداث التى مرت أثناء جلسة التنويم ، بينما اثناء جلسـة التنويم ذاتها يستطيع أن يتذكر ماجرى فى جلسة التنويم السابقة ، وذلك دليل على أن حالة التنويم تتيح فرصة الاتصال بالعقل الباطن . وكثير من ظواهر حـالة التنويم يمكن تفسـيرها بالقدرة على الاتصـال بالعقـل الباطن ... » (٢) .

فاذا صح أن كان للنفس حيـاة سابقة على حياتهـا الحاضرة وأن ذكريات العقل عن تلك الحياة السابقة قـد انزلقت الى اللاشعور ، فان التنويم المغناطيسى قد يكون اذاً من أفضـل السبل المؤدية الى استعادة بعض هذه الذكريات ، على النحو الذى بدأه دى روشا ثم تابعه فيه علماء آخرون بدرجات متفاوتة من النجاح مما ساعدهم على تقبّل نظرية العودة

---

(١) راجع ما ورد فى المرجع السابق . الجزء الأول فى ص ٨٥٠ — ٨٥٣ ، وفى الجزء الثانى ص ٧٨ — ٩٠ ، ٩٩ — ١٠٦ ، ١٠٨ — ١٢٠ .

(٢) عن مؤلفه فى « التشريح الوظيفى للنفس . علم النفس الفسيولوجى » طبعة ١٩٧٢ . ص ٢٦٨ .

للتجسد كأمر صحيح تؤيده الآن أدلة كثيرة معملية وفلسفية ، وتحقيقات متتابعة جاءت - كلها الى جانب صحة هذا الاحتمال .

ومما ساعد على تقبل نظرية العودة للتجسد بالذات أن كثيراً من الأمراض النفسية قد يستعصى تعليله بأحداث معينة يكون قد مر بهـا المريض فى حياته الراهنة منذ الولادة حتى اصابته بالمرض ، أو بالأدق حتى ظهور أعراض المرض النفسانى أو العصبى عليه . وكذلك أن بعض تفسيرات فرويد بالاصابة أثناء عملية الولادة بالذات أخذ يظهر ساذجاً وقاصراً عن مواجهة غالبية هذه الحالات ، ناهيك بمحاولة انقاذ المريض من آلامه .

ومن ذلك مثلاً مرض الخوف الذى لا مبرر له Phobia ، كالخوف من المبانى الشاهقة ، أو من النار ، أو من حيوان أليف ، أو من لون معين ، أو من وسيلة مواصلات معينة ، أو من مادة معينة ، أو من موضوع مألوف ... وهو مرض عصبى شائع فانه قد يكون ذا صلة باختبارات مريرة مرَّ بها المريض فى حياة سابقة له ، وقد انزلقت بطبيعة الحال فى اللاشعور : مثل وفاته فى حياته السابقة من سقوطه من مبنى شاهق ، أو من احتراقه بالنار ، أو وفاته فى حادثة ما بوسيلة مواصلات معينة ... وغير ذلك مما يدعو بعض المحللين النفسيين المعروفين الى ألا يستبعد تماماً أن يكون ثمة جانباً من سلوك الفرد العصبى أو النفسى قد بدأ فى حياة ماضية له .

ومن هؤلاء مثلاً الدكتور دنيز كلزى Denys Kelsey وهو عضو فى « الكلية الملكية للأطباء » (١) وقد ناقش هـذا الموضوع فى مؤلف له عنوانه « حيوات متعددة » (٢) فى فصل عن « العودة للتجسد والعلاج النفسى » وفيه يقرر أن اسهام العودة للتجسد فى العلاج يجىء عن طريق الاعتراف بأن بعض العناصر النفسية كثيراً ما يبرز من الشخصية المبكرة للانسان . وانه عندما وسَّع من نطاق مفهومه ابتدأ يدرك النقطة الأساسية وهى أن الانسان يتجسد بالطبع الذى يكون قد حصل عليه خلال تاريخه الطويل .

كما يقول ان هذا الطبع لم يرثه الانسان كله ، ولم يتشكل كله تحت ضغط البيئة لكنه قد تشكل عن طريق استخدام الانسان لحريته فى الاختيار . وأن الضغوط الخارجية لا تتسبب فى أن يغيِّر الانسان من سلوكه ، بل ان التغير يحدث عندما يمكنه هو أن يغير من نواياه . وان هذا المبدأ يقع الآن فى الأساس من مواجهته للأمراض العصبية التى تعزى الى

---

(١) Royal College of Physicians.

(٢) Many Lifetimes.

طبع معيب فى الشخص . كما يعتقد أن كل شخص يمكنه أن يغيّر من نواياه عندما يصّمم على ذلك .

وكل شخص يتجه فى تقدير الدكتور كلزى اما الى العزلة واما بعيداً عنهـا ، لأن الحب الذى لا يجد اشباعاً نقياً يتحول الى عـدم اكتراث ، واحتمالا الى كراهية . وأثر العودة للتجسد هـو تحديد هـذا الاحتمال الأخير ، لأن انتهاء الحياة الارضية لا يعنى بالضرورة وضع حد لنموذج معين من نماذج الانفعال . ومن ثم فان الاقتراب الى العزلة بسبب الجفاء الذى قد يلاقيه الانسان قـد يعبّر عن نفسه فى صورة قلق قـد يعطى أنواعاً متباينة من الأعراض العصابية .

ولكن اذا أمكن تبصير المريض عن أوجـه طباعه التى تقوده نحـو العزلة ، وأمكن اقناعه اقناعاً كاملاً برغبة تغييرها فان التغيير سيبدأ ، وستبدأ الأعراض فى التراجع .

* * *

ويراعى — فى تقدير كل ذلك — أن النسيان وظيفة بيولوجية تختلف تماماً عما نعرفه عنها . فالنسيان بمعنى المحـو التام لا وجود له ، لانه لا يمكن محـو أى شىء من الطبيعـة ، أو من الذاكرة التى تسجل دواماً الاختبارات الطبيعية التى تمر بهـا ، سواءً أكانت سـارة أم اليمة ، أم محايدة اذا صح مرور أحداث محايدة بعقل الانسان .

أما النسيان بمعناه الصحيح فهو مجرد انزلاق الحادثة من الشعور الى اللاشعور . وهى قد تنزلق حتى فى أثناء وجود أرضى واحد بعد مضى فترة معينة عليها ، كما تنزلق جميع أحداث المـاضى القريب والبعيد الى اللاشعور — بحسب الأصل الذى يحتمل بعض الشذوذ — عند العـودة للتجسد ، وذلك من باب رحمة الطبيعة لنا ، وحماية لذاكرتنا من الأهوال الجسام التى تكون قد مرت بها .

أما درجـة التطور التى تكون الذات قد بلغتهـا عن طريق معاناة هـذه الأهوال نفسها فهى حـق مكتسب لها . واما الدرس الذى تكون الذات قد وعته عن طريق هذه الأهوال فهو مخبوء فى اللاشعور ، يؤدى دوره فى تنبيه الضمير الى عـدم الوقوع فى نفس أخطاء المـاضى ، بدرجة تتفاوت فى مداها بمقدار تطور الذات وبمقدار يقظة هذا الشعور الداخلى الدفين الذى نعبر عنه بوصف الضمير . والذى هو حصيلة دروس الماضى منذ أبعد أبعاده لكى يساعد الذات على شق طريقها فى المستقبل الى أبعد مداه ، مع القابلية الدائمة للنمو وللتطور ، لأن التطور لا تعرف له نهاية ، كما لم تعرف له بداءة بعد .

ولذا فلا محل مطلقاً للاعتراض على مبدأ العودة للتجسد بنسيان أحداث الماضى ، لأن النسيان لم يحدث انما تحققت مجرد وظيفة بيولوجية محددة وهى انزلاق اختبارات الماضى من الشعور الى اللاشعور ، لكى نجنى من الماضى أزهاره ، ولا تضار بأشواكه ، وأهواله ، وذلك بالنسبة للانسان العادى ، وفيما عدا بعض الحالات غير المألوفة أو فوق المألوفة ، ومنها بعض الحالات المرضية أيضاً .

وقد نجح علم النفس الحديث فى اكتشاف وجود العقل الباطن أو اللاشعور ، ولكنه لم ينجح لغاية الآن فى اكتشاف مجاهل هذا اللاشعور ، أو فى رسم حدود واضحة بين الشعور واللاشعور .

واذا صح اعتبار هذا اللاشعور مخزناً لاختبارات الماضى السحيق للانسان خلال صراعه المرير المستمر مع تجسداته وكان يحمل خلاصة أو ثمرة ما مر به من اختبارات سعيدة وأليمة ، فانه يكون على العلم أن يسلم بأن نظرية الوجود السبقى للانسان تصبح على هذا الوضع أجدر النظريات بأن تفسر هذا اللاشعور على نحو منطقى وبسيط ، يتحدى فى وضوحه وفى ترابطه كل التفسيرات الأخرى التى تريد أن تبدأ الوجود الانسانى منذ ولادة الانسان فى حياته الراهنة فحسب ، أو منذ صيرورته جنيناً فى بطن أمه .

خصوصاً وان وجود هذا اللاشعور قد ثبت تماماً لدى الانسان العاقل الناطق ، ولم يثبت وجوده لدى الكائنات الحية الأخرى سواء أكانت من الفقريات أم غير الفقريات . ولا أعلم عالماً واحداً يسلم مثلاً بأن الحصان أو الكلب — وهما من أرقى الحيوانات الفقرية — يملك عقلاً باطناً أو لا شعوراً . وأنه بالتالى عرضة لأن يصاب — مثل الانسان — بجنون العظمة ، أو الاضطهاد ، أو بمركبات النقص المختلفة أو بالمخاوف التى لا مبرر لها ، أو بانفصام الشخصية ... بالمفهوم العلمى لهذه الأوصاف .

كما ينبغى أن نضع فى الاعتبار ما ثبت من أن القدر الأكبر من حوافز الانسان ودوافعه الحقيقية مختبىء فى هذا اللاشعور ، بحيث يمكن القول بأن عقل الانسان ينظر اليه كأنه جبل من الثلج يطفو عشره فقط فى الشعور ويختبىء تسعة أعشاره تحت الماء فى اللاشعور . فمن أين جاء هذا اللاشعور الحافل بأكداس متراكمة من الحوافز والدوافع المرتبطة بداهة بالتجارب والاختبارات الحلوة والمرة الماضية وما أكثرها ، وما أعمق أثرها ؟ !

من آراء دوك اندرسون

وكان دوك اندرسون Doc Anderson — وهو وسيط أمريكي للادراك خارج الحواس وللغيبوبة وللعلاج ينادى بصحة العودة للتجسد ، وبامكان اعاده الذاكرة عن طريق التنويم المغناطيسى للتعرف على أسرار الحياة السابقة لبعض المرضى النفسيين كوسيلة فعالة لعلاجهم من أمراضهم .

وقد قام بسرد بعض تجاربه وتلخيص بعض آرائه زميل له فى بعض تجاربه يدعى روبرت سميث Robert E. Smith وجمعها فى مؤلف له عنوانه « نحن نحيا حيوات متعددة » (١) (مايو ١٩٧١) .

وقد وصل فيه الى أن هذا الموضوع يحتاج الى مواصلة البحث فيه ، وأنه عندما « اختلس » المحللون النفسيون الشيطان من رجال الدين اعتقلوا « رهينتهم » داخل العقل الباطن للانسان . ومنذ هذا التاريخ حصروا اختباراتنا وفحوصنا ، وتنقيبنا فى المكونات الفيزيقية والعقلية للانسان ، ودفعونا الى اهمال البحث فى التكوين الروحى واستكشاف جوهر ذواتنا ...

ان العودة للتجسد شأنها شأن كل نظرية أخرى : اما أن تكون صادقة واما أن تكون كاذبة ، لكن الشواهد الى جانبها ، حتى وان كانت غير حاسمة . ومع ذلك فان التعرف على الحيوات السابقة ذو طاقة حيوية فى التخفيف من حدة التوتر الانفعالى .

ويقول البحاثة روبرت سميث فى مؤلفه الآنف الاشارة اليه ان دوك اندرسون تعرف مثلاً على التجسد السابق لرجل أمريكى ، واتضح له أنه كان متجسداً فى انجلترا فى صدر القرن التاسع عشر باسم هنرى هاركنز Henry Harkins وأنه كان يعمل مديراً لأحد المصانع فى ولاية لانكاستر Lancaster بالريف البريطانى . وكان يستغل سلطته على بعض العاملات الجميلات الفقيرات لكى يفرض عليهن الرضوخ لرغباته وشهواته .

ويقول ان هذا الشخص مات قتيلاً فى نفس المصنع بطعنة سكين فى ظهره من فتاة ذات شعر أحمر ، وقد سرقت بعد مقتله ساعته الذهبية ونقوده . وقد سرد الوسيط على هذا الشخص ذلك الجانب الخفى من حياته السابقة كوسيلة لانقاذه من متاعبه ومخاوفه المجهولة المصدر التى كانت

---

(١) We Live Many Lives

تطارده فى حياته الراهنة (١) .

وبعد أن تحسنت حالته عن ذى قبل أرسل هـذا الشخص خطاباً الى دوك أندرسون يقول له فيه : « لقد ابتدأت أتفهم تدريجياً مصدر حبى للأدب الانجليزى فى صدر القرن التاسع عشر ، اذ أن حبى يرجع الى رابطة تربطنى بذلك العصر . كما تبين لى وجود أشياء أخرى كثيرة يتعذر تفسيرها « بالمصادفة » . لقد كنت أكره السكاكين بصفة منتظمة ، كما كنت أشعر بالضيق من أى مصنع قديم ، أو من أى مبنى معد لمصنع ما . وابتدأت تضاف الى ذلك كمية من أمور أخرى صغيرة .

كما حدث تحسن اعجازى فى حياتى الجنسية ، واننى مدين ومقر بذلك . كما أنا مدين لتغير شخصيتى وبدأت أرى كيف أن قدرة الله قدرة صديقة لنا لأنها تسمح لأولاد الله أن يتعلموا عن طريق استخدام حريتهم فى الاختيار ، وهكذا تقوّى اعتقادى الدينى . وأنا الآن بكل بساطة أكثر دعة واطمئناناً من ذى قبل ، ولا أفقد هدوئى فى المنزل أو فى المكتب . ان ثمة وقتاً ومكاناً لأجل كل شىء ، وتبدو لى الحياة الآن أكثر من مجرد لحظات عابرة سريعة تضيع هباءً .

لقد قرأت فى مكان ما أن اختبار المعجزة الحقيقية يكون عندما يتمكن أى اختبار من تغيير حياتك نحو الأفضل ، وهذا ما قد تم انجازه بالنسبة لى . وبعد بضع سنوات سأخبركم ما اذا كان هذا التغيير نهائيا أم لا » (٢) .

* * *

ويتساءل روبرت سميث فى مكان لاحق قائلا : هل ستصبح نظرية « العودة للتجسد » حقيقة ثابتة فى يوم من الأيام ؟ ثم يجيب قائلا : وبما سيتمكن الانسان فى يوم مستقبل من رفع النقاب الكثيف الذى يغطى الموت ، وسيتعلم الكثير من الحقائق الخطيرة الأزلية عن الحياة الروحية . والعودة للتجسد هى العنصر الخالد لوجودنا وقد تصبح حقيقة مطلقة ومثلها دورة الموت والميلاد الثانى ، وهذا التحول التاريخى الخطير يمكن أن يتحقق خلال اختبارات ثابتة عن الاتصال بين الانسان المتجسد والانسان غير المتجسد . كما يمكن أن يتحقق خلال بعض

---

(١) قد يعترض أحد المعترضين قائلا : وهل هذا هو كل جزاء هـذا الشخص عن أفعاله السيئة فى حياته الماضية ؟ والجواب هو : وهل نعلم كيف أمضى هذا الشخص أيامه فى الأثير فى الفترة بين التجسدين السابق والحالى ؟ أوليس من الجائز أنه أمضاها أشد قلقا واضطرابا مما هو الآن ؟

(٢) عن المرجع السابق ص ٧٠ — ٨٠ .

اختبارات ارجاع الذاكرة عن طريق التنويم المغناطيسى الى الحيوات السابقة عندما تقدم أدلة لا تقبل الجدل .

وأدلة كهذه « ينبغى أن تخضع للمتطلبات الصارمة التى يتطلبها أسلوب التحقيق العلمى — بحسب رأى روك أندرسون — وأن تكون من النوع الذى يصمد لأقسى صور الفحص . ان العقل الباطن لهو من طراز فريد ، ويمكنه أن يقوم بأدوار من تزيين لأمور تضلل المنوَّم والمنوِّم معاً .

ثم ما هو الأمر الذى يمكنه أن يقيم بينة قوية لمصلحة العودة للتجسد ؟ لقد حاول دوك أندرسون وأنا أن نحصل على معلومات عن موضع سلعة يكون المريض قد أخفاها فى مكان ما (فى حياته السابقة) ولا يعلم عنها أحد شيئاً (١) . ولذا ففى كل تجاربنا المغناطيسية توجد أسئلة حول موضع سلعة ما لا يعرفه الا الشخص المنوَّم .. ان العلوم الخفية أهملت أو الغيبت خلال قرون ، وجيلنا الحاضر يحاول أن يشيد قلعة من الوقائع عن هذه الموضوعات ..

لقد أخبرنا عدد وفير من المنوَّمين مغناطيسياً عن تجسدات فى العصور الغابرة ، ولا توجد لدينا سجلات قديمة لتحقيق صحة هذه الحيوات ، وحتى الحيوات التى قيل أن أصحابها أمضوها فى الولايات المتحدة خلال القرن الماضى وجدنا أن بحثها وتحقيقها من أصعب الأمور . ولم تبدأ حكومتنا فى العناية بحفظ سجلات صحيحة عن المواطنين الا منذ عهد قريب . وفى بلاد أخرى لا توجد — حتى فى العصر الحاضر — سوى الأقوال الشفهية . وهكذا يمضى كل جيل ومعه تاريخ الانسان المادى » (٢) .

ماذا يقول ارنول بلوكسهام ؟

وفى هذا الشأن أيضاً يقول ارنول بلوكسهام Arnall Bloxham وهو دكتور فى العلوم النفسية اتخذ العلاج بالتنويم مهنة له — انه استطاع أن يشفى خلال ربع قرن حالات كثيرة ، وانه منذ سنة ١٩٥٦ ابتدأ يكون اقتناعه بالعودة للتجسد ، وانه سجل العديد من حالات تذكر الحيوات السابقة على أشرطة التسجيل بمساعدة زوجته دولشى التى توفيت فى سنة ١٩٧٠ .

---

(١) عنى العالم الأمريكى المعاصر ايان ستفنسون بتسجيل بعض الوقائع من نفس هذا النوع ونجح فى بعضها على ما سبق . ولم يكن ذلك عن طريق التنويم المغناطيسى ، بل عن طريق ذكريات « العائدين الى التجسد » وهم فى كامل يقظتهم .

(٢) عن المرجع السابق ص ٨٧ ، ٨٨ .

وقد استطاع بلوكسهام أن يكوّن مكتبة صوتية غريبة يحار أمامها العقل فى صورة حوار مع الماضى مدته مائتا ساعة !! بل لقد سجل مع زوجته حقائق عديدة تاريخية وجغرافية كما كانت عليه أصلا . ولكل شريط ملف خاص يتضمن دراسة دقيقة للأدلة العلمية التى تؤكده . ومعظم الأشرطة تتعدى بالطبع الوقائع التاريخية الشائعة وتزودها باضافات فريدة . وهو يرى أن تشخيص مرض عصبى ما يمكن أن يكون أدق كثيراً عند تفهم خصائص المريض الشخصية فى ضوء تجسداته السابقة .

كما يرى أن خصائص المرء التى اكتسبها فى أعماره السابقة تظل معا فى حيواته التالية ، وإن كان بعض المواهب يصبح ثانويا . وأن تفاصل الحيوات السابقة قد يجعل المرء أحيانا فى انحدار مستمر . وأن ثمة مواهب كثيرة تكمن فينا جميعاً ، لكن قلما يوجد الشخص الذى يستطيع استثمارها كلها .

ولذا فهو يأخذ بنظرية « الكارما » القائلة بأن قدر الانسان يلاحقه حتى بعد وفاته ، ولكنه يرى أن تفهم الانسان لقدراته ، ومعرفته لامكانياته الدفينة ، أمور كفيلة بأن تغير وجه العالم (١) .

المبحث الرابع

بعض اختبارات فريدة
فى الأحلام وفى الاتصالات الروحية

بالاضافة الى الأدلة الوضعية الكثيرة التى قدمها الباحثون المصريون ، والتى قد تؤيد احتمال صحة دعوى « العودة للتجسد » ، ثمة طائفة أخرى من الأدلة لها طابع خاص فريد . وهى عبارة عن مجرد تنبؤات بقرب عودة انسان معين بالذات للتجسد أبديت فى « الجلسات الروحية » عن طريق « الطرقات المسموعة » ، أو « تفوهات الغيبوبة » ، أو « لوحة الحروف الهجائية » .. أو غيرها من طرق التراسل بين العالمين ، وقد تحقق بعضها على وجه قوى أو ضعيف .

حالة كانت موضوع رسالة دكتوراه فى الطب

ومن هذه الطائفة من الوقائع الفريدة التى خضعت للتمحيص

---

(١) للمزيد عنه راجع الأستاذ عبد العزيز جادو ، المرجع السابق ص ٢٧٠ — ٢٧٣

الدقيق ما نشر فى مجلة « فلســــفة العلم » (١) التى كان يصـــــدرها فى Pal.rme بايطاليا الدكتور اينوسنزو كالدرونى Innocenzo Calderone وها هى التفصيلات نقلا عن كتاب « الحياة اللاحقة » La Vie Posthume للعالم الروحى شارل لانسلان Charles Lancelin وقد اخـذها من رسالة حصل بها صاحبها على درجة دكتوراه فى الطب من « كليــة طب بالرمو » وهو الدكتور كارملو سامونا Carmelo Samona وعنوان الرسالة « الغاز الروح » (٢) . ويحسن أن نبـدأ فى سرد تلك الأحـداث الهامة بالخطاب الآتى :

عزيزى كالدرونى :

رغم الصفة الشخصيــة تماماً للوقائع التى سبقت ولادة طفلتى، فاننى لا اتردد ــ خدمة للعلم ــ فى تقديمها للنشر فى مجلتكم المحترمـة الواسعة الانتشار ، وبغير أن اكتـم اسماء الأشخاص المتنـوعين الذين يعرفونها ، وبقدر اتصالهم بها . واذا كنت امتنع أنا عن مناقشتها ، فاننى أرى مع ذلك ضرورة كشف النقاب عنها ، حتى يناقشها الآخرون .

ولا يمكن لأى علم أن يتقدم خطوة اذا كان يتجاهل الوقائع . واذا كان كل انسان يخشى السخرية ، أو لأى سبب آخر ، يحتفظ لنفســــه بالوقائع التى تقع فى منطقة « ما وراء الروح » والتى تتفاوت فى مـدى ندرة تحققها ، اذاً فالوداع لكل أمل فى التقدم !

ولذا فهاأنذا أرسل اليك بياناً مفصلا صادقاً بصفة مطلقـــه عن الوقائع كما حدثت ، وبدون أدنى مناقشة من جانبى للمشكلات الهامـة التى تثيرها .. وها هو البيان :

بتاريخ ١٥ مارس سنة ١٩١٠ توفيت طفلتى المحبوبة الكسندرين Alexandrine البالغة من العمر خمس سنوات اثر اصابتها بالتهاب سحائى خطير . وكان الى عميقا وكذلك الم زوجتى ، الى حد كادت معه أن تفقد صوابهـا . وبعد ثلاثة أيام من وفاتها حلمت بها زوجتى ، وبدا لها أنها تراها كما لو كانت حية وسمعتها تقول لها : « لا تبك يا ماما ، فاننى لم افترق عنك، بل ابتعدت عنك فحسب . وترقبى بالأكثر عودتى اليك صغيره على هذا النحو » . ثم ظهرت لهـا كما لو كانت قد أصبحت جنينـاً صغيراً كاملا . ثم اضافت قائلة : « وبالتالى فانك ستبدأين فى التألم من جديد بسببى».

---

(١) Filosofia della Scienza

(٢) Psyche Mysteriosa.

وبعد ثلاثة أيام تكرر لها الحلم مرة أخرى . وعنـدما علمت احدى صديقاتها بذلك حاولت أن تقنعها ــ اما عن اقتناع شخصى ، واما لمجرد تعزيتها ــ باحتمال عودة ابنتها الى الحياة عن طريق ولادة جـديدة .. قائلة لها ان حلماً كهذا يصح أن يكون اشعاراً لها من ابنتها بأنها تستعد للولادة منجديد عنطريقها . ولكى تنجح فى اقناعها بامكان حدوث واقعة كهذه احضرت اليها كتاباً لليون دنيز Léon Denis يعالج فيه موضوع « العودة الى التجسد » . لكن شيئاً لم ينجح فى تخفيف آلامها لا الاحلام ولا هـذا التفسير ، ولا قراءة كتاب دنيز .

كما ظلت لا تصدق احتمال أن تصبح أماً من جديد ، خصوصاً وانه كان قد حدث لهاحمل زائف fausse couche اقتضى تدخلا جراحياً لها بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٠٩ أعقبه نزيف متكرر ، فأصبحت تقريباً متيقنة من انها لا يمكن ان تحمل مرة أخرى .

وفى ساعة مبكرة من صبيحة أحد الأيام بعد موت طفلتها ، وكانت زوجتى تبكى كعادتها ، قالت لى وهى غير مصدقة : « اننى لا أرى أمامى سوى الحقيقة الرهيبة ، وهى أننى فقدت ملاكى الحبيب الصغير ، وهذا الفقد قاس أكثر مما ينبغى ، ورهيب الى حد أننى لا يمكن أن أتعلق بخيط أمل مستند الى مجرد أحـلام كتلك التى مرت بى ، فأومن بحادثة غير متصورة وهى عودة ابنتى الحبيبة الى الحياة عن طريقى ، خصوصاً عندما أتمثل فى ذهنى حالتى الصحية الراهنة .

وبغتة عندما كانت تندب حظها العاثر بطريقة مرة ويائسة ، وكنت من جانبى أجاهد لتعزيتها ، سمعنا ثلاث طرقات خشنة وقوية على باب الغرفة ، كما لو كانت صادرة من مفاصل أصـابع أشخاص يبغـون أن ينبهوننا الى رغبتهم فى الدخول . وقد اشترك معنا فى الاستماع اليهـا أولادنا الثلاثة الصغار الذين كانوا معنا فى نفس الغرفة ، ولم يكن هناك ــ لدهشتنا العظمى ــ أى شخص يريد الدخول كما توقعنا ..

وفى نفس الليلة عزمنا على أن نبدأ فى عقد جلسات وساطية عن طريق « الطرقات المسموعة » Typtologie (١) وواظبنا عليها لمدة ثلاثة شهور بالأقل . وقد حضرها زوجتى ، وحماتى ، وأنا ، وأحياناً ولدىّ الكبيران. ومنذ الجلسة الأولى اتصل بنا كائنان ، زعم أحدهما أنه ابنتى ، والآخر انه شقيقة لى كانت قد توفيت منذ زمن طويل عندما كانت فى الخامسـة

---

(١) بحسب قاموس « لاروس العالمى » Larousse Universel يشير هذا التعبير ــ عند أنصار الروحية ــ الى الرسائل الواردة من الأرواح عن طريق طرقات الموائد الدائرة Tables Tournantes ، او الطرقات على جسم ما .

عشرة من عمرها، والتى كانت بحسب اقوالها تقوم بدور المرشدة للصغيرة الكسندرين .

وكان أسلوب هذه الأخيرة يبدو هو نفس اسلوبها الطفلى الذى كانت تستخدمه عندما كانت لا تزال حية . اما الأخرى فكان اسلوبها صحيحاً ، وكانت تتدخل فى الحديث اما لكى تشرح بعض عبارات الكائن الصغير ، التى كانت تبدو أحيانا غير مفهومة ، واما لكى تحمل زوجتى على تصديق التأكيدات الصادرة من ابنتها .

وفى الجلسة الأولى أضافت الكسندرين — بعد اذ قالت انهـــا هى بشخصها التى ظهرت فى الحلم لأمها ، وان الطرقات التى سمعت فى ذلك اليوم احدثت للاشارة الى وجودها ، ولمحاولة تعزية والدتها بأساليب اشد من غيرها تأثيراً — اضافت قائلة : « يا امى الصغيرة لا تبك بعـــد الآن لأننى سأولد من جديد عن طريقك ، وقبل عيد الميلاد سأكون معكم » ثم استمرت فى الحديث قائلة : «يا أبى العزيز اننى عائدة اليكم، يا أشقائى الصغار اننى عائدة، يا جدتى اننى عائدة . قولوا لأقربائى الآخرين وللعمة كاترين Catherine اننى ساكون قد رجعت اليكم قبل عيد الميلاد» . . وهكذا ظلت تكرر القول الى جميع الأقارب والمعارف الآخرين الذين كانت تربطها بهم احسن الصلات فى اثناء وجودها القصير .

ويكون من الملل ان نورد جميع الرسائل التى حصلنا عليها منها خلال ثلاثة شهور تقريباً ، لأننا اذا تركنا جانباً بعض العبارات الرقيقـــة الموجهة الى بعض اعزائها ، فان هذه الرسائل تتحدث — دائماً تقريباً — وبتكرار ثابت وممل عن ايذان بقرب عودتها الينا قبـــل عيد الميلاد وهى موجهة — كما هى الحال منذ أول جلسة — الى كل واحد من اقاربها ومعارفها .

ولقد حاولنا عدة مرات أن نوقف هذا التكرار المحـير ، بأن نؤكد لهذه الروح الصغيرة بأننا سنعنى بأن نبلغ الى الجميـــع نبـأ عودتها ، أو بالأدق نبأ ميلادها من جديد قبل عيد الميلاد وبغير أن ننسى أى انسان ، لكن بغير جدوى ، لأنها كانت تصر على عدم التوقف الا بعد أن تفرغ من سرد أسماء جميع معارفها . . ومنذ البداية أعلنتنا بأنها لن تتمكن من الاتصـــال بنا الا خلال ثلاثة شهور تقريباً ، لأنها فيما بعـــد ستكون — تدريجياً — أوثق اتصالاً بالمـادة ، وأنها ستنام فيها تماماً .

وفى ١٠ أبريل كان لدى زوجتى أولى دلائل الحمل . وفى ٤ مايو كنا فى مدينة فنيتيكو Venetico من اعمال مقاطعة مسينا ، فتلقينـــا نبأ جديداً عن قرب عودتها ، واضافت الروح قائلة : « يا ماما توجـــد

فى أحشائك فتاة أخرى أيضاً » . ولما لم نفهم هذه العبارة الأخيرة واعتقدنا أن ثمة خطأ قد وقع تدخلت الروح الأخرى (العمة جان Jeanne) قائلة : « ان البنيّة لم تخطىء ، لكنها لم تحسن التعبير تماماً ، اذ أنها تريد أن تقول ان كائناً آخر يطوف من حولك ، أيتها العزيزة آديل Adèle ويريد أيضاً العودة الى هذه الأرض » .

ومنذ ذلك اليوم أخذت ألكسندرين تؤكد فى كل رسائلها ، باضطراد وباصرار ، بأنها ستعود مصحوبة بشقيقة صغيرة ، وبأنها ستكون — بحسب أسلوب حديثها — سعيدة بذلك . وبدلا من أن يكون هذا القول سبباً فى تشجيع زوجتى وتعزيتها كان سبباً فى ازدياد شكوكها وقلقها ، خصوصاً بعد هذه الرسالة الجديدة الفريدة ، وبدا لها أن كل شىء سينتهى بخيبة أمل عظمى .

وفى الواقع كان ينبغى تحقق وقائع كثيرة بعد هذه الرسائل حتى يكون ما فيها صحيحاً — وهى : ١ — أن تصبح زوجتى حاملا فعلا . ٢ — ألا يكون هذا الحمل سبباً فى اجهاضها كما حدث من قبل . ٣ — أن تضع توامين ، وهو ما لم يحدث من قبل لا لها ، ولا لأى واحد من أسلافها ولا من أسلافى ٤ — ان تضع مولودين أنثيين ، لا ذكرين ، ولا ذكر وأنثى » .

ويضاف الى ذلك — فى تقديرنا — اعتبار خامس هام ، وهو أن الولادة حدثت فعلا قبل عيد الميلاد المقبل حسبما ورد فى رسائل الروح، مع أن الحمل لم يكن قد حدث وقت املاء أول رسالة . كما ينبغى أن يضاف اعتبار سادس ، وهو المشابهة — ولو الى حد ما — بين ملامح الطفلة فى تجسدها السابق واللاحق ، وهو ما تنبأت به أيضاً الروح المراسلة وما تحقق بدوره فعلا ، على ما سيرد فيما بعد . ومن المحال رياضياً أن يقال — اذا كانت هذه الوقائع ثابتة — ان تحقق هذه الأمور كلها كان محض صدف عشواء ، أو محض رجم بالغيب وقد تحقق كله مع ذلك !!..

ثم يقول الدكتور سامونا انه فى جلسة من الجلسات الأخيرة عبّرت زوجته عن الصعوبة التى تجدها فى الاقتناع بعودة ألكسندرين ، لأنه من الصعب أن يكون شكل الطفلة القادمة مماثلا تماماً لشكل الطفلة التى فقدتها . وعندئذ بادرت الروح جان الى الاجابة قائلة « ستكونين يا آديل راضية من هذه الناحية ، لأنها ستولد مشابهة تماماً للأولى ، وان لم تفقها جمالا بكثير ، فانها ستكون أجمل منها قليلا » .

وفى الشهر الخامس من الحمل ، كنا فى شهر اغسطس فى سبادافورا Spadafora ، وفحص زوجتى عالم فى الولادة هو الدكتور فنسنزو كوردارو Vincenzo Cordaro الذى قرر لها من تلقاء نفسه : « اننى لا يمكننى أن أؤكد بصفة قاطعة ، ولكن لدىَّ عدة أسباب تحملنى على الاعتقاد بوجود حمل بتوامين » . وكان لهذه العبارة على زوجتى تأثير السحر ، وبدات بارقة أمل تلمع فى روحها التى كان الألم قد أضناها وهدَّها ..

وبمجرد الدخول فى شهرها السابع اصيبت زوجتى بآلام مباغتة فى الكلى ، وبأعراض اخرى لمدة خمسة أيام جعلتنا قلقين عليها من لحظة الى أخرى ، وخائفين من حدوث ولادة قبل الميعاد لا يتيسر معها للمولود أو للمولودين أن يعيشوا نظراً لأن الحمل لم يتم سبعة أشهر كاملة . وقد تدخل الدكتور كوردارو لمعاونتها ، وأمكن لحسن الحظ درء الخطر على خلاف جميع التوقعات . وعندما استعادت صحتها تماماً ، وكانت قد انقضت على الحمل سبعة شهور كاملة عدنا الى مدينة بالرمو حيث قام بفحصها طبيب الولادة المعروف الدكتور جيجليو Giglio الذى قرر وجود توامين ..

وفى ٢٢ نوفمبر وضعت زوجتى توامين عبارة عن طفلتين . أما عن تشابه الملامح ، فان تحقيقه يقتضى بطبيعة الحال زمناً ما ، ويتطلب مراقبة الطفلتين فى أثناء نموهما . ومع ذلك فمن الغريب أنه ظهرت بعض علامات مميزة تؤكد صحة النبوءة ، وتشجع على متابعة الملاحظة ، وتسمح لنا بالاعتقاد بأنه حتى من هذه الناحية لقد تحققت صحة الرسائل حرفياً .

وفى هذه اللحظة لا تتشابه الطفلتان التوامتان ابداً ، بل ان كل واحدة منهما تختلف عن الأخرى فى الطول ، وفى اللون ، وفى الشكل ، لكن القصيرة منهما تبدو صورة طبق الأصل من « المتوفاة » . اى صورة طبق الأصل من الكسندرين فى لحظة ولادتها الأولى . ومن العجيب أنها تحمل ثلاث خصائص مميزة مشتركة بينهما وهى : احتقان فى العين اليسرى ، وافراز دهنى خفيف فى الأذن اليمنى ، وانتفاء خفيف لتوافق نصفى الوجه asymétrie مماثل تماماً لذلك الذى كان لدى الكسندرين عند ولادتها السابقة » .

التوقيع : الدكتور **كارملو سامونا**

بعض شهود الحالة

ومع تقريره الخاص قدم الدكتور سامونا عدة تقارير مفصلة من جميع شهود هذه الجلسات الروحيـــة الذين ايدوا صحة الوقائع كما وردت بتقريره الخاص . وروى كل واحد منهم التفصيلات المطابقة التى شاهدها بنفسه ، وهم :

اولا : شقيقته السيدة كاترين سامونا جاردينى C. S. Gardini

ثانياً : الآنســـة آديل ميركانتينى Adèle Mercantini كريمة البروفسور الكبير ميركانتينى .

ثالثاً : البروفســـور رافايل فيجلى Raphael Wigley وهو رجل دين .

رابعاً : المركيز جوزيف ناتولى Joseph Natoli وهو اديب معروف .

خامساً : الامـيرة دى نيسيمى De Niscemi والـدة الدوق ديـــل آرينيلا Dell Areneila عضـــو مجلس النواب الايطالى .

سادساً : الكونت فرديناند مونروى Ferdinand Monroy وهو اديب وسياسى معروف .

والى هــذه السلسلة من الشــهادات يضيف الدكتور اينوسننرو كالدرونى رئيس تحرير مجلة « فلسفة العلم » الاعتبارات الآتية :

« ان هذه الحالة جديرة بالتأكيد بأن تنشر فى جميع التقـــاويم الخاصة بالظواهر العليا ، وبأن تدرس بعناية قصوى بمعرفــة راويهـــا الدكتور كلرميلو سامونا الذى يعتبر اسمه نفسه ضمانة كبرى على صحة الوقائع ، وعلى كفاءة الالمـام بها . ولقد نشر فى هذا الشأن مؤلفـــاً هاماً عنوانه « ألغاز الروح » الذى حصل به على درجة دكتور من كلية الطب بجامعــة بالرمو ، والذى نال تقريظــاً ضخماً من الصحافة على تنوع اتجاهاتها . كما نال اهتماماً من عدد من العلمــاء الكبار من أمثـــال البروفسور شارل ريشيه (١) Charles Richet وغيره .

وقد قال فيه ريشيه « ان هذا الكتاب مصيره أن يصبح كتـــاباً تقليدياً فى العلم الجــديد » . كما أثار اهتمام العلماء دى روشا (٢)

---

(١) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الاول ص ٦٣١ — ٦٦٠ .

(٢) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

de Rochas ، وفلورنوا Flournoy ، وبوزانوا (١) Bozzano وأجابيتى Agabiti وغيرهم من الأعلام .

ويضيق المقام بطبيعة الحال عن سرد جميع هذه التقارير والآراء ، ناهيك عن النظريات المختلفة عن مصدر الحمل بوجه عام وصلة الجنين به . ومن يريد المزيد فليرجع الى مؤلف العلامة شارل لانسلان عن « الحياة اللاحقة » ، فقد خصص لموضوع الكسندرين مكاناً فسيحاً فيه . كما سرد بعض حالات أخرى قد تعزز صحة هذا الأسلوب فى تحقيق نظرية « العودة للتجسد » ، وهو أسلوب «الاتصالات الروحية»، الى جانب سائر الأساليب الأخرى التى تناولنا بعضها فيما سبق .

وشيد المؤلف على كل ذلك مفهوماً محدداً عن نطاق الادراك بشطريه الواعى وغير الواعى ، وعن صلة الشطرين معاً باللاشعور المطلق ، أو بالوعى غير الشخصى le non moi . ولنا عودة الى ذلك عند معالجة اتطور من اللاشعور الى الشعور ، وصلة ذلك بتكوين « الأنا » بحسب آراء جوستاف جيلى .

صور للمقارنة

وفيما يلى نقدم بعض صور الكسندرين فى حياتها السابقة واللاحقة للمضاهاة ، مأخوذة عن نفس هذا المرجع ، الذى لم يشك أحد فى قيمته ، وفى نزاهة الروح العلمية التي هيمنت على وضعه ..



الكسندرين السابقة فى سن ثلاث سنوات وثمانية شهور



الكسندرين اللاحقة فى سن عامين وأربعة شهور

---

(١) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق ص ٦٦١ — ٦٩٠ .



الى اليسار الكسندرين اللاحقة ، والى اليمين شقيقتها التوأم ماري باتش M. Pace وهما فى سن السنتين من عمرهما

* * *

وهذه الوقائع التى حصل بها محققهـا على اجازة الدكتوراه فى الطب من جامعة بالرمو وأيدتها تقارير دقيقة ، وشهد بصحتها الدكتور كالدرون الذى كان ذا سمعة ضخمة فى ايطاليا ، كان لها دويها الذى تجاوز الأوساط المهتمة بأمثال هذه الموضوعات . وقد أعقبتها مقالة أخرى للدكتور سامونا ظهرت فى نفس المجلة وهى « فلسفة العلم » فى عددى مايو ويونية سنة ١٩١٣ وقد حلل فيهـا الدكتور سامـونا الطفلتين التوأمتين تحليلا فيزيقياً ونفسياً . وكان مما ورد فى هـذا التحليـل الجـديد :

ان التفاوت فى الشكل بين التوأمتين آخـذ فى التزايد ، وكذلك التفاوت فى النفسية . ولقد أردت توضيح هذا التفاوت الذى لم يظهر لى مهماً فى مبدأ الأمر ، لكن قيمته ظهرت فيما بعد من زاوية أنه يبرز بصورة أوضح من غيرها الشبه الشديد بين الكسـندرين الحاليـة والكسندرين السابقة ، ومن جهة أخرى من شأنه أن يستبعد من احتمال التـأثير الايحائى من جانب الأم فى النمو الجثمانى والنفسانى للطفلة الكسندرين الحـالية ..

فالكسندرين الحالية لا تزال مستمرة فى ابراز تشـابه كامل مـع الأخرى التى توفيت .. وعلى اية حال يمكننى ان أؤكد بطريقة مطلقة أن التشابه لا يزال تاماً . وأن سلوكها من الناحية النفسية هو نفس سلوك الكسندرين المتوفاة . وبمجرد ما بدأت حياة التوأمتين فى الدخـول فى صلات مع العالم الخارجى فان اتجاه كل منهما كان مغايراً للأخرى بحيث يمكننا أن نقرر أن كلا منهما تمثل طبيعة متميزة تماماً عن زميلتها .

وهكذا يسرد والد الطفلتين العديد من التفصيلات عن هذا السلوك، ويبين الى اى مدى يوجد شبه صارخ بين سلوك الكسندرين فى حياتيهما السابقة واللاحقة ، حين يوجد تفاوت صارخ بين سلوكها وسلوك التوأم الآخر ، وهو أمر غير مألوف بالنسبة للتوائم العادية (١) .

اختبارات اخرى عن طريق الاتصالات الروحية

وهناك حالات مماثلة عن عودات للتجسد كانت متوقعة الحدوث — قبل حدوثها — عن طريق رسائل أو اتصالات روحية محددة :

— ومنها حالة دونها الأمير اميل ف . بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٨٧٤ بمدينة فيفيه Vevey بسويسرا فى رسالة منه الى « المجلة الروحية » (٢) التى تصدر بباريس يخبرها فيها عن حالة طريفة من حالات العودة للتجسد، وهى خاصة بابنه الذى كان يبلغ عندئذ من العمر ثلاث سنوات . وقد ذكر فيها أنه قبيل ولادته بقليل تلقى من الأرواح المراسلة معلومات عنه ، وعن أنه سيحوز ملكات شعورية نامية ، لأنه فى حياته السابقة التى أمضاها فى انجلترا كان معنياً بتنمية هذه الملكات باتباع طقوس سرية Esotérique .

ومنذ بضعة أسابيع كان ابنى هذا يلعب ويثرثر فى مكتبى وسمعته يتحدث عن انجلترا ، التى لم يتحدث أى انسان أمامه عنها مطلقاً . فسألته قائلا : هل تعرف ما هى انجلترا ؟ .. فأجابنى قائلا : « نعم انها بلادى التى عشت فيها منذ مدة طويلة ، تماماً » ثم دار الحوار بيننا على هذا النحو :

س : هل كنت فيها صغيراً كما انت الآن ؟

ج : كلا بل كنت أكبر منك سناً ، وكانت لدى لحية طويلة .

س : وهل كانت ماما وانا كما نحن الآن ؟

ج : كلا لقد كان لى بابا وماما آخرين .

س : وماذا كنت تفعل ؟

ج : كنت اقوم كثيراً باشعال النار ، وذات مرة أصبت بحروق وتوفيت بسببها » (٣) .

---

(١) للمزيد يراجع شارل لانسلان . المرجع السابق ص ٣٠٩ —٣٦٣ . كما تجد فيه وقائع اخرى مماثلة .

(٢) سنة ١٨٧٥ ص ٤٨

(٣) يبدو أن اشعال النار كان من ضمن الطقوس السرية التى كان هذا الشخص يمارسها فى تجسده السابق بانجلترا .

ـ وثمة حالة أخرى وردت فى « المجلة العلمية والخلقية للروحية » (١) وكانت مدونة فى مضبطة جلسة روحية عقدت بمدينة ليون بفرنسا وفيها قرر احد الوسطاء أن طفلة ما ستولد فى أسرة معينة ، وسيكون فى جبهتها أثر جرح ملتئم بالنظر الى أحداث معينة مرت بها فى حياتها السابقة . وقد ولدت فعلا الطفلة بتلك العلامة المميزة .

ـ وثلاث حالات أخرى أوردتها مجلة « التقدم الروحى » (٢) فى عددى ٥ فبراير و ٢٠ مارس سنة ١٨٩٨ تبين أن الأرواح تعود الى الأرض ، وهى متعلقة بوسطاء لاحداث « الطرقات الكاتبة » أو « للكتابة التلقائية » وقد أعطوا تنبؤات صادقة عن عودات لتجسدات معينة .

اختبار آخر

وهذا اختبار فريد أورده الأسقف ك. و. ليدبيتر C.W. Leadbeater فى احد مؤلفاته وهو « الجانب الآخر للموت » (٣) . وهو خاص بسيدة فى السادسة عشر من عمرها تزوجت منذ عام ، وتجهل كل شىء عن الوساطة ، وعن الروحية ، وعن العودة للتجسد ، ولم تسمع احداً يتحدث امامها عن هذه الأمور .

وبمجرد احساسها بالحمل روت لأمها أنها تشعر بأن كائناً غير منظور يلازمها كظلها ويراقب عن كثب كل حركاتها ، وأفكارها . وقالت انها تعتقد أن هذا الكائن عبارة عن كائن ثانوى له مظهر سيدة تكبرها بعدد وافر من السنين ، وهذا الوجود أصبح تدريجياً أكثر كثافة . وبعد مضى ثلاثة شهور من احساسها الأول بوجود هذا الكائن قالت انها بدأت تتلقى بالالهام بعض رسائل مطولة مما وصفته بأنه « مقابل » لها .

واظهر هذا الكائن بكل وضوح اهتمامه وقلقه على سعادتها ، وأخذ يتبادل معها محاورات طويلة . وأعطى لها اسمه ، وأصله ، وتفصيلات عديدة عن حياته السابقة . وظهرت عليه لهفة شديدة على أن يكون معروفاً ومحبوباً من امه المستقبلة ، وبذل جهداً ضخماً لكى يبدو لها ظاهراً ، وأخيراً نجح فى ذلك . وكان يكفى لهذه السيدة الشابة أن تجعل الغرفة فى حالة نصف ظلام لكى يظهر هذا الكائن وجوده أمامها .

---

(١) LaRevue Scientifique et Morale du Spiritisme

(٢) Le Progrès Spirite عدد ابريل سنة ١٩٨٥ .

(٣) L'Autre Coté de La Mort.

والى هذا الحد كان المعتقد أن الحالة لا تخرج عن نطاق الحالات النفسية المرضية ، ولكن قبل أسبوعين أو ثلاثة من الولادة اخذت هذه الروح تظهر لأمها المستقبلة أن السبب الرئيسى لوجودها هو رغبتها فى أن تشغل الشكل الجديد لولادتها حتى تكمل اختبارها الأرضى الذى انتهى قبل الأوان . واعترفت السيدة الصغيرة بأنها لم تفهم جيداً فى تلك اللحظة ماذا كان يريد هذا الكائن أن يقوله ، لكنها رغم ذلك لم تكن مضطربة .

وفى الليلة السابقة على ولادة طفلتها الصغيرة ، شاهدت « تلك الصديقة » للمرة الأخيرة ، وقالت لها هذه الأخيرة : « اقتربت اللحظة ، فكونى شجاعة وسيسير كل شىء على ما يرام » .. ومنذ ولادتها قالت الأم الصغيرة انهاترى فىملامح طفلتها صورة كاملة ودقيقة للروح التى اختفت ، وفى نفس الوقت لم تكن الطفلة تشبه اى فرد فى الأسرة .

وبعد مضى عدة سنوات ، وكانت تفصيلات هذا الاختبار المذهل قد نسيت تقريباً ، وقع بصر الأم مصادفة على كتاب قديم يتضمن سرداً تفصيلياً لحياة المرأة التى عاشت فيها . وكانت احداث حياتها مطابقة للأحداث التى روتها الى أمها الصغيرة فى خلال شهور الحمل .. ولما كانت تلك الأم الصغيرة تخشى الافضاء بما جرى للآخرين ظلت تحتفظ به لفترة طويلة . وعندما بلغت ابنتها الخامسة عشرة من عمرها روت الأم الواقعة لأحد الحاضرين وحددت اسم الكائن الذى كان يلازمها، وعندئذ حولت الابنة وجهها ناحية الأم قائلة لها « ألم يكن أبى يسمينى بهذا الاسم فيما مضى » ؟ وذلك مع أن والدها كان قد توفى عندما كانت فى السنة الأولى من عمرها !!

ولما نفت لها الأم أن والدها كان يسميها بهذا الاسم أجابتها قائلة: « ولكننى متأكدة من أننى أذكر أن شخصاً ما كان ينادينى بهذا الاسم » . وقد حرر الأسقف ليدبيتر هذه الوقائع فى خطاب الى رئيس تحرير مجلة « المفكر المتقدم » (١) ، نقلا عن خطاب تلقاه من نيومكسيكو .

ولا يمكن بطبيعة الحال الجزم بصحتها ، ولكن تسلسل الوقائع يلتئم التئاماً غريباً مع مبدأ العودة للتجسد ، ويتعذر ابتكارها الا من شخص ملم بالكثير من جوانب هذا الموضوع ، الذى اخذت تترى التحقيقات اللاحقة الى جانب اثباته لا الى جانب نفيه .

---

(١) The Progressive Thinker.

متابعة

وهذا اختبار آخر روته مجلة « العالمين » Two Worlds وهى مجلة متخصصة فى الموضوعات الروحية وتصدر بانتظام منذ ثمانية وثمانين عاماً ، وعرف عنها الاعتدال ، مع الصدق ، ومقتضاه أن دائرة روحية كانت تعقد بانتظام ، وكانت تتلقى رسائل من روح يدعى داود .. وفى ذات يوم أعلن داود أنه لن يتمكن من العودة ثانية الى هذه الدائرة لأنه على وشك أن يعود للتجسد على الأرض ، وبعد ذلك انقطعت أخباره عن الدائرة لمدة عامين .

وبعدئذ عاد من جديد للهيمنة على وسيطة الغيبوبة فسألته هذه قائلة : « لكنك قلت انك كنت على وشك العودة للتجسد على الأرض فماذا جرى ؟ » . فكان جوابه « نعم لقد تجسدت فى أثيوبيا ، ومت بعد مضى عام واحد بسبب سوء التغذية ! » .

ويبدو أن داود هذا كان روحاً متطورة ، ولم يكن بحاجة لأكثر من المكوث لمدة عام واحد فى بقاء اليم على الأرض الى أن تحرر من جسده الأرضى من جديد بسبب سوء التغذية . ويمكن بحسب رأى مجلة « العالمين » هذه القول بأن عودة داود للظهور على الأرض فى صورة طفل تعيس كانت عودة قصيرة الى حد أن فردية داود لم تستحوذ على المركبة الفيزيقية الجديدة الا استحواذاً جزئياً ، ثم سرعان ما توفى بسبب سوء التغذية . وبعد هذه الاقامة القصيرة استرجع فوراً شخصيته القديمة (١) .

ويقول محرر هذا المقال انه فى دائرته المنزلية الخاصة قرر الروح المهيمن على الوسيطة كاترين Catherine انه لن يمكنه العودة الى هذه الدائرة لأنه كان على وشك العودة للتجسد . كما قال هذا الروح للوسيطة انه كان شقيقاً لها فى تجسد سابق بجبال الهملايا . ويقول محرر المقال ان هذا الروح عندما كان يتحدث عن طريق وسيطته أحاديثاً مسجلة على شريط التسجيل ، أبدى دهشته مما يجرى الآن فى القرن العشرين ، وأخذ يوجه النقد الى أسلوب الحياة الحاضرة !.

كما قال أيضا أنه قد سبق له التجسد — كما سبق لوسيطته التجسد أيضاً — بعد تلك المرة التى تجسدا فيها معاً منذ زمن بعيد بوصفهما

---

(١) بحسب بعض رسائل الأرواح لا يكون اندماج الكائن المتجسد فى جسده الفيزيقى اندماجا تاما الا بعد سن العشرين فى المتوسط . وأحيانا يظل الاندماج سطحيا جدا ، وقد يعطى هذا الاندماج الجزئى السطحى بعض الأعراض النفسية أو العصبية التى لا يجدى فيها العلاج .

شقيقاً وشقيقة ، لكنه الآن يعود اليها بوصفه راساماندامRasamandas وهو اسمه فى تجسده القديم .

ويلاحظ محرر المقال أن المعلمين الروحيين يتحدثون على الدوام عن الأرواح العريقة والأرواح الشـــابة ، فماذا يعنى ذلك ؟ انه يعنى أن الأرواح العريقة هى تلك التى قطعت طريق التطور فى الاختبار من داخل ومن خارج رداء المـادة لمدى أزمان بعيدة . أما الأرواح الشابة فقـــد بدأت منذ زمن قريب رحلتها فى تكوين فرديتهـــا فى استقلال عن روح الجماعة . وغنى عن القول انها كلها تمثل شعلات من الجوهر المقـــدس تنجز ـ خلال اختباراتها ـ تطور وعيها الخاص .

فهل بمقدور أى انسان أن يكون جاداً عندما يتصور أنه عنـــدما يتجسد كائن على الأرض لمدة بضع ساعات ، أو شهور ، أو سنوات فى حالة الطفولة ، يمكنه ابداً أن تتاح له فرصة اختبار الدروس التى لايمكن أن تختبر الا اذا ارتدى الكائن صورة فيزيقية ؟!.

وهل بمقدور اى انسان ان يكون جاداً عندما يتصـــور أن ملايين الكائنات التى تبدأ تطورها فى بطون امهاتها ، ثم تطرد منهـــا عن طريق الاجهاض ، يتعذر عليها ابداً أن تبدأ طريقها من جديد ؟ وهل هذا يعكس فى شىء العدل الالهى ؟ ! (١) .

اختبارات لها دلالتها فى تجسدات الأرواح .

ومن الاختبارات الخطيرة التى لها دلالتها ايضاً ما حدث فى بعض غرف الجلسات الروحية فى أثنـاء تحقيق ظواهر تجســـدات الأرواح فى ظروف مؤاتية . فقد تجســدت أرواح تجســداً تاماً أو جزئيـــاً ، ولكن ليس فى صورتها كما كانت فى حياتها الأخيرة ، وهذا هو الوضـــع المـألوف الذى يحدث عادة ، بل فى الصورة التى كانت عليها فى حيـــاة سابقة لها ، اذا ما عادت اليها ذاكرة هذه الحياة السابقة واضحة . ومن المعروف أن اساس التجسد هو قدرة ذاكرة الروح على التـأثير فى مادة الاكتوبلازم المنبثقة عن الوسيط (٢) .

فكما أن الروح تفضل عادة أن تتجسد فى شكلها الأخير حتى يتعرف عليها الحاضرون ، رغم انها قد تكون استعادت شبابها تدريجياً فى عالم الأثير ، فكذلك يمكنها أن تتجســد ـ بحكم تأثير ذاكرتها فى الاكتوبلازم فى صورة أخرى كانت لها فى حياة سابقة لتجسدها الأخير .

---

(١) عن مجلة « العالمين » عدد فبراير ١٩٧٥ ص ٣٦ ـ ٣٨ .

(٢) راجع « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول ص ١٧٧ .. ٢٠٨ .

وقد سجل حدوث عدة تجسدات من هذا النوع الأخير بحاث لهم مكانتهم : منهم القس مارتن لجبلاد Martin Liljeblad (١٨٧٣ — ١٩٥١) (١) الأسقف السويدى الذى يقول انه حضر فى سنة ١٩٣٨ عدة جلسات تجسد مع الوسيط الدانيمركى المعروف انير نيلزن Einer Nielsen (١٨٩٤ — ١٩٦٥) (٢) فى كوبنهاجن ، وشاهد هذه الظاهرة عند تجسد روح القس توماس كنجو Thomas Kingo (١٦٣٤ — ١٧٠٣) الذى روى له أن له تجسداً آخر لاحقاً كعامل فى حقل عنب بالمانيا .

وثمة امثلة أخرى فى التجسدات التى قدمها العلامة الألمانى المعاصر فى الباراسيكولوجى هانز جيرلوف Hans Gerloff (٣) والسيدة نويجرات Noeggerath (٤) تؤكد انه قد يمكن للروح أحياناً أن تظهر خلال أساليب متعددة من الوساطة ، ليس فحسب فى صورة تجسدها الأخير ، بل فى صورة بعض تجسدات سابقة .

واذا تركنا جانباً المفاهيم القلقة المرتبطة بكلمة « نفس » و « روح » فان هذا يعنى — بحسب راى البحاثة كارل موللر — أن شطراً فحسب من روح الانسان الكلية يكون نشطاً خلال التجسد الواحد (٥) .

وكثير من البحاث يؤكد هذا المعنى الذى أشرت اليه فى أكثر من موضع سابق ، وهو وجود وعى للانسان وهو خارج الجسد أسمى وأوسع نطاقاً عن وعيه وهو معتقل فى الجسد ، وهذا الوعى الأسمى قد تظهر بعض ومضات منه حتى قبل التحرر من الجسد المادى بالوفاة وهو صاحب الفضل الأول فى ظواهر الالهام ، وغيره من ظواهر الادراك عن غير طريق الحواس E. S. P. (٦) . فلماذا لا يلعب هذا الوعى الأسمى دوره فى التجسدات أيضاً ، وهى لا تخرج عن كونها من الظواهر الروحية الخاضعة لتأثير العقل فى المادة تأثيراً مباشراً ؟ ! ...

---

(١) المرجع السابق . ص ٦١٧ — ٦١٨ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، ٦١٨ — ٦١٩ .

(٣) عن المرجع السابق . ص ٦٠٨ — ٦٠٩ .

(٤) هى السيدة روفينا نويجرات Ruffina Noeggerath ولها كتاب عن « دوام الحياة بعد الموت » Survie (باريس ١٨٩٧ وله طبعة ألمانية فى سنة ١٩٠٤) وقد تناولت شرح تجارب عديدة لها فى هذا الشأن .

(٥) عن كارل موللر : المرجع السابق ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٦) راجع ما ورد فى « المفصل » . الجزء الثانى ص ١١٢ — ١٢١ ، ٤٥٣—٤٩٢ .

اعتبارات ينبغى أن تراعى

وبالاضافة الى ما تقدم فان عدداً كبيراً من اصحاب المواهب الوساطية المتنوعة قدم بيانات محددة كثيرة عن تجسدات معينة له مستعيناً بذاكرته الواعية ، أو بارشادات يقال انها منسوبة الى أرواح مراسلة ، وأحياناً قد تكون مؤيدة ببيانات محددة ، أو برسوم ، أو بصور ، أو بأصوات مباشرة ، أو بتفوهات غيبوبة ، أو بتنبؤات معينة .

ولا ينبغى تقبل جميع البيانات على علاتها ، فقد تكون مشوبة بجانب قليل أو جسيم من الوهم ، أو من الخطأ ، أو من الايحاء ، أو من التسرع فى الاستنتاج من جانب الوسيط ، أو من جانب روحه المرشد أو المراسل . وينبغى دائماً أن نضع فى الاعتبار أن الأرواح المراسلة فيها حشد هائل من محبى الهزل ، والكذب ، والادعاء . وفيها من يزعم كذباً الاطلاع على حقائق الأمور ، أو الالمام بخفايا الوجود . بل فيها من ينتحل لنفسه صفة النبوة ، بل الألوهية أيضاً . وفيها حشد هائل من أصحاب العقليات المضطربة ، أو الأخلاق الضعيفة ، أو المعلومات الخاطئة .

فينبغى اذا أن نخضع كل قول وكل زعم لأسلوب التحليل الناقد والتمحيص الدقيق ، كما هى الحال ـ بالضبط ـ بالنسبة لأقوال سكان الأرض ومزاعمهم ، ففيهم أيضاً خليط لا ينتهى من كل المستويات والأصناف والاتجاهات كما نعلم جميعاً . وعندما يأتى الارشاد الروحى من مصدر أهل للثقة فهو يأتى عادة لمساعدة انسان فى التغلب على بعض الصعوبات الراهنة التى قد يواجهها عن طريق الكشف عن بعض جوانب ماضيه السحيق ، أو لمساعدته فى محاولة الحصول على المزيد من التطور الروحى .

كما ينبغى أن نضع فى الاعتبار أن الوعى الانسان لا يتجسد بكامله فى التجسد الواحد ، بل ان اغلبه يظل خارج نطاق التجسد ، وبالتالى مخبوءاً فى اللاشعور ، وهو أمر قد يفسر فى حالات عديدة عدم وضوح التطابق المتوقع بين شخصية الانسان فى حاضره وشخصيته فى ذلك الماضى السحيق . بل ظهور تفاوت أو تناقض جلى فى بعض الأحايين . وعلى أية حال فان كل اعتبار ينبغى أن يوزن وزناً دقيقاً ـ ومعه كل احتمال متصور ـ عند دراسة أية بيانات للحكم لها أو عليها .

وينبغى أن نضع فى الاعتبار أيضا أن ظواهر تجسد الأرواح ، وهى ظواهر قد خضعت لتحقيقات جادة كثيرة تحت ادق صور الرقابة العلمية(١) ، هى فى حقيقة الأمر ظواهر عودة للتجسد أيضاً ، لأن جميع

(١) راجع ما ورد فى هذا الشأن فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٥٢٧ ـ ٦٣٠ ، ٦٣٤ ـ ٦٤٩ ، ٦٥٢ ـ ٦٥٥ ، ٦٦٤ ـ ٦٨٠ .

الأرواح التى ثبت تجسدها عن طريق استعارتها لمادة الاكتوبلازم من جسم الوسيط أو الوسيطة انما هى أرواح سبق لها العيش على الكوكب الأرضى لفترات تتفاوت فى مداها .

فاذا كان بمقدور الروح أن تعود للتجسد لمدة بضع دقائق أو لحظات عن طريق استعارة عنصر معين من دم الوسيط أو الوسيطة ، فان عودتها للتجسد لبضع سنوات عن طريق استعارة جسم آدمى من أحشاء الأم ، يصبح امرا متصورا من الناحية البيولوجية .

ويتقوى هذا الاحتمال اذا روعى أن هذه التجسدات تأخذ أحجاما واشكالا متنوعة . وانها تمر بمراحل مختلفة بحسب قدرة الروح ، وطاقة الوسيط ، وكثافة الاكتوبلازم المنبعث منه ، وطول المثابرة ، والخضوع للمران الكافى . وهذه كلها أمور غريبة على أذهاننا الآن ، لكن حققها علماء مدققون كبار وتثبتوا من صحتها بكل السبل . ولعل ما سيرد فيما بعد عن « الهيولى المحايدة » التى ليست هى بعقل ولابمادة ، أو بالأدق هى بين العقل والمادة ، أى تجمع بين خصائص الاثنين معاً ، ما قد يلقى أضواء لها قيمتها على تفسير هذه الظواهر المفرطة فى أهميتها .

المبحث الخامس

آراء بعض الأرواح
فى شأن العودة للتجسد

عن موقف الأرواح بوجه عام

مما يسترعى الانتباه أن الأرواح التى تنادى بصحة العودة للتجسد ، والتى تقيم شطرا هاماً من فلسفتها عن علاقة الانسان بالكون على هذه العودة هى أبرز الأرواح المعلمة ذات التعاليم الراقية : ومنها مثلا هوايت ايجل White Eagte (أى النسر الأبيض) ، وسيلفر بيرش Silver Birch (أى الغصن الفضى) ، وهوايت راى White Ray (أى الشعاع الأبيض) ، ورد كلاود Red Cloud (أى الغيم الأحمر) ، وأجاشا Agasha ، وفلتشر Fletcher ، وزودياك Zodiac ، وجوهانز Johannes ... وغيرهم كثيرون .

وبطبيعة الحال ليس مجرد اصرار الأرواح الراقية على القول بالعودة للتجسد معناه صحة هذا الاعتقاد ، خصوصا وانها تسلم بصعوبة اثباته معمليا فى جميع الحالات نظرا لأن الأصل هو نسيان كل وجود

ارضي سابق للانسان ، وانزلاق هذا الوجود الى اللاشعور بوصفه مجرد لبنــة خفية فى بنيان ما تعودنا أن نصفه بأنه « التكوين الفطرى الروحى للانسان » بما له وما عليه ، ولكن فى الواقع انهــا تستند الى أسانيــد لهــا وجاهتها ، ولا يصح المنصف الا أن يوليها حقها من العناية . وهذه الأسانيد بعضها يغلب عليه الطابعان الفلسفى والنظرى ، وبعضها الآخر ذو طابع يقبل التحقيق العملى .

وغنى عن البيان أن هذا الاعتقاد فى العودة للتجسد مرتبط ونيــق ارتباط بمبدأ حرية الارادة الانسانية ، وبالتالى بمسئولية الانسان الخلقية عن أفعاله . وفى الواقع اننى لم أقــرأ أن روحا واحدا أنكر مبدأ هـــذه المسئولية الخلقية المتوقفة على مدى ما يتمتع به صاحبها من حرية الختيار مهما كانت مقيدة ، أو تبدو مقيدة بقيود الميراث ، والبيئة ، والعصر .

وليس معنى ذلك بالمرة أن ثمــة اجماعا من الأرواح على صحة مبدأ العودة للتجسد ، فالاجمــاع محال بين البشر هنــا أو هنــاك فى الأمور المعنوية المتصلة بتكوين الروح وبماضيها السحيق فى مستوى المــادة أو مستوى الأثير .

ولذا فان ثمة أرواحا عادية سئلت عن العودة الى التجسد فنفتها . ويقول الفيلسوف آلان كاردك Allan Kardec فى هذا الشــأن ان الأرواح التى تتصل بنا فى فرنسا من أنصار العــودة للتجسد كمــا لو كانوا من براهمة الهند ، أو من فقهــاء الكنيسة الأوائل مثل سانته أوريجـــين Origène الذين نادوا بالوجود السبقى للروح على الحياة الأرضية . والذين نظروا الى التجسد بوصفه وسيلة لتطهير الروح فى المــاضى وفى المستقبل حتى تعلو الروح الى « أجواء الأرواح النقية » ، وهو تعبير يوجد فى مؤلفــات كاردك كما يوجد فى كتابات البراهمة .

أما الأرواح التى تتصل فى أمريكا وانجلترا فمنها عدد يسير كان ينعى احتمال العودة للتجسد وهــذا التعارض يفسره كاردك نفسه بأن الأرواح التى تتصــل بنا كثيرا ما تكون أرواحاً دنيا ، وهذا اعتبار يجعلنا نفهم لمــاذا أن الرسائل كثــيرا ما تكون تافهــة ، أو مضــللة ، أو حتى منافية للآداب .

ولأن الانجلو سكسون فى غالبيتهم ينتقلون الى العــالم الآخر على رفض مبدأ العــودة للتجسد ، فانهم عندما يتصلون بالأرضيين يصرون على هذا الرفض ، خصوصا وأن التجسد الجديد قد يعود بهم فى شعب ملون وهذا ما لا يطيقه شعورهم بأنهم أسمى من الملونين كثيرا ! ! لذا

لا ينبغى التعويل فى هـذا الموضوع على أقوال الأرواح العـادية بل على أقوال الأرواح المتطورة التى ارتقت كثيرا . والتى نلمس رقيها من عمـق أفكارها وترابطها ، والتى تدافع فى كل مكان عن مبـدأ العودة للتجسد هذا ، وتقدم له أسانيد فلسفية ووضعية ضخمة يتعذر رفضها جملة ، خصوصا اذا جاءت متسقة مع الكثير من الحقائق العـامة عن التطـور والعقل ، واللاشعور ، والأحلام ... على ما سيرد فيما بعد .

وأضيف الى ذلك أن الآراء المعترضة على مبدأ العودة للتجسـد أخذت فى التراجع الواضح حتى عند الانجلو سكسون ، الى حد أننى لا أجد فى مراجعهم الحديثة سوى تأييـد متزايد لهـذا المبـدأ . وهو تأييد منسوب — فى الكثـير من الأحيـــان — الى أقوال نفس أرواحهم المراسلة ، سواء منها تلك التى تنشرها المراجع المختلفـة ، أم تلك التى تنشرها النشرات والصحف الروحية التى يصلنى بعضها بانتظام .

كما أضيف اعتبارا آخر سجله شو دزموند Shaw Desmond مدير « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن عندما قال « انه يحدث فى معظم جلســات الاتصـال بالأرواح أن يؤثر فـكر الوسـيط وكذلك فكر الحاضرين قليـــلا ، وكثيرا بطريقـة غير مباشرة ، فى الرســالة الأصلية ... وكثير من الوسطاء لا يؤمن بالعودة للتجسد على الرغم من ايمـان الأرواح المرشدة به ، ويمكننى القول بأن جميع المرشدين البارزين يعتقدون تماما فى العـودة للتجسد لاكتســاب الخبرة فى الأرض التى تقوم بدور المدرسة ... » (١) .

من حوار بين كاردك ولفيف من الأرواح الراقية .

وقد أجـرى آلان كاردك محاورات طـويلة مع لفيف من الأرواح الراقيـة حول هذا الموضوع أوردها مفصلة فى « كتاب الأرواح » (٢) ، وهى محاورات قيمة ، ولا يتسع هذا المقـام لايرادها كلها ، خصوصا لأن كثيرا من المعـانى المستفادة منها قد ورد فى مواضـع أخرى سابقـة ولاحقة ، وانما نكتفى بايراد بعض أجزاء منها عن طبعة سنة ١٩٤٧ من هذا الكتاب : —

— كيف يتأتى للروح التى لم تبلغ حـد الكمال على الاطـــلاق فى أثنـاء حياة الجسد أن تكمل تطهرها ؟

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٣٨ .

(٢) Le Livre des Esprits.

وراجع ما ورد عن آلان كاردك فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٦٨ — ٤٦٩ . وفى باب « الثواب والعقاب » من الجزء الثالث .

ـ يتحمل محنة تجسد جديد .

ـ كيف يتأتى للروح أن تنفذ هـذا التجسد الجديد ؟ هل بتطورها كروح ؟

ـ ان الروح بلا ريب تتطور عند تطهرها ، ولهـذا الاعتبار بالذات تلزمها محنة العيش الجثمانى .

ـ اذا فللروح عدة وجودات جثمانية ؟

ـ نعم فلجميعنا وجودات متعددة . وأولئك الذين يقولون لـكم عكس ذلك يرغبون فى الابقـاء عليكم فى نفس الجهالة التى يعيشون فيها هم أنفسهم . فهذه هى رغبتهم .

ـ يبدو كنتيجة لهـذا المبدأ ان الروح بعـد أن تغـادر جسدها المـادى قد تتخذ لها جسدا آخر ، أو بعبارة أخرى انها تعود للتجسد فى جسد جديد ، فهل هذا هو المفهوم ؟

ـ ان هذا أمر واضح .

ـ ما هو هدف العودة للتجسد ؟

ـ التكفير ، والتقدم التدريجى للانسانية ، وبغير ذلك أين كانت ستوجد العدالة ؟

ـ هل عدد مرات التجسد محدد ، أم أن الروح تعود للتجسد الى ما لا نهـاية ؟

ـ فى كل وجود جديد تخطو الروح خطوة جديدة فى طريق التقدم ، وعندما تتخلص من كل أوجه قصورها ، لا تعد بها حاجة لمعـاناة محن الحيـاة الأرضية .

ـ هل عدد مرات التجسدات واحد للجميع ؟

ـ كلا : ان من يتقدم سريعا يوفر على نفسه المحن . وكل هـذه التجسدات المتتابعة دائما متعددة جدا ، لأن التقـدم يبـدو تقـريبا بلا حدود .

ـ وماذا تصبح الروح بعد تجسدها الأخير ؟

ـ روح سعيدة تماما ، لأنها روح نقية .

ـ ما هو أساس عقيدة العودة للتجسد ؟

ـ عدالة الله ، والكشف عنه ، لأننا نكرر بلا توقف القول بان الأب الصالح يدع الباب دائما مفتوحا لأولاده لكى يندموا . الا يقول لك المنطق

أنه يكون من الظلم أن يحرم نهائيا من السعادة النهائية ، وبلا رجعة ، كل أولئك الذين لم يكن فى وسعهم التقدم ؟ اليس جميع البشر أولاد الله ؟ ان الرجال الآنانيين فقط هم الذين نجد لديهم الظلم ، والحقد الغشوم ، والعقوبات التى لا تغتفر للآخرين » .

ويعلق كاردك على هذه الاجابات قائلا : ـ

« أن جميع الأرواح تميل نحو التقدم ، ولقد زودها الله بالوسائل عن طريق اختبارات الحياة الجسدية . لكنه فى عدالته يترك لها أن تنجز فى وجودات جديدة ما عجزت عن تحقيقه أو انجازه فى اختبار سابق .

وليس من العدل ولا من الرحمة الالهية أن يعاقب نهائيا أولئك الذين يكونون قد صادفوا عقبات خارجة عن ارادتهم حالت دون تقدمهم ، وفى نفس البيئة التى عاشوا فيها . واذا كان مصير الانسان محددا بعد الموت بطريقة لا تقبل التعديل ، فان الميزان الالهى لن يكون واحدا بالنسبة لجميع البشر ، ولن يكون خلوا من التحيز .

ان فقه العودة للتجسد ، اى ذلك الفقه الذى يتقبل عدة وجودات متتابعة للانسان هو الفقه الوحيد الذى يلتئم مع الفكرة التى لدينا عن عدالة الله بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون فى مستوى معنوى أدنى من غيرهم ، وهى الوحيدة التى بمقدورها أن تفسر لنا المستقبل ، والتى تستقر عليها آمالنا ، لأنها تتيح لنا الوسيلة التى بها نمحو أخطاءنا عن طريق اختباراتنا المتجددة . فالعقل يقودنا اليها ، كما ان الأرواح تنادى بها .

والانسان الذى يشعر بانه أدنى من غيره يجد فيها أملا معزياً ، فانه اذا كان يؤمن بعدل الله ، فليس له أن يؤمل فى أن يصبح مساوياً الى الأبد لأولئك الذين كانوا فى سلوكهم أفضل منه . والاعتقاد بأن هذه الصفة لن تحرمه الى الابد من الحصول على الخير الأسمى ، وأنه سيتمكن من الحصول على هذا الخير عن طريق بذل جهود جديدة ، هذا الاعتقاد سيكون من شأنه تقويته وتشجيعه .

وكذلك ما شأن الانسان الذى يحصل فى نهاية حياته الأرضية على خبرة متأخرة لن يتمكن من الافادة منها ؟ ان هذه الخبرة التى جاءت متأخرة لن تفقد أبدا ، بل ستكون مصدر نفع له فى حياة جديدة » .
(ينتهى تعليق كاردك) .

ـ هل جميع وجوداتنا الجسدية تتم كلها على الأرض ؟

ـ كلا ليست كلها ، بل فى العوالم المختلفة . والحياة على الأرض

ليست هى الأولى ولا الأخيرة ، بل هى من أكثف صور الحياة المادية ، ومن أبعدها عن الكمال .

— هل تمر الروح فى كل تجسد جديد من عالم الى آخر ، أم أن بمقدورها أن تمر بعدة تجسدات فى نفس الكرة ؟ .

— بمقدورها أن تحيا مرات متعددة على نفس الكرة ، ما لم تحصل على تقدم أوفر مما يتيح لها المرور الى عالم أسمى .

— اذا فنحن بمقدورنا أن نظهر عدة مرات على الأرض ؟

— يقيناً .

— وهل بمقدورنا أن نعود اليها بعد أن نكون قد عشنا فى عوالم أخرى ؟

— بلا ريب أنه سبق لكم العيش اما بعيدا عن الأرض واما عليها .

— وهل من الضرورى العودة للعيش على الأرض ؟

— كلا ، ولكن اذا عجزتم عن التقدم عليها فمن الجائز أن تذهبوا الى عالم آخر ليس أفضل منها ، بل قد يكون أسوأ .

— وهل ثمة ميزة من العودة للسكنى على الأرض ؟

— لا توجد ميزة خاصة ، ما لم تكن العودة لتحقيق مهمة معينة ، وعندئذ يتقدم الانسان فيها كما يتقدم فى غيرها .

— ألا يكون الانسان أوفر سعادة اذا ظل روحا ؟

— كلا ، كلا ، لأن الانسان سيتوقف عن التقدم ، مع أنه يرغب فى التقدم نحو الله .

— هل يمكن للأرواح بعد أن تكون قد تجسدت فى عوالم أخرى أن تتجسد على الأرض مع أنها لم تظهر عليها أبدا من قبل ؟

— نعم كشأن تجسدكم أنتم فى العوالم الأخرى ، فان جميع العوالم متضامنة ، وما لا يتم انجازه فى عالم معين يتم انجازه فى عالم آخر .

— اذا فقد يوجد على الأرض أشخاص متجسدون للمرة الأولى ؟

— يوجد كثيرون ، وفى درجات متفاوتة .

— هل يمكن بوسيلة ما التعرف على الروح التى تظهر متجسدة لأول مرة على الأرض ؟

— أن ذلك سيكون عديم الجدوى .

— هل يلزم للوصول الى الكمال والى السعادة القصوى التى هى الهدف النهائى لجميع الأشخاص المرور بالتجسد فى جميع العوالم الموجودة بالكون ؟

— كلا لأنه توجد عوالم كثيرة فى نفس المستوى ولن تتعلم فيها الروح شيئا جديدا .

— اذاً فكيف نفسر تعدد الوجودات على نفس الكرة ؟

— ان الروح يمكنها فى كل مرة أن تجد نفسها فى مراكز متفاوتة تماما ، فتمثل لها — بنفس المقدار — فرصا متنوعة للحصول على الاختبار .

— هل بمقدور الأرواح أن تحيا جثمانيا فى عالم ادنى نسبيا من العالم الذى سبق لها العيش فيه ؟

— نعم ، عندما يكون عليها أن تؤدى مهمة للمساعدة فى تحقيق التقدم ، وعندئذ تتقبل بسرور متاعب هذا الوجود ، لأنه يتيح لها سبيلا للمزيد من التقدم .

— أليس من الجائز أن يحدث ذلك للتكفير ، وأن يرسل الله الأرواح المتمردة الى عوالم ادنى ؟

— بمقدور الأرواح أن تظل متوقفة عن التقدم ، لكن ليس بمقدورها التقهقر للوراء ، وعقابها يكون عن توقفها عن التقدم ، ويتعين عليها أن تستعيد الوجودات التى أساءت استخدامها ، وذلك بما يناسب طبيعتها .

— ما هى الأرواح التى يتعين عليها أن تستعيد نفس الوجود ؟

— هى تلك التى فشلت فى مهمتها ، أو فى اختبارها .

— وهل الأرواح التى تقطن عالما مشتركا وصلت كلها الى نفس درجة التقدم ؟

— كلا ، بل توجد أرواح متفاوتة فى تقدمها ، كما هى الحال على الأرض .

— عند المرور من هذا العالم الى عالم آخر هل تحتفظ الروح بنفس الذكاء الذى كان لها هنا ؟

— الذكاء بلا ريب لا يفقد لكن من الجائز انه لن يملك نفس الوسائل للتعبير عن نفسه ، وذلك يتوقف على مدى تفوقها ، وعلى حالة الجسم الذى سيكون لها (لأن الجسم يؤثر فى الذكاء ، كما أن الذكاء يؤثر فى الجسم) ...

— هل عند العبور من عالم الى آخر يلزم أن تمر الروح دائما بطفولة جديدة (عندما ترتدى جسدا ماديا جديدا) ؟

— الطفولة انتقال ضرورى ، لكن لا يلزم أن تكون الطفولة حمقاء فى كل عالم بمقدار حماقتها عندكم .

— هل تختار الروح عالمها الجديد الذى يتعين عليها أن تقطنه (عند العودة للتجسد) ؟

— ليس دائما ، لكن بمقدورها أن تطلب هذا العالم الجديد ، ويمكنها أن تحصل عليه اذا كانت تستحقه ، لأن العوالم غير متاحة للأرواح الا بحسب مدى تطورها .

— واذا لم تطلب الروح شيئا ، فما الذى يحدد لها ذلك العالم الذى ستتجسد فيه ؟

— درجة تطورها .

— هل الحالة الجثمانية والمعنوية للكائنات الحية تظل كما هى فى كل كرة ؟

— كلا لأن العوالم نفسها خاضعة لقانون التطور ، وكلها بدأت مثل عالمكم فى حالة دنيا ، والأرض نفسها سيلحقها تحول مماثل ، وعندما يصبح الناس عندكم طيبين ستتحول الحياة عندكم الى جنة أرضية » .

ويعلق كاردك على هذا القول بأن الأجناس التى تعمّر الأرض حاليا ستختفى يوما ، وستحل محلها كائنات أخرى أرقى منها ، وتلك الأجناس المتطورة ستخلف الجنس الحالى ، كما أن الجنس الحالى حل محل أجناس أخرى أكثر بدائية منه .

— هل توجد عوالم تعيش فيها الأرواح بلا أجساد مادية ، ولايغلفها سوى الجسم الأثيرى ؟

— نعم ، وحتى هذا الجسم الأثيرى قد يصبح رقيقا الى حد أن يبدو كما لو لم يكن له وجود بعد ، وتلك هى حالة الأرواح النقية .

— اذا فلا يوجد حد فاصل بين حالة التجسدات الأخيرة وحالة الروح النقية ؟

— هذا الحد الفاصل لا وجود له ، والفارق يمحى تدريجيا ويصبح غير محسوس ، كما يمحى الليل تدريجيا فى أضواء الفجر الأولى(١) .

---

(١) عن آلان كاردك . المرجع السابق ص ١٤٧ — ١٥٥ . ويلى ذلك مناقشات مستفيضة مع الأرواح انتهت فى نتائجها الى نتائج تلتئم تماما مع تلك المبينة بسائر أجزاء هذا البحث لذا تحاشينا ايرادها منعا للتكرار . ومن يريد المزيد فليرجع الى هذا المرجع القيم جدا ص ١٥٥ — ١٨٥ .

من حوار بين سوافر وسيلر بيرش

وقد ناقش هانن سوافر H. Swaffer نقيب الصحافة البريطانية — وهو لايعتقد بهذا المبدأ — الروح سيلفر بيرش Silver Birch وهو ابرز روح مراسل فى العالم ، بل فى تاريخ الروحية(١) عن هذا الموضوع الخطير مناقشات كثيرة فتمسك سيلفر بيرش بصحة العودة للتجسد وأعطى عنها تحليلات كثيرة لها وزنها . وقد جرى الحوار على النحو الآتى : —



سيلفر بيرش
من عمل الرسام الفرنسى
المعروف مارسيل بونسان
Marcel Poncin

— لماذا لم يعطنا عالم الروح اثباتا للعودة للتجسد ؟

— ماذا يمكن ان يكون اثباتا للعودة للتجسد التى لا يمكنك أن تفسرها عن طريق ضبط الروح والسيطرة عليها ؟ انك ستتقبلها فقط عندما يكون وعيك معدا لذلك . . عندما يكون واضحا لك أنها القانون. . وهذا هو السبب فى أن هناك كثيرين فى عالمى يقولون ان هذا لا يحدث . . . لانهم لم يصلوا بعد الى مرحلة الوعى التى يعرفون عندها أن هذا يحدث . . هل يمكن أن يفسر الصوفى مذهبه الباطنى لرجل من رجال الاعمال ؟ هل يمكن أن يفسر الفنان شيئا عن الهامه لهؤلاء الذين لم يوهبوا رقة احساسه ورهافة شعوره أو شيئا عن افكاره الموحاة ؟ انه لا يستطيع . . . انهم فى مستويات عقلية مختلفة .

— هل تعرف الروح متى تكون على وشك ان تتجسد ؟

— الروح تعرف ، ولكنها لا تستطيع أن تعبّر عن ذاتها من خلال العقل ، والروح التى هى الروح العظمى انما تعبر عن ذاتها عن طريق الخلود ، بالتدريج خطوة فخطوة . وهناك عند اية مرحلة لا يزال يوجد جزء عظيم غير واضح لم يعبّر عنه بعد .

— اذن هل الروح تتجسد لاشعوريا ؟

(١) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » . الجزء الاول ص ٤٤٣ — ٤٤٤ ، ٧٧١—٧٩٣ .

— يتوقف هذا على حالة تطور تلك الروح . هناك كثير من الأرواح التى تعرف أنها قد تجسدت من قبل ، وهناك أرواح أخرى لا تعرف . ان نفوسها ربما تعرف ، وادراكها ربما يعرف ولكنها ربما لا تكون معروفة لدى العقل (الواعى) . انك على صلة بأعظم أسرار الحياة . وأنا أجد انه من الصعب جدا أن أحصل على كلمات فى اللغة الانكليزية لكى أعبّر بها عن الحالات العامة للروح .

— اذا كانت الحياة فى تغير وتطورمستمرين ، وكانت العودة للتجسد حقيقة ، فكيف يمكننا أن نتحقق من لقاء أحبائنا بعد وفاتنا والاستمتاع بحياة النعيم التى وُعدنا بها ؟ !

— ان الحب سوف يميّز ويعرف دائما من يقره ويعترف به ، لأن الحب أعظم قوة فى الكون كله . الحب سوف يجتذب محبيه دائما ، والمحب سوف يلتقى دائما بمن يحبه .. فليس هناك أى شىء يمكن أن يحول دون الاتحاد بين أولئك الذين يتحابون .

— ولكن مع العودة للتجسد سيكون هناك انفصال مستمر ، فهل هذا يتلاءم مع فكرة النعيم الأبدى ؟

— ان فكرتك عن النعيم الأبدى لا تتواءم مع فكرتى عن النعيم الأبدى . انما الكون وما فيه من القوانين كائن وقائم كما صنعه الخالق لا كما صنعه الخلق ، والانسان العاقل هو ذلك الذى يغيّر تفكيره عندما يواجه الحقائق الجديدة ، لأنه يعرف تماما انه لا يمكنه أن يبدّل الحقائق لكى يرضى هواه .

اذا كان حقا ما يقال من اننا كنا موجودين خلال حيوات لا عدّ لها قبل هذه الحياة ، فلماذا اذن لم نكن أكثر تقدما وارتقاء ، وأكثر مثالية مما نحن عليه الآن ؟

— أنت يمكنك أن توجد فى عالم المادة وتكون قديسا ، ويمكنك أن تكون فى العالم المادى أحط من الانحطاط وأتفه من التفاهة . وهذا لا يتوقف على المستوى الأرضى ، بل يتوقف على تطور الروح .

— ألا يزال أمامنا عدد غير متناهٍ من حيوات النضال والكفاح والألم والعذاب علينا أن نجتازها فى المستقبل كتلك التى كابدناها فى الماضى ؟

— نعم .. عدد غير متناه .. كفاح ومعاناة .. معاناة تجعل الروح بداخلك قادرة على البزوغ نقية ، مطهرة ، معززة ، مؤيدة ، مهذبة ، مصفاة ، مثل الذهب ينبثق من الجوهر الخام بالتحطيم والصقل والتهذيب الى أن يتكشف أصله عن طريق تلك العمليات .

— اذا كان الأمر كذلك ، فما جدوى فكرة دار البقـاء بعد الموت ؟

— ان ما تعتبره اليوم نعيما مقيما لن تعتبره كذلك غدا ، لأن السعادة تكمن فى الكفاح والجهاد . الجهاد دائما لأن الاعلى والأرقى وراء ذلك .

— اذا تجسدت الروح فهل تعود الى نفس الجنسية كما كانت فى آخر تجسد ؟

— ليس ضروريا . انهـا ستختار المدينة ، والأمة ، والسـلالة ، والأسرة ، التى تراها ضرورية لظهورها الجديد .

— هل ينطبق نفس الشىء على مسألة الجنس Sex ؟

— نعم ليس من الضرورى أن تعود الروح بنفس الجنس الذى كانت عليه من قبـل .

— هل يمكن أن يكون صحيحا أننـا نعاقب على ذنوبنا فى حيـاة أخرى على الأرض ، كما أننا يجب أن نكفر عن خطايانا قبـل أن نرتقى فى عالم الروح ؟ هل يعاقبنا الله مرتين عن نفس المعصية ؟

— ليست المسألة مسألة عقاب .. وانما هى مسألة ارتقاء . واجب يلزم أن يؤدى .. درس يجب أن يتعلم ويستذكر .. حلقة أخرى يجب أن تنصهر وتطـرق وتدخل فى سلسلة تهذيب الروح وتثقيفها واعلائهـا والسمو بها . ان العودة للتجسد لا تعنى دائماً انك يجب أن تعاقب .. انها تعنى فى الغالب أن ثمة فجوات أو فراغ ينبغى أن يملأ .. وهذا يمكن ان يكون فى بعض الأحيان تأديباً وتهذيباً للأفراد ، وقـد يكون فى أحيان أخرى دروسـاً لم تعرف بعد .. هـذا لا يعنى دائماً العقاب .. وأنت لا يمكن أن تعـاقب مرتين . وحين تكون على علم ودراية « بالقـانون » فستعجب من كماله ، لأنه لا يطفف الكيل ولا يخسر الميزان . القـانون كامل ، والشريعة كاملة ، والكمال صفة من صفات الله (١) .

من حوار بين هوايت راى ووسيطته

ونوقش ايضاً الروح المرشد الراقى الذى يرمز لنفسه باسم هوايت راى white ray (الشعاع الأبيض) فى موضوع العودة للميلاد فأيدها ، ملقياً عليها بعض اضواء جديدة . وجرى الحوار الآتى :

— هل من الممكن لمولود حديث انتقل اليكم بعد قضاء بضعة أيام فقط

---

(١) للمزيد راجع الأستاذ عبد العزيز جادو « العودة للتجسد فى المفهـوم العلمى الحديث » ص ٢٨١ — ٢٩٥ .

أن يعود فيولد من جديد لنفس الأم اذا حملت جنيناً من نفس الجنس بعد ذلك بفترة قصيرة ؟

— يبدو أن ذلك يحدث بالأكثر اذا أرادت ذلك صاحبة الشأن ، لكنني يؤسفنى أن أقول ان ذلك لا يمثل لها حقاً مكتسباً ، ولكن توجد امكانية للأرواح التى كانت لها حيوات سابقة على الأرض أن تعود ثانية اليها فى تجسد آخر

واذا كان من الممكن لروح تكون قد عاشت الى مرحلة النضج ، أو الى أبعد منها ، أن تعود الى التجسد ، فان هذه العودة للطفل المولود حديثاً ، الذى توفى ولما يمض عليه على الأرض سوى فترة قصيرة ، تكون أبعلا منالاً ، لأن معنى الوفاة بعد فترة قصيرة على الأرض هو أن هذه الروح تكون قد استوفت الدروس التى كان يمكن لعالمكم البشرى أن يزودها بها ، ولكن يلزمها فحسب فرصة اضافية لمدى بضعة أسابيع من الارتباط المباشر بالأرض (عن طريق التجسد) .

وقد يمكنكم أن تقدروا أنه من الطبيعى للانسان الذى استكمل حياة طويلة على الأرض ، ومع ذلك يجد أنه ينبغى أن يعود ثانية لتمضية فترة أخرى عليها ، أن يسمح له بالعودة . ولتفكروا ، ولتتحققوا — كما أخبرناكم من قبل — أن ثمة خطة كاملة وراء ذلك ... واذا ما تحققتم من كمال الخطط الروحية ، فان عديداً من الوقائع التى تحدث على الأرض ، والتى لا زلتم تصفونها بأنها غير عادلة ، قد يبدو مفهوماً . ولا قيمة لموضوع الجنس Sex عند العودة للتجسد .

— اذاً فمن الصدق القول بأن الأخيار هم الذين يموتون صغاراً ؟

— فى مثل تلك المناسبات أقول نعم ، اذا كانت الاقامة عندكم لفترة قصيرة جداً ، لكن لا يمكننى أن أقرر أن ذلك صحيح بالنسبة لمن ينتقلون مبكراً فى حياتهم الناضجة (أى فى الرجولة مثلاً) .

ولكننى سبق أن أشرت الى أنه اذا كانت العودة للتجسد أمراً صحيحاً ، فانكم لم تمنحوا الشعور بها فى عالمكم لسبب وجيه . فليس من الاختبار العادل أن تعرفوا مقدماً نوع الدروس التى عليكم أن تحصلوها . بل ان عليكم أن تتعلموا أولاً ، وبعدئذ أن تبحثوا فيما اذا كان بمقدوركم اجتياز الامتحان . فليس الأمر عبارة عن مجرد التخصص فى تحصيل الدرس الذى سبق رسوبكم فيه .

وموضوع العودة للتجسد وصل فى أرضكم الى عقول كثيرة ، وحرك عقولاً أخرى أيضاً ، وخلق قضايا عديدة . واذا كان بعض العقول قد تقبل صحة العودة ، فان البعض الآخر ينكرها لأنه ليس بمقدوره أن يجد

أية بينة عليها . وهذا البعض الآخر عليه أن يتفكر فى أمور كثيرة لم يكن هناك اى دليل على صحتها منذ سنوات قليلة ، ومع ذلك ثبتت بعدئذ صحتها لفرط دهشتهم ويأسهم . ومن ذلك مثلا كشوف العلم الخطيرة التى صنعت لتدمير عالم البشر ، فليرجع أولئك اذاً بذاكرتهم الى الوراء الى الوقت الذى لم تكن فيه هناك أية نية على صحة ذلك .

وانه لأمر حق اننا نقول لكم دائماً من جانبنا أن تؤمنوا فحسب بما لا يرفضه العقل ، ولكن فلتتعلموا مع ذلك أن تكونوا متسامحين فلا تقبلوا امراً ما دمتم غير مؤمنين به ، ولكن لا تنظروا الى غيركم كما لو كانوا ذوى عقول قاصرة لمجرد انه حدث لكم أن آمنتم بأمر مغاير لهم .

ولا ترفضوا اى شيء لمجرد عجزكم عن تقبله ، فان الله قد خلق العقل كجهاز مفرط فى تزمته وتعقيده ، وهو يستجيب فى أوقات مختلفة الى دوافع متباينة ، ومع ذلك اذا رجعتم بذاكرتكم الى بضع سنوات خلت ستجدون أن عقلياتكم كانت مختلفة تماماً عما هى عليه الآن . وتطور العقليــة أمر مستديم أبداً . لأنه بدون استكشاف أسس جديدة للتفكير فان العقل يضحى راكداً ، وعندئذ فان عمل العقل الأعظم يضيع هباء ، وهذا ما لا يمكن أن يكون .

— قلت انه من الجائز للأرواح أن تعود للتجسد بضعة أسابيع فقط لمجرد اتمام تطورها عن طريق ذلك الارتباط المباشر بالأرض ، فبأى أسلوب ، وكيف يتأتى لتلك الروح أن تفيد من اقامة لمدى بضعة أسابيع فحسب ، بوصفها طفلاً حديث الولادة ؟

— ليس من الضرورى أن يكون الاختبار قد أعطى للروح التى عادت للتجسد باقامة مداها بضعة أسابيع ، بل ان هذا قد يكون لتطور الشخصين اللذين تم اختيارهما بوصفهما والدين لهذا الطفل . وهذه العودة تؤدى الى تحقيق الارتباط بين الوالدين والطفل ، أو بالأدق بينهما وبين الروح التى قد عبّرت عن وجودها بوصفها طفلاً .

وعندما تعود تلك الروح الى عالم الروح من جديد قد تجلب — بسبب ارتباطها القصير بالأرض — مساعدة وارشاداً من عالم الروح الى الوالدين . فهذه وسيلة لانشاء ارتباط أوثق مما كان بعالم الروح ، ارتباط قد يعجز عن انشائه الروح المرشد . وهو ارتباط هام جداً حتى ولو كان الوالدين غير متنبهين له .

— هل من الحق أن يقال أن الاختبار الذى قد تحصل عليه الروح عن طريق عودتها للتجسد ، ليس محدوداً بهذه الأرض ، بل

انه يتعين عليها أن تحصل على الاختبار أيضاً من المستويات المتنوعة التى قد تذهب اليها بعد مغادرتها الأرض ، وان الاقامة لمدى بضعة أسابيع على الأرض قد تكون ضرورية لبدأ دورة جديدة فى الحياة ؟

— ان هذا غير ضرورى . وثمة مناطق يمكننا الوصول اليها بطريقة فعالة فحسب عن طريق خدمة عالمكم . ولكن الروح المحتاجة للاختبار يمكنها أن تذهب فى مهمة تطوعية ، بل تذهب خلال الأجواء بدون العيش ابتداءً مرة أخرى على الأرض . وتفهم طريقة الميلاد على الأرض قد يكون أحد الأسباب ، لأن علينا أن نتعلم ذلك قبل أن نجىء الى الأرض . ولقد ثبت لنا — من جانبنا — أنه فى المعتاد عندما ترتبط روح بالأرض لفترة قصيرة ، فانها بالأكثر تنسى نفسها ، وترغب فحسب فى خدمة ترقى أولئك المحتاجين للمرور باختبار الظفر بطفل ثم فقده بعد ذلك بأسابيع .

— هل تعرفون أسلوب العودة للتجسد ؟

— أسلوب العودة للتجسد بسيط للغاية ولكنه لا يحدث على نفس الوتيرة فى كل حالة . فهناك أرواح تجىء الى جانبنا تعبّر عن رغبتها فى العودة ثانية الى الأرض ، وتبدى أسباباً وجيهة لها ، فيُسمح لها بالعودة . ويكون لها احساس كامل بقرب الولادة حتى تجىء اللحظة التى تدخل فيها الى الحمل الجديد ، ومنذ تلك اللحظة يتوقف احساسها الايجابى بعودتها الى الأرض ويظل هذا التوقف قائماً طيلة حياتها الأرضية . وعندما تعود الى عالم الروح من جديد قد تسترد احساسها بتجسداتها على الأرض .

ولكن هذا لا يحدث لكل انسان ، بل ينبغى أن تعرفوا أنكم لستم كلكم أرواحاً عائدة للتجسد ، وان كنتم كلكم أرواحاً متجسدة . فعديدون منكم لم يسبق لهم فى الماضى العودة للتجسد ، وان جاز أن يعودوا مستقبلاً ، اذا تبين أن العودة ضرورية لتطورهم أو لتطور الآخرين . فالعودة للتجسد كثيراً ما تكون لخدمة تطور الآخرين ، كما تمثل فرصة تمنح الى أولئك الذين نالوا فرصاً عديدة على أرضكم لكنهم أضاعوها . فهؤلاء عندما يدركون فشلهم ويعبرون عن رغبتهم فى التكفير عن هذا الفشل يسمح لهم بالعودة ثانية الى الأرض لكى يثبتوا لأنفسهم انهم بحاجة الى اتمام فهمهم للنواميس .

— هل يشبه ذلك ملحقاً ثانياً لامتحان مدرسى ؟

— نعم اذا شئت أن تنظر للعودة هذه النظرة التى تعبر تماماً عن المغزى . وهكذا ترى أنه من الحق أن بعض الكائنات كان على الأرض

شريراً جداً ، ولكن ليس من الصواب الا يمنح هــذا البعض أية فرصــة ثانية للخدمة . وبشرط الا تستخدم هــذه الفرصة لتعظيم الذات ، بل بالاقرب لانكار الذات ولتحقيق حاجة البعض للحصول على تفهم مغزى اخوة الآخرين ، هذا التفهم الذى فشلوا فى منحه للآخرين عندما كانوا على الأرض .

وهنــاك أولئك الذين ينعمون بالفهم المقــدس ، وبانكار الذات ، وبالأخلاص . وهم ينعمون بانكار الذات الى حد انهم قد يفكرون فى العودة الى الأرض متطوعين بغير أن يفكروا فى أنفسهم . لكنهم لا يعودون بوصفهم « شخصيات عظيمة » ولا تكون لديهم أية معرفة عما كانوا عليه من قبل ، وعادة لا يذكرون ماضيهم ، لأنهم لا يرغبون فى تذكر انجازاتهم السابقة . كلا بل انهم يعودون للأرض فى تواضع ، وفى فهم رزين لقيود الانسان ، وللمصادر غير المحدودة التى تغذى الروح ، وهــذا هو الأسلوب الذى يسمح لهم بالعودة الى الأرض فيه (١) .

ماذا يقول هوايت ايجل ؟

« فالعودة للتجسد تعنى اذاً فى الواقع ــ كما يقول الروح هوايت ايجل ــ أن الحياة فى الجسد المــادى تشبه فصلاً فى مدرســة . ونحن نعود اليها ثانية بدروس معينة علينا أن نتعلمها ، وبملكات معينة علينا أن ننميها . وفى خاتمة الفصل الدراسى نعود الى منازلنا ثانية ، أى نتحــول الى حالة أرق من الوجود الداخلى ، فى أرض يمكن أن تسمى بأرض الضوء لفترة من الراحة والانتعاش .

وخلال هذه الفترة يمكن للروح أن تستعيد ما ربحته وما خسرته ، فى حياة انتهت الا من نتائجها الكارمية Karmic results (أى العلية الروحية) ويمكنها أن تخطط لخطواتها التالية عندما ترى أن الوقت قد أزف كيما تحاول من جديد . وهذا الأسلوب فى الانتقال من الجهــد الى الراحة ومن الراحة الى الجهد يستمر الى أن تنتهى دورة الحيــاة على الأرض ...

وتحت قانون دقيق لا مفر منه نولد من جديد طبقــاً لعدالة الاله السامية فى البيئة التى نقابل فيها من جديد أولئك الذين اخطأنا اليهم ، أو اخطأوا الينا ، أو أولئك الذين ساعدناهم فى المــاضى أو ساعدونا . فنحن نعود للتجسد مع أولئك الذين كرهناهم أو اســأنا اليهم ، وذلك الى أن

---

(١) من كتاب « فلسفة هوايت راى » The Philosophy of White Ray لوسيطة الفيبوبة السيدة بوليت اوستن Paulette Austin ص ٨٧ ــ ٨٨ .

تصحح جميع الأخطاء ، وتغتفر جميع الاساءات ، والى أن تنحول الكراهية الى حب .

ونحن نعود للتجسد أيضاً مع أولئك الذين أحببناهم والذين احبونا ، وهو ما يجلب السعادة الى حياتنا . وبفضل الله قد يمكننا أن نحول كل ما يؤلمنا من امور الى مصدر قوة لنا ، ونستخدم أفعالنا السيئة الماضية فى رفع مستوانا من الاختبار . وهكذا نصنع من كل من فكر وعمل لنا قيود مستقبلنا وفرصه » (١) .

ماذا يقول روح فون ليست ؟

وفى هذا الاتجاه يقول روح فون ليست Von Liszt الموسيقار المعروف فى بعض رسائله للوسيطة روزمارى براون Rosemary Brown — بعد ان اثبت شخصيته بسمفونيات وقطع موسيقية عديدة املاها عليها تحمل بشهادة كبار النقاد كل خصائص موسيقاه — (٢) : « فى الواقع ان جانباً فقط منكم هو الذى يظهر على الأرض عن طريق الجسد الفيزيقى والمخ ، أما الباقى فيظل جنيناً فى الروح ، ويكون كلاً لا يتجزأ معكم . وان هذا واحد من الأشياء التى نريد أن نساعدكم فى أن تنموها وأن تنفهموها كيما يحاول الأفراد أثناء اقامتهم على الأرض أن يعبّروا عن أنفسهم بطريقة أكمل من غيرها ، وعلى مستوى أرفع من غيره » .

كما شرح لها كيف أن الشخص الواحد لا يعود أبداً بذاته وبكل مميزاته مرتين على الأرض ، فان هذا أمر محال بالنظر الى تغير الآباء ، والأجداد ، والمخ ، والجسد . وفى الجملة فان كل ما فى الانسان سيتغير ، ولكن جانبا من الذات سيندمج أو سيتداخل فى كائن جديد . وعندما يتوقف الجسد الفيزيقى عن العمل فى تلك اللحظة التى نسميها « موتا » فان هذا الجانب الرئيسى الذى اندمج فى الجسد يعود الى أصله الكلى . وعلى هذا النحو توجد فى معنى من المعانى « عودة للتجسد » ، لكن لا يوجد تكرار لنفس الشخص ، وبالتالى فان الحديث عن هذه العودة للتجسد يعنى بوجه عام مجرد امكانية للكائن فى أن يولد من جديد على الأرض .

كما يقول ان تبسيط فهم عملية العودة للتجسد قد أساء اليها . وبحسب رأيه فاننا لانمضى أوقاتنا فى الذهاب والاياب بين عالمين بلانهاية.

---

(١) عن كتاب « لماذا على الارض » Why On Earth ? للوسيطة جون كوك Joan Cooke ١٩٦٤ ص ٣٣ — ٣٤ .

(٢) راجع ما ورد عنها فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٢٣٢ — ٢٣٦ .

بل اننا قد لا تمكننا العودة الى الأرض سوى عدد محدود من المرات ؛ وتوجد احتمالات أخرى لا حصر لها ، كما لا توجد أية قاعدة مضطردة .

وجميع مرات العودة اختيارية بصفة مطلقة ، فلا يلقى اى انسان الى الأرض رغم انفه ، ولا يرغم على الذهاب اليها ، وفى هذا تكمن العدالة . كما شرح لها أن العودة قد يكون من أهدافها أن نتلقى درسا جديدا أو آخر ، ولكن بمجرد وجودنا هنا ننسى علة مجيئنا ، وفى الواقع لا يوجد منا سوى جانب فقط جاء الى الأرض هو ذلك الجانب الذى قبل طائعا المجىء اليها .

وقد يقاسى الانسان بسبب تعصبه لجنس أو للون أو لدين معين .. وهذا المتعصب يمكن أن يعود الى التجسد فى نفس الجنس أو اللون أو الدين الذى كان يكرهه فيما مضى والذى كان يناضل ضده . وعلى هذا النحو يمكن أن يفهم الدرس القائل بأن جميع البشر هم على قدم المساواة فى عين الله .

ويشبهه فون ليست تكوين الروح الانسانية من عناصر متعددة بالذرة التى تتكون من بروتونات ونيوترونات تتفاعل معا فى تكوين النواة التى تحيط بها الالكترونات . وهكذا الروح الانسانية فان أجزاءها المنفصلة تتجمع معا فى نواتها ، لكن كل جزأ منها يمكن أن ينفصل عن باقيها ، وهذا الجزأ القابل للانفصال هو ذلك الذى يمكنه أن يظهر فى عالمكم فى صور شخصيات متنوعة .

وبالتالى فانه يوجد ما يطلق عليه دعاة العودة للتجسد « تجسدات متنوعة » لكنها كلها تنتمى الى روح واحدة بمقدورها أن تتخير اى جانب فريد منها ينبغى أن تكون له الأفضلية فيها . ولنفترض مثلا أن روحا كانت لها صلات بمصر ، ثم وضعت فى مكان آخر ولنفترض أنه اليونان ، فان هذه الروح يمكن أن تظهر كمصرية أو كيونانية بحسب الزى الذى ستختاره لنفسها ، وسيكون شأنها شأن الممثل الذى يقوم بأداء عدة أدوار مختلفة . فالممثل يظل على حاله ، لكن دوره المسرحى هو الذى يجعله يتخذ شكلا مغايرا ، أما حياته الخاصة فلا تتغير (١) .

---

(١) عن كتاب « على اتصال بالعالم الآخر » للوسيطة البريطانية روز مارى براون .
الترجمة الفرنسية :
Florent Peiré : En Communication Avec L'Au - Delà, Paris 1971
P. 129 - 132.

ماذا يقول روح آرثر فورد ؟

تحدثت فى الجـــزء الأول من كتاب « المفصـــل » عن آرثر فورد Arthur Ford بوصـــفه وسيطا روحيا قـــويا صـــمدت وساطته لبحوث عدد من كبار الباحثين ، كما كان هو نفسه مؤلفا وباحثا له عـــدة مؤلفات معروفة(١) . والآن أتحدث عنه بوصـــفه روحا مراسلا بعد انتقاله الى عالم الروح فى أوائل يناير من سنة ١٩٧١ .



آرثر فورد

وقد تمكن فورد بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٧١ — اى قبل مضى ثلاثة اسابيع على انتقاله من الانصال بسيدة أمريكية تعمل وسيطة هاوية « للتلبائى » أو « للتراسـل الفـــكرى » تدعى روث مونتجـــومرى Ruth Montgomery كانت على صلة وثيقة به حال حياته الأرضية وبدأ فى املاء عدة رسائل « بالتلبائى » أخذت تدونها على الآلة الكاتبة ، وذلك كما تفعل كل سكرتيرة تجيد استخدامها عندما يملى عليها رئيســـها ما يرغب فى املائه عليها . وقد نشرت هـــذه السيدة جميع الرسائل الملاة عليها من روح آرثر فورد فى كتاب حديث تحت عنوان « عالم تال » (٢) (١٩٧٢) .

وقد تناول الروح — من ضمن ما تناوله — موضوع العودة للتجسد فى فصلين منه عنـــوان أولهما — وهو الفصـــل السابع « بين الحـــوات الأرضية » قال فيه — بتاريخ ٣ مارس ســـنة ١٩٧١ — : « أننا ننمـــو ، ونعيش ، ونحب أن نعود فى دورات لا تنتهى الى أن نتخلص من أوجـــه النقص التى تلصـــق بنـــا خلال الطريق فنصبح صـــالحين للاندماج فى الله تعـــالى نفسه .

ولمـــاذا يوجد خطاة كثيرون من بيننا الى هذا الحد ؟ ! لأن الكثيرين منا يضعون المتعـــة فوق الخدمة ، وهذا هو التعليل بكل بساطة ، فلو أن عددا أكبر منا وجد متعته الحقيقية فى خدمة الآخرين لتقدمنا أسرع بكثير مما نفعل الآن ؛ لأن التقدم يعنى الربط بين المنفعة والمتعة .

---

(١) راجع ما ورد عنه فى ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .

(٢) A World Beyond.

ولكن الطريق السهل الممهد الذى تسلكه غالبيتنا هو اضاعة الوقت في تفاهات ، والجرى وراء مطالب لا تنفع الآخرين ولا تنفعنا نحن أنفسنا. وهذا هو ما نطلق عليه « الطبيعة البشرية » ، أى طبيعة النفس عندما تشغل شكلا جثمانيا . فشهوات الجسد ، والتسويف بلا داع ، والأساليب الأنانية ، وانتفاخ الذات ، كل هذا يساعد على تكوين ما نتصور انه يمثل « الطبيعة البشرية » . وبعضه يستمر على هذا الجانب الحالى من الحياة فى الروح بنفس المنوال .

فالبعض يتأمل نفسه فى مرآة من صنع تفكيره الخاص مرتديا ملابسا انيقة : كان يتمنى أن تكون هى ملابسه الحقيقية ، ومصففاً شعره الذى لا وجود له الا فى ذهنه ، ويحيا فى منازل لطيفة خلقتها اللهفة على العظمة ... ولكن كل هذه اشكال فكرية ليست حقيقية الا بالنسبة لمن يؤمن بها . وقد يكون وقع هذا القول مضحكا ، لكن ليس بمقدورنا أن نصطدم كثيرا مع أوهام الناس التى تستمر حتى هنا ، لأن كل ذات تتخلف عن التقدم تجر وراءها كل الجنس البشرى ، أو كما يقال كل أرواح البشر .

فلتذكرى يا روث Ruth أن كل خطأ يقترفه اى واحد منا يسىء الى الآخرين ، وأن تقدم كل الجنس البشرى هو النقطة الهامة التى ينبغى أن نتذكر ضرورتها (١) » .

ماذا عن اسلوب العودة ؟

وفى موضع آخر من هذا الكتاب يقول روح آرثر فورد : لقد تطلبت معرفة معلومات أوسع من الأسلوب الذى به تعود الروح لاتخاذ جسد فيزيقى فقيل لى أن فرصة العودة للتجسد تأزف فى المعتاد بعد أن تكون قد أتيحت للروح مهلة واسعة كيما تتأمل فى نوع الديون الكارمية Karmic debts التى ينبغى أن تسددها ، وفى نوع الصفات التى تلزمها أكثر من غيرها فى تطورها المستقبل .

وبعد أن تختار الروح هذه العودة فانها تحتاج الى العثور على المركز

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٣ — ١٣٤ .

والاشارة هنا الى حالة بعض الأرواح التى تظل تحلم وتحلم حتى فى بعض المستويات المنخفضة من عالم الروح ، ولا تريد أن تحيا فى ارض الواقع الخلقى والاجتماعى والوجدانى . كذلك الى ناموس التضامن الاجتماعى الذى يسود الكون فى كل مكان والذى اشرت اليه فى عدة مواضع ، وهو ناموس طبيعى مسلم بصحته فى جميع العلوم الانسانية حتى على مستوى الحياة المادية .

الذى يبدو انه يحقق لها الاختبارات التى تنمى شخصيتها وطباعها بحيث تتمكن من سداد ديونها الكارمية ومن تحقيق تقدمها . فاذا كان يلزمها تعلم الصبر فانها ستحاول التجسد فى مركز يحتاج الى اختبار متواصل للأعصاب . واذا كان يلزمها تعلم الحب فانه سيكون عليها أن تختار مركزا لا يكون فيه الحب متدفقا تدفقا عظيما ، حتى تناضل فى وجه أولئك الذين لم يتعلموا هم أنفسهم كيف يمنحون الحب الى الآخرين . وهكذا تسير الأمور .

واذا كانت الروح قد حصلت على حق تخير أبويها ، فانها تبدأ فى البحث عن أولئك الذين ربما تكون قد عرفتهم فى حيوات سابقة فى الجسد . أى **أولئك الذين تربطها بهم ثمة روابط « كارمية »** سليمة او سقيمة ...

وعندما يتحدد اختيارها فان الروح تأخذ فى التجوال بالقرب من ابويها المنتظرين لفترة ما حتى تتأكد من قبولها العودة الى اتخاذ جسد فيزيقى عن طريقهما . وعندما يتكون الجنين تدلف الى هذا الجسد الجديد وذلك فى المعتاد فى وقت مقارب للولادة . واذا ترددت طويلا ، فان المولود لا يعيش (١) .

وفى فصل لاحق عنوانه « أمثلة من العودات للتجسد » يقول نفس الروح ، وهو ما يعنينا هنا بوجه خاص : « ان تخير الموقع الجغرافى الذى تتجسد فيه مسألة من أدق المسائل . ولكننا نختار ما يبدو لنا أفضل مكان نعمل فيه بحسب قانون الكارما (أى ارتباط الحياه الراهنة بسلوكها الماضى) ، وننمى فيه صفاتنا نحو ما هو أسمى . فاذا كنا فى حياتنا السابقة متعصبين ضد أقلية معينة فقد نعود للتجسد فى نفس هذه الأقلية ، حتى نسدد الدين الماضى ونتحرر من رذيلة التعصب ضدها .

فكل واحد منا يقابل ذاته فى الجسد ، وأيضا فى هذا المستوى الذى يبدو مألوفا أكثر من غيره من الناحية الروحية . ونحن قضاة أنفسنا العدول : والخطايا التى نحب أن نتصور — ونحن فى الجسد — أنها خطايا تافهة هى وحدها الخطايا الحقيقية عندما ننظر اليها من على الجانب الحالى . فنحن نسائل أنفسنا : الى من أسأنا بأفعالنا على الأرض ؟ وهل كانت هذه الأفعال لتعظيم الذات ، ولمتعة الجسد ، أم كانت فى الحقيقة نتاج تفكيرنا فى شخص آخر ورغبتنا فى عدم الاساءة الى هذا الشخص الآخر ؟

---

(١) ص المرجع السابق ص ٤٣ — ٤٥ .

ان انكار الذات فضيلة من اعظم الفضائل لأنها تعلمنا كيف نضع محبة الآخرين فوق محبتنا لأنفسنا . وضبط النفس مفيد للروح ، ونحن نحتاج اليه دائما ، لكن فرصنا لتطبيقه هنا قليلة الى حد اننا نعود للتجسد مرارا وتكرارا حتى نزيح جانبا نواحى ضعفنا ونطبق انكار الذات » .

كما يملى فورد عن سر اخفاقنا فى تذكر حيواتنا الماضية ما يلى : « اننا فى كثير من الأحيان نجلب معنا فى العقل الفيزيقى (المخ) بعض الذكريات عن حياة الروح ، وأحيانا ومضات عن بعض حيواتنا السابقة . وذلك بالأكثر اذا ما كنا قد عقدنا العزم الأكيد على التذكر ، وصممنا على أن نواصل السير فى نفس الطريق الذى سلكناه فى تجسد سابق .

فان هذه الأفكار تؤثر فى أفعالنا وفى آرائنا عندما نكون هناك (على الأرض) ، وتظهر منها ومضات باهتة أحيانا فى أحلامنا عندما نكون فى حالة معلقة من النشاط الفيزيقى . فتلك الأحلام كثيرا ما تكون عبارة عن روابط بالماضى ، واذا كنا نلتفت اليها جيدا فقد يكون التقدم أيسر لنا . فهى ليست « هذاءات » لا ضابط لها ، بل مجرى مستقر من الوعى يقف الى جانبنا خلال الأبدية . أو الى أن تمحى اخطاء الماضى عن طريق أفعال التعويض عن هذه الأخطاء واصلاحها ، فنحن نتطلع مثلكم للوصول الى اكتمال الروح . ونحن نشاهد ارواحا صقلها الكمال الى حد اننا نتطلع الى أن نصوغ أنفسنا مثلها .

ومع ذلك فمجرد تقليد الآخرين ليس هو سبيل النهوض والاشراق ، لأن بداخل كل روح توجد معرفة الخير والشر . وكل واحد منا يخضع لتاثير اغراءات الشر والخير . وبالتالى فعلى الرغم من أننا نمثّل كلنا جزءاً من الكل الأسمى ، الا أن كل واحد منا مختلف عن الآخر مثل اختلاف بصمات الأصابع الواحدة عن الأخرى ...

ودعينى أؤكد لك انه لا يوجد ارغام على اى انسان أن يعود الى الشكل الفيزيقى . واذا تخيّرنا الاقامة هنا سمح لنا أن نظل هنا للأبد ، ولو أن التقدم يكون أكثر مشقة ، لكن أولئك الذين يعودون الى الأجساد المادية سريعاً وينتهزون أية فرصة تسنح لهم ، ويمضون أياماً صعبة فى دور الأرض ، يتقدمون سريعاً بالنسبة الى أولئك الذين يظلون هنا ، ولا يجعلون من أهدافهم اتمام دورة فيزيقية أخرى » .

ثم يقول : « نحن على هذا الجانب فى وطننا . وفى هذا الوطن بدأنا المغامرة ، وتقدمنا الى مسالك متعددة باحثين عن فرص التقدم الروحى . الا ما أحلى الوعود المشرقة التى تقدّم هنا ، والقرارات المحددة بالتقدم السريع التى تتخذ ، والتى سرعان ما تعوقها قوى الأرض واغراءاتها !

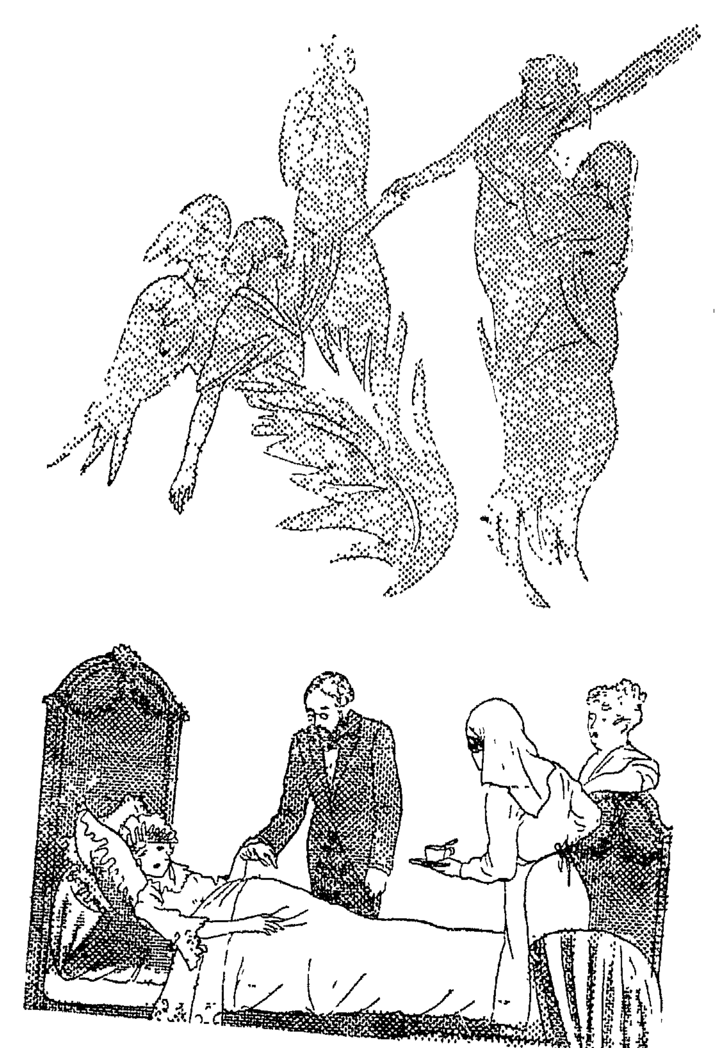
للأسف ان الأرواح كثيرا ما تعـود الى هنـا وهى تجـرّر أذيال الخيبة والهزيمة عندما تدرك انها لم تحقق التقدم الذى كانت قد صممت على تحقيقه وفى مبدأ الامر تحاول أن تلقى التبعة على الظروف ، أو على شخص آخر بوصفه مسئولا عن اعاقة تقدمها . ولكن بمضى الوقت ، وعندما تكرّس الروح نفسها على هذا الجانب للتأمل اليقظ فيما جرى ، تبدأ فى ادراك انها هى بذاتها مصدر فشلها لاصرارها على خصالها الرديئة القديمة .

وعندئذ ماذا تفعل الروح ؟ انها تعتزم أن تراجع باخلاص كل خطأ اقترفته عندما كانت لا تزال فى جسدها الفيزيقى . فراجعوا بيقظة انفسكم وانتم فى عالمكم قبلما تراجعوها عند وصولكم الى هـذا الجانب . ولتتم المراجعـة عندما تكون الفرصـة لا تزال سانحة لتغيير اتجاه الطريق ، وللارتفاع الى مستويات أعلى . لأن كل ما تملك الروح أن تفعله هنا هـو أن تراجع نفسها ، وأن تلزم نفسها بالسداد ، وأن تدرس ، وأن تعـدّ نفسها للدورة القادمة فى حياة الجسد . وهكذا فأنتم لا تزالون أصحاب فرصة لكى تنفّذوا مهمتكم الأصلية ، أو بالأقل لكى تضيئوا الطريق أمام الآخرين ، وهو ما يمنحكم فرصاً اضافية مجانية مضمونة للفائدة » (١) .

وفى مواضـع اخـرى يقرر فورد أنه لا يوجـد ميعاد محدد للعودة للميلاد فقد تكون بعد ساعات من الموت ، أو أيام ، أو شهور ، أو دهور ، أو قد لا تكون أصـلاً . وأن الأمر متوقف على رغبة الروح ، وعلى مدى نضجها ، وحكمتها ، ولهفتها على التقدم الروحى الحقيقى . كما يتوقف أيضا على نوع الأهـوال التى تكون الروح قد عانتها أثناء تجسـدها على الأرض ، وعلى نوع الحياة التى تحياها فى الأثير ومدى رضائها عنها .

---

(١) عن المرجع السابق ص ١٤٦ — ١٥١ .



لحظة نزول الروح من عالم الأثر الى بطن الأم (أى الموت الكوكبى) كما تخيلها أحد الرسامين ، ويكون النزول طبعا بين أسى الروح والأقربين هناك .

الفصل الثالث

فى بعض المعلومات والحقائق العامة بقدر اتصالها « بالعودة للتجسد »

عالجت فى الفصلين السابقين موضـوع العودة للتجسـد من زاوية الاعتقاد والفلسفة ابتداءً ، ثم من زاوية العديد من التحقيقات الموضوعية المثابرة بعد ذلك . والآن ينبغى أن أتناول نفس الموضـوع من زاوية بعض المعلومات والحقائق العامة المرتبطة به ، وبقدر هذا الارتباط ، والتى قـد تلقى أضواء لها قيمتها على عدة جوانب متساندة من هذا الموضوع المتعدد الجوانب ، وذلك فى خمسة مباحث متتابعة على النحو الآتى : ـ

المبحث الأول : عن بعض الحقائق العامة فى الطبيعيات وفى الذات ، بقدر اتصالها بالعودة للتجسد .

المبحث الثانى : عن نظرية التطور بقـدر اتصـالها بالعودة المحتملة للتجسـد .

المبحث الثالث : عن التطور من اللاشعور الى الشعور بحسب آراء جوستاف جيلى مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس .

المبحث الرابع : ماذا عن قانون الكارما او الجزاء من جنس العمل ؟

المبحث الخامس : عن « العودة للتجسد » فى بعض نتائجها العامة بحسب آراء شو دزموند مؤسس « المعهد الدولى » للبحث الروحى بلندن .

المبحث الأول

عن بعض الحقائق العامة فى الطبيعيات وفى الذات بقدر اتصالها بالعودة للتجسد

عن بعض المبادىء الطبيعية العامة

ابتـداء ـ وقبـل الدخـول فى الصـميم ـ يلاحـظ أ.د. والكر E D Walker أن القول بأن الروح تخلق بغتة لكى تقدم الى هذا العالم يتنافر مع كل مبادىء العـلوم ، فالطبيعة تسلك دائمـاً أدق السـبل الاقتصادية ، ولا يضيع فيها شىء ، ولا يضاف فيها شىء . وكل ما قـد يظهر فى فصل الربيع بغتة الى الوجود انما هو مشتق من عامل كاف كان

موجوداً من قبل رغم أنه غير منظور منا . شأنه شأن البخار الذى يغذى الغيوم .

وهناك راى متفق عليه سواء بين الروحيين ام بين الماديين ، وهو أن كمية الطاقة والمادة تظل ثابتة ، وقانون حفظ الطاقة يعمل فى نطاق الروح مثلما يعمل فى نطاق المادة . ورصيد الطاقة فى الكون رصيد ثابت . فلا ينقص ولا يزيد لكنه يتغير .

وتطور التكوينات العضوية الذى يتشاهد متداخلا فى موكب الحياه يشير الى ان الكائنات الحديثة متطورة من كائنات قديمة طبقا لأسباب غير مستحدث لكنه أزلى . ولا يسمح العلم بالقول بحصول معجزة مثل بعث الحياة من العدم ، التى تنافى كل اختبار . لكنه يسمح بوجود بعث عام للحياة خلال كل ظواهر الطبيعة ، وهذا امر خاضع للمشاهدات الشائعة والنظر الى الروح بوصفها كائنا أزليا مستمرا خلال حقب من التجسدات نظر يلتئم مع روح العلم الحديث .

ومما له قيمة خاصة هنا قانون السبب والنتيجة ، وهو يمثل محور الوجود . ولا يوجد تفسير ملائم آخر لظاهرة الحياة مثل القول — كما يقول العلم الخالص — بأن ثمة أسباباً تشبه تلك الأسباب التى تعمل الآن أمام ناظرينا ، وهى المسئولة عن النتائج التى نشاهدها .

وخصائص كل شخصية نراها تحتاج الى اختبارات سابقة فى حياه فيزيقية تكون قد ولدتها . وكل الحواس الخصبة للطبيعة الانسانية تشير الى اختبار أرضى طويل بوصفه مصدرا لها . والشهوات الجسدية التى لم تتشبع للروح تحتاج الى سلسلة من الوجودات المادية حتى تتغلب عليها ...

ويقول علماء الفسيولوجيا ان البنيان العضوى العجيب للانسان لا يمكن أن يجىء عن طريق محض مادة ، بل لابد له من مبدأ روحى موجود من قبل يجمع من حوله الشروط العضوية اللازمة للوجود الفيزيقى ، ويرغم العناصر المادية على أن تتبع التخطيط الذى وضعه . وهذا العامل الدينامیکى أو الروح لا بد أن يكون موجودا من قبل ، ومستقلا عن الجسد . اى قبل اعداد الوعاء اللازم له .

وقد عنى بابراز الوجود السابق للروح على الجسد عدد من علماء الفسيولوجيا منهم بوييه Bouiller ، وموللر Muller ، وهارتمان Hartmann ، وستاهل Stahl . وأن لهذه الروح طاقة قابلة للتشكيل تشيد بطريقة لا شعورية جثمانها العضوى

الخاص . كما تحدث عن هذا المعنى الاغريق وبعض اللاحقين منهم فنستة Fichte ولوتز Lotze .

وكما يشيد العصفور عشه بطريقة غريزية وبمهارة خرافية ، كذلك تقوم الروح لا شعوريا بصناعة جسدها مستخدمة القوانين المناسبة لها . ويعترف غالبية العلماء بوجود هذه الطاقة اللاشعورية للمفصل او للغريزة التى تقوم باصلاح الجسم ، وشفاء جروحه ، وكسور عظامه ، وهى التى تشرف على نموه . وتحدث عن هذا المعنى ايضا أفلاطون ، وجيوردانو برينو Giordano Bruno .

ويقول الاخير ان النفس ليست فى موضع محدد من الجسم ، بل انها تشبه شكلها الداخلى ، والنموذج (أو التمثال) الذى صنعته من الخارج . أى انها تشبه الشكل الذى يصنع الأعضاء ، ويشكل الكل من الداخل ومن الخارج . ومن ثم فان الجسم يكون فى النفس ، والنفس تكون فى العقل (أو فى الروح) .

وهذا الفهم من شانه تخطئة المذهب المادى الذى يقصر طاقات الفرد على تعقيدات الآلة . وهذه القدرة للنفس المستقلة على صنع شكل خارجى لها هى تلك التى دفعت أفلاطون الى أن يفترض أن تكون للنفس قوة طبيعية يمكن الامساك بها ، وتخضع لولادات متكررة .

ولما كانت الذات اعرق من الجسد ، ولما كانت هى التى تنشيد الجسد بحسب ذوقها وامكانياتها ، ولما كانت أهداف مسكنها الجسدى لا يمكن تحقيقها فى حياة عابرة واحدة ، لذا يتعين عليها أن تستعيد نفس الاختبار ، محاولة دائما أن تصوغ جسدها بما يناسب ملكاتها النامية . وذلك حتى تستغنى عن حياتها فى المادة . ولذا انفصل منظر الانسان الحديث عن منظره فى ماضيه السحيق ...

ثم ان الذات الواعية لا يمكن أن تشعر بانه كان لها بداية ما ، ولا تشعر بالفناء . والاحساس بالبقاء عندها يتخطى كل انقطاعات النسيان والنوم ، وكل حواجز المادة . وهذا الاحساس الذى لا يتوقف بالذات يثير فكرة استقلالها عن الجسد المتغير الذى هو سجنها المؤقت . وعندئذ ترد الى الخاطر فكرة أن النفس اذا كانت قد ظهرت مرة فى شكل انسانى ، فلا بد أنها قد تعود للظهور فى أشكال أخرى . وشخصية الذات لا ترتبط — بيقين — بتذكرها كل ماضيها ، فنحن دائما ننسى ، ثم نستيقظ من جديد الى المعرفة ، ولكن الاحساس بالذات يتخطى كل ذلك. وبنفس الطريقة يبدو لنا وجودنا الراهن كما لو كان عبارة عن يقظة نومية حركية دفعنا اليها من حياة سابقة ، كما يبدو لنا أننا سنخرج يوما من

هذا النوم الى اليقظة (١) .

كما يلاحظ والكر ان فلسفة « الأفكار الفطرية » فى الانسان لم تعد مقبولة فى الحاضر ، بل تنتمى الى العصور الماضية . وانصار فلسفة الحدس او الالهام intuitionalists ينظرون الى مفاهيم العلة ، والمادة ، والزمان والمكان ، كما لو كانت توجد فى العقل مستقلة عن الاختبار . ولكن انصار فلسفة الاحساس sensationalists ينسبون هذه المفاهيم كلها الى الاختبار ، او الى الاحساس بها .

اما التطوريون من انصار سبنسر Spencer فيتخذون موقفا وسطا ويعتبرون هذه المفاهيم ارثا عقليا ناجما عن اختبارات السلالة برمتها . وهذا الخلاف كله لا يمكن حله — كما لاحظ ادجار فاوسث Edgar Fawcett — عن طريق علم النفس الغربى .

ويثور باكل Buckle على هذه الأنظمة المتضاربة لأنها القت بدراسة العقل الى اضطراب يماثل الاضطراب الذى وصل اليه الاعتقاد بسبب خلافات رجال اللاهوت . ويرى جورج هنرى لويز G. H. Lewes فى مؤلفه عن « تاريخ الفلسفة » (٢) هذا الوضع المحير فيما وراء الطبيعة .

وحل المشكلة بجىء عن طريق العودة للتجسد كما يعرفها الشرقيون الذين يؤكدون ان الفكرة الصحيحة للنفس يمكن اكتشافها عن طريق تربية ملكاتها فوق المدركة super-sensuous Faculties .

وبالتالى فهم يعتقدون ان كل مدرسة متطرفة تحوى شطرا من الحقيقة فحسب . وان الاكتساب الأول لهذه المفاهيم كان عن طريق الاحساس ، لكنها الآن اصبحت بمثابة افكار فطرية فى عقل الطفل . فهى الآن عبارة عن اختبارات اصبحت عامة عن وجودات سابقة طفت فى العقل من جديد .

وان عدم الاستقرار الذى تشعر به نفوسنا يشير الى عادات قديمة فينا ذات تأثير متغير . وثمة اشارة الى ماضينا اكثر وضوحا من ذلك ، وهى تنوع الطبع فى الشخص الواحد . فهذا التردد بين عوامل القلق والاضطراب بداخل كل واحد منا ، وهو متلهف للسيطرة عليها ،

---

(١) راجع : Reincarnation : A Study of Forgotten Truth 1919 p. 25 - 28.

(٢) History of Philosophy.

وعاجز عن ذلك مهما كان ثبات عاداته الحاضرة ، من شأنه أن يجعل افضل من فينا خاضعا للمغريات ، وأقوى من فينا متخاذلا بين طباع عديدة . والطريق الرئيسى لطبائعنا كثيرا ما يكون مقيدا بطرقنا القديمة التى نسيناها ....

والتكوين الخلقى للأطفال يشير الى ذلك ، خصوصا صدور افعال شريرة منهم قبل أن يتأثروا بالبيئة . وقد دفعت هذه الظاهرة المراقبين اليقظين الى القول بأن الروح الانسانية قد تخيرت الطريق الى الشر فى مستوى مماثل لهذا المستوى سابق على الولادة فيه . وكل من يعرف الأطفال يرفض نظرية البراءة الفطرية فيهم . لأنهم بمجرد حيازتهم القدرة على الخطأ يرتكبون الخطأ كأمر طبيعى لا يحتاج الى تعليم .

والميل القوى للخطأ عند الطفل الذى لم يتأثر بالبيئة بعد ، ليس بمقدوره أن يخفى الخير الذى عنده ، لكنه يشير فحسب الى توافر عادات سقيمة سابقة تحاول أن تعاود نشاطها . والمجرم الأثيم فى المعتاد يرى اثمه عندما تجرى الخطيئة فى مجراها ، ويصبح ملتفتا اليها الى حد أنه قد يحاول أن يغير من سلوكه فيما تبقى له من حياة . وهكذا يبدو الشر مصدرا للخير ، وتبدو الرذيلة بمثابة فضيلة بحاجة الى تقوية .

وتثور فى كل انسان ، فى مرحلة من مراحل نموه ، حاسة التعرف على الخطيئة بداخله ، ويكون متأكدا أنها حقيقية الى حد أنها تتجاوز الوراء كل حياته الراهنة . وعقلنا الداخلى يلتئم مع الحاسة العامة الموجودة لدى الانسان بأنه وحده مسئول عن اتجاهات ميوله الخاطئة (١) .

عن « النظرية المركبة » العقل

ولا ريب أن علم العقل يحظى من العلماء فى العصر الحاضر بعناية عظمى لم يسبق له أن حظى بها من قبل نظرا للاعتقاد الذى كان سائدا من أن العقل — كالروح — يعلو على كل محاولة لاستكشافه ، أو لسبر بعض اغواره . أما الآن فقد تغير هذا النظر تماما ، وابتدأ يرسى قواعده علم ناشىء هو « علم العقل » يقوم فى جوهره على دراسة الادراك عن طريق الحواس ، وعن غير طريقها .

---

(١) راجع ولكر . المرجع السابق ص ٣١ — ٣٤ .

ولا ريب أن الظواهر العقلية للوساطة تلعب الدور الأكبر فى كشف بعض أسرار العقـــل ، التى هى فى نفس الوقت أسرار للروح ، ما دام لا يمكن الفصل بين الروح وبين العقل الواعى أو غير الواعى ، وهو الطاقة الموجهة لسلوك الروح أيا كان نوعه .

وقد كثرت النظريات الحديثة فى العقل وتنوعت بما يضيق المقـــام عن تفصيله ونحن فى صدد « العودة للتجسد » (١) . الا أنه مما هو جدير بالذكر هنا أن بعض هذه النظريات الحديثة قد يلتئم مع نظرية التجسدات المتكررة . ومن ذلك مثلا تلك النظرية المركبة The Compourd Theory عن العقل ، والتى مقتضاها أن العقــل الانسانى مركب من عدة مراحل مندمجة معاً . فبحسب هذه النظرية يقول تشارلى برود Charlie D. Broad — أبرز الفلاســـفة البريطانيين المعـاصرين ، وأسـتاذ « الفلسفة الأدبية » بجامعة كامبريدج منذ سـنة ١٩٣٣ وهو عضـو فى « الجمعية الملكية » البريطانية منذ سنة ١٩٢٦ ، وفى « الاكاديمية الملكية » بالســويد ، وفى « جمعية البحث الروحى » بلنـدن (٢) ، ومن المقتنعين بصحتها عن طريق بحوث معمليـــة مثابرة فى الغيبوبة وفى الهيمنة الروحية واصلها لأكثر من خمسين عاماً . « يمكننا ان نفترض أن العامل الروحى psychic factor يمكن ان يســتمر بالأقل الى فترة ما بعد تحطم الأعضاء التى كان مرتبطا بها (أى بعد الموت) لكى يكون المركب الذى يدعى عقل « جون جونز » (٣) .

وهذا العامل الروحى لا يمثل بذاته عقلا ، ولكنه يمكن أن يخضــع لتغييرات بسبب الاختبارات التى حدثت لصاحبها عندما كان حياً . ويمكن مؤقتا أن يرتبط بأعضـــاء وسيط فى غيبوبته . واذا كان الأمر كذلك فانه ينكون بالتالى عقل مؤقت ، وهذا العقل المؤقت يحتوى على نفس العامل الروحى الذى كان « لجون جونز » ، وبالتـــالى فليس من المستغرب أن يبرز بعض الخصائص المميزة « لجون جونز » ، وبعض ذكريات الحوادث التى مرت به أثنـــاء حياته الأرضية .

وبما أن العنصر الجسدى لهـذا العقــل المؤقت عبارة عن أعضـــاء الوسيط المعـدة adapted للعامل الروحى للوسيط لا « لجـــون

---

(١) راجع ما ورد عن بعض موضوعات الظاهر المتصلة بالروح فى « المعصــل » الجزء الثانى ص ١٠٨ — ١٢٤ .

(٢) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٤٦ — ٤٤٧ ، وفى الجـزء الثانى ص ٨٤ — ٩٠ .

(٣) كناية عن اى شخص مجهول مثل قولنا بالعربية « زيد » أو « عمرو » ..

جونز » فليس من المستغرب اذا كان هذا العقل يبرز مميزات كثيرة من خصائص الوسيط ... وتظل هذه الحالة قائمة طالما ظل الوسيط في الغيبوبة » .

ويضيف العلامة بروض فى نهاية تحليله لهذه النظرية التى لها أسانيدها التجريبية الوفيرة أن « لها مزايا معينة فى جانب نظرية التجسدات المتكررة ... فبدلا من أن يكون ثمة عقل واحد هو الذى يهب الحياة لحلقات متتابعة من الأعضاء فانه توجد ثمة عامل روحى واحد يرتبط بهذه الحلقات المتتابعة من الأعضاء كيما يكون حلقات متتابعة من العقول .



تشارلى بروض

ولا بد أن توجد فترات يظل خلالها هذا العامل الروحى الذى انفصل من الجهاز العضوى الذى مات ، والذى لم يدخل بعد فى ارتباط بجهاز عضوى آخر على وشك أن يولد .

وخلال هذه الفترات فان هذا العامل الروحى هو الذى يحدث هذه الظواهر غير العادية التى يأخذها الانسان الروحى العادى مأخذ البينة على دوام حياة عقل الانسان . ولا أعلم وقائع معينة تحسم هذه التجسدات المتكررة لكنها نظرية ممكنة ، ولها مزية تفسير « مصدر » العقل أثناء الحمل « ونهاية » العقل عند الموت . وتبدو لى مقبولة أكثر بكثير عندما تصاغ فى تعبير العامل الروحى الباقى الذى ليس بعقل ؛ عنها عندما تصاغ فى صيغة عقل باق يهب الحياة لحلقات متتابعة من الأعضاء » (١) .

ويراعى أن « النظرية المركبة » عن العقل تقوم على وجوب التمييز بين العقل والروح ولو أنهما متلازمان دائما ، ولازمان معاً لتكوين الشخصية الانسانية ؛ لزوم ارتباطهما بجسد عضوى مادى أو أثيرى .

---

(١) عن كتاب الدكتور بروض « العقل ومكانه فى الطبيعة » The Mind And Its Place In Nature ، وقد ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٢٥ ، والسابعة فى سنة ١٩٦٨ . ومن الفصل الثانى عشر منها وعنوانه « الحجج التجريبية لحياة الانسان بعد الموت » اخذنا هذه الاحالة (راجع بوجه خاص ٥٤٠ — ٥٤١ ، ٥٥١) .

وهذا الجسد الأثيرى يلتئم تماما مع ما ذهب اليه برجسون من أن الوظيفة هى أصل العضو ، وليس العضو هو أصل الوظيفة . والجسد الأثيرى باجماع آراء الباحثين يحمل وظائف الانسان لا اعضائه . ولذا فان بمقدوره النظر ، والشم ، واللمس ، والسمع ، والذوق . وهو ما يفسر ما تقوله الأرواح التى كانت فى حياتها على الأرض لا تبصر أو لا تسمع من أنها أصبحت بعد الموت تحوز القدرة الكاملة على البصر أو السمع بعد تحررها من أعضائها المادية العاجزة وانتقالها للعيش فى الأثير بأعضاء غير مادية ، ولكن بقدرات فطرية فيها (١) .

وهذا الاعتبار نفسه يفسر كيف أنه عند العودة للتجسد تعود هذه القدرات الكامنة فى الجسد الأثيرى لكى تعمل عن طريق الأعضاء المادية للجنين بعد الولادة محكومة بالحالة الجديدة لهذا المولود . وهى حالة محكومة بدورها بقوانين طبيعية متنوعة يمت بعضها الى الوراثة من الأبوين والأجداد ، ويمت بعضها الآخر الى وراثة الذات من تطورها العريق ، ومن اختباراتها الماضية فى تجسداتها السابقة .

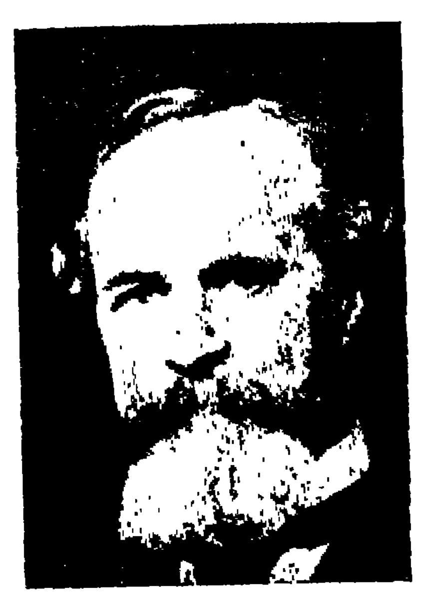
فاذا كانت هذه القوانين تقتضى أن يولد الجنين أعمى ، فهو لن يمكنه استخدام حاسة النظر التى تظل خامدة فى الجسد الأثيرى ، فلا يرى الا فى الأحلام التى تمر به فى النوم ، أما فى اليقظة فيتعذر عليه ذلك الى أن يتحرر هذا التعيس — بعد فترة طويلة أو قصيرة — من ربقة هذا العضو المادى العاجز عجزا تاما أو جزئيا الذى ارتبط به بحكم قوانين المادة متفاعلة مع قوانين الروح وهى قوانين بيولوجية خلقية يكمل بعضها البعض الآخر .

عن الهيولى المحايدة

والجسد الأثيرى أو الهيولى جسد خاضع للذاكرة مباشرة كما ذكرت فيما سبق . وهو رتنق ومرن الى حد يفوق قدرات تصورنا وهو رباعى الأبعاد ومن ثم فانه يمكن أن يوجد وأن يختفى عن الأبصار وعن الحس بحسب حالة الذاكرة ، وبحسب « مستوى الوجود » أيضا (٢) .

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٥٨ — ٨٧٠ ، والثانى ص ٣٧ ، ٣٠١ — ٣٠٤ .

(٢) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٨٧ — ٨٩ ، ١١٧ — ١٢١ .



وليام جيمس

واقـرب وصف له هو ما ذهب اليـه الفيلسـوف الرياضي برتراند راسـل B. Rassell عنـدما قال ان وليـام جيمس (الفيلسوف الأمريكي المعروف) قد أصاب فى رفضه الشعور باعتباره كائنـاً قائمـاً بذاته . وأن الواقعيين الأمريكيين (أنصار المذهب البراجمـاطى) قد أصـابوا بعض الصواب فى اعتبارهم العقـل والمـادة كليهما مؤلفـين من هيـولى محايدة : لا هى بالعقليـة ولا هى بالمـادية اذا عزلناها وحدها (وهـذا القول يلتئم تماما مع القول بأنها رباعية الأبعاد) .

ويمضى راسل فى توضيح وجهة نظره فيقول ان هذه الهيولى المحايدة قد تتخذ وصفاً يبيح لنـا أن نسميها عقلا ، وقد تتخذ وصفاً آخر يبيح لنا أن نسميها طبيعة مادية ، وقد تكون فى وضع آخر يجـوز فيه الوصفان ، فاحساساتنا من مرئى ومسـموع ... الخ من الصنف الثالث ، لانك قد تنظر اليها من زاوية فاذا هى تابعة لعلم النفس ، أو تنظر اليها من زاوية أخرى فاذا هى تابعة لعلم الطبيعة » ...

وعلى هذا الأساس أقام راسـل نظـرية « الواحدية المحايدة » أو « الهيولى المحايدة » مستوحيا اياها من المقـال المشهور الذى كتبه وليـام جيمس بعنوان « هل للوعى وجود ؟ » . فالواحدية المحايدة نظرية مؤداها — كما سبق أن قلت — أن العقل والمـادة ليسا ضربين من الموجـودات مختلفين اختلافا جوهريا ، بل العقل والمـادة كلاهما مشتق من هيـولى محايدة لا هى عقل ولا هى مادة (١) . وفى ضوء هذا الفهم الصحيح للعقل وللمـادة يمكن أن تجد نظرية العودة للتجسد عن طريق الجسـد الأثيرى الذى لا هو عقل ولا هو مادة ، بل « هيولى محايدة » بحسب وصف وليام جيمس (٢) تأصيلها الفلسفى والرياضى الذى كانت تفتقر اليه فيما مضى .

وقيمة هذا التأصيل تتحصل فى انه قد وصل اليه أبرز فيلسـوف

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٨ — ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق . الجزء الأول ص ٣١٢ — ٣١٩ والثانى ص ٢٢ — ٢٧ .

براجماطى اتصل بالظواهر الوساطية اتصالا وثيقا وهو وليـام جيمس ، وأيده فيه أبرز فيلسوف رياضى لم يتصل أى اتصال بالظواهر الوساطية هو برتراند راسل ، كما أيدهما فيه آخرون على نحو أو آخر عندما ذهبوا الى أن المـادة واحدة تستخدمها الروح .

وهذا المفهوم الحديث للعقل وللمـادة ولعدم وجود حواجز بينهما ؛ بل ولا اختلاف جوهرى فى تحليلهما الأخير ، يعطى تأصيلا لأمور كثيرة منها بوجه خاص ما يلى :

أولا : ظاهرة الحمل أى حلول العقل فى الجنين عندما يصبح الجنين صالحا لاستقبال عقل دخيل قادم من مستوى آخر للوجود ، فى صـورة حقل مترابط ومعزول عما سواه من الطاقـة المغناطيسية الكهربية التى تحوى كل خصائص الانسان .

ثانيا : ظاهرة نمـو هذا الجنين بتأثير العقـل الذى حل به الى أن تتكامل أشهر الحمل التى لا تتجاوز — فى المعتاد — تسعة اشهر .

ثالثاً : ظاهرة نمـو الطفل منذ الولادة الى الوفاة عن طريق تجـدد الأنسجة والخلايا وهى عملية بيولوجية — عقلية عبارة عن محض تأثير مباشر للعقـل فى المـادة .

رابعاً : دوام هـذا العقل حتى بعد انفصاله بالوفاة عن الجسـد المـادى لسبب أو لآخر ، وبعد فترة قصيرة أو طويلة يقضيها فى الجسد المـادى .

خامساً : الظواهر الروحية فى صيغها العديدة . تستوى فى ذلك بعض ظواهرها الفيزيقية مثـل التجسدات ، مع بعض ظواهر العقليـة مثـل الادراك خارج الحواس (١) ، والخروج من الجسد .

سادسا : كما يقدم هذا القول « بالهيولى المحايدة » تفسيرا للخلاف الذى ينشب احيانا بين الباحثين الروحيين حول طبيعة بعض الظواهر ، وهل نعتبرها ظواهر محض عقلية ؟ أم فيزيقية ؟ أم مركباً من النوعين معـاً ؟ وقد قابلنا نموذجا واضحا لمثـل هـذا النقـاش فى علاجنا لاختبارات « الخروج من الجسد » Out of Body Experiences (٢) .

سابعاً : ويقدم أيضاً تفسيراً للمعلومات التى ترد عن ظروف الحياة

---

(١) المرجع السابق . الجزء الأول ص ١٧٧ — ٢١١ .

(٢) المرجع السابق . الجزء الأول ص ٩٩٣ — ١٠٠٩ . وفى كتاب مستقل عنوانه « ظواهر الخروج من الجسد » ١٩٧٥ ص ١٦٩ — ١٨٥ .

بعد موت الجسد المادى ، والأوصاف المتعددة التى ترد عن هذه الحياة خصوصاً ما اتصل منها بتأثير العقل المباشر فى « مادة الأثير » . وما اتصل منها بجسد الروح أو بالجسد الأثيرى ، أو المرن أو الهيولى . وبالملابس التى ترتديها الأرواح وكيف انهـا تكوّن جزءاً من أجساد أصحابها ، لأن الأجساد والملابس معا من صنع العقل ، ومن نفس طبيعته الهيولية المحايدة التى قد تكون عقلا من زاوية ومادة من زاوية أخرى (١) .

ثامناً : وهـذا الجسد الهيولى الذى لا هو عقـل ولا هو مادة ، أو بالأدق هو عقل لامادى فى بعض حالاته ومادة عقلية فى بعضها الآخـر يفسر أيضاً بعض حالات المس الروحى والاستحواذ حيث قد يكون المريض ضحية أعراض نفسية أو عضوية من جراء هيمنـة مثل هـذا العقل غير المتجسـد الذى قد لا يشـعر بوجـوده ، ولا بما قد يسببه من أضرار لضحيته حين قد يشعر هذا العقل احيانا أخرى بوجـوده وبهيمنته على كائن آخر هو الوسيط أو الوسيطة .

تاسعاً : كما قد يفسر ايضا احتمال وجـود عـدة أرواح ماسـة او مهيمنة على جسم الوسيط أو الوسيطة فى وقت واحد وقد لا يشـعر أى واحد منها بوجود الآخر . وقد سجل بعض الباحثين الروحيين حالات عديدة بهذا المعنى ، وتحدثت عنها مراجع عديدة لها وزنها .

ومما هو جدير بالذكر انه يبدو أن الروح المـاسة بمجرد اختراقها هالة الوسيط — تفقد تجسدها الأثيرى المـرن الخاضع خضـوعا مباشرا للعقل أو للروح ، فلا تظهر أمام وسطاء الجلاء البصرى الا كضوء شـمعة منتعلة من ناحية الحجم والمظهر العـام كما أكـده بعض هؤلاء الوسطاء . ويكون شأن الروح المـاسة عندئذ شان عصفور صغير وجد شقا فى جـدار مكشوف فاتخذه مسكنا له يأبى مغادرته الا بعناء شديد .

والظاهر ان هـذه الشـعلة الصـغيرة المضيئة هى بذاتهـا الكتلة الكهربية — المغناطيسية واهبة الحياة للانسان وحاملة كل صفاته وملكاته وذكرياته الشعورية واللاشعورية . وصغر الحجم لا ينبغى أن يروعنا أو يثير اعتراضنا وذلك اذا ما لاحظنا أن أخطر الغدد التى تتحكم فى مصير الانسان صغيرة الحجم جداً ومنها مثلاً الغدة الصنوبرية التى تقع فى قاعدة المخ ، والتى لا يزيد حجمها عن حبـة الفول السودانى ومثلهـا الغـدة النخامية . فهل هذه الشعلة الكونية الصغيرة هى تلك التى تتجسد وتعود للتجسد وهكذا فى صـورة آدمية حتى يتكامل نضجها وتطورها فتصبح جديرة بالاندماج فى المجرى العام للحياة الكونية ؟ ! ...

---

(١) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٣٠٤ — ٣٠٧ .

عاشراً : وهـذه الامور كلها لا يفسرها مجتمعة مجرد القول بوجود جسد اثيرى لكل انسان متداخل فى جسده المادى، ومطابق له فى تكوينه الذرى ومنسوجه الجزيئى ، وهو الذى ينسلخ من الجسد المـادى بالوفاة كيما يحيا فى صورة مادية فى عالم الاثير .

فان هذا التفسير الأخير يتضمن تبسيطاً أكثر مما ينبغى لطبيعة هذا الجسد الأثيرى ولمصـدره وبالأخص من زاوية صلته بالعقل ، وبارتباطه بالذاكرة ارتباطاً عميقـاً ومباشراً بوصفه موطناً لهـذه الذاكرة وحارساً أميناً لهـا (١) وذلك بالأقـل الى حين حدوث ميلاد جديد على المستوى الأرضى أو عودة للتجسد لتحقيق المزيد من النضج ومن التطور .

حادى عشر : وقد يفسر هذا الكشف أيضاً ظاهرة سجلها الكثيرون من الباحثين الروحيين وهى وجود عدة أرواح فى غرفة الجلسات فى وقت واحد ، وقد لا يشعر أحدها بالآخر مطلقاً . أو قد يتم الشعور عن طريق مجهود ارادى ضخم ، حين قد يشعر الجميع بالجسد المـادى للوسيط أو للوسيطة بسبب الانبعاثات الضوئية الصاردة من الهالة (٢) .

. **ثانى عشر :** كمـا يفسر نفس هـذا الكشف وهو كشف « الهيولى المحايدة » قيمة « الاحساس بالذات » كميزة عقلية — خلقية ، أو بالأدق كميزة روحية قد تقف سداً فى وجه بعض التداخلات غير المرغوب فيها من جانب العـالم غـير المرئى . وبالتالى قـد تقف سداً فى وجه طائفة من الاضطرابات العصبية والنفسية التى قـد يتعرض لهـا بعض الأشخاص عندما يفقدون هذا « الاحساس بالذات » . وقد يكون ذلك من مقدمات الاضطراب العصبى أو من آثاره ، وقد يكون هذا الفقد تاماً أو جزئياً ، وهو أمر غير مرغوب فيه عندما يكون الانسان فى تمام صحوته ، وكامل صحته النفسية والجثمانية .

عن النبوغ المبكر

ولا ريب أن كل هذه الكشوف العلمية عن حقيقة الذاكرة الشعورية واللاشعورية وعن موطنها فى الجسد الأثيرى الذى لا هو عقل ولا هو مادة تقدم تفسيراً كان العلم والفلسفة معاً يبحثان عنه منذ زمن بعيد عن علة ما يوجد

---

(١) ولعل هذا الاعتبار هو الذى حدا ببعض الباحثين الى الحديث لا عن الجسد الأثيرى فحسب ، بل عن الجسد العقلى أيضاً باعتباره أسمى من الجسد الأثيرى وأعمق ارتياداً فى الدراسات الروحية . راجع ما ورد فى « المفصـل » الجزء الأول ص ٩٤٢ عن بعض الاختبارات فى التنويم المغناطيسى أو فى ص ٩٦١ منه عن موقف الفقه الثيوصوفى منه.

(٢) المرجع السابق . الجزء الأول ص ٨٧٩ — ٨٨٢ ، والجزء الثانى ص ٣٠١ — ٣٠٤ ، ٣٣٧ — ٣٤١ .

فى البشر من تفـاوت ضخم فى المواهب وفى الملكات العقلية ، والخلقية ، والروحية . وهـو تفـاوت لا يتناسب فى مداه مطلقاً مع سنى الحياه الارضية القصيرة وما يحـدث اثناءها من تطور ضيق النطاق محـدود المدى . بل ان هذا التفاوت قد يظهر منذ سنى الحياة الأولى على الارض ، فمنذ الطفولة المبكرة قد تظهر على طفل معين مخايل الذكاء بل العبقرية ، وجمال الأخلاق أيضاً ، حين قد تظهر على طفل آخر — وقد يكون شقيقا له — مخايل البلاهة ، أو الغباوة ، أو شراسة الطباع .

والنبوغ المبكر عند بعض الأطفال ظاهرة مسلم بصحتها ، وتسبب أحياناً الحيرة والذهول ، وقد ضربنا أمثلة عديدة منها فى الجزء الثانى من « المفصل » (١) . وفى حالات عديدة يكون دور الالهام من عالم آخر واضحا كل الوضـوح . وقـد ثبتت حالات منه بالاتصالات الروحية مثل حالة الطفل الموسيقار فلوريزل فون روتير Florizel Von Reuter الذى تبين من تحقيقات هانن سوافر Hannen Swaffer نقيب الصحافة البريطانية انه كان ملهماً من روح الموسيقار الايطالى نيكولو باجانينى Nicolo Paganini (٢) .

والقول بحصـول الهام من كائن منظـور لا ينبغى ان يتعارض مع التعليل الآخر وهو العودة للتجسد ، لأن ملكة تلقى الالهام الراقى تحتاج بطبيعتها الى روح متطورة تطوراً كافياً ، وفى اتجاه معين دون آخر هـو الذى انتهى بهذه الروح بالوصول الى شفافية تلقى الالهام فى ناحية دون غيرها من نواحى الموسيقى ، أو الرسم ، أو الشعر ، أو الرياضيات ، أو اللغات ، أو الأدب ، أو العلوم .. الخ .

فلا تعارض البتة فى تعليل النبوغ المبكر عند بعض الأطفال بين القول بالالهام والقول بالعودة للتجسـد ، بل ان كل تعليل منهما يكمل الآخـر ويتكامل به .

وهذا هو ما انتهيت اليه عند معالجة موضوع الالهام فى نهاية الجزء الثانى من « المفصـل » . أما فى المواهب العـادية أو المتوسطة فان أحـد التعليلين قد يغنى عن الآخر . ويتعذر وضـع قاعدة عامة ، بل لابد من دراسة تاريخ كل حالة على حدة ، وكافة ملابساتها ، لاعطاء رأى له وزنه فى تعليل مصدر تلك الموهبة ، وتحديد موضعها بين الالهام ، أو بين الخبرة

---

(١) راجع ما ورد فيه فى ص ٤٩٠ — ٤٩٣ .

(٢) راجـع ما ورد فى كتاب « قصتى العظمى » الترجمة العربية بمعرفتنا ١٩٧٢ ص ٣٢٧ — ٣٣٩ .

الدفينة فى اللاشعور ، او بين الاكتساب المالوف خلال سنى الحياة الراهنة لصاحبها .

عن وحدة ((الليبيدو))

كما تقدم هذه الكشوف نفسها تعليلا لما قد يبدو على بعض الذكور من عرافة فى الذكورة ، وعلى بعض الاناث من عراقة فى الأنوثة ، وعلى البعض الثالث من حالة قد تجمع الى صلابة الرجولة واعتدادها برأيها قدرا من رقة الأنوثة ولين عريكتها ، وعلى البعض الرابع من انحراف نحو نفس الجنس . فيقولون ان ذلك كله راجع الى الجسد المتكرر فى أحد النوعين دون الآخر ، أو فيهما معاً مرة بعد مرة . ويحاول بعض الروحيين تفسير بعض صور الشذوذ بأنها قد تتضمن نوعاً من الحنين غير الواعى للماضى السحيق فى صورة أو فى أخرى .

ثم ان كل جسد مذكر يحوى أطلالا من الأنوثة كالثديين لا استعمال لهما عند الرجل ، كما أن كل جسد مؤنث يحمل أطلالا من الذكورة يعرفها علما التشريح والبيولوجيا . ووجود هذه الأطلال امر لا تخفى دلالته عن الباحثين عن العلة والسبب فى كل أمر من أمور الحياة . بل من الناحية البيولوجية ان كل كائن بشرى يخرج الى الوجود حاملا معالم الجنسيين معا بطريقة تلقائية ، ثم ما يلبث أن يتغلب احدهما على الاخر بتأثير الهورمونات . وبعبارة أخرى أن الليبيدو Libido وهو الطاقة الحيوية ، او الجانب العقلى للغريزة الجنسية واحد بين الذكور والاناث ، ولا يوجد اى فارق بينهما فى هذا الجانب رغم اختلاف الجانب البيولوجى الفسيولوجى .

ولذا كتب فرويد فى « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » (١٩٠٥) يقول « اننا لا نجد فى اى كائن بشرى — لا بالمعنى السيكولوجى ولا بالمعنى البيولوجى — رجولة خالصة أو أنوثة خالصة ، ففى كل فرد ينجلى بالحرى مزيج من الخصائص البيولوجية الجنسية الخاصة به مع قسمات بيولوجية من الجنس الآخر » . كما كتب فى مؤلفه « محاضرات جديدة فى التحليل النفسى » (١٩٣٥) يقول « لا يوجد غير ليبيدو واحد يعمل فى خدمة الوظيفة الجنسية المذكورة والمؤنثة على حد سواء » (١) .

---

(١) وهذه الثنائية الجنسية تظهر دائما بصورة سيكولوجية وهذا هو الوضع المألوف . انما قد تظهر بصورة عضوية أيضا فى حالات الخنوثة hermaphroditism ويذهب فرويد أيضا الى ان عقدة أوديب الكاملة انما ترجع الى وجود الثنائية الجنسية فى طبيعة كل طفل (راجع « الذات والغرائز » تأليف سيجموند فرويد ترجمة د. محمد عثمان نجاتى طبعة ١٩٦١ ص ٦٤ — ٦٨) .

وقد سار الفريد آدلر Alfred Adler تلميذ فرويد والعالم النفسي المعروف في نفس الاتجاه أيضاً ، وسلم بهذه الحقائق ودلل عليها في عدة مواضع من مؤلفاته قائلاً ان الازدواج الجنسي موجود في الناس كافة . ويذكر أن لاكير كشف أن هرمونات الجنس الآخر توجد في بول الناس جميعاً ... هذا الى ما ذكره من أن دراسة التوائم قد تؤدي يوما الى التثبت من الاشتراك في خصائص الجنس الآخر وتعين على تفهم تلك الحقيقة (١) .

كما ذهب آدلر الى أبعد من فرويد عندما سلم بان الشعور الجنسي ليس هو المحرك الخفي الذي يوجه نوازع النفس الانسانية وأهم ميولها ومخاوفها ، بل ان حب الحركة لتحقيق الذات هي هذا المحرك الخفي الاصيل في كل انسان ، لأن الذات أوثق صلة به من جنسه . ولأن — وهذا هو المهم — « الأنا » في الانسان أسبق من الذكورة والأنوثة معاً وأعرق . وهكذا ابتعد آدلر عن أستاذه فرويد واقترب اقتراباً واضحاً من نتائج البحوث الحديثة عن الذات ، وكيف أنها أسبق من الذكورة والأنوثة معاً ، ومستقلة عنهما ولو على نحو ما .

ومن المسلم به أيضاً أن المرحلة الجنينية هي مرحلة تذبذب بين المؤنث والمذكر ، وهو تذبذب يرجع الى الجنسية الثنائية الاصلية في الكائن البشري حتى ولو كانت نهاية الصراع بين الجنسيتين في الكائن الواحد محددة من قبل ، فما علة هذه الجنسية الثنائية ومن أين جاءت ؟ ! ...

ويقال أيضاً انه اذا كان التجسد على المستوى الأرضي مفيداً في نضج الروح ونمو ملكاتها ومواهبها عن طريق الالم فان التجسد لمرة واحدة قد لا يكون كافياً ، خصوصاً اذا كانت فترة التجسد الأرضي قصيرة بسبب حلول الأجل المحتوم في طور الطفولة او حتى في الشباب . وان تعدد مرات التجسد على هذا المستوى يفسح للروح مجالا أكبر للحصول على مزيد من المعرفة والاختبار ، ومن تناسق الشخصية ، وبالتالي على مكانة أسمى في العالم الذي تستحقه الروح — بحسب مرحلة تطورها — من عوالم ما وراء المادة .

وفي الجملة يقولون ان موضوع التطور عن طريق العودة الى الجسد هو أنه يعطي للانسان فرصاً متعددة كيما يمر خلال فصول متعددة من مدرسة الحياة الأرضية العجيبة هذه ، وبالتالي كيما يحصل على مزيد

---

(١) للمزيد راجع كتاب « علم النفس الفردي . أصوله وتطبيقه » للدكتور ... اسحق ١٩٦١ ص ١٠٢ — ١٠٨ .

من التطور والتناسق فى العقل والعاطفة عن طريق المزيد من الاختبار فى الالم والنضال الشاق فى هذا المستوى الأرضى الذى يتطلب نضالاً لا ينقطع والماً لا يتوقف .

فمثلا تجسد الروح فى الرجولة يعطيها فرصة أو اكثر للتقدم فى صفات الرجولة الطيبة ، مثل الشجاعة ، والعزيمة ، والاقدام ، والحكمة ، والتواضع ، والصدق ، والتسامح . وتجسدها فى الأنوثة يعطيها فرصة أو اكثر للتقدم فى الصفات الطيبة للأنوثة مثل قوة الاحتمال ، ورقة الشعور ، وعمق العاطفة، والتضحية، والحنان ، والحياء. كما قد تكون الانوثة ترويضاً للروح على العفة وضبط النفس ، وهكذا حتى تتكامل الفضائل المطلوبة فى الروح فلا تعود بعد بحاجة للتجسد على المستوى الأرضى ومعاناة دروسه واهواله ، بل تستحق مستوى راقيا من مستويات الأثير .

عن بعض الغاز شخصية الانسان

ولا ريب ان نظرية رجعة الروح هذه من شأنها أن تفسر هذه الحقيقة التى يمكن لأى انسان ان يكتشفها بنفسه ، وهى أن الانسان يطوى غالباً بين جنبيه عدة شخصيات ، بدلاً من شخصية واحدة متناسقة ومتكاملة . فاذا ما حاول الانسان أن يسبر أغوار أى صديق له لتبين له انه يصادق فيه أكثر من انسان ، وان هذه الشخصيات المتعددة فيه قد تتصارع فيما بينها وقد تتآلف كما قد تتصارع وتتآلف فى علاقتها مع مجموع الشخصيات التى تحيط بها .

فلا تحاولن اذاً أن تسبر اغوار أية شخصية ، حتى شخصيتك الخاصة ، لأنه يبدو انه قد كتب على الانسان أن يحيا غريباً حتى عن نفسه ، عاجزاً عن أن يتفهم شيئاً جدياً عن أغوار طبيعته الخاصة ، فما بالك بطبائع الآخرين ؟ ! . وكلما اعتقد الانسان أنه قد وصل بالفعل الى معرفة شىء ذى بال عن نفسه أو عن نفس غيره كلما كان فى واقع الأمر أبعد ما يكون عن الوصول الى هذا الهدف البعيد المنال .

ثم ان ثمة حقيقة قد ثبتت ثبوتاً كافياً ، وهى أننا نتصرف فى حياتنا بما قد ينبعث من داخلنا من مشاعر ورثناها عن ماضينا ، وعن تراث التجارب المسجلة فى اللاشعور ، أو ان شئنا فى عقلنا الباطن . فهذه وتلك هى الحوافز الحقيقية التى توجه ارادتنا وتتحكم فى موقفنا من احداث الزمان حلوها ومرها معاً ، أما مشاعر الآخرين فقد تكون لنا بمثابة السدود الحكيمة التى وضعتها الطبيعة كيما نعيد النظر فى أحكامنا وتصرفاتنا فنكتسب لأنفسنا سلسلة تجارب متجددة ، وبالتالى ذخيرة مخبوءة ، وأيضاً لتكييف علاقتنا على نحو افضل بأنفسنا وبنواميس الحياة

الصحيحة التى يلزمنا الاتساق الصحيح معها حتى نحصل على قدر اكبر من تناسق الشخصية ، وبالتالى من السعادة الداخلية التى هى حقاً مملكة السماء فى الانسان . فنحن فى الواقع قد نستفيد من الاختبارات التى قد ننساها قدر فائدتنا من الاختبارات التى قد نذكرها. فلماذا النسيان اذا ، وما هو هدف الطبيعة منه ؟

هذا النسيان يحصل كما لاحظ المباحثون الروحيون لحكمة الهية سامية ، وهى دفع عجلة التطور للأمام ، وحتى لا يكون ماضى الروح السحيق عائقاً يعوقها فى تقدمها ، بما قد يكون فيه من اخطاء ، ووصمات ، وآلام ، وأهوال . فهو رد اعتبار من الطبيعة للروح يسلبها مخازيها السابقة ، ولا يسلب النفس حقها فى الاحتفاظ بالمرحلة التى وصلت اليها فى التطور عن طريق الألم والاختبار المتكررين ، ولنا عودة تفصيلية الى ذلك فيما بعد على لسان الدكتور جوستاف جيلى مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس .

ومما هو جدير بالذكر انه قد حدثت اتصالات وساطية بعدد من الأرواح التى امكنها أن تتذكر — استثناء من ذلك — شطرا ولو غامضا من ذكريات حياته سابقة لها أو أكثر طفت الى السطح — بعد الموت — من عقلها الباطن الى عقلها الواعى ، وأن تربط بين ذكرى هذه الحياة السابقة وصنوف التجارب القاسية التى تعرضت لها فى حياتها الاخيرة للتكفير — فى صور شتى — عن ذنوب اقترفتها فى حياة سابقة لها على الأرض ، وكتب آلان كاردك A. Kardec — وهو أبرز اسم فى الفلسفة الروحية لغاية الآن — مليئة بالعشرات من هذه الحالات ، وبوجه خاص كتابه عن « الجنة والنار » (١) .

وهناك أيضاً حقيقة علمية سائدة الآن حتى فى علم النفس . وهى أن اللاشعور أعمق وأعم من الشعور . فهذا الأخير ليس سوى جزء ضئيل من العقل يطفو على سطح الماء ، حين يختفى الجزء الاكبر منه وهو العقل الباطن تحت السطح ، بالأقل طيلة الحياة الارضية . ويقول عدد من الروحيين ان علة ذلك هى أن الوعى الانسانى لا يتجسد كله فى المرة الواحدة ، فلا يتجسد منه فى المرة الواحدة سوى جانب يسير عن طريق المخ الذى يتحكم بدوره فى الجهاز العصبى للانسان. ومقتضى ذلك بالضرورة هو تعدد عدد المرات التى ينبغى أن يتجسد فيها الوعى للحصول على النمو المطلوب ، وعلى التناسق الكافى بين شتى أجزائه ، وهذا التناسق هو الذى يحقق للانسان قدراً أوفر من السعادة ومن الاطمئنان النفسى بعد الشقاء والقلق .

---

(١) Le Ciel et L' Enfer

وقد أيدت أرواح متعددة أخرى صحة هذا النظر ، بل منها من علل بعض الامراض العقلية بعدم حدوث التجسد الارضى على النحو الطبيعى . فاذا لم يكن الجانب المتجسد من الوعى كافياً كيما يحقق السيطرة المطلوبة للمخ — ومن ورائه العقل — فقد المخ سيطرته على وظائف الأعضاء . وبدا صاحبه ناقص الادراك عديم الاتزان فى حركاته وسكناته .

ومثل هذا المرض العقلى — الذى تعودنا أن نصفه بالبله أو بالعته أو غير ذلك من أوصاف — يختفى تدريجياً بعد الانتقال عندما يندمج الجزء الضئيل الذى كان متجسداً فى باقى أجزاء الوعى فيبدو الانسان « المعتوه سابقاً » انساناً طبيعياً فى ذكائه ، واحياناً انسانا على درجة ممتازة من الذكاء أو الألمعية مؤدياً على أتم وجه وظائف حياته الجديدة ، وهذا اعتبار هام تنبغى مراعاته عند تحقيق شخصية أرواح بعض المنتقلين (١) .

وقد فتح علم الروح بذلك آفاقا جديدة فى دراسة أسباب الأمراض العقلية لم تكن معروفة من قبل ، بجانب الآفاق التى فتحها من ناحية التسليم بامكانية ظاهرة المس والاستحواذ الروحى obsession and possession التى تصدى لبحثها الفيلسوف المعروف وليام جيمس William James (٢) ، وأخضعها أيضا للبحث العملى الدقيق لمدى عشرات من السنين الدكتور تيتوس بول (٣) Titus Bull، ثم كارل ويكلاند (٤) Carl Wickland عضو المجمع العلمى الأمريكى — ووصلوا فى بحوثهم الى نتائج ايجابية محددة واضحة فى دلالتها .

ويلاحظ أيضا أن تجسد أرواح بعض المنتقلين تجسدا تاماً أو جزئياً تحت أدق صور الرقابة العلمية ، على ما بينته بأسانيده فى « المفصل »(٥)، هو فى حقيقته عودة للتجسد . واذا كانت العودة هنا وساطية ومرهونة بلحظات قصيرة فليس ما يمنع من أن تكون لهـا صورة أخرى طبيعية عن طريق الميلاد وأن تكون بالتالى لمـدة الحيـاة الدنيوية التى تتفاوت طولا وقصراً .

هذا وقد أمكن — كما قلت لعدد ملحوظ من الأرواح التى ترتاد غرف الجلسات الروحية — متجسدة أو غير متجسدة — أن تتذكر شطرا من

---

(١) راجع ما ورد عن هذا الموضوع فى « المفصل » الجزء الأول ص ٢٨٤ — ٢٨٩ ؛ ٨٢١ — ٨٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٣١٤ — ٣٢٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٢١ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٢٨ — ٣٣٠ .

(٥) المرجع السابق ص ١٧٧ — ٢٠٨ ، ٥١٧ — ٦٨٠ .

حياة سابقة لها أو اكثر . ذلك انه بحسب الأصل تفقد الروح ذاكرة حياتها السابقة بمجرد الالتصاق بجسد الجنين فى بطن امه ، فلا يتبقى لهـا من هذه الذاكرة سوى درجة التطور التى وصلت اليها النفس ، والتى تنزلق الى اللاشعور كيما تمهّد لهـا طـريقها فى حياتنا المسـتقبلة ، ولذا كان العقل الباطن — أو اللاشعور — مخزناً لدروس المـاضى السحيق وخبراته. وهو مخزن ملىء بصنوف التجربة التى أصبحت — بحسب الظاهر — فى طى النسيان الكامل .

عن احلام الأجنة ومشاعرها

ومن الكشوف الجديدة الجديرة بالذكر هنـا أن العلم الحديث فى دراسته لعمل المخ مع الاستعانة بالرسام الكهربائى قد وصل الى حقـائق هامة عن نشـاط المخ فى اثنـاء النـوم ، وعن تأثره بالأحلام . ووصـل العلمـاء الى الجزم بأن الجنين فى بطن امه يحلم ، وامكن صنع رسومات كثيرة لتسجيل نشاط مـخ الجنين فى اثنـاء أحلامه ... فبماذا يحـلم الجنين ؟ وما هى الصور التى يشاهدها او الأصـوات التى يسـمعها ؛ أو الأشياء التى يلمسها مع انه بحسب المذهب المـادى لا يكون قد اكتسب بعد شيئاً من الحواس ، أو من قدرة الاحساس ، أو من الوعى ، أو من الذكريات الشعورية أو غير الشعورية التى تصنع الأحلام عند كل كائن حى ؟

اما من الناحية الروحية فمن المتصور أن تكون الذكريات السابقة للجنين ، التىانزلقت اليه منإقامته فى عالم المـادة أوالروح هىصانعةهذه الأحلام ، وهى المسئولة الوحيدة عنها بعـد اذ انزلقت من الشـعور الى اللاشعور فى لحظة ارتباط الروح « بالمعتقل » المـادى المعـد لهـا فى رحم الأم بحكم نواميس التطور والارتقاء .

وهذا الموضوع وثيق صلة بموضـوع آخر وهو مشـاعر الأجنـة وأحاسيسها وهى فى بطون امهاتها . فانه يكاد يكون من المسلم به الآن ان حياة الجنين الشعورية تبدأ قبل الولادة ، لا منذ الولادة فحسب كمـا كان يقال فيما مضى .

وبالتالى فان حب الأم للجنين او كراهيتها له (كما فى حالة الحمـل غير المرغوب فيه ، او فى ظروف المشاحنات الزوجية والطلاق) قد يكون له أثره فى طباع هذا الجنين بعد الولادة . ومثل ذلك قسوة الاب فى معاملة الأم أو كراهيته لهـا فى فترة الحمل لاعتبار أو لآخر ، فقد تترك هـذه أو تلك بصماتها فى نفسية الجنين ، ولا تظهر هذه البصمات بطبيعة الحال الا فيما بعـد الولادة ، وقد تحتاج فى بعض الأحيـان الى تدخل المحلل

النفسانى فى الطفولة أو فى المراهقة (١) .

وقد يؤيد ذلك ما ذكره بعض الصحف حديثاً وها هو نصه كما ورد بجريده الأخبار الصادرة بتاريخ الثلاثاء ٥ نوفمبر سنة ١٩٧٤ : «أعلن الدكتور السير وليام لايلى الأستاذ بجامعة أوكلاند بنيوزيلاند فى محاضرة بلندن امس أن الطفل الذى لم يولد بعد يشعر بالآلم ، بل قد يشعر بالملل الشديد اثناء وجوده بالرحم .

وقال ان الرحم ليس بالمكان المظلم المتلىء بالصمت ، وأن الطفل يتعلم فيه الرضاعة والشرب واستخدام رئتيه استعدادا للانتقال الى العالم . ويشعر أيضا بالبرد والصوت والضوء ، بل ويتذوق السائل المخصص لتغذيته ويشرب كمية أقل اذا كان مذاقه غير طيب ، ويصاب بالزغطة ، ويمص اصبعه ، ويستغرق فى النوم ويستيقظ » .

وبعبارة أخرى ان حواس الجنين تعمل قبل أن يخرج الجنين الى عالم الاحساس ، وقبل أن تتكامل حتى أدوات الاحساس الخمس المعروفة ، مما يدل على استقلال الشعور عن أدوات الاحساس وهو ما يلتئم مع المذهب الروحى للحمل وللولادة ، ويتعارض بداهة مع المذهب المادى الذى يربط بين الاحساس كوظيفة ، وبين أدوات الاحساس كوسيلة ، كما يربط بين الشعور والتفكير وبين اكتمال نمو المخ بوصفه المسيطر الأول والأخير على الجهاز العصبى للانسان .

اما بحسب التحقيقات الروحية فان مصدر الاحساس هو الشعلة المقدسة التى تهب الحياة للجسد المادى والتى تنزلق الى الرحم بعد حدوث الحمل — بفترة ما — حاملة معها العقل فى صورته اللاشعورية ، وهو العقل الذى يحتمل سبق ارتباطه بحياة المادة فيما مضى ، وهذه هى بعينها نظرية « العودة للتجسد » .

---

(١) للمزيد راجع : J. G. Bennett : A. Spiritiual Psychology 1964 p 54.

وثمة أبحاث حديثة تشير الى أن بمقدور النبات أن يتألم وأن يشعر بالعاطفة (راجع اشارة عنها فى جريدة الأخبار عدد ٢٠/٧/١٩٧٤ وهى تتحدث عن أبحاث للعالم السوفيتى كريستوفر والأمريكى بومى كينز) . فاذا صح جدلا أنه كان بمقدور النبات الذى يتغذى من الأرض والهواء أن يشعر بالألم أفلا يكون ذلك بمقدور الجنين وهو فى بطن أمه ؟ ! ...

المبحث الثانى

عن « نظرية التطور »
بقدر اتصالها بالعودة للتجسد

هل تتطور الحياة حقيقة أم لا ؟ يبدو أن العلم المادى قد حسم هذا التساؤل بالايجاب منذ زمن كاف ، وان كان البحث لا يزال مثارا فيما يتعلق ببداية التطور ، وبتعليل هذا التطور ، من محاولة التعرف على أهدافه الصحيحة . وفى هذه الأمور كلها تعددت المدارس التى يضيق عنها هذا المقام . وفى نطاق المادة هناك اجماع أيضا على انها فى حالة تطور مستمر من البسيط الى المركب .

التطور حقيقة علمية

واذا كانت المادة فى حالة حركة دائمة ، وتطور لا يتوقف من البسيط الى المركب ، فمن باب أولى يكون الانسان بكل ما يحوزه من مرونة نفسية وعضوية ، ومن قابلية للتاقلم أو للتكيف مع العصر والبيئة .

ومن تطور المادة يقول جوستاف لوبون Gustave Le Bon ان الأثير الذى يملأ رحبات الفضاء قد انتهى بان تحول الى ذرات ، ومن تجمع الذرات نشأت المادة كما توجد فى أرضنا ، وكما يمكننا أن نراقبها فى الكواكب . وخلال فترة التكون التدريجى للمادة من الأثير ، قامت الذرات باختزان رصيد من الطاقة كان عليها أن تنفقه فى صيغ متنوعة منها الحرارة ، والكهرباء فيما تلا ذلك من الأزمان .

وعندما فقدت الذرات ببطء هذه الصيغ من الطاقة التى اختزنتها فى مبدأ الأمر ، مرت المواد بتطورات مختلفة ؛ وارتدت صيغاً متنوعة .

وعندما بعثت الذرات بكل ما فيها من طاقة مخزونة فى صورة اهتزازات مضيئة ، عادت — نتيجة للاشعاعات الصادرة عن تحللها — الى الأثير الأولى الذى جاءت منه . فالاثير يمثل اذاً « النرفانا » النهائية التى تعود اليها جميع الأشياء بعد وجود يتفاوت فى مدى قابليته للزوال .

وهذه النظرات الموجزة عن مصدر الكون الذى نعيش فيه وعن نهايته لا تلقى سوى أضواء باهتة على الظلمات العميقة التى تغلف ماضينا، وتحجب مستقبلنا . وهى تمثل تفسيرات قاصرة جداً ، ولكن العلم لا يملك أن يقترح غيرها . ولا يمكنه بعد أن يرقب اللحظة التى يتمكن فيها من تلمس السبب الأول الحقيقى للأشياء ، أو حتى ان يصل الى الأسباب الحقيقية لظاهرة واحدة . فينبغى اذا عليه ان يدع للاعتقادات

وللعلسفات مشقة تخيل الأنظمة المعدة لكي تشبع حاجتنا الى المعرفة(١).

* * *

ولقد لعبت نظرية التطور دوراً هاماً في ارتياد العديد من المجاهل الطبيعية التي كانت قبلها تستعصى على الارتياد ، والتي كانت تمثل محض ألغاز تنتمي الى ما وراء الطبيعة أكثر مما تنتمي الى بحوث العلم الوضعي، وبالذات الى بحوث علم الأحياء « البيولوجيا » .

وذلك الى الحد الذي دفع أحد المؤلفين الى القول بأنه بعد الاعتراف المبدئي بتطور الجسد — حتى بمعرفة اللاهوت — فانه من اليسير توقع الاعتراف — بلا تأخير بتطور الروح . ومن ثم فقد انهار ذلك السد الذي حاول اللاهوت أن يقيمه في وجه الانسان حتى يمنع تطلعه الى الوراء .

وبالنسبة لدارس علم النفس الحديث فانه يجد أن فكرة « الوجود السبقي » انتقلت من نطاق الاعتقاد الى نطاق الواقع ... ولذا كتب العلامة البريطاني توماس هكسلي T. Huxley قائلا : « انه لا يوجد أحد بمقدوره أن يرفض هذه الفكرة على أساس أنها تمثل خرافة متوازنة الا المفكر المتعجل جدا . وفقه العوده للتجسد — شأنه شأن نظرية التطور نفسها — له جذوره في عالم الواقع ، وربما تكون له أسانيد تماثل في قوتها أسانيد التطور نفسها » .

ولاحظ أن هذه العبارات الخطيرة قالها هذا العلامة المعروف (١٨٢٥ — ١٨٩٥) عندما كانت الأسانيد التي يملكها العلم الوضعي عن هذا الموضوع ضئيلة جدا بالنسبة لتلك التي يملكها الآن ، بل لا تكاد تذكر فما بالك الحال بعد اذ بلغت وثائقه هذا المبلغ الذي عرضنا لبعض جوانبه فيما سبق ؟ !

هذا وقد تعرضت في الجزء الثاني من « المفصل » لبعض مبادىء عامة عن هذه النظرية ، وعن موقف العلم المعاصر من ناحية عدم انكارها بوجه عام ، وأن كانت الفلسفة المعاصرة أخذت تتحول تدريجياً من تعليل التطور بمادية الوجود الى التسليم بوجود قوى عاقلة ، وبتخطيط روحي عريق وراء هذا التطور . والمدارس في هذا الشأن عديدة يضيق عنها المقام الحالي ؛ وقد اختلفت في بعض مبادىء التطور لا في صحة التطور نفسه كقاعدة عامة خصوصاً على الأحياء ولا ريب أن التطور

---

(١) عن مؤلفه في « تطور المادة » L'Evolution de la Matière

ينبغى أن يثار كمبدأ عام عند الحديث فى نظرية احتمال العودة للتجسد بالنظر الى الصلة الوثيقة بين الموضوعين .

فالانسان كائن نام متطور ، وقابل للنمو وللتطور نحو الافضل ما فى ذلك ريب ، وجميع الشواهد تؤيده . والحيوان كائن نام متطور ، وقابل للنمو وللتطور ما فى ذلك ريب أيضاً ، وجميع الشواهد تؤيده . لكن المشكلة الحقيقية هى فى تحديد خطوط التطور ومصدره واتجاهاته الصحيحة .

وكان الاعتقاد السائد بعد اعلان ناموس التطور ان الانسان والحيوان يسيران فى خط واحد مشترك التطور . وهذا الناموس الخاص بالتطور كان فى شكله الأول مستمدا من الفلسفة المادية للوجود ومرتبطا بها ، ولا يكاد يفسح مجالا بالتالى للحديث عن عنصر روحى يبقى حيا بعد فناء الجسد المادى . وكان القول بأن الانسان لا يختلف عن الحيوان شيئاً من ناحية التكوين البيولوجى لكل منهما يعطى دعامة ضخمة للفلسفة المادية عن الوجود . أو بالأدق يعطى حجة قوية لدعاة القول بفناء شخصية الانسان بسبب فناء جسده المادى .

هذا بالنسبة للغرب ، أما بالنسبة للشرق الأقصى ، فقد تصور عدد غفير من حكماء الهند — بوجه خاص — أن هذا القول يعطيهم دعامة علمية لتأييد دعوى احتمال عودة الانسان للتجسد ولو فى صورة حيوانية احياناً ، بل وعودته الفورية عقب انفصال الروح عن الجسد رأساً ، بلا حاجة لأية فترة يقضيها خارج جسده المادى فى أى عالم من عوالم ما وراء المادة .

ولكن ما لبث لفيف من احسن التطوريين فى الغرب أن أدركوا أن الانسان لا يسير فى خط واحد فى التطور مع الحيوان حتى مع التسليم بتطور الانسان ، وبتطور الحيوان ، ومن هؤلاء الفيلسوف الكبير برجسون — كما فطنوا أيضاً الى أن تطور الانسان أعرق كثيرا من تطور الحيوان وأسمى منه هدفاً (١) .

ومن ثم ينبغى أن نقول ان تنازع البقاء وبقاء الأصلح وان كان صحيحاً كناموس طبيعى ، الا أنه لا يصح أن يعتبر مصدرا للتطور . بل بالأكثر نتيجة حتمية له . وبالتالى فانه يتعين البحث عن مصدر آخر للتطور غير ناموس تنازع البقاء وبقاء الأصلح . ومن ثم يبرز دور التخطيط الروحى العاقل وراء هذا التطور لتحقيق غايته الحقيقية وهى

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٤ — ٣٧ ، ٤٣ — ٥٢ .

الارتقاء بعقول بنى البشر ومشاعرهم ، عن طريق خلود أرواحهم ، وعـدم قابليتها للفناء ، حتى وان تعرضت الأجساد الترابية لكل النتائج الوبيلة التى يفرضها نشاط ناموس تنازع البقاء ، بكل ما فيه من قسوة مفرطة ، بل وحشية تبدو بحسب الظاهر — لا هدف لهـا ولا ضابط .

التطور والايمـان

وفى هذا الشأن يكتب العلامة المرحوم محمد فريد وجـدى مقـالا ضافياً يقـول فيـه : « ان الأستاذ الكبير الفـرد راسـل والاس A. R Wallace الذى اكتشف ناموس الانتخـاب الطبيعى هو ودارون فى آن واحد ، وأحدهما بعيد عن الآخر قال فى كتابه عن « الانتخاب الطبيعى » صفحة ٣٣٢ : ان الانسـان عالم قائم بنفسـه وانه متمتـع بروح وأن روحه تخلد بعد هـذا العالم .

والأستاذ الطبيعى الكبير فيركو الألمـانى يهـزأ بالدارونية ويعدها مفسدة للأخلاق ومحللة للاجتماع « راجع كتـابه فى نقـد الدارونية الاجتماعية » .

والعلامة الفيزيولوجى الكبير كاتروفاج قال فى كتابه عن « النـوع البشرى » بعد تحليل دقيق للأصول الدارونية : « لسنا نستطيع أن نعلّم الناس أن الانسـان متسلسل من القـرد أو من أى حيـوان آخـر ، بل لا نستطيع أن نعتبر القول بذلك مسألة علمية » .

وهـذا العلامة الجليـل — كلود برنار — الذى يدعوه البيولوجى المشهور لو،انتك بأبى الفيزيولوجيا كان لا يعتد بالمذهب الدارونى ويعتبر جميع التطورات الانسانية حاصلة بواسطة القـوة الحيوية الثـاوية فى اجسادها ...

ثم يقول العلامة وجدى ان « كرنر الطبيعى الألمـانى كان يقول بوجود قـوة حيوية فى الوجود تمـد كل كائن بمـا يحتاج اليـه من الغـرائز والوسائل .

أما هكسلى البيولوجى الانجليزى الكبير فكان يقول ان الحياة نفسها قـوة مدبرة ومنظمة ، وانها هى التى تهدى الكائن الضعيف لكل ما يحتاج اليه حتى عمل القوقعة ، وتلهمه زخرفتها وتكوينها .

والأستاذ هيكيل الألمـانى المتشدد فى اثبات نشوء الحياة بالعـوامل الآلية لم يستطع ان ينكر أن فى كل ذرة عضوية ، فضلا عن كل خلية روحاً وعقلا وارادة تديرها وتؤتيها بما يصلحها « راجع كتابه عجائب الحياة » .

هذه هى أقاويل المذاهب الكبرى وكلهم مجمعون على ضرورة وجود قوة مدبرة فى الكائنات الحية تمدها بالوسائل المقومة لها على خلاف بينهم فى تصورها . انا لا أنكر أن أكثر هذه الافتراضات لا يقوى على النقد ، ولكنها تدل القراء على مبلغ حيرة العلماء فى تعليل وجود هذه الغرائز الغريبة بتأثير العوامل الآلية المجردة من العقل .

ومهما يكن الأمر فهل تخرج هذه الأقاويل عن دائرة الامور الظنية التى لا يمكن تحقيقها ، والتى هى بتخالفها يهدم بعضها بعضاً ؟ هذا كله لا يعنينى وانما الذى يهمنى أن أقف قراء العربية على ما يدلى به بعض الكتاب اليهم تحت نواميس بيولوجية ومشاهدات علمية فى هذا الموطن وغيره مما لا يمكن تمحيصه تحليلا وتركيبا ، كله من قبيل الظنيات التى لا تغنى عن الحق شيئاً .

فهى لا تصلح لأن تشكك مؤمناً فى ايمانه ، ولا أن تمد ملحدا فى الحاده ، وتجعل باب العلم مفتوحا على مصراعيه للفتوح الجديدة المؤيدة بالمشاهدة والتجربة ، ومنها ما يقيم أقطاب العلم صرحه تحت اسم المباحث الروحية ، فقد انكشفت للعقول بثبوت الروح والعالم الروحانى ينابيع القوى الحقيقية للحياة الكونية . وهو عمل ضخم بذل العلماء فيه تسعين سنة متوالية (الآن حوالى قرن وربع) . ولم يبالوا بارجافات المرجفين ، كما لم يبال بها مسمر ، ولافوازييه ، وجالفانى ، وباستور من كاشفى مساتير الطبيعة الكبرى ... » (١) .

وفى الواقع ان نظريات التطور — حتى مع تسليمها كلها بمبدأ تطور الحياة — لا تزال فى تطور مستمر ، وأيضا فى تناحر لا يتوقف . ويبدو أن عودة الانسان للتجسد على نحو أو آخر ، وفى وقت أو آخر ، ولسبب أو آخر ، تمثل ناموسا حقيقيا يلعب فى تحقيق تطور الحياة دوراً أعمق وأخطر بكثير مما كان يجول فى الأذهان ، خصوصا منها أذهان العلماء الماديين الذين كانوا على استعداد لقبول مبدأ التطور وليسوا على استعداد لمناقشة مبدأ « العودة للتجسد » أو لمحاولة تفهمه ، أو حتى لتحقيق أسانيده وهى آخذة فى النمو وفى الوضوح بشكل مضطرد .

التطور فى المفهوم الثيوصوفى

وعن تطور الانسان تكتب الرائدة الثيوصوفية المعروفة السيدة آنى بيزانت Annie Beasant فى مؤلف من مؤلفاتها العديدة

---

(١) من مقال له فى جريدة الأهرام عدد ٤ اكتوبر سنة ١٩٣٨ بعنوان « ناموس التطور والتسلسل ونشوء الغريزة الأخلاقية فى الانسان » ص ٣ ، ١٥ . وكان ذلك بمناسبة اعتراض اثارة احدهم على البحوث الروحية باسم نظرية التطور .

وعنوانه « الحكمة القديمة » (١) (١٨٩٧) فائلة ما مضمونه أن العلم الحديث آخذ فى الانبات التدريجى الواضح لضعف دور الوراثة فى تطور الكائنات العليا ، وأن الخصائص الذهنية والأدبية لا تجىء جزافاً من ناحية الآباء . وبقدر ما تسمو الصفات بقدر ما يضعف فيها دور الوراثة فابن الانسان العبقرى كثيرا ما يكون أبلهاً ، وابن الوالدين العاديين قد يكون عبقرياً .

وبالتالى فلابد من وجود جوهر دائم تكمن فيه الخصائص الذهنية والأدبية ، وتنمو ، والا فان الطبيعة — فى هذا الجانب الهام من نشاطها — تبرز نتاجاً ضالا ليست له أية علة بدلا من الاضطراد المنتظم الذى نعرفه عنها . وفى هذا الشأن يبدو العلم أصماً ، لكن الحكمة القديمة تعلمنا أن هذا الجوهر هو « الموناد » Monad (كلمة هندية تعبّر عن الروح أو العقل) الذى هو موطن جميع النتائج ، والمستودع الذى تختزن فيه جميع الاختبارات بوصفها طاقات نشطة متزايدة .

وهذان المبدآن المرتبطان ونيق ارتباط « بالموناد » وبالامكانيات التى تتطور الى طاقات ، وبدوام الحياة والشكل ، يحلان كثيرا من المشكلات العويصة للعلم الحديث ، وأيضاً المشكلات التى يواجهها المفكر الانسانى ، والحكيم ، والتى لا تزال تتعثر فيها الجهود الجادة .

ثم تقول آنى بيزانت ما مفاده أن الروح الجنينية ، أو العقل فى الجنين يحوز فى البداية جسداً عقليا جنينياً يتضمن الشكل الذى جاء به ، لكن لم يحز بعد أية امكانية نشاط ، لأنه عبارة عن مجرد نواة لجسد عقلى مرتبطة بنواة لجسد سببى Causal body وبالنسبة للعديدين تبدو الحياة بوصفها رغبة قوية من الطبيعة تباشر ارادتها فى الروح ، فتدفعها الى المسير بامتداد الطريق الذى يلتئم مع عواطفها وشهواتها ، ويرتطم بكل أمواج رغباتها الحيوانية الهائجة ، التى لا تخضع لسيطرتها .

وهذه المرحلة المبكرة للروح تبدو لنا الآن كريهة عندما نتطلع اليها من مرحلة التطور المرتفعة التى وصلنا اليها ، ولكنها كانت ضرورية لانبات بذور العقل حتى يتعرف على الأمور ، ويدرك أن أمرا معينا يغاير الأمر الآخر ، وكان هذا هو المبدأ الأساسى للتفكير .

ولايقاظ تلك القدرة على الادراك فى العقل كان لا بد أن تمر الروح بمفارقات قوية وعنيفة ، حتى تفرض عليها التمييز فيما بينها . وكان لابد أن تتلقى الروح طرقات دورية من المتعة الجمة ، ومن الألم المرير . وهكذا أخذ العالم الخارجى يؤثر فى الروح خلال رغبة الطبيعة ، فأخذت

---

(١) The Ancient Wisdom. ص ١٨٣ — ١٨٤ .

الروح ببطء شديد تستخدم ملكاتهـا ، وتسجلها نتيجة تكرارات تفـوق الحصر . والمكاسب الضئيلة التى حققتها الروح خلال كل حياة اختزنتها فى عاقلتها ، وهكذا حدث التطور البطىء .

وهو تطور بطيء فى الواقع ، لأن أى شيء فكرت فيه الروح ، وأى جهد قامت به ، لم يؤثر فى تنظيم الجسد العقلى الى أن تم تسجيل ادراكات عديدة للأمور فيه بوصفها صوراً عقلية ، أمكن أن تكون مادة خام تقام عليها مناشط عقلية تنبعث من الداخل ... وكان هذا هو بداية التفكير ، ونواة كل انظمة المنطق التى أمكن لعاقلة الانسان أن تطورها وأن تتمثلها . وتم ذلك تحقيقاً لرغبة الطبيعة فى أن تنمّى بهجة الانسان ، وتقلل من آلامه ، ولكن كلا الأمرين كان من أثرهما زيادة نشاط الجسد العقلى ، ودفعه الى المزيد من النشاط .

وفى تلك المرحلة من طفولته كان الانسان لا يملك أية معرفة عن الخير والشر ، والخطأ والصواب . بل لقد كان الصواب هو ما يلتئم فحسب مع الارادة الالهية ، التى تساعة تطور الروح نحو الأمام ، والتى تميل الى تقوية الجانب الأسـمى من طبيعة الانســان ، وترويض جانبهـا الأدنى واخضــاعه . وكان الخطأ هـو كل ما يعوق التطور ، ويقيّد الروح فى مراحلهـا الدنيا بعد أن تعلمت الروح الدروس التى عليهـا أن تتعلمها ، والتى تميل الى السيطرة على الجانب الأدنى لحساب الجانب الأسمى . وبالتالى فان الخطأ هو كل ما يقيّد الانسان بالوحش الذى انبثق عنه بدلاً من « الاله » الذى ينبغى أن يتطور اليه .

فكل انسان عليه أن يتعلم وجود « القانون » ، وذلك عن طريق اتباع كل ما ظل يجتذب انتباهه فى العـالم الخارجى ، والتعلق به ، وعندئذ يتعلم بالاختبار البهيج أو الأليم ، ما اذا كانت متعته تلتئم مع « القانون » أم تتناقص معه ...

ولا ينبغى أن نغفل الاشارة الى انه فى تلك الأيام المبكرة حدث تنوع ضخم فى نموذج التطور الفردى وطبيعته نتيجة البيئة التى تحيط به . فقد كان على جميع الأرواح أن تنمّى طاقاتها ، لكن الطريق الذى تسير فيه التنمية يتوقف على الظروف التى وُجدت فيها الروح : ومنها الطقس، والخصوبة أو الجدب ، وحياة الجبل أو السهل ، والغابة أو الشاطىء ... فهذه الاعتبارات ، ومعها اعتبارات أخرى لا تحصى ، تباشر تأثيرها فى يقظة الطاقات العقلية فى اتجاه معين أو فى آخر ...

والانسان عند مروره من الموت الفيزيقى الى مستوى « الديفاشان » (مستوى العودة للتجسد من عالم الغيب بحسب التعبير الهندى) يفقد

المرة بعد الاخرى اجساده المختلفة : الجسد الفيزيقى ، والكوكبى ، والعقلى ... وصلة الانسان بجسده الفيزيقى تنقطع نهائياً ، وينتهى امرها ، لكن الجسدين الكوكبى والعقلى يصبحان هما الانسان نفسه باندماجهما معاً . ويكونان بمثابة المخزن للملكات والصفات الناتجة عن ممارسة مناشط الحياة الأرضية ، والبذور للجسدين الكوكبى والعقلى فى المرحلة التالية . ويبدأ عندئذ شروق حياة جديدة .

وتبدأ الحياة الجديدة عن طريق احياء البذور العقلية ، التى تواصل الحياة وتستمد عناصرها من المستويات الأدنى للعقل حتى ينمو منها جسد عقلى جديد يعبّر بالضبط عن المستوى العقلى للانسان ، وجميع ملكاته العقلية بوصفها أعضاء . ولا تبقى اختبارات الماضى فى هذا الجسد العقلى الجديد بوصفها صوراً عقلية ، لأن تلك الصور اختفت باختفاء الجسد العقلى القديم (باندماجه فى الجسد الكوكبى) ويبقى جوهر هذه الصور فحسب ، أى أثرها فى العقل .

وقد كانت هذه الصور بمثابة الغذاء للعقل ، والمادة الخام التى اصبحت ملكات ، وتظهر فى الجسد الجديد بوصفها طاقات تحدد تكوينه ، وتكوّن أعضاءه . وعندما يكون الانسان على هذا النحو قد صنع لنفسه جسداً جديداً لحياته المقبلة على المستويات العقلية المنخفضة ، يعمد الى احياء البذور الكوكبية الكامنة فيه ، كيما يزوّد نفسه بجسد كوكبى لازم لحياته على المستوى الكوكبى . وهذا الجسد يعبّر من جديد تعبيراً دقيقاً عن الصفات التى طوّرها فى ماضيه ، كما تعبّر البذرة عن كل خصائص الشجرة التى جاءت منها .

وهكذا يقف الانسان مزوداً تماماً بما يلزم لتجسده القادم . وتظل ذكريات أحداث ماضيه فى جسده السببى ، وهو الجسد الوحيد الدائم الذى يتنقل بصاحبه من حياة الى حياة . وعندئذ يحدث عمل أجنبى عنه لتزويده بجسد فيزيقى مناسب للتعبير عن خصائصه (هو تكوين الجنين بسبب التلقيح وانقسام الخلايا) . وفى حيواته الماضية يكون الانسان قد أنشأ بعض روابط مع كائنات بشرية ، وبعض تلك الروابط ستحدد جزئياً مكانه من ناحية الميلاد والأسرة ، ولقد كان هذا الانسان مصدراً لسعادة الآخرين أو لشقائهم ، وهذا بدوره عامل آخر يتدخل فى تحديد حياته المقبلة .

واذا كانت طبيعة الرغبة فيه منسقة جيداً ، أو بعيدة عن التنسيق ، فان ذلك يدخل أيضاً فى الاعتبار فى شأن الوراثة الفيزيقية لجسده المرتقب . واذا كان قد نمّى بعض الطاقات العقلية ، ومنها الطاقات الفنية، فان ذلك يدخل فى الاعتبار ، لأن الوراثة الفيزيقية تمثل عاملاً هاماً ولأن

التكوين العصبى ، والحساسية الفيزيقية مطلوبان أيضاً ، وهكذا تسير الأمور فى تنويع لا ينتهى ...

وهكذا يتحدد نوع السلالة ، والشعب ، والأسرة ، وما يصح تسميته بشكل الجسم الفيزيقى المناسب للتعبير عن صفات الانسان ، وعن ثمرة أفعاله الماضية ... ويتكون الجسد الأثيرى الجديد فى رحم الأم ، متخللاً الجسد الفيزيقى الكثيف فى كل جزىء من جزيئاته ، وينمو معه تماماً ، وتكون الوراثة الفيزيقية قد أدت دورها فى الخامات التى قدمتها لتكوين الجسد الفيزيقى ...

وبعد مرحلة متقدمة يدخل الجسد الكوكبى فى ارتباط مع المقابل الأثيرى الجديد ، ويباشر تأثيراً قوياً فى تكوينه ، وعن طريقه يؤثر الجسد العقلى فى الجهاز العصبى ، حتى يعده ليكون جهازاً مناسباً للتعبير عن نفسه فى المستقبل . وهذا التأثير بدأ فى حياة ما قبل الميلاد ، وذلك الى حد أنه عندما يولد طفل فان تكوين مخه يعبّر عن مدى صفاته العقلية والأدبية ، وعن مدى اتزانها ، ويظل ذلك كله قائماً بعد الولادة حتى يتكامل التكوين الفيزيقى للانسان .

ويكون وعى الانسان الى سن السابعة من عمره نشطاً على المستوى الكوكبى أكثر مما هو على المستوى الفيزيقى ، وهذا يتضح كثيراً من نشاط المواهب الروحية عند الأطفال ، حيث قد يرون رفاقاً غير منظورين ، ويرون رؤى ، ويسمعون أصواتاً لا يشاركهم فيها الكبار .

وهذه الظواهر تختفى فى المعتاد عندما يبدأ العقل يعمل بنشاط عن طريق المركبة الفيزيقية ، والطفل الحالم يتحول الى الصبى أو الفتاة المألوفين . وكثيراً ما يلوم الكبار أولئك الأطفال عندما يروون مشاهداتهم غير المنظورة منهم ، فيضطر الأطفال الى اخفائها مخافة اللوم من الكبار ، أو السخرية منهم . لذا يتعين على الكبار أن يكونوا أوسع صدراً مع أطفالهم ، وأكثر تجاوباً معهم ، وفهماً لهم .

وعندما يتفهم الجميع موضوع العودة للتجسد ، فان ذلك كفيل بأن يرفع عن حياة الطفل كثيراً من مخاوفها وآلامها ، وبأن يمكنه من نضال روحه عندما تحاول السيطرة على أجهزتها الجديدة ، وترتبط ارتباطاً تاماً بجسدها الكثيف ، وفى نفس الوقت بغير أن تفقد قدرتها فى الافادة من اهتزازات أجسادها الأخرى الأكثر منه رقة عندما تحاول التأثير فى اهتزازات الجسد الفيزيقى (١) .

---

(١) تلخيص عن المرجع السابق ص ١٩٦ — ٢٠٧ .

تعليق

هذه هى بعض اقوال السيدة آنى ببزانت ، وهى مرتبطة بالتعاليم الثيوصوفية ، وبخاصة منهـا جانبهـا المتعلق بتعدد الأجساد الآدمية ، وتداخلها ، وتطورها ، وتنوعها بين فيزيقية ، وأثرية ، وعقلية ، وكوكبية ، وسببية (١) ... نعرضها هنا لأنها قـد تلقى بعض أضواء لها قيمتها فى ابضاح ماهية الحياة فى الأرض وفى الأثير ، و « آلية » العودة للتجسـد بدون ارتباط منا بأى جانب منها ، ولكن فى نفس الوقت بغير أن نغفـل الاشارة الى أن بعض جوانب هذه الفلسفة — ولست كلها تلتئم التئاماً فريداً مع تلك النتائج التى وصل اليهـا بعض أعلام الباحثين العمليين : وبخاصة منهم الدكتور جوستاف جيلى فى فرنسا ، وشو دزموند فىانجلترا على ما سيرد فى المبحثين القادمين .

وفى نفس الوقت ينبغى أن نلاحظ أن تعدد الأجساد للشخص الواحد لا يعنى بالمرة — حتى فى المفهـوم الثيوصوفى — تعـدد الشـخصيات أو الفرديات ، بدلالة أن التعاليم الثيوصوفية تقصد بالجسد الفيزيقى مجرد الجانب الشهوى من جسد الانسان ، وهو كائن فى منطقة البطن (موضع شهوتى الطعام والجنس) ، وبالجسد الكوكبى الصدر (وهو موضع القلب والعاطفة) ، وبالجسد العقلى الرأس (وهو موضع التفكير والعقل) ... وهكذا .

وعلى أية حال فان التسليم بالتطـور ، وبالعودة للتجسد كوسيلة للتطور ، أمران مستقلان تماماً عن التسليم بتعدد الأجساد داخل الجسـد الواحـد ، ولا يتطلبان فى الواقع أكثر من التسليم بوجود جسـد أثيرى شامل يحمل كل رغبات الانسان ومشاعره ، وعاقلته أيضاً .

أما تقسيمه الى « مناطق » أو الى « عناصر » ، وأما الكلام فى مدى ترابط تلك العناصر أو عدم ترابطها المحتوم ، فهذا موضوع آخر ، ويمكن أن يكون محلاً للنقاش ، وللبحث العلمى الذى يبدو فى هذا الميدان بالذات — وهو ميدان التطور — أنه لا يزال فى المهد .

من اتجاهات الفلسفة الهندية

ولا ريب أن التعاليم الثيوصوفية استمدت جل عناصرها من الفلسفة الهندية التى تقوم على مبادىء الخلود ، والعـودة للتجسد ، والكارما ،

---

(١) راجع ما ورد عن هذا الموضوع فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٨٤١—٨٧٠ ، ٩٢١ — ٩٤٣ ، ٩٦١ وبوجه خاص المراجع المشار اليها فى هـذه الصفحة الأخيرة عن الثيوصوفية بوجه عام .

وتعدد الأجساد الآدمية أو تداخلها . وكنموذج من موقفها فى هـذا الشأن ما ورد عن هـذا الموضـوع فى كتاب « فلسفة الهنـد فى سيرة يوجى » من « أن تداخل أجسام الانسان الثلاثة يتجلى بطرق متنـوعة فى طبيعته الثلاثية . ففى عالم اليقظة الأرضى يحس الكائن البشرى كثيرا أو قليـلا باغلفته الثلاثة .

فحينما يستغرق المـرء بحـواسه فى الذوق أو الشـم أو اللمس أو السمع أو النظر فانه يعمل أصلا بجسمه المـادى . وبالتخيل اوالارادة يعمل بجسمه الكوكبى . وحينما يفكر أو يغوص فى الفحص والتأمل يعمل بجسمه السببى ، وتأتى أفكار النبوغ الكونية لذلك الانسان الذى يعتاد الاتصال بجسمه السببى أى الاستغراق فيه ، وبهـذا المعنى يمكن تقييم الأفراد اجمالا الى أشخاص ماديين ، أو عاملين ، أو عقليين .

ويعيش الانسان بجهازه المـادى نحو سـتة عشر ساعة كل يوم ، ثم ينام . فاذا استغرق فى حلم ظل فى جسمه الكوكبى يخلق بغير عنـاء أى أمر ، كما تفعل الكائنات الكوكبية . فاذا كان نومه عميقا خاليا من الأحلام لمـدى بضع ساعات استطاع تحويل وعيه أو احساسه بذاتيته الى الجسم السببى . ومثل هذا النوم مجدد للقوى ؛ فالحالم يلمس جسمه الكوكبى لا السببى ، ولا ينتعش فى هذا النوم تماما » (١) (مثل ذلك الذى لا يحلم بتاتا لاستغراقه فى جسمه السببى) .

والتعاليم الثيوصوفية والهندية غاصة بالتفصيلات عن هذا الموضوع ، وهى لا تلزمنا هنا ، بل كل ما يلزمنا هو — فى نهـاية المطـاف — التسليم بوجود جسد واحد لا مادى ، مرن ، خاضع للعقل ، وللتطور ، مستقل عن الجسد المـادى الذى يسقط بالوفاة ، بل هو حامل شـعلة الحيـاة — وهى الروح — والمزود للجسد المـادى بالحياة ، والشعور ، والعقل . وهى أمور دخلت بالفعل الى نطاق البديهيات فى العلوم الحديثة : وبخاصة الميزياء ، والبيولوجيا ، والسيكولوجيا .

التطور ودورات الحياة

ولا ريب أن التطـور بوجه عام وثيـق صـلة بما يطلق عليه وصف « دورات الحياة » وفى هذا الشأن يتحدث جوفرى هدسن Geoffrey Hodson فى كتـابه « هل العودة الى التجسد حقيقة أم خيال »(٢) فيقول — نقلا عن الترجمة العربية للأستاذ زكى عوض المحامى :

---

(١) ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى سنة ١٩٥٥ ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

(٢) Reincarnaticn Fact ar Fallacy ?.

« هنا نقرر أن العودة الى الحياة تستند على مزيج من تعليم خاص بالحياة البشرية ، وقاعدة من قواعد الطبيعة . والتعليم كما تناولناه يهدف الى تكميل الانسان ، أما العقيدة فهى قاعدة الدورية . وما الانسان فى جوهره الروحى سوى بذرة للألوهية تغرس فى العوالم المادية وفوق المادية ، لكى تنمو وتبلغ أسمى درجة ممكنة . وفى مملكة البشر الدنيوية يطلق على الفرد الذى بلغ هذه الحالة ، اسم الضليع أو الانسان المكمل .

وواضح أن مثل هذا البلوغ لا يتحقق فى حياة أرضية واحدة . وحتى لو عاش المرء العمر المعتاد ، فلن يتوافر له الوقت أو الفرصة لانماء جميع مواهبه البشرية ، وتحاشى ذلك انما يكون بعملية الدورية ، وبالمد والجزر ، وبالذهاب والاياب . وحتى المجموعات الشمسية على هيولتها والتى تضم أدق الكائنات تخضع لهذا القانون . فليس مرة واحدة بل مرارا عديدة يهبط الانسان كذاتية ، ويتخذ جسما ماديا حين الولادة ويتركه عند الموت .

وفى كل مرة تحدث اختلافات فى الجنس والسلالة والبيئة والفرص وضروب النشاط ، وهذه الاختلافات تهيىء تقدما فى كل حياة بحيث تحصل الروح فى النهاية على سائر الاختبارات اللازمة ، وتدرب جميع القوى ، وتقمع سائر وجوه الضعف . وبهذه الكيفية يتحقق النجاح فى النهاية لسائر البشر بعامل الزمن اللانهائى ، والتنوع الواسع فى الاختبار اللذين يكفلان النجاح للنفس الروحية المتفتحة . وتتركب كل دورة على الطريق اللولبى الصاعد الذى يصل الانسان بواسطته الى قمة الكمال ، بنزول قسم من القوة والحياة ووعى الذات الى التجسد المادى فى كل حياة . ثم تأتى رجعة تالية ، ولكن دائما فى وضع أعلى على اللولب .

* * *

وتفتتح كل دورة جديدة بتغيير فى الوعى ، تحسه الذات فى وقت معين بعد انقضاء الدورة السابقة . وتعبر فلسفة الشرق عن هذا التغيير بالكلمة السنسكريتية « تنها » ومعناها الظمأ الى الحياة ، بقصد اطراد النمو ، وللاعراب الأتم والأكمل عن النفس . ولما كانت الذات التى تقطن فى مستوى وعى العقل المجرد أو المعنوى ، تعلم أن ذلك مستطاع بولوج باب الحياة المادية مرة ثانية ، فانها توجه انتباهها الى العوالم الأكثف ، فتقذف فى بادىء الأمر شعاعا ثلاثيا للذاتية من القوة والحياة والوعى على سطح العقل المادى ، حيث يجمع حوله مادة عقلية تكون بالتدريج جسما عقليا .

وفى نفس الوقت يزداد الشعاع نفاذا الى حيث مملكة الانفعالات

ويكون بالمثل جسما للرغبات . وفى النهاية ينفذ الى العالم المادى عادة فى وقت الحمل ، حيث يندمج فى الخلية المزدوجة الأولى التى تكونت حينذاك ، والتى تنمو فيما بعد جسما ماديا (١) . وأبان الحياة السابقة على الولادة تنمو هذه الأجسام ويتزايد وعى الذات لها . وتستمر العملية بعد الولادة ، ويزداد باطراد الوعى الذاتى فى المستويات الثلاثة لا سيما اعتبارا من السنة السابعة ، حتى تبلغ سيادة الذات للجسم المادى أقصى حد لها ببلوغ الرشد عادة .

* * *

ان عملية التطور عن طريق الاختبارات المادية تواصل تقدمها حتى الممات . اما مدى هذا التطور ونوعه فيحكمهما قانون السببية . وبعدئذ يطرح الجسم المادى جانبا وتبدأ عملية العودة . ولوقت ما ، يتوقف طوله غالبا على نوع وقوة الحياة العاطفية فى مقامها على الأرض ، تظل الذات واعية فى الجسم العاطفى ، وتواصل اجتناء كرماها فى ذلك الجسم .

وهذا الأمر يثير فكرة الاختبارات المطهرية بعد الوفاة ، حيث تكسب الذات دروسا ثمينة ويطّرد التقدم . وفى النهاية بطرح جانبا جسم الرغبات ويبدأ الطور الأخير للمرحلة الراجعة ، التى تتألف من الحياة فى الجسم العقلى ، الذى يحصل بسبب تخلصه من شوائب الأهواء على سعادة تامة ، وهى حالة تطابق الى حد ما الفردوس أو السماء فى التعاليم الدينية .

وحينما تجد المطامح السامية أقصى تعبير عقلى لها تأتى هذه الفترة الى نهايتها . ويمتزج ثانية المظهر أو قسم الذات الذى قام بالرحلة الدورية ، بالنفس العليا التى انفصل عنها . ويرجع الابن الشارد الى موطنه (٢) ...

التطور والسببية

كما يقول جوفرى هدسن فى نفس المرجع الآنف الاشارة اليه :

« ان قانون السببية أو الكارما يتصل بتطور الانسان الروحى اتصالا وثيقا ، بغية الوصول الى الكمال عن طريق حيوات متعاقبة على الأرض .

---

(١) انظر « دراسة فى الوعى » A Study in Consciousness لمؤلفته انى بيزنت ، وكتاب « معجزة الميلاد » The Miracle of Birth لجوفرى هدسن .

(٢) انظر كتاب Mystery of Death لجوفرى هدسن .

وكل عمل انسانى سـواء أكان عقليا أم عاطفيـا أم ماديا يحدث ، طبقـا للقانون الكرمى ، انعكاسا معادلا له تماما . ولكن قد لا تتم الانعـكاسات أو ردود الفعل فى نفس الحياة التى ارتكبت فيها الأعمال ، بل تظل احيانا معلقة تتحين الفرص الملائمة فى تجسـد تال لتعلن فيها عن ذاتهـا . فان دقة قانون السببية تتطلب أن تحدث الأسباب نتائجها فى نفس المستوى وفى العـالم الذى حدث فيه السبب . فالأفعـال المـادية تؤتى ثمـارها فى نتائج مادية والأفعال العاطفية والعقليـة والروحيـة تحدث نتائجها فى عوالمها الملائمة لهـا .

الا أنه لمـا كان الفعل المـادى الذى يتم فى حيـاة معينة قد لا ينتج رد الفعل الكامل أثنـاء تلك الحياة ، كانت العـودة الى الأرض امرا ماسا حتى يتهيأ الظرف الملائم ، الا وهو توطيد الادراك فى جسم مادى . ويبدو أن القديس بولس قد ألمح الى هـذه القاعدة فى اعرابه عن قانون الزرع والحصاد ، حيث يقول : « لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصـد فسادا ، ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية » (١) . وطبقـا لهـذا الرأى فان الاستحقاق أو عدم الاستحقاق الذى نشأ فى حيـوات سابقة يحدد ماجريات الحياة الحاضرة . فكل انسان يدفـع الى العمـل الأسباب التى تحدث اختباراته التالية .

ان هناك نظريات ثلاث تعـرض لتفسير ضروب التبـاين والاجحاف الظاهرة للولادة البشرية وللفرص . واحداها نظرية الخليقة الخاصـة ، والتى تنظر الى كل طفل حديث الولادة كمخلوق جديد . وهـذا الرأى الذى تستمسك به بعض المذاهب المسيحية غير مقنع من وجهات متعددة ، لا سيما وأن أصحاب هذا الرأى يعزون مشكلة الظلم الصارخ فى الحيـاة الى ارادة الله ، ويقولون بأن الحياة والموت هما لغـزان لا يجوز التعمـق فى بحثهما .

وهنا يجب أن نسلم بأن نفوسا دون ماض خلفها تقفز بغتة من العدم الى الوجـود ، مزودة بمؤهلات معينة فـكرية وأدبية ، وتتميز بها عمـا للوالدين وأفراد الأسرة ، انما هى فكرة غير مقبولة ، كالفكرة القابلة لأطفال يظهرون بغتـة من لا شىء ولا ينتسبون لأى انسان ، ومع ذلك يظهـرون سـجايا ومميزات وصـفات فـردية وعائليـة وجنسية خاصة .

* * *

---

(١) غل ٦ : ٨ .

والنظرية الثانية هي الصدفة . ويحكي سر والتر سكوت قصة فليسوف مرح شبه الحياة البشرية بمنضدة بها ثقوب أعد لكل منها وتد يلائمه . الا أنه لما كانت هذه الأوتاد تغرز اعتباطاً دون نظر الى ثقوبها الملائمة ، فمما لاشك فيه حدوث نتائج خرقاء من هذا العمل الاعتباطي . وللأسف لا يزال اناس يثقون أن صدفة مماثلة تحدد فى الولادة وبعدها ، ظروفنا الخاصة بالجسم وبالبيئة .

وهذه النظرية كسابقتها لا تقنع العقل المفكر على الاطلاق . فلماذا تكون الحياة البشرية هى الشيء الأوحد فى العالم الظاهر الذى لا يحكمه قانون ؟ ففى كافة جوانب الطبيعة اعتبارا من أكثف مادة الى أرق اثير ، ومن كوكبنا الأرضى فصاعدا الى أبعد النجوم ، ومن احقر الأحياء الدنيئة الى أكبر المجموعات الشمسية ، يقف العلم على قانون محكم . وقد جاء فى حديث لسير أرثر ادنجتون استاذ الفلك بجامعة كمبردج ، عن القانون خلف قوى العالم المادى ما يلى : « انه قانون جليل لا ينثلم ، وخليق أن يتفق وعقل الاله » . وبالنظر الى وجود قانون ثابت يحكم كل شيء فى العالم المادى ، فانه بالكاد يكون معقولا أن نجد القانون غائباً فى اختيار ظروف الولادة البشرية والحياة التى تتلوها . وهذا الغياب يتعارض ايضا مع تعاليم الحكماء على مر الأجيال ، ولا سيما مع فلسفة هرمس التى تقول : « كما فى السماء كذلك على الأرض » .

* * *

وثالث التفسيرات للاختلاف البين فى اختبارات البشر هو وجود القانون . وطبقا له فان ظروف الحياة البشرية من حيث الصحة والسعادة ، والمقدرة والفرصة أو المرض ، والشقاء والضعف والحرمان ، انما هى نتائج عمل قانون محكم وحصاد لغرس سابق . وتقدم عقيدتنا العودة الى الحياة والكرما حلا لمشكلة عدم المساواة والفرصة فى الولادة ، تلتئم مع المنطق والعدالة . فالمفارقات والتباين فى الظروف البدنية والعقلية وفى المقدرة ، وفى البيئات المختلفة التى يولد ويعيش فيها الناس ، هى ثمرات مباشرة لسلوكهم الشخصى السابق .

وتقرر مدام هـ . ب . بلافاتسكى أن هناك كرما استحقاق وكرما عدم استحقاق . والكرما لا تجازى ولا تكافىء ، بل انها ليست سوى القانون العام الأوحد الذى يقود بغير خطأ ، وبغير مبالاة كما يمكن أن نقول ، سائر القوانين الأخرى الى احداث نتائج معينة فى اخاديد مسبباتها

الخاصة بهـا .... أسباب لا محيص عنها ، ولا يمكن اقصاءها من الكون، الى أن تستبدل بنتائجها الشرعية وتمحى بواسطتها . ومثل هذه الأسباب ما لم تستبدل أثنـاء حياة الشخص الذى أحدثها بنتائج سـديدة فانها سوف تقتفى أثر الذات الراجعـة الى الحياة وتظـل تلاحقها فى رجعتها التالية الى أن يستقر تماما الاتزان بين النتائج والأسباب .

التطور والتناسق

والكرما ولو انها أمر معنوى لا تدركه الأفهـام ، فهى الأساس الذى يبنى فوقه العالم المـادى المحسوس ، وعن طريقها تحدث تلك التعديلات للعقل الأوحد الذى تتكون منه الفـردية واختبار الذات . وهى عمليـة تصورية اذ لا يمـكن ادراك التقسيم بالوحـدات . فالضراء هى نتيجـة اضطراب للسكون أو الهـدوء الذى يسيطر على الذكاء العام ، وتنافر فى تناسق الطبيعة . ويحدث الاضطراب أصلا من التفكير الأنانى للبشر والذى لا مناص من أن يتنافر بداخل العقل الأعظم الذى هو متزن وهادىء ويعمل بغير محاباه . فكل حركة تتلوها عودة الى السكون الذى سـبقها والذى بدأت منه . وكل اضطراب يجب أن يعود الى الاتزان . والـكرما — وهى نتيجة الفعل — تتكون بالأكثر من هذه الرجعة .

ومهمة القـانون حفظ التوازن التام ، فاذا انثلم التنـاسق بذل القـانون على الفور جهدا لاستعادته ، وهو ما يحدث الألم . والأعمـال المتنافرة هى التى تتم تحت تأثير الخداع بأن كل انسان كائن منفصـل . وسـبيل الفكاك من الألم هو قهر هذا الخداع . والمرء الذى تتسق أفكاره مع العقل الالهى وعن طريقه يعمل ذلك العقل باتقـان ، ولا يسلم بالعوامل الانفصالية — ومثل ذلك الانسان يحيا فى غبطة دائمة .

ومع ذلك فأبان أحد أدوار التطور ، لا يكون الاحساس بالفردية فى حد ذاته وبالا على المرء ، بل بالأحرى هو طـور من النمو يطابق فى حيـاة النبات تكوين السـاق الذى تنمـو منه الأغصان والأليـاف ، والتى تعبر بعد ذلك عن حياة النبات . الا أن الفـردية تصبح مصدرا للألم اذا تفوت فوق الضرورة أو طال أمدها بغير موجب ، حيث تسبب الأنانية والتطاحن وتولد الخصام . وحينما يكافح المـرء بغـير حق فى أية حالة فانه يعـكر اتزان العقل الواحد . وهنا يبـدأ القانون أن يعمل لاستعادة التناسـق ، بقـوة لا تجدى مقاومتها . لأن محاولة المرء فى المقـاومة ولو بغـير وعى منه تزيد فى شـدة الألم . والخطـوة العملية لاقلال الألم ومحـوه هى

اصلاح المرء لذاته والاذعان للقانون . ومن هنا تنشأ اهمية فهم الانسان لهذه العقيدة » (١) .

التطور والحكمة

فالعودة للتجسد على هذا الوضع تكون لازمة للتخلص تدريجيا من الرذائل وللتحلى تدريجيا بالفضائل ، ولا يكون ذلك بالمعرفة النظرية لماهية الرذيلة وماهية الفضيلة ، لأن المعرفة النظرية لا تغنى فتيلا ؛ بل يكون عن طريق الممارسة العملية الطويلة المتكررة . وشأن ممارسة الرذيلة والفضيلة فى ذلك شأن ممارسة اى عمل او فن .

فالانسان لا يصبح جراحا مثلا من قراءة كتاب أو مائة كتاب فى الجراحة ، بل لابد له من أن يقوم بالاختبار بنفسه مرارا وتكرارا حتى يصح أن تصفه « بالجراح » . ومن المحتمل جدا ان يخطىء وان ينجح ، وأن يكون سبباً فى اصابة غيره أو فى خدمتهم ، ولكن الممارسة العملية أمر لا مفر منه فى النهاية .

وهنا فى نطاق أمور الرذيلة والفضيلة لا بد ان تتعدد صور الممارسة ومراحلها بتعدد الرذائل والفضائل تعددا لا حدود له ، ناهيك بتعدد المواهب والملكات ، واتجاه هذا كله — بحسب قانون السببية — الى الاتجاه الصحيح أو الخاطىء . ناهيك باحتمال تحول الميول من نطاق الى آخر ، وتنوعها ، وتعددها ، واتصالها العميق بأوثق رغبات الانسان، وعواطفه ، وغرائزه ، ومثله العليا الصادقة أو الزائفة .

فمثلا بحسب النواميس الروحية التى أمكن التثبت منها يعد حب التسلط رذيلة كبرى ، أما حب الخدمة فهو فضيلة كبرى ، بل هو أب الفضائل كلها لانه لا ينبع الا عن نفس عطوفة وديعة قد امتلأت حباً للآخرين . فاذا فرضنا أن شخصا مثل نابليون بونابرت يحوز عبقرية لا ريب فيها فى ميدان القتال واستعباد الشعوب ، فانه ينبغى بحسب ناموس التطور الروحى ، وهو ملازم للتطور العضوى ، أن تتحول هذه العبقرية تدريجيا من حب التسلط الى حب الخدمة ، لمصلحة صاحبها ، ولمصلحة الانسانية بأسرها .

وهذا التحول لا يجىء بغتة ، أو نتيجة لمجرد الاقتناع النظرى بضرورة التحول وذلك لتحقيق التطور نحو الأرقى والأحسن ، وهو الهدف الاسمى من الحياة . بل يجىء التحول بطيئا نتيجة ممارسات عملية مضنية فى تجسدات متنوعة قد يكون أغلبها متواضعا ، ومصحوبا بالآم

(١) عن جولسرى هدسن . ترجمة الاستاذ زكى عوض . المرجع السابق ص ٤٨ — ٥٨ .

متلاحقة من المهـد الى اللحد حتى تكتسب الذات الخـالدة قدرة التفكير للآخرين بعد الاغراق فى التفكير فى الذات وللذات . وحتى تمارس بنفسها الاحساس بالألم والحـرمان من الحرية وهمـا من مستلزمات القتال ، والتسلط ، ومحاولة استعباد الآخـرين التى يكابدها الضـحايا ويجنى ثمرتها البغاة الطغاة من أمثال نابليون ، وغليوم ، وهتلر ، وستالين ...

وهكذا يظهر تماما كيف أن الانسان الذى يمضى أيامه فى حياة بسيطة متواضعة فى خدمة تطوره الروحى نحو المحبة والوداعة افضل بكثـير فى نواميس الحياة الراقيـة — من ذلك الذى قد يقيم « مجداً » زائفـاً — ويقـال عنه أحياناً مجدا خالدا — روته دماء الضحايا وأشـلائهم . وكم من جندى أفضـل من قائده ، وكم من تابع أنبـل من متبوعه ، وكم من فقـير أفضل من سـيد زمانه ، رغم عريه وجوعه ، وحرمانه ودموعه ..

وهكذا تتحول مثل هذه الذات على الأمد البعيد من لهفـة القتـال الى اللهفة الى الادب ، أو الفن ، أو العلم ، أو الطب أو النضال السـلمى لأجل مبدأ سام ، أو غاية نبيلة بدافع من حب الخدمة وحده وهـذا هو المجد الحقيقى الوحيد الذى يعـرفه ناموس التطـور الروحى . وهكذا تشترى مثل هذه الذات ماضيها ، وتتحول من الاتجاه الخاطىء فى التطور الى الاتجاه الصائب فيه . ومن اعتناق مفاهيم خاطئة عن المجـد ، وعن الوطنيـة ، وعن الكرامة ، الى اعتناق مفاهيم صائبـة عن المجد ، وعن الوطنية ، وعن الكرامة . مفاهيم جديدة لحمتها المحبة وسداها التواضع ، بعد مفاهيم مضللة لحمتها الأنانية وسداها الغرور .

وقل مثل ذلك عن موقف الذات من سائر مفاهيم الحياة ، بما فيها مفاهيم الايمـان ، والأخـلاق ، والاجتماع ، والفلسـفة ... فموقف الذات من هذه المفاهيم كلها عرضة للتطور البطىء . أو بالأدق هو ينبغى أن يتطور دواما فى الاتجاه الصـحيح ما دام هناك خلود للذات . وما دام هناك تطـور نحو الأرقى والأحسن ، أى نحو الاصلح روحياً ناهيـك بمـا هو أصلح عضويا وجثمانيا .

وهذه الصلاحية ليست سوى صدى لنشاط نواميس طبيعية تعمل بلا توقف من خارج الذات ومن داخلهـا ، ومن واجب الذات الاتساق ، او بالأدق محاولة الاتساق معها على قدر طاقتها وبحسب درجة تطورها . وهى نواميس تعمل جنبا الى جنب مع نواميس المـادة والطاقة ، مثـل نواميس الحـرارة ، والجاذبيـة ، والنمـو ، والتحـول ، والحـركة ، والاهتزاز ... وكلها لازمة لوجود الحياة ، ولنموها ، ولتطورها نحـو الأرقى والأحسن .

وكما عرفت حركة التطور — على المدى البعيد جدا — كيف تصقل فى الذات الانسانية انفعالات غرائز الجنس ، والاجتماع ، والاقتناء ، والسيطرة ، وحب البقاء ... فى وسط نضال مر ، عنيف ، طويل ، سببه جهل الانسان بنفسه وبحقيقة أهدافه فى الحياة ، أو بالأدق بحقيقة أهداف الحياة فيه ، فانها ستعرف مع الوقت كيف تصقل أيضا انفعالات غريزة الاحساس بالمجهول ، ولعلها أصعبها كلها صقلا ، لأنها تبدو دائماً معصومة ليست بحاجة للصقل . ولأنها — فيما يبدو — أكثرها ضراوة ، وأوثقها اتصالا بأعمق خلجات النفس .

وعندما يتم صقل جميع الانفعالات عن طريق المرور بأكبر قدر ممكن من الاختبارات المثمرة المفيدة فسيعرف الانسان نفسه ، وسيكون قد وضع قدميه فى طريق الحكمة التى هى أثمن شىء فى الوجود . والحكمة لا تعرف حدودا بل هى فى نمو مضطرد متزايد ، وعندما تبلغ لدى صاحبها مستوى رفيعا فهو يصبح كائنا رفيعاً ، وقد يصل برفعته الى حد التحرر النهائى من قيود الزمان والمكان ، واختباراتها المريرة . وعند هذا الحد لا تعود به حاجة للعودة للتجسد الأرضى ، لأن هذا التجسد هو عبارة عن ارتداء هذه القيود بعينها ، والاكتواء بنارها .

وبعبارة أخرى لا يصبح هذا الانسان فيما بعد هو نابليون ، أو هو غليوم ، أو هتلر ، أوستالين ، أوأضرابهم ... بل يصبح محض كائن حكيم له رسالة أرفع بمراحل كثيرة من رسالات كل هؤلاء الطغاة البغاة . رسالة مجيدة بالمعنى الروحى الصحيح لا بالمعنى الأرضى الزائف ، لأنها هى بعينها رسالة الخدمة فى محبة ، وفى تواضع ، وقبل كل شىء فى حكمة .

ومن يحصل على الحكمة يحصل فى نفس الوقت على السعادة ، لأن الحكمة — كما قال أرسطو — هى طريق السعادة ، وهى أسمى الفضائل كلها لأنها عبارة عن رد فعل أمين يقوم به العقل عن عمل لا يستهدف تحقيق أية مصلحة عملية أو مادية . ولذا « فان اللذة زائلة ، والأمجاد عابرة ، والثروة عرضة للضياع ، والسمعة تتوقف على حكم الآخرين ، لكن الحكمة هى وحدها الفضيلة الباقية الكاملة التى ترقى بالوجود الانسانى » . ولعله لنفس هذه الاعتبارات قال برجسون ان الكون المادى آلة لصنع آلهة ، أى لصنع كائنات عاقلة حكيمة جديرة بمجد الخلود ، متحررة من الآلام الرذيلة وأهوالها التى تصيب صاحبها كما تصيب الآخرين أيضاً بحكم ناموس مسلم بصحته من التضامن الاجتماعى .

بين تطور الانسان وتطور الحيوان

وهذا الفهم الفلسفى للتطور — سواء أكان فى اطار المفاهيم الثيوصوفية أم خارجها — كما يفسح للروح وللخلود ، وللتخطيط الالهى

المرسوم ، دورا واضحا فى الوجود ، فانه فى نفس الوقت لا يشجع - فى أى معنى من معانيه - احتمال عودة الانسان للتجسد فى وعى أو فى صورة حيوان أعجم ، لأن التطور يسير نحو الأمام لا نحو الخلف من جانب ، ولأن خط الانسان فى التطور مستقل عن خط الحيوان ، باستقلال الانسان عن الحيوان فى وعيه ، وفى وجدانه ، وفى حاسته الخلقية من جانب آخر .

واستقلال خط التطور عند الانسان عن خط التطور عند الحيوان لا ينفى وجود بعض نقط التقاء بينهما ، هى تلك التى سمحت للاثنين ان يوجدا فى وقت واحد على كوكب واحد ، وأن يتحكم الانسان فى الحيوان ، فيتخذ من ظهره مقاما ، ومن لحمه طعاما ، بغير احتمال التداخل بينهما من ناحية الوعى ، أو الوجدان ، أو الحاسة الخلقية ، التى قد توجد عند الحيوان فى صورة باهتة جدا أحيانا ، ولكن يعوزها التقدم الموجود عند الانسان ، والذى يسير جنبا الى جنب مع تقدم الوعى الشعورى واللاشعورى فيه ، وهو تقدم مضطرد ، وان كان بطيئا بل أبطأ مما نتصور .

وليس من الصحيح ان يقال أن الانسان يختلف عن الحيوان فى أنه يملك حاسة روحية دونه . أو بالأدق ان له قدرة على الادراك خارج الحواس لا يملك الحيوان الأعجم مثلها ، فان هذا القول محض خطأ ، وهناك دراسات كثيرة على الحيوانات أثبتت أن بعضها قد يملك بعض قدرات روحية متنوعة ، مثل الجلاء البصرى ، ومثل استشعار الأمور المستقبلة أو الحاضرة ...

وبعض هذه القدرات قد يكون وصف الالهام وصفا مناسبا له ، وأوضح امثلة لها هى فى الهامات النملة ، والنحلة ، والعصفور والسمكة ....

* * *

ولا اريد أن اتعرض هنا للمشكلة الخطيرة التى لم يحسمها العلم بعد ، وهى من أين بدأ تطور الانسان ؟ ولكن هناك نقطة ليست محل نزاع ، وهى أنه اذا كان تطور الانسان قد بدأ جدلا من أصل حيوانى يشبه الغول أو الشمبانزى ، فان الانسان ولا ريب قد قطع صلته تماما بهذا الأصل الحيوانى منذ عشرات الآلاف من الأعوام التى قد تبلغ المائة الف عام أو اقل أو اكثر ، بغير دخول فى التفصيلات الخارجة عن دائرة البحث .

وتطور الحياة نحو الأمام ـ على المدى البعيد ـ هو جوهر ناموس التطور الذى ينكر بتاتا احتمال تطورها للخلف . وهذا الجوهر لا يتعارض مع احتمال عودة الانسان للتجسد فى صورة انسان جديد . وربما اكثر خبرة ونضجا مما كان ، لكنه يتعارض تماما مع احتمال عودته ـ وقد وصل بالفعل الى مرتبة الانسان بكفاح مائة الف عام أو نحو ذلك ـ الى صورة حيوان يعوزه العقل ، كما يعوزه التطور بمقدار هذه الحقبة الطويلة نفسها . وذلك حتى اذا صح أن تطور الانسان بدأ من أصل حيوانى على نحو ما .

وهذا القول لا ينفى ان غرائز الحيوان قد تظل رابضة فى وعى الانسان ، وقد تكشف عن نفسها بمناح شتى للسلوك الاجرامى على ما لاحظه سيزار لومبروز ـ وغيره ـ بالنسبة لطائفة « الجناة بالفطرة » التى قد تمثل ارتدادا atavisme بالانسان الى أصله الحيوانى أو لا تمثل . لكن مقومات الانسان ، وأخصها القدرة على استخدام الاستدلال المنطقى ، تكون ايضا لا تزال متوافرة فى هذه الطائفة المرتدة من الجناة وأقوى ظهورا فيهم من غرائز الحيوان الرابضة فيهم ، والتى قد تنشط تحت تأثير ذبول الحاسة الخلقية أو اختفائها ، لا تحت تأثير ذبول العقل أو اختفائه .

وهذا هو ما يلاحظ أيضا عند طائفة المجرمين المصابين بالجنون الخلقى أو بالتخلف الروحى Psychopathes (أصحاب الشخصية السيكوباتية) حيث تعوزهم ـ هم أيضا ـ الحاسة الخلقية ، ولو فى أضعف صورها ، فتبدو تصرفاتهم محض حيوانية وكأنها من تراث ذلك الماضى السحيق الذى مر به الانسان عندما كان يتسلق الأشجار على أربعة أرجل (١) .

* * *

ويلاحظ الفرد راسل والاس A. R. Wallace وهو الذى أعلن نظرية التطور فى سنة ١٨٥٨ قبل داروين (٢) أن تطور الانسان فى تكوينه العقلى أبرز مما هو فى تكوينه الخارجى . فالانسان يختلف عن الحيوان

---

(١) للمزيد راجع مؤلفنا فى « مبادىء علم الاجرام » طبعة ثالثة ١٩٧٤ ص ٥٠ ـ ٥٢ عن « الجناة بالفطرة » وص ٣١٠ ـ ٣١٩ عن « الجنون الخلقى » .

(٢) راجع ما ورد عن والاس فى « المفصل » الجزء الأول ص ٣٨٥ ـ ٣٧٨ ؛ وفى الجزء الثانى ص ٤٩ ـ ٥٢ .

من ناحية أنه عرضة لكى يتحمل تغـيرات ضـخمة فى ظروف العيش وفى البيئة بغير أن تحدث تغيرات مقابلة ملحوظة فى بنيانه وفى شكله .

وهو يواجه تغـيرات البيئة بأن يغير اساليبه فى الملبس ، والاقامة ، والدفاع ، والأجهزة التى يحوزها ... ورأس الانسان ووجهه يتناسبان مباشرة مع جهاز الذكاء الذى هو المترجم عن الانســان ، والمعبر عن ارق الحركات فى طبيعته . وأى تغيير حقيقى انما يجىء من جانب تغيير العقل ، وذلك منذ العصر الذى لم يكن فيه الانسان يحوز مخا متقدما على هـذا النحو الرائع ، هذا المخ الذى هو أداة الروح ، والذى هو حاليا — حتى فى أحط أنواع الانسان — يسمو كثيرا فوق أرقى الحيوانات ، وذلك منـــذ العصر الذى كان يملك فيه الانسان الشكل ، ولكنه لا يملك الا بصـعوبة طبيعة الانسان ، ولم يكن يملك أيضاً لغــة الانسان ، ولا مشاعره العاطفية والأخلاقية . ولكن لابد أن الانسان كان ينتمى فى المـاضى الى ســلالة متناسقة ، انتماء أدى الى اختفاء الشعر الذى كان يغطى جسمه اختفاء شـبه تام .

وعلى اية حال فلا يوجد حتى الآن أى مبرر حقيقى للاعتقاد بأن خط التطور مشترك ومتداخل بين الانسان والحيوان ، أو بأن من الجـائز أن يعود الانسان المنتقل الى التجسد فى صــورة حيوان أعجم ، وذلك بالاضافة الى انتفاء كل دليــل يؤيد هذا الاعتقاد الذائع فى الهند وفى الشرق الأقصى بوجه عام ، والذى لا يلقى بدوره تأييدا من آراء العلمــاء أو من أقـــوال الأرواح الراقية أو تعاليمها .

أما العودة الى التجسد فى صورة انسانية فيكاد يكون موضع اجماع من هذه الأرواح الراقية . ومع ملاحظة أن هذا النظر — اذا صح — قـد لا ينفى الأصل البـدائى أو شبه الحيوانى لجســم الانسان ، لكنه ينفى المستقبل الحيوانى أو شــبه الحيوانى لروح الانسان مهما عظمت خطاياه وتراكمت أخطاؤه .

ونضـيف الى ذلك أن بعض المؤلفين الثيوصــوفيين — منهم سينيت Sinett — يقول ان التعاليم البوذية الأصلية قد سلمت بالعودة للتجسد فى صورة انسان ، لكنها خلت تمــاما من الاشارة الى احتمال العــودة فى صورة حيوان . وأن هذا الاعتقاد الأخير دخيل على البوذية فى مفهــومها الأصــلى ، وأنه من الخرافات التى تسللت اليهــا فيما بعد ، كما تتسلل الخرافات والأساطير وتتكاثر تدريجيا فى جميع المعتقدات (١) .

---

(1) Karl Muller : Reincarnation Based on Facts 1970. p 21.

من اقوال الباحثين الروحيين

وفى هذا الشأن يقرر البحاثة الروحى المعـاصر جان بريير Jean Prieur فى كتـاب له عنـوانه « شـهود غير المنظـور » (١) (١٩٧٢) « ان المراسلين الروحيين يرفضون النظرية التى بمقتضاها يمـكن للروح الانسانية العاقلة الخالدة أن تزوّد بالحيـاة وبالتتابع أجساداً حيوانية ، ثم أجساداً آدمية » .

كما يقول روح يدعى بيير Pierre فى نفس هذا الكتاب « ومع ذلك فان الانسان مخلوق على صورة الله ، وهذا ما لا يمكن للحيوان ان يصـل اليه ، رغم الخداع الذى وقع فيه انصار تقمص الانسان لروح الحيوان . فالكلب مثلا وهو أكثر الحيوانات قابلية للانفـعالات العاطفية التى يشعر بها فى روحه الحساسة ، لكنها مع ذلك بدائية يظل مع ذلك حيوانا حتى فى حياته العليا التى يلج اليها بعد الموت » .

واذا كان تقمص أرواح الحيوانات نظرية زائفة فان ذلك لا ينفى أن من واجبات الانسان أن يشجع تطور الحيوانات والارتفاع بها الى حيـاة اسمى من حياتها عن طريق تدريبها ، وايقـاظ مواهبها الخاملة ، والعطف المتزايد عليها (٢) .

ثم ان ثبوت وجود أجساد أثيرية لجميع الكائنـات الحيـة ، ومنها الجراد ، والضفادع ، والفئران — وقد ثبت ذلك بتجارب معملية متنوعة من بينها التقاط صـور ايجابية لها باستخدام « مخدع ويلسون للتمدد » Wilson Expansion Chamber على مابينته فى مناسبة أخرى (٣) — من شأنه أن ينفى الحاجة الى عودة الوعى الانسانى للتجسد فى صورة حيوان ما لكى يزوده بالحياة ، أو للتزود عن طريق تجسده فيه باختيار مفيد فى نمو هذا الوعى ذاته .

انما الأمر الأقرب الى الاحتمال — متى ثبت افتراض العودة للتجسد بمعنى الولادة المتكررة لنفس الكائن على المستوى الترابى — أن تكون عودة الانسان فى صـورة انسان ، وعودة أى حيوان فى صورة نفس الحيوان . وهنا ينبغى أن توضع فى الاعتبار عدة اعتبارات هامة وهى : —

---

(١) Les Témoins de L'invisible
بمقدمة من الفيلسوف المعاصر جابريل مارسيل Gabriel Marcel عضو الاكاديمية الفرنسية .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧ — ١٤٤ . وراجع عن دوام حيـاة روح الحيوان ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٨٢ — ٨٨٩ .

(٣) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٨٢ — ٨٨٩ .

أولا : أن قانون التطور من الأدنى الى الأسمى يلعب دوره دائما عند كل كائن حى ، ومهما كان التطور بطيئا فلا قيمه لذلك لأن الزمن لا حدود له فى الطبيعة .

ثانيا : أن تطور الانسان يسير فى خط مستقل عن تطور الحيوان على ما لاحظه برجسون .

ثالثا : أن المسافة بين تطور الانسان والحيوان تبدو بلا حدود على ما لاحظه نفس الفيلسوف ، حتى اذا قلنا باحتمال التطور من الحيوان الى الانسان .

رابعا : أن وراء التطور تخطيط روحى لا يمكن تعليله بالمصادفة كما لا يمكن تعليله بظواهر الحياة المادية مثل نقص الغذاء فى الطبيعة وافتراس الأقوى جثمانياً للأضعف (١) . لأن هذا الافتراس وان كان ملازماً للتطور المادى الا انه ليس التعليل المناسب له ، وفارق بين التعاصر الزمنى وبين العلية الطبيعية (٢) .

ويبدو أن النظريات الحديثة للتطور تسير فى هذا الاتجاه ، ولا تجد فى التعليل الدارونى القديم ما يروى الغليل ، أو ما يتفق مع معطيات العلوم الأخرى .

ويقول أيضا الباحث الروحى المعروف ليون دنيز Léon Denis ان الروح بعد تطور بطىء تصل الى الحالة الانسانية ، وعندئذ تحصل على المعرفة ، ولا يمكن أن تتقهقر الى الوراء . وفى جميع الدرجات فان الأشكال التى ترتديها الروح انما تعبّر عن قيمتها الخاصة . والمكان الذى تشغله الروح فى سلسلة الكائنات ملائم دائما لحالتها من التقدم .



ليون دنيز

ولا ينبغى أن نتهم الاله بأنه قد خلق أشكالا كريهة وشريرة ، فانه ليس بمقدور الكائنات أن ترتدى مظاهر الا تلك الناجمة عن ميولها وعاداتها التى اكتسبتها . وقد يحدث أن أرواحاً آدمية

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٥ - ٣٧ ، ٤٣ - ٥٢ وفى الجزء الثالث ص ١٠٧ - ١١٣ .

(٢) المرجع السابق . الجزء الثالث ص ٣٤٤ - ٣٥٥ .

تختار اجسادا آدمية ناقصة العقل أو عرضة للألم لكى تسيطر على شهواتها ، وتحصل على الصفات اللازمة لتطورها ، ولكن لا يمكن ابدا أن تمارس هذا الاختبار فى صورة كائنات دنيا حتى وان كان الكائن يقع بالضرورة تحت سيطرة الميول التى نماها فى نفسه ...

ولا يوجد بالتالى ما هو اعظم ولا اعدل ، ولا أكثر التئاما مع قانون التطور من ارتقاء الارواح الذى يحدث على مراحل تدريجية ، تكوّن فيها نفسها بنفسها ، وتتحرر تدريجيا من وطأة الغرائز ، وشطحات الأنانية لكى تستيقظ فى حياة العقل ، والحب ، والحرية . ومن العدل المطلق أن يخضع الجميع لنفس شروط التعلم ، وأن كل كائن لا يحصل على حالة عليا الا بعد الحصول على قدرات جديدة ..

وعندما تصل الروح الى الحالة الانسانية ، وتحصل على سيادتها ، ومسئوليتها الأدبية ، وتتفهم واجبها ، لا تكون بذلك قد وصلت الى نهاية تطورها ، بل بالعكس يبدأ عملها الحقيقى ، وتناديها مسئوليات جديدة . ومعارك الماضى ليست سوى تمهيد لما يدخره لها المستقبل .

فالروح تعود للميلاد فى أجساد لحمية تتتابع على هذه الكرة . وفى كل مرة تظهر الروح من جديد بأعضاء استعادت شبابها ، ورسالة التقدم التى تكون قد توقفت (أو بالأدق تباطأت) بالموت تستأنف من جديد ، وتتقدم الروح أكثر فأكثر .

وكسائحة أزلية فانه على الروح أن تصعد من مستوى الى مستوى نحو مزيد من الخير ، ونحو العقل غير المحدود ، وتكتسب مزايا جديدة ، وتنمو فى العلم ، وفى الحكمة ، وفى الفضيلة ، وفى الحب . وكل وجود أرضى ليس سوى حادثة فى حياتها الخالدة . ولا يمكن لاية روح فى هذه الفسحة القصيرة من حياتها الأرضية أن تتحرر من عيوبها ، واخطائها ، وشهواتها السفلى التى هى بقايا من حيواتها المنقضية ، بقدر ما هى شواهد تنبىء عن أصلها القديم .

وعندما نقيس الأزمنة التى كان على الانسانية ان تجتازها منذ ظهورها على الأرض حتى تصل الى حالة الحضارة ، فاننا نقدر أنه لتحقيق أهدافها ، وللصعود من ضوء الى ضوء نحو المطلق والمقدس ، كان يلزم للروح أزمنة بلا حدود ، وحيوات لا تتوقف عن طريق الميلاد المتجدد » (١) .

---

(١) عن ليون دنيز — Après La Mort p. 163 - 165

وهذه الاعتبارات مجتمعة تتعارض تماما مع القول باحتمال عودة الانسان الى الوراء فى خط التطور الذى مضت عليه حقب سحيقة تتجاوز قدرتنا على التقدير أو القياس ، وبالتالى فلا نتصور أبدا الغاء كل هذا المجهود المتواصل بالتجسد فى صورة دابة من الدواب العجماء البكماء ، مهما كانت جسامة الشرور والأخطاء . وفى آلام التجسد الأرضى ما قد يفوق كل تصور ، وما قد يصلح لمواجهة أى داء عياء فى العقل والأخلاق ، بسبب مرونة الانسان وقابليته للتكيف وللتربية عن طريق الألم المربر اذا احاق بتلك الشعلة القدسية الخالدة فيه الا وهى الروح .

المبحث الثالث

عن التطور من اللاشعور الى الشعور
(بحسب جوستاف جيلى)

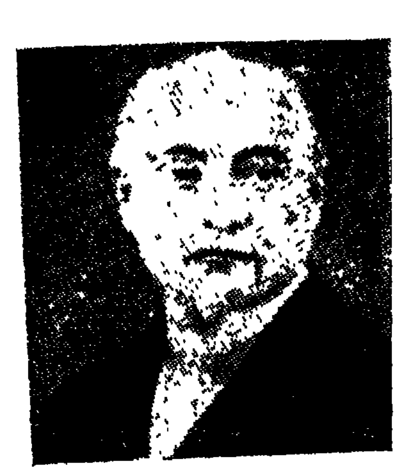
بعد أن قدمت فى المبحث السابق بعض الجوانب العامة فى نظرية التطور بمقدار اتصالها بموضوع العودة للتجسد يجمل أن أتناول فى المبحث الحالى طائفة من آراء الدكتور جوستاف جيلى Gustave Geley مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس وهو مؤسسة معترف رسمياً بأنها ذات نفع عام منذ سنة ١٩١٩ .

والأمر الذى يدفعنى الى ذلك هو أن صاحب هذه الآراء له خبرة خاصة فى بحوث الظواهر الوساطية تمكنه من الحديث فى هذه الموضوعات حديث خبير متمكن من عناصرها العديدة التى تحتاج الماماً خاصاً بأمور كثيرة ، والتى لم يعد يجدى الارتجال فى معالجتها مهما كانت قدرة الكاتب المرتجل وعلو مكانته كمفكر أو كفيلسوف نظرى .

ويبرز هذا الاتجاه عنده تحقيقاته الدقيقة فى الظواهر الوساطية ، وبوجه خاص فى ظواهر التجسدات التامة والجزئية التى جرت داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس واشترك معه فيها عدد من أبرز العلماء منهم شارل ريشيه Ch Richet عضو أكاديميتى الطب والعلوم بباريس (جائزة نوبل فى الفسيولوجيا) ، ودى جرامون de Gramont (من أكاديمية العلوم) ، والكونت ج . بوتوكى J Potocki .

وقد تميزت كلها بأسلوب مدقق وحذر تماما فى تسجيل المقدمات واستخلاص النتائج ، وكلها متزنة فى خطورتها بمقدار ماهى جديدة على الأذهان سواء [illegible] . وقد [illegible] العلامة جيلى [illegible] فى «الكوليج

دى فرانس » Collège de France وهو ارقى معهد هناك ومخصص لمناقشة القضايا العلمية الخطيرة بمعرفة جهابذة العلم والفلسفة . من ذوى السمعة العالمية .



جوستاف جيلى

فنحن لسنا هنا بالمرة فى اطار الفلسفة النظرية ، بل الفلسفة الوضعية بمفهومها الدقيق ، ولايحسن الحديث فى موضوعات التطور والشعور واللاشعور سوى عالم مدقق وضعى فى مثل مكانة جيلى الذى ينظر اليه الكثيرون بوصفه من أبرز رواد هذا النوع من البحث العلمى ، ومن أبعدهم صيتا ، وأعمقهم تفكيرا فى العالم اجمع (١) .

ونظرا للترابط الشديد بين آرائه فضلت أن أضمها معاً فى المبحث الحالى بدلا من توزيعها بين موضوعات أخرى متعددة ، رغم أنها قد تكون وثيقة اتصال ببعضها ، حرصا على عدم فصم الترابط او التكامل الواضح الذى يربط بين بعض أجزائها والبعض الآخر .

وقد عرض جيلى نظريته فى هذه الموضوعات فى مؤلف قيم عنوانه « من اللاشعور الى الشعور » (٢) (١٩١٩) انصح كل دارس لهذه الموضوعات بالعناية به ، وعنه ألخص الآراء الآتية :

عن التمييز بين صورتين من الارادة

وهو ابتداءً يطالب بوضع تمييز واضح بين الارادة اللاشعورية ، وبين مقابلها فى الشعور ، لأن كل ما هو راقٍ حقيقة ورفيع فى الانسان — وهو جوهره الخالد L'essence eternelle — مثل العبقرية ، والالهام ، وقدرة الابداع ، موضوعى ، أى ينتمى الى الارادة اللاشعورية .

---

(١) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٦٤ — ٤٦٧ ، ٥٧٤—٥٨٥ . وما ورد عن التقاط صورة روحية له داخل « الكلية البريطانية للعلم الروحى » فى الجزء الثانى ص ١٣٨ — ١٤٠ .

(٢) De L'inconscient Au Conscient.

وان دائرة الوعى التى يصنعهـا تجسيد objectivation خصائص الارادة لا تنبع الا من حيوية أو من روحية المخ psychisme cérébral ومن ثم فان الشـعور مرتبط عند الحيوانات العليـا والانسـان بموطنه العضوى (اى المخ) فهو يولد ويختفى به ، ويؤدى الموت الى أفنائه . وعلى العكس من ذلك أن ما يمثل جوهر الكائن ، وهو الارادة ، لا يمسه سوء .

فاذا كنا بالموت نفقد الوعى ، فاننا نتحول ببساطة عن طريق الموت الى حالتنا الأولى المجردة من المعرفة لكنها ليست حالة لاشعورية بصفة مطلقـة . وهى حالة فى شكلهـا ذلك تكون بلا ريب أسمى من سابقتها اذ يختفى فيهـا التعـارض بين « الشخص » و « الموضوع » . واذا كان شوبنهور يقول ان الموت يعلن عن نفسه بوصفه فناء الفرد ، لكن فى هذا الفرد تكمن نواة لكائن جديد .

ومن ثم فان ما يفنى هنا لا يفنى نهائياً ، وما يولد هنـاك لا يتلقى وجوداً جديداً فى أساسه . وما يموت يفنى ، لكن تبقى منه نواة ، تخرج منها حياة جديدة ، تدخل الآن فى الوجود دون أن تعرف من أين جاءت ، ولا لمـاذا اصبحت هكذا .

كما ينقل جيلى عن شوبنهور قوله أنه يمكن بالتالى النظر الى كل كائن انسانى من وجهتى نظـر متعارضتين : الوجهـة الأولى أنه فرد يبدأ فى الزمان وينتهى فيه ، مارا بطريقة عابرة ... والأخرى أنه كائن أصيل غير قابل للفناء يتجسد فى كل كائن موجود .

ولاريب أن كائناً كهذا يمكنه أن ينجز شيئاً أفضل من مجرد الظهور فى دنيا مثل دنيانا ، تمثل عالمـاً محدداً للألم وللموت ، كلما هو موجود فيه ، وكل ما يخرج عنه ينبغى أن ينتهى ويموت . ولكن ما لا يخـرج فيه ، وما لا يريد الخروج فيه يخترقه بكل قدرة البرق الذى يبرق عالياً بغير أن يعرف فيما بعد زمناً ولا موتاً (١) .

ومن تم فان الوعى الفردى ، وكذلك الكون ، ليس له وجود ذاتى وحقيقى . انه وظيفة مؤقتة للارادة ، ويولد من ارادة الحياة . ولذا فان ارادة الحياة تكون بمثابة خداع ضار للارادة .

---

(١) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « الاعتقاد » La Religion للفيلسوف الألمـانى المتشـاءم آرثر شوبنهور ، أما فلسفة جيلى فمؤسسة على العكس من ذلك على التفاؤل بمستقبل الانسان على ما سرد فيما بعد .

عن ماهية « الأنا »

ثم يتساءل جيلى قائلاً هل « الانا » تمثل — كما يقول علم النفس التقليدى قمة حالات الوعى ، أم انه يمكن فصلها ، وتصورها مستقلة عن تلك الحالات ؟ ويجيب بأن الجواب لم يعد محل شك وهــو أن « الأنا » لاينبغى أن تختلط بحالات الوعى ، ولكن لتفهم ذلك يلزم بذل بعض الجهد.

فنحن نتقبل بلا صعوبة تذكر أن « الانا » لا تتحدد بالجسد المــادى، كما أنها لا تتحدد بحالات العقل ، وهو ما يحتاج الى مزيد من الصعوبة . لأن الانسان بمقــدوره ان يميز ذاته عن حالاته العقلية بصعوبة اكثر مما يميزها عن كيانه العضوى .. انه ينبغى تحوير العادات العقلية الراسخة ، والاستعانة بكل صرامة المنطق للذهاب الى أبعد من قاعدة ديكارت « اننى أفكر فأنا موجود » لكى نتقبل قاعدة « اننى موجود حتى خارج أفكارى . انها تمثل حالتى ، لكن الأمور التى اتمثلها بعقلى representations mentales كلها ليست هى « الأنا » .

واذا استندنا الى الوقائع فلا يوجد شيء محقق اكثر من هذه القاعدة الاخيرة ، والمنطق فيهــا محــدد : وهو انه اذا كانت « الأنا » عبارة عن مجمــوع حالات من الشــعور (أو الوعى) ، فانه يتعذر أن نفهم كيف أن حالات الشعور تلك حتى اذا كانت سليمة لم تمس فان « الأنا » — وهى تركيب من هذه الحالات يمكنها أن تفقد الاحساس بانها متحدة معهــا ، وبالتالى تفقد القدرة على السيطرة على تركيبها الروحى ، وهذا هو أخطر ما تملكه « الانا » ؟

وانها لحقيقة أولية وهى أن تكامل حالات الشعور يوجــد فى نفس الوقت مع اختفــاء الوحدة التركيبية unité synthétique (اى الأنا) والتوجيه المركزى (اى عن طريق المخ) . وان تناقص انحراف « الأنا » أو اختفاءه هو أساس علم النفس الشاذ ، ومن المسلم به أن كل حالات الشذوذ النفسى توجد فى وقت واحد مع بقاء المراكز العصبية سليمة من الناحية التشريحية — الفسيولوجية ... اذا « فالانا » متميزة عن حالات الشــعور التى تعبر عنها . والظاهرة النموذجية من وجهة النظر التى نستند اليها هى حالات طروء تحويرات فى الشخصية .

وبالتالى فان جوهر « الأنا » لا يمكن ان يختلط بحالات الشــعور الخاضعة لها ، والثانوية فيهــا . وفيما يتعلق بالعقل — كما هى الحال فيما يتعلق بالجهاز العضوى — ينبغى التمييز بين الجوهر الدائم . وبين تمثلاته الوقتية . وحالات الوعى ليست سوى « تمثلات الأنا » . وهى

شطر متفرد من « الحركة الروحية الكونية » dynamo - psychisme universel لا ينبغي أن تختلط بما تتمثله من أمور .

بالاضافة الى ذلك فان الوقائع تبين أنه توجد فى « الأنا » ملكات تتجاوز حدود حالات الشعور ، وتسيطر على كل ما يتمثله العقل من أمور . فالالهام والعبقرية المبتدعة يتجاوزان بكثير اطار الملكات العقلية . ولا يوجد فى الالهام وفى العبقرية شيء مما يميز تسلسل المنطق ، فهما ملكتان أسمى من المنطق ، نابعتان — كما هو واضح — من الجوهر المقدس « للأنا » .

ومن باب أولى الملكات الروحية فوق المألوفة ، وخصوصاً ملكة الاستشفاف ، فانها مستقلة عن الأعضاء وغير مرتبطة بالادراك أو بالعاقلة . ولذا أقول مرة أخرى ان « الأنا » ، أى « الأنا الجوهرية » أو « الأنا الحقيقية » متميزة عن حالات الشعور ، وعن تتابع موكب ما تتمثله بصفة مؤقتة من أمور .

وليكن الأمر كذلك ، اذاً ماذا نعنى بالضبط بعبارة « الأنا الحقيقية » المتميزة عما تتمثله من أمور عقلية ؟ هل هى الجوهر المبتدع ، والارادة ، واللاشعور ، والديناميكية الروحية الأساسية ؟ ... ان الاسم لاقيمة له ، لكن ينبغى أن نعتبر « الأنا » شطراً من الديناميكية الروحية الأساسية يحتفظ بالفردية ، وبالذاكرة ، وبالاحساس بالذات حتى خارج التمثلات العقلية التى تمر بها .

عن دورات النمو فى مجرى الحياة

ولا تضيع أية ذكرى ، ولا أى اختبار نفسى أو جوهرى . ان الأعضاء تلحقها تطورات واسعة خلال مجرى الحياة ، وبلا ريب تجدد نفسها جزيئاً بعد جزىء . وحالات الشعور تتتابع بتغير بعضها عن البعض الآخر تغيرا كبيرا أو يسيرا . وان الحياة مصنوعة فى حقيقتها من سلسلة حيوات : حياة الطفولة الأولى ، ثم حياة الطفولة ، فالمراهقة ، فالرشد ، فالشيخوخة ، وكل حياة منها متميزة عن الأخرى رغم أنه يجمع بينها أساس مشترك .

وهذه الحيوات تنسى الى مدى أو الى آخر بما يبدو أنه نسيان نهائى لما مضى ، وكل نسيان منها يكون للكائن بمثابة موت صغير . ولكن خلال تجدد الجزيئات العضوية ، وحالات الشعور ، يظل قائما كائن روحى سام وعميق قام بتسجيل كل حالات الشعور هذه . وهو يحتفظ بها بطريقة غير قابلة للمحو ذوى أذا نسيت حالات شعائه ، حتى وان ظلت خامدة فى جوانبها الاكثر .

ومع ذلك فهذا ليس كل شيء ، فان الروح اللاشعورية التى تثرى بهذه الطريقة فى مجرى حياتها من كل حالات الشعور المتجددة لا تكتفى بتسجيلها ، بل تقوم بهضمها أيضاً . فان جميع ما تحصل عليه من معرفة واعية تهضمه ، ثم تحوله الى ملكات . وهـذا أمر واضح خلال مجـرى الوجود حيث نجد أن الكائن ينمو ، ويحصل على ملكات جديدة أو اكثر وضوحاً من الاحساس ، والادراك ، والمعرفة .

وهـذا النمو النفسى لا يمكن الا أن يكون ثمرة تحول المعارف الى ملكات . وهذا التحول لا شعورى ، وهو لا يجرى فى جزيئات المخ غـير المستقرة والفانية ، بل يحتاج الى كيان دائم وعميق فى الشـطر الدائم والجوهرى من الكائن ، اى فى كيانه الديناميكى — الروحى — الباطن (١) .

وهكذا يكون التغـير المستمر للشخصية الواعية ليس بذى قيمـة تذكر ، لان الفردية الباطنة الدائمة تحتفظ بالذاكرة غير القابلة للمحو عن جميع حالات الوعى التى مرت بها .

علاقة ذلك ((بالعودة للتجسد))

ثم ينتقل جيلى الى أهم نقطة تعنينا هنا مباشرة فيقول اننا اذا كنا لا نجد فى مجـرى وجـودنا الراهن سوى مصدر شطر فحسب من كنز اللاشعور ، فانه يكون من حقنا أن نبحث عما يكمل هذا المصدر فى اختبارات سابقة ، وأن نرجع الى ما وراء الوجود الراهن لتفسير اللاشعور .

ولا ريب أن هذا الاستنتاج خطير ، ويبدو لعديد من القراء كما لو كان لأول هلة غير متناسب مع الوقائع التى يستند اليها ، بل خارقاً للعقل . لكن لا ينبغى أن ينظر اليه على حدة ، بل مرتبطاً بمجموع الأدلة الأخرى ، وعندئذ يكتسب قـوة جـديدة . وليس من الصعب أن نتفهم كيف أن « الدينامیكية الروحية الجوهرية » عندما تتجسـد فى تمثلات عضـوية جديدة (أى فى أجسـاد جديدة قادرة على تمثل الأمور) تحتفظ لنفسها بالذاكرة العميقة عن الاختبارات التى حققتها فى تمثلاتها السابقة .

فبدلاً من الحديث عن وجـود واحد ، اذا تمثل الانسان وجـود سلسلة من الوجودات المتتابعة ، فانه يتفهم مباشرة كيف أمكن للانسان الحصول على الشعور بادئاً من اللاشعور الفطرى . فان كل وجود منهـا — وهى وجودات لا حصر لها ومتنوعة — قد أحدث حفراً فى الدينامیكية

---

(١) راجع ما ورد عن الذاكرة فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٥٠ ، والجزء الثانى ص ٩٤ — ١٠٧ والاشارة هنا الى الجسد الأبرى .

الجوهرية للكائن ، وترجم عن نفسه بحالة من الوعى : أى بذكرى ، وبملكة . وهكذا يتحول الكائن تدريجياً من اللاشعور الى الشعور .

وهذا الاستنتاج لا يتعثر بأى اعتراض علمى ، ومن العبث ان يجاهد الانسان فى العثور على اعتراض واحد عليه فى كتلة معارفنا . أما فيما يتعلق بنسيان الوجودات السابقة ، فانه ليست له اية قيمة بالنسبة للعلم المعاصر ، لأن الذاكرة لا تلعب الا دوراً ثانوياً فى علم النفس الحديث ، أما النسيان فهو يحدث دائماً وفى كل مكان .

ان الشطر الأكبر من الذكريات يتلاشى خلال الوجود . وذاكرة الانسان ، وأعنى بها ذاكرة المخ ، قابلة للمحو ، وهى غير وفية ، وعاجزة ، وكثيراً ما تخوننا فى الحياة اليومية والعادية . وهى كذلك من باب أولى فى الحالات الشاذة ، كالحالات الثانوية **états séconds** التى تحدث تلقائياً ، أو تلك التى تحدث فى الغيبوبة المغناطيسية أو الوساطية .

ولكن فوق هذه الذاكرة المخية ، الجزئية ، الزائلة ، توجد الذاكرة اللاشعورية ، أى الذاكرة الفردية الحقيقية الكلية ، غير القابلة للزوال ، ولا للتدمير ، شأنها فى ذلك شأن الفردية نفسها . ففى هذه الذاكرة الأساسية تظل محفورة للأبد جميع أحداث الحياة الحاضرة ، وجميع الذكريات ، وجميع المكاسب الواعية التى تم الحصول عليها عن طريق السلسلة العظمى للحيوات السابقة .

وهكذا يتأتى لنا أن نتفهم تماما التطور الفردى ، وأن نحل جميع المشكلات الطبيعية والفلسفية المتعلقة بالفرد . ولا ريب أنه من وجهة نظر « ما وراء الطبيعة » فان فكرتنا تجد مكاناً متسعا لها ، لكن من وجهة نظر علم النفس فانها لا تترك لغزاً بغير حل له (١) .

عن مستقبل الانسان

وبعد أن يعالج جيلى ما يراه فى شأن تطور الانسان فى ماضيه وحاضره يحاول أن يتوقع ماهية مصير الانسان مستندا الى استنتاج رئيسى ، وهو أن اندماج الشعور فى اللاشعور سيؤدى الى اضاءة جوانب هذا الأخير شيئاً فشيئاً ، وسيأتى وقت لا يعد فيه شىء ملغز أو غامض عن اللاشعور .

وعندما يصل الانسان الى ما نطلق عليه « قمة التطور » بمقدار ما يمكننا أن نتصور هذه القمة ، فان الانفصال الظاهر ، أو الحاجز

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٥ — ٢٢٨ ، ٢٣٢ — ٢٣٥ .

الوقتى بين الشعور واللاشعور سيختفى . وكل ما نخون الكائن مثل الملكات والمعارف ، وكل ما حازه خلال ماضيه الهائل من خبرات يصبح فى متناول يده ، كلية ، ومباشرة . وبانتظام ، وبصورة طبيعية . حتى الملكات فوق المألوفة ستكون رهن اشارة ارادته الواعية .

أى أن الكائن « اللاشاعر » سيختفى ولا يتبقى من بعد سوى الكائن الشاعر . أما جوهره الميتافيزيقى فسيظل على حاله ، لكنه سيكون قد حصل على معرفة نفسه ومعرفة ما يحيط به . وعند ذاك ، وعند ذاك فقط ستستحق الديناميكية الروحية أن تحمل اسم الارادة .

واذا كنا لا نخشى أن نذهب فى متاهات أكثر مما ينبغى من الميتافيزيقيا ، فان بمقدورنا أن نسمح لأنفسنا باستنتاج آخر ، وهو استنتاج ينبغى أن نقنع بتدوينه بحذر وتحفظ . وهو أن الاتساع غير المحدود لوعى الكائن ينبغى أن يكون من عواقبه أن يؤدى الى تفجير الحواجز الوهمية والانتقالية التى يصنعها اتخاذ الكائن صيغة الفرد L'individualisation . وبعبارة أخرى أنه يؤدى الى عودة الكائن الى الوحدة الأصلية التى خرج منها . ولكن هذه الوحدة ، التى هى تركيب من كل صور الوعى ، ستضم هذا الانسان مع الحفاظ عليه بوصفه فى جوهره كائنا خالدا لا يقبل المحو ... وهكذا فان قمة التطور يمكن تصورها كما لو كانت نيرفانا واعية (١) .

عن تحقيق سيادة الوعى

ثم ينتقل جيلى الى الحديث عن تحقيق سيادة الوعى واضعا نصب عينه وجود ثلاث معطيات رئيسية وهى : —

أولا — أن كل ما هو أساسى فى الكون أزلى ولا يمكن تدميره ، وهو دائم خلال مظاهر انتقالية للأشياء .

ثانيا — أن كل ما هو أساسى فى الكون يمر بالتطور من اللاشعور الى الشعور .

ثالثا — أن الوعى الفردى يكون جزءا لا ينفصم مما هو أساسى فى الكون . وأنه يتطور من اللاشعور الى الشعور بطريقة ابدية ، وانه بذاته لا يقبل الفناء .

ويقول أن بين هذه المعطيات الثلاث الرئيسية فى فلسفته : الاولى منها تلاقى موافقة اجماعية ، أو هى بالأقل تقع فى الأساس من كل الانظمة

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .

الفلسفية العظمى فى جميع العصور ، فاذا رفضناها فمعنى ذلك اعلان افلاس الفلسفة افلاساً تاماً . ومع ذلك فهذه المعطاة الأولى ليست فحسب وجهة نظر روحية أو عبقرية ، بل هى بديهية أولية ترتكز على أساس وضعى وطيد .

فالالهام ، والتعقل ، والوقائع كلها على اتفاق فى أن تكشف لنا عن وجود ديناميكية روحية مزودة وحدها بالوحدة وبالدوام ، أى أن لها وحدها وجود حقيقى ، ويمكن أن نكتشفها خلال التمثلات التى لا تحصى، والتى تبدو لنا محسوسة ، ومؤقتة ، ومرتبطة بالمكان ، فهى بالتالى محض خداع شأنها شأن الزمان والمكان (١) .

أما المعطاة الثانية ، فانها وان كانت تفتح الباب للنقاش ، الا أن جميع الاعتبارات الخاصة بالتطور تفرضها علينا . فان المرور من اللاشعور الى الشعور هو أقل الأشياء التى يمكن انكارها فى التطور . ذلك أن تطور الأنواع والكائنات يتضمن حدوث محاولات ، وأخطاء ، وتوقفات ، بل وتراجعات ، لكن التطور الواعى فى مجموعه لا ينقطع .

فالوعى العام يتزايد بانتقال التطور من طور الأسماك ، الى طور الزواحف ، ثم الى طور الندييات ، ثم الى طور الانسان . وعند المقارنة بين الأنواع فيما بينها فلا يوجد سوى معيار واحد محقق عن التفوق التطورى وهو الوعى المكتسب . وما يصنع هذا التفوق ليس هو التركيب ، أو التكامل العضوى ، ولا هو القوة الجثمانية ، ولا هو الموائمة مع وظيفة ممتازة أو أخرى كالقدرة على الطيران مثلا ، بل هو فحسب مدى الوعى المكتسب .

فالتطور هو فى الحقيقة الشعور بالحالة الحقيقية ، وبحالة البيئة المحيطة بنا ، وبالروابط القائمة بين الكائن الحى والوسط الذى يعيش فيه ، وبين الوسط الخاص والوسط العام . وتطور الفنون والعلوم ، وتحسين السبل التى فى أيدينا لانقاذنا من الآلام أو لاشباع حاجياتنا أمور لا تمثل بذاتها أهداف التطور . بل هى نتائج لتحقيق الهدف الأساسى وهو اكتساب الوعى اكتسابا متزايدا بالتدريج . وكل تقدم عام مشروط بالتزايد المسبَّق لدائرة الوعى ...

واذا كانت المعطاتان الأولى والثانية من فلسفتنا لا تقبلان المناقشة، وعادة لا يناقشهما أحد ، فان المعطاة الثالثة ليست كذلك ، فان دوام الوعى الفردى وتطوره غير المحدود ينكرهما غالبية الفلاسفة حتى أولئك الذين نادوا بما اقتنعنا به عن الفكرة العامة عن الأمور .

---

(١) راجع « المفصل » الجزء الثانى ص ٢٢٨ — ٢٣١ ، ٣٤٥ — ٣٧٠ .



آرثر شوبنهور

ومن ذلك أن أفيرهوز Averrboes وشـــوبنهـــور Schopenhouer يتفقان فى هـــذا الشـــأن مع المـــادبين المعاصرين اذ أن الوعى الشخصى بالنسبة لهما وظيفة من وظائف المخ ، تظهـــر بظهوره وتختفى باختفائه ... أما نحن فعلى العكس من ذلك ننادى بأن الوعى الفردى يمثل جـــزءا لا يتجـــزأ مما هو أساسى ودائم فى الكائن (أى الروح) . وأنه كان موجودا من قبل ، وأنه سيوجد مستقلا عن تطور أعضائه المتتابعة ، وعن جميع ما مـــر به من تجســـدات ومن تمثلات ، محتفظاً بالذكـــرى الكاملة لكل تمثـــلاته ، وأنه ســـينمو شـــيئاً فشـــيئاً عن طـــريق جميع الاختبارات التى مر بهـــا .

ومما لا ريب فيه أن دوام الوعى الفردى مناقض للظـــواهر . لأن الشـــطر الأكبر لمـــا اكتسبه يظـــل خلال فترة وجـــوده الأرضى فى اللاشـــعور ، وخامدا . ولذا فليس من المستغرب أن يبدو هـــذا الدوام لجمهور الدهماء كما لو كان أمراً خارقاً للعقـــل اللهم الا اذا كان هـــذا الدوام لديه مجرد بنـــد من بنود الايمان . ولكن مما يؤسف له ـــ على العكس من ذلك ـــ ومما يسبب الذهول أن يوجد فيلسوف عبقرى مثـــل شوبنهور يشاطر الدهماء رايهم بغير أن يناقشه .

ان دوام الوعى الفردى أمر تؤيده الميتافيزيقيا ، كما يؤيده العلم ، ومن الطبيعى أن تكون الادلة العلمية المؤسسة على الاحاطة بالوقائع كانت مجهولة فى وقت شـــوبنهور ولذا فات أمرها عليه . ولكن من الصعب أن نفهم غشاوته عن الاثبات الميتافيزيقى ، أو تحيزه ضد هذا الاثبات[1] .

وظيفة النسيان

ثم يعالج جيلى مشكلة النسيان قائلا ان نسيان المـــاضى عند الولادة فيه خير للانسان ، لأن من الضرورى أن يعتقد الكائن ان نطاق تصرفاته محـــدود بين الولادة والموت ، وان يجهـــل فى جانبها الاكبر ـــ مكاســـبه القديمة ، وأيضا ملكاته الدفينة .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٣٠٩ ـــ ٣١٢ .

وابتداء فان رهبه الموت مرتبطة بجهل الكائن لمركزه الحقيقى ، وهى لا غنى عنها للكائن ، لأنه بدون هــذه الرهبة الآمنــة ، لايمكن للكائن أن يبذل فى حياته الراهنة كل ما تسمح به الحياة من جهد ، وبالتــالى كان سينطلع بسهولة الى التغيير . وكل عجــز مهما كان ضــئيلا ، أو كل اضطراب عضوى مزمن سيكون فوق طاقته ، وقد يصبح الانتحار هــو العمــلة السارية بين الناس .

وجهــل الكائن لمكاسبه القديمة لا يقل لزوماً عن ذلك ، فبدونه كان سيصبح لدى الكائن ميــل لايقاوم نحو العمل الدائم فى نفس الاتجــاه القديم بسبب « قانون أقل مجهود » . وبالتالى فانه كان سيتقبل بصعوبة أى عمل جديد يتطلب منه مزيدا من الجهد . وكان سيكون مقوداً بطريقة لا تقــاوم تقريبا نحو تطــــور فى اتجاه واحد لا ينتهى الا الى تخصص متضخم وضار .

وجهل الملكات فــوق المــألوفة التى قد يحوزها الكائن هو ايضــاً ضرورة مطلقة تزيد عما تقدم ، لأن الاستخدام المنظم ، العادى ، والعملى لهذه الملكات كان سيلغى الجهد تماما . والغريزة مثال يوضح لنــا تماما هذا الاعتبار . فالغريزة ليست شيئاً آخر سوى الصيغة المنحطة والبدائية للالهــام . وهى تتضمن كالالهــام قدرا من التخمين . وماذا نجــد فى نفسية الحيوان بالمقــــارنة بغيره ؟ نجد أنه حيثما سادت الغريزة فقــد أوقفت التطور العقلى .

فالحشرة لها غريزة رائعــة تخضع لهــا خضوعا أعمى ، فتطورت الحشرة فى أمان تام ، لكن تطورها قادها الى طريق مغلق ، ويبدو أن كل تقــدم عقلى أصبح محظورا عليها بطريقة وضعية .

ولننظــر الى الحيــوانات الفقرية فنجــد على العكس من ذلك أن الغريزة المعصومة أفسحت المجال للتفكير غير المعصوم ، لكنه تفكير خصب لأنه يفترض الجهد ويتطلبه . ولذا فان التقدم العقلى عندها لم يتوقف ويسمح بأمل كبير . وما هو صحيح بالنسبة للغــريزة صحيح من باب أولى بالنسبة للملكات الغامضة المستقلة عن قيود الزمان والمكان .

فلنفترض أن انساناً بمقــدوره أن يتصرف فى الحيــاة اليــــومية بمقتضى هذه الملكات ، فيقرأ مثلا أفكار غيره من الناس ، ويرى الأشياء عن بعد . ويتمتع بالاستشفاف ، فما حاجة مثل هذا الانسان لكى يفكر ، ولكن بحسب حساب تصرفاته ، ولكى يقــدر العواقب ، ولكى يناضل ؟

فهذا الانسان قد يتجنب الخطأ ، لكنــه ايضاً سيتجنب الجهد ، وبالتالى فليس ثمــة تقــدم عقلى له . وهــذا الانسان كان ســيصبح

كالحشرة : محض آليــة رائعة . وهكذا فان التطور لو ســار فى هــذا الاتجاه فلن ينتهى الى وعى أســمى بل الى نوع من الحركيــة النومية المفرطة فى الحساسية التى تسمح بمعرفة كل شيء بدون فهم أى شيء . وهكذا فان الانسان الأسمى كان سيصبح محض آلة سامية . فمن المفيد اذآ ، بل مما لا غنى عنه أن تكون جميع الملكات الرفيعة ، شأنها شأن كل الكنز النفسانى الذى ادخره الانسان فى تطوره كائنة فى شطرها الأكبر فى اللاشــعور ، وخامدة ، فى المرحلة الراهنة من مراحل تطوره .

وصفة الخمود فيها لا تمنع هذه الملكات اللاشعورية من أن تلعب فى الوجود الأرضى دورا هاما ، بل أساسيا . فانها هى التى تكوّن المستودع النقى للكائن ، والتى تعطيه صفاته الأساســية . ولكن مظاهرها خامدة بالقــدر الكافى الذى لا يعوق الجهد ، حتى وان كانت نشطة بالقدر الذى يساعد الانسان ويرشده . وهنا يوجد توازن رائع ، رغم أنه نادرا ما يكون توازناً كاملا : فغالبية الكائنات تجهــل هــذه الملكات اكثر مما ينبغى لأنهــا لديها فى حالة ســبات . وثمة كائنات أخرى تعرف هــذه الملكات اكثر مما ينبغى فتتالم من ادراك عجزها عن تحقيق تطلعاتها الأســمى من غيرها ، ولكن هذا الألم ضريبة العبقرية .

وجهل المــاضى مثل جهل الحاضر فيه خير بدوره . فالكائن الذى بلغ الذروة فى التطــور هو الذى يمكنــه بلا متاعب أن يتعــرف على كل التكدس الضــخم لمــا مر به من اختبارات ، ومن انفعالات وعواطف ، وجهود ومعارك ، ومباهج وآلام ، وميول واحقــاد ، ومشاعر منحطــة أو سامية ، وتضحيات أو أعمال أنانية . وفى كلمة يمكنه أن يتعرف على كل ما كون تدريجيا شخصياته المتعددة ، وميّزه ، وخصصه المرة بعــد الاخــرى .

فلو عرف الانسان العادى ذلك — حتى ولو فى صورة ومضة برق — فان هذا البرق كفيل بأن يصعقه ! فان لديه ما يكفيه من اثقــال الحاضر بكل أخطائه ومشاغله . فكيف يتحمــل بالاضــافة الى ذلك آلام الأيام المــاضية ، وما ارتكبه من حماقات ومن تصرفات وضيعة ، ومن شهوات حيوانية كانت تدفعه ، ومن الملل الذى يتجاوز كل قياس عنــدما كان فى حيواته البدائية . فهل التأسى على التجسدات الممتازة يعادل ذكــريات التجسدات الاجرامية ؟

والنسيان يؤدى لحسن الحظ الى تهدئة احقاد المــاضى واطماعه العقيمة ، ويرضى بقدر معتدل الأغلال التى تقيد أكثر مما ينبغى الكائنات بعضها بالبعض الآخر ، وتحد من تحركاتها فى نفس الميدان . فكل تذكر للمــاضى لن يترتب عليه سوى اعاقة الكائن فى جهاده الحاضر ...

وفى النهاية فان الجهل بالمستقبل أمر لا غنى عنه لأسباب اقوى مما تقدم ، وأدعى الى هدوء النفس فى الأوجه الدنيا لتطور وعيها . وتعتقد الجموع أن هذا الجهل بالمستقبل نقمة كبرى ، وفى الواقع ان الجموع العادية ، أو المنحطة متأقلمة مع ظروف الحياة الراهنة . ومتكيفة مع نزعاتها السفلى ، ورغباتها الهزيلة ، ومع متعها القصيرة ، وأيضاً مع موكبها الطويل فى المآسى .

وحتى عندما تشعر باختلاجات الفن فانها لا تفلح فى أن تسمو بها الى ادراك عالم أسمى ومشاهدته . وهى تجد أنه من الطبيعى جدا — لحسن الحظ — أن تحيا فى عالم للمعارك وللآلام . وبفضل جهلها فانها لا تثور عبثاً ضد ما لا يمكن درؤه . وتجد من الأمور المألوفة — بفضل عناية الله — أن ترى نشاطها يكاد يضيع برمته فى البحث عن لقمة العيش ، أو فى النضال ضد عناصر البغضاء .

وهكذا فان مشاغلها تكون من طراز منخفض وتعيش كما هى الحال فى الاطار الذى خلقت فيه ، ولا ترى بديلا آخر لجهدها الحاضر ، وليس بمقدورها أن تتحمل بديلا آخر من جهد يسمو على الانسان ، ولا حدود له .

وحتى بالنسبة للصفوة المختارة فان الجهل بحياتها المستقبلة أمر خيّر ، فانها بدون هذا الجهل كانت ستتضاعف آلامها فى حياتها الحاضرة . وكم كانت ستكون مأساتها عندما تدرك الأثر الهزيل فى المستقبل لما يبذل فى الحاضر من جهد ضخم ، وانتفاء الجدوى مستقبلاً — بحسب الظاهر — من آلام الحاضر . وعندما تدرك أية مأساة تحققت فى مجرى التطور الانسانى لغاية الآن : فالجاذبية المفرطة للجمال الأنثوى ، كالعبقرية المفرطة للمفكر ، كلاهما مرتبطان بتكوين عضوى واهن ، وبوظائف دنيا ومنفرة ، ناهيك برواسبها وبأمراضها .

وللاستسلام لكل هذا البؤس يلزم الا تكون لدى الانسان أية فكرة عن وجود عالم للنور وللحب أسمى من عالمنا ، وذلك رغم أن بعض الأشخاص من الصفوة المختارة لديهم الالهام بوجود ذلك العالم . وهذا الالهام لا يعد مع ذلك ميزة لهم بالنظر الى الموقف الراهن من تطور الانسان . وان حزن الأشخاص المتازين امتيازاً حقيقياً ليس له من سبب آخر سوى هذه الانطلاقة غير الواعية للاحساس بعالم جميل أكثر مما ينبغى ، لكنه يبدو بعيداً كما لو كان يمثل حلماً خرافياً وعابثاً ... لكنهم وهم فى مواجهة الحقيقة الملموسة لا يتبقى لهم من تلك الرؤية التى تسمو عن الانسان العادى سوى تثبيط الهمة ، واحتقار الأشياء الحاضرة ، والقاء ظلال الكآبة على كل حياتهم .

وهكذا ترى أن هذا الجهل الذى يحيط بالكائن من ناحية موقفه الراهن ، وماضيه ، ومستقبله ، لا ينبغى أن يدعونا الى استخلاص نتيجة تشاؤمية ، لأن هـذا الجهل يكون جـزءاً لا يتجزأ من الآلام التى لا يمكن منعها ، لكنها لازمة ومثمرة .

الا أن الجهـل فى فلسفتنا أمر عابر بالضرورة ، ومرتبط بالأوجه الدنيا للتطور . وهو فى جانب منـه قابل للتخفيف أو للتوقف المؤقت ، فى نطاق محدود خلال نفس مجرى التطور ، وسيترك مكانه يوماً للمعرفة الكاملة والتامة .

واذا كان الاندماج فى الجسد يتضمن قيوداً فى اتجاه معين ، كما يبين من كل شىء ، وتحديداً للفردية الواعية ، فانه يبدو واضحاً أن الانفصال عن الجسد يكون مصحوباً باتساع حدود تلك الفردية . فالكائن يمكنه عند ذاك أن يتفهم مايعنيه فى النطاق الذى يسمح به وعيه المكتسب عن طريق التطور وهو ما كان يفلت منه عندما كان محكوماً بحدود المخ . وهذا هو ما يحدث جزئياً عند استخدام الملكات الوراء الروحية ، وهو ما يحدث لسبب أقوى عند الموت (١) .

تعليق

هـذه هى بعض جوانب فلسـفة جوستاف جيلى عن التطـور من اللاشعور الى الشعور ، وهى فلسفة أصيلة وتعتمد على حقـائق وضعية كثيرة وتفسر العـديد من ألغـاز الوجود التى صادفهـا جيلى فى حياته العادية ، كما صادفهـا فى بحـوثه فى الظواهر الوساطية بكافة أنواعهـا الفيزيقية والعقلية داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس الذى كان مديره منذ تأسيسه الى أن توفى جيلى فى حادثة سقوط طائرة فى وارسو سنة ١٩٢٥ (٢) .

وهى الى ذلك تعطينا تعليلاً يتعذر تماماً الحصول على أفضل منه عن مصدر الادراك خارج الحواس ، وتحديداً يتعذر الحصول على أنسب منه لحقيقة الصلة بين اللاشعور والشعور ، ولموضع كل منهما من تطور ملكات الانسان ، ولصلة ذلك كله بالعودة المحتملة للتجسد الأرضى مرات ومرات .

كما تساعد هـذه الفلسفة على وضع الانسان فى موضعه الصحيح من الكون بوصفه كائناً روحياً ديناميكياً لا ينتهى تطـوره نحو الأمام الى

---

(١) المرجع السابق ص ٣١٦ — ٣٢١ ، وراجع للمزيد ما ورد فى « المفصـل » الجزء الثانى ص ٢٩٤ — ٢٩٦ .

(٢) راجع ما ورد بهـذا الشأن فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٥٧ و ٣٤٩ .

لية الغرائز بقدر ما ينتمى الى حسن استخدامه لملكاته ومواهبه العقلية ، ما قد يبذله من جهد فى سبيل تنميتها وتوسيع دائرة نشاطها ، عن طريق النضال الخلقى الحكيم . ومحور هذا كله هو اقتناعه بخلود لانسان . وباحتفاظه بشخصيته ، وبكل مكاسبه العقلية والعاطفية وهو فى طريق تطوره الهادىء من اللاشعور الى الشعور ، الى أن يكون كائنا راقياً جديراً بمكانه السامى فى الطبيعة ، ومتمتعاً بقدر وافر من السعادة لا يتاح له الآن سوى شطر ضئيل جداً من هذا القدر .

فهى فلسفة من التفاؤل العلمى بمصير الانسانية ، ومن التفاؤل الذى يتجاوز كل حدود ، ما دام تطور الانسان نحو الأفضل يتجاوز بدوره كل حدود تصورنا الراهنة . وهى بالتالى فلسفة تقع على النقيض من اية فلسفة مادية بوجه عام ، ومن أية فلسفة تشاؤمية بوجه خاص . ولذا فان جبلى جعل مناقشة فلسفة شوبنهور ودحضها يقع فى الأساس من هذه الفلسفة الروحية المتفاءلة المترابطة مع المنهج العلمى بمقدار ترابطها مع منهج البحث فيما وراء الطبيعة كما قال .

وهو يصل فى تفاؤله الى حد الاعتقاد بأن الانسان حتى عندما يتكامل فى تطوره ، وتصبح ملكاته اللاشعورية ملكات شعورية لا يتلاشى فى الوعى الكونى العام ، ولا يفقد نفسه وملكاته فيه ، بل يظل محتفظاً بمكاسبه العقلية والروحية ويظل طافياً فى هذا الوعى العام كما تطفو قطع الجليد على مياه المحيط .

وهناك نقطة فى هذه الفلسفة لا تثير الآن أى نقاش فى دوائر الباحثين، وهى أن الانسان الراهن لا يمثل تجسداً تاماً لكل عناصر وعيه ، أى لكل عناصر تكوينه الشعورى واللاشعورى ، بل انه يمثل فحسب تجسداً عارضاً لجانب يتفاوت فى مداه من هذا الوعى الذى يعمل خلال المخ ، حين يظل باقيه — الى مدى أو الى آخر — خامداً خارج اطار المخ والجهاز العصبى للانسان .

ومقتضى هذا القول — عند المقتنعين بدوام حياة الانسان بعد الموت كنتيجة تفرض نفسها فرضاً تأسيساً على بينات لا تحصى توصل اليها أسلوب التحقيق الوضعى — ان الانسان يكون بعد تخليه عن جسده الترابى بفترة تتفاوت فى مداها أفضل مما كان قبل هذا التخلى ، من الناحيتين العقلية والوجدانية .

وهذا التحول نحو الافضل يجىء نتيجة زوال الحاجز القديم بين الشعور واللاشعور ، والذى كان من صنع الجسد المادى الخاضع لهيمنة المخ والجهاز العصبى ، وهما جهازان بالغا الضعف بالمقارنة بالعقل والجهاز

الأثيرى ، هذا حتى اذا صرفنا النظر عن الامراض الجثمانية التى قد تصيب المخ والجهاز العصبى من شتى المصادر وأولها الشيخوخة ، وكل أمراض الدورة الدموية أيضاً ، بالاضافة الى الأمراض التى تصيب المخ والأعصاب بصفة مباشرة .

ولذا تجد أن الروحيين المطلعين يتحدثون كثيراً عما يسمونه « ذواتنا العظمى » greater selves التى نحصل عليها عن طريق « عملية الموت » او بالأدق عن طريق عملية التحول عن طريق الموت اى مغادرة المعتقل الرهيب الذى يعتقل جانباً هاماً من شعورنا وبالتالى يعطل الاستخدام الكامل لحواسنا وملكاتنا الفطرية ، الا وهو الجسد المادى بكل ما يتحكم فيه من عناصر الضعف المتوارثة أو المكتسبة .

و « ذواتنا العظمى » ، أو بالأدق ذواتنا التى تسير سيراً حثيثاً وان كان بطيئاً نحو النمو والثراء فى العقل والوجدان ، عن طريق العلم الصادق والايمان النقى هى موضوع فلسفة النفس فى علم الروح الحديث ، كما هى موضوع فلسفة الروح فى علم النفس الحديث . ولا تعجب لما أقول ، فان علم الروح هو الوارث الشرعى لعلم النفس بمفهومه القديم ، وقد سلم تماماً بحقيقة هذه « الذات العظمى » حتى لقد أضحت فيه الآن بمقام البديهيات التى حاول الدكتور جيلى تأصيلها علمياً ، كما اتجه اليها آخرون كبار من قبله ومن بعده ، ومن أكثرهم اطلاعاً ، وأعمقهم مستوى .

وقد اختلف أكبر علماء النفس مثل مكدوجال ، وآدلر ، وبونج ، خلافات جوهرية عند محاولة وضع الحد الفاصل بين الشعور واللاشعور ، وبالتالى عند تعيين دور كل منهما فى سلوك الانسان واتجاهات مناشطه المختلفة .

ويبدو أن العلم لن ينجح فى هذا التحديد فى المستقبل القريب ، وذلك بالنظر لتداخل العقلين الواعى والباطن تداخلاً تاماً فى نشاطهما ناهيك بتداخل دور العقل الأسمى معهما فى أداء هذه المناشط . وأن اختلاط عناصر العقل المختلفة فيما بينها هو أشبه ما يكون بماء البحيرة المتحركة التى تتداخل مياهها على الدوام : ما يوجد منها فى القاع ، مع ما يوجد منها فى السطح ، مع ما يوجد منها بين القاع والسطح ، بسبب نشاط أى عامل يؤدى الى تحريك المياه ، ومنها مثلاً حركة الهواء ، والتيارات المائية التى تجرى فيها ، ناهيك بالنشاط الملاحى فيها .

وعندما يتجمد جزء من ماء البحيرة بسبب حلول فصل الشتاء من المحال تعيين مصدر هذا الجزء المتجمد فى مائها رغم أن الجليد يطفو على

السطح ، ويكون الجزء الأكبر منه (حوالى تسعة أعشاره) تحت السطح. ولكن مصدر هذا الجليد عبارة عن مياه مختلطة ومتداخلة معاً قادمة من كل مستوى من أعماق مياه البحيرة .

وعملية تجمد جزء من ماء البحيرة قادم من أعماق متفاوتة لكى يطفو وحده على السطح هو — فى تقديرى — أشبه شىء بتجسد جزء من وعى الانسان قادم من أعماق متفاوتة من وعيه المتوارث والمكتسب ، لكى يطفو وحده على السطح العاقل فى جانبه الأكبر ، ويظل أغلبه معزولاً عن باقى ماء البحيرة الذى لم يتجمد كله ، ولكنه يظل فى نفس الوقت غارقاً فيها ، حتى يذوب هذا الجليد فيعود من جديد للاختلاط بباقى ماء البحيرة .

وعملية ذوبان الجليد يقابلها فى الانسان انفصال العقل عن المخ ، بالوفاة ، فعندئذ تعود كل عناصر هذا العقل الى الاندماج — بعضها فى البعض الآخر من جديد — داخل اطار الشخصية الجديدة التى يصير اليها الوعى بعد الوفاة ، ويظل عليها . وهو مع ذلك يظل فى تفاعل دؤوب ، وعمل متواصل الى أن يحل وقت عودة جانب آخر من ماء البحيرة للتجمد جزئياً من جديد .

وكل انسان هو هذه البحيرة الصغيرة برمتها ، وليس هو مجرد قطعة الجليد المتجمدة — الى وقت ما — من هذه البحيرة . وكل بحيرة هى عبارة عن قطرة ماء صغيرة فى محيط لا يعرف العلم له حدوداً ، ولا ابعاداً هو محيط الحياة الكونية نفسها . وكل قطرة ماء مآلها فى النهاية الأخيرة الى الاندماج فى هذا المحيط الأعظم عندما تصبح القطرة جديرة بالاندماج فى المحيط . وعندئذ يحصل صاحبها على « النرفانا » أو السعادة الأزلية التى لا تعكر صفوها تجسدات ترابية سعيدة أو شقية ، متقاربة أو متباعدة ، وذلك لأن السعادة الخالصة عند تجسد جانب من الوعى فى التراب محض سراب ، وان وجدت فهى مقيدة بأغلال ومخاوف عديدة تنبع من طبيعة التجسد الترابى نفسه .

وهكذا يبدو تماماً ان قضية مصير الانسان أخطر بكثير من أن تكون قضية وجود مقيد محدود مع انتماء بالوراثة الى اعتقاد وطقوس معينة تلقى به الى جحيم لا حدود له ، وبلا مقدمات واضحة معينة وبلا منطق مقبول عادل . أو انتماء الى اعتقاد وطقوس أخرى يلقى به الى جنات لا نهاية لها ، وأيضا بلا مقدمات واضحة معينة ، وبلا منطق مقبول عادل . فقضية مصير الانسان تصبح على هذا النحو هى قضية دوام ، مع تطور. وتطور بعيد المدى ، عميق الأثر ، لا يحدث جزافاً ، بل تلعب فيه ارادة الانسان دورا يتعذر اهداره تماماً . وهو قبل كل اعتبار آخر دور روحى وأخلاقى لا يعصى على الفهم ، والتبرير ، والتقدير .

وعن طريق هذه العملية التى تتكرر عن طريق تكرار الميلاد والوفاة ، كما يتكرر تجمد ماء البحيرة عن طريق تعاقب الحر والبرد . يحدث النمو المطلوب فى عناصر الوعى المختلفة وتطورها ، واندماجها معاً فى وعى واحد متناسق ، متطور على الأمد البعيد ، مخصص لاداء رسالة فى مستوى معين من مستويات الوجــود أسمى بكثير من مستوى نشــاطه الراهن عندما يتجسد جانب منه ، أو بالأدق عندما يعتقل جانب منه فحسب للعمل فى اطار التكوين العضوى المكتسب والمتوارث للمخ ، وعن طريق هذا التكوين العضوى فحسب .

وهذه الاعتبارات تجعل من أشق ما يمكن محاولة وضع حد فاصل بين نشاط الشعور واللاشعور من جهة ، ونشاط العقل الأسمى والأسفل من جهة أخرى ، فالمشكلة ليست هينة بالمرة . وهى كالمشكلة التى يقابلها جميع الباحثين فى سلوك الانسان عندما يحاولون رسم حدود فاصلة بين ما يمت من عناصر السلوك الى الاكتساب ، وما يمت منها الى الفطرة .

ورغم تقــدم الدراسات فى « علم الانســان » و « علم النمــاذج الحيوية » Biotypologie تقــدماً نسبياً ، لا يزال من المحال رسم حــد فاصل بين عناصر الإكتساب وعناصر الفطرة ، بل لا يزال — حتى هــذه الساعة — من المحال وضع تعريف دقيق لمعنى الفطرة ومعنى الاكتساب . ولكن الأمر المحقق الوحيد هــو أن طبع الانســان لا يمكن ان يكون محض فطــرة ولا محض اكتســاب ، لأن الشخصية الانسانية او الفردية قابلة للتحول ، وللسيولة ، وللتطور بتأثير الزمن والوسط والظروف .

« فالطبع Caractère فى النطاق النفسى يمثل ما تمثله البنية أو السجية tempérament فى نطــاق وظائف الأعضــاء . ورغم التسليم ببقاء الميول الفطرية فان ردود الفعل الخارجية تظل متغيرة . فالانسان بنفس طبعه الشبابى يحــوز عادات مكتسبة تحت تأثير العوامل الخارجية قابلة لان تدعم ميوله الفطرية ، أو لأن تنال منها منالاً قوياً أو ضعيفاً .

وكما يقول بعض العلمــاء ان التسليم بأن الطبع محض اكتســاب وبالتالى متكيف مع الوسط معناه تحديد عدد الطباع بعدد الأوساط ، والخلط بين الطبع الانسانى وسيكولوجية الحيوانات العديمة الفقرات . فانه فحسب بفضل الفارق الموجود بين الطبع والشخصية يمكن الوصول الى حقيقتين تبــدوان متعارضتين فى الظاهر : همــا تحقيق شخصية الانسان بذاتها ، والتغير المستمر للروح الانسانية ، هذا التغير الذى عبّر عنه تعبيراً شعرياً نواى Noilles بقوله « لن تكون لنا ابداً الروح التى لنا فى هذه الليلة » .

هذا عن الطبع الفطرى للانسان ، أما عن العناصر البيولوجية المرتبطة به فهى تشير الى معنى نسبى يتحدد وفقا لظاهرة السلوك الانسانى المطلوب اخضاعها للدراسة ، لأنها عبارة عن علاقة بين الذات (أى الوعى بكل عناصره المتجسدة وغير المتجسدة) وبين عدة عوامل حيوية ليست غريبة عنها ، مرتبطة بها من كل جانب .

وتتوقف هذه العلاقة على طبيعة هذه العوامل وما يتولد عن تفاعل هذه وتلك من ظواهر شتى . وقد تشعبت الآراء فى شأن تحديد هذه العلاقة : فمثلا يعطى بعض العلماء قيمة خاصة للعوامل البيولوجية فى تفسير السلوك الانسانى حين يعتبرها البعض الآخر مجرد وسيلة لابراز الصفات الفطرية التى تلقاها الفرد عن طريق الوراثة (١) .

ويمكن أن يضاف اليها الآن — فى اطمئنان كاف — التأثيرات التى تلقاها عن طريق تجسداته السابقة ، وظروف هذه التجسدات وهى لا يمكن أن تنتهى عند حد فى تعددها وتنوعها . وهكذا يمكن بسهولة الاتفاق مع الدكتور جيلى فى أن اختبارات الشعور تتحول الى اللاشعور ، وأن ذكريات اللاشعور تصبح مع الوقت الطويل ملكات ومواهب يقظة فى الشعور نفسه .

عن موقف برجسون واينشتين

وفى هذا الشأن يتساءل برجسون الذى هو فيلسوف وضعى وعالم نفسى أيضا قائلا : « ماذا عسانا أن نكون فى الواقع ، أو ماذا عسى أن يكون طبعنا ان لم يكن تلك الحصيلة التى تجمعت من تاريخ حياتنا السابقة ، منذ ولادتنا حتى الآن ، ان لم نقل قبل ولادتنا ، ما دمنا نحمل معنا ميولا وراثية ، أو استعدادات سابقة على الولادة ...

صحيح اننا لا نفكر الا بجزء ضئيل من ماضينا ، ولكننا نرغب ، ونريد ، ونعمل ، بماضينا كله مع ما ينطوى عليه من اتجاه أصلى قد اتخذته نفوسنا منذ البداية . واذن فان من شأن ماضينا أن ينكشف لنا بأكمله من خلال قوته الدافعة على شكل ميل أو اتجاه ، ولو أن جانبا ضئيلا منه فقط هو الذى يستحيل الى قصور عقلى » .

ثم يقول ان من شأن الماضى أن يظل حبا باقيا فى الحاضر ، وأن من المحال على الشعور أن يمر بنفس الحالة مرتين ، وذلك لأنه مهما تكن الظروف متشابهة ، أو مهما تكن الملابسات واحدة ، فانها لا تؤثر مطلقا

---

(١) للمزيد راجع مؤلفنا فى « مبادىء علم الاجرام » طبعة ثالثة ١٩٧٤ ص ١٩١ — ١٩٧ ، والمراجع المشار اليها فيه .

فى شخصية واحـدة بعينها ، ما دامت تعرض لهـا فى لحظة جديدة من لحظات تاريخها .

ولمـا كانت شخصيتنا فى تكون مستمر لأنها تبنى ذاتها فى كل لحظة ، مستعينة بما تجمع لديهـا من تجارب فان شخصيتنا فى تغير دائم دون أدنى توقف أو انقطاع . وهذا هو السبب فى انه لا يمكن ان تتكرر فى أعماق شـعورنا حالة نفسية واحـدة ، حتى ولو بدا لنـا لأول وهلة اننا بازاء ظاهرة واحدة بعينها ... » (١) .

وهكذا يتحـدث برجسـون ليس فقط عن دور الوعى وكيف انه « لا يعمل الا بجزء ضئيل من ماضينا ، ولكننا نرغب ونريد ونعمل بماضينا كله » ، كما يتحدث أيضـاً عن أنفسنا بوصفنا الحصيلة التى تجمعت من تاريخ حياتنا السـابقة منـذ ولادتنا حتى الآن ، ان لم نقل قبل ولادتنا ما دمنا نحمل معنا « ميولاً وراثية أو استعدادات سابقة على الولادة » . وهكذا نرى برجسون وقد اقترب اقتراباً واضحاً من جيلى فى الجـوهر والمضمون .

كما ذهب برجسون الى أن « المذاهب الروحية كانت على حـق فى استماعها الى الشـعور عندما كان الشعور يؤكد الحـرية الانسانية لكن العقل ما زال موجوداً هنا ليقول ان السبب يحدد نتيجته ، وان كل شىء معاد ، وأن كل شىء موجود من قبل . وقد كانت هذه المذاهب الروحية على حق عندما آمنت بوجود شخصية فردية مطلقة ، وباستقلال الفـرد تجاه المـادة » ...

* * *

واذا تقبّلنا هذا النظر وهو ان جميع اختباراتنا المـاضية لا تزال دفينة فى اللاشعور فانه يصبح مفهوماً أمر الكثير من الأحلام التى يتعذر تعليلها بالاختبارات التى مرت بنا فى حياتنا الراهنة وحـدها . ذلك أن اللاشعور يمثل الجـانب الأعمق والأهم من الوعى ، والوعى ملازم للروح وهى لا تعرف فواصل الزمان والمكان ، لأن الروح خالدة بطبيعتها . ولأنها تمثل قبساً باهتاً من العقل الأعظم أو من الروح العظمى .

ومن ثم يكون من المفهوم احتمال قـدرة اللاشعور على رؤية بعض أحداث المستقبل رؤية صحيحة ولو على نحو ما وفى أحوال نادرة . كمـا يكون من المفهوم أيضاً احتمال قـدرة اللاشعور على رؤية بعض أحداث المـاضى رؤية صحيحة ولو على نحـو ما ، وفى أحوال نادرة . وذلك كله

---

(١) عن الدكتور زكريا ابراهيم فى « مشكلة الحياة » ١٩٧١ ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

ما دام أن المستقبل لا يعدو أن يكون ــ بحسب تعبير أينشتين ــ عبارة عن ماض آت ، وأن الماضي لا يعدو أن يكون مجرد مستقبل قد فات ! !

وهذا النظر كله لا يكون متصوراً ومفهوماً الا فى ظل فهم رباعى لأبعاد الكون تتداخل فيه على نحو أو آخر أحاسيس الزمان بأحاسيس المكان لكي تحل محل هذه وتلك أحاسيس « الحالة » . ولذا قال أينشتين « اذا كانت نظريتى عن الكون صحيحة فلابد أن توجد قوى ادراك رباعية الأبعاد » (١) . وهذا هو ما يتحقق بصورة جزئية فى بعض حالات النوم ، وفى بعض حالات الغيبوبة المغناطيسية ، والروحية . وفيها كلها قد ينشط اللاشعور الى استعراض بعض أحداث الماضى القريب أو البعيد للروح .

ومن ذلك مثلاً تنقل احساس أحد النائمين من الشعور بأنه ذو نفوذ وسلطان ، الى متسول يقف على باب دار ، الى مغامر يجتاز الأدغال حيث يغتاله أحد الأشخاص ، أو يفترسه أحد الوحوش ، الى بحار يجوب أعالى البحار ... فمن الجائز علمياً الآن أن يكون هذا الشخص قد مر باختبار حقيقى أو آخر من هذه الاختبارات فى أحد تجسداته السابقة ، بغير أن ننفى دور الرغبات المكبوتة ، وتداعى المعانى ، وقدرة اللاشعور على اعطاء رموز متنوعة ، أو أشكال عقلية متباينة . فكل تفسير منها لا ينفى الآخر ، وكل هذه التفسيرات مجتمعة لا تنفى دور الحالة الصحية والهضمية ، واختبارات الأمس القريب ، لأن المطلوب هو الوصول الى تفسير عام شامل يغطى جميع الأحلام العادية والشاذة ، فان فى الأحلام أيضاً ما هو عادى وما هو شاذ كما هو الشأن فى كل ظواهر الشعور واللاشعور (٢) .

تساؤلات اخرى حتمية

ومتى ثبت أن حياة الانسان الراهن تمثل تجسداً عارضاً جزئياً لجانب فحسب من وعيه ، فان هذا الثبوت يجر وجوبا الى التساؤل عن مصير باقى جوانب الوعى . ولماذا يتجسد مؤقتاً جانب منه دون آخر ؟ واذا كان التجسد المؤقت ضرورياً لنمو هذا الجانب المتجسد من الوعى فلماذا لا يكون لازماً لنمو باقى جوانبه ؟ وكيف يتأتى أن يحدث التناسق المرجو بين جوانب الوعى المختلفة اذا كان بعضها قد أتيحت له فرصة للنمو وللصقل لم تتح لباقى جوانبه ؟ ! .

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » . الجزء الثانى ص ٣٤٥ – ٣٧٠ .

(٢) ومن الطريف أنه ورد فى ورقة البردى « انانا » التى ترجع الى سنة ٣٢٠ قبل الميلاد هذه العبارة وهى « ان الانسان لا يذكر حيواته السابقة الا فى الحلم أحيانا أو كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة » . وراجع ما سبق عن « موقف قدماء المصريين من الاعتقاد فى العودة للتجسد .

ثم ان الألم أمر لابد منه لسمو الوعى . وهذه أيضاً بديهية مسلم بها فلسفياً منذ أقدم الأزمان . والألم فى مستوى المادة وفير غزير ، وفى مستوى ما وراء المادة أقل غزارة بكثير فى الوضع المألوف للأمور . وذلك بالنسبة للانسان العادى أو المجرد abstrait الذى توضع له اقيسة علم النفس ، والطب ، والطب النفسى ، بل واحكام التشريع الوضعى أيضاً ...

وكل هذه الاعتبارات مجتمعة تفرض نفسها فرضاً على أن تثار بمعرفة العقل المنقب فى مصير الانسان ، وفى احتمالات مستقبله القريب والبعيد ، والغاز ماضيه القريب والبعيد ... واذا ارتبطت هذه الاعتبارات بالاقتناع بدوام الحياة بعد الموت كحقيقة وضعية ، فانها تجعل احتمال العودة للتجسد أمراً غير مفتقر الى أسانيد فلسفية ووضعية وطيدة وذلك حتى اذا تركنا جانبا الاستشهاد بفلسفة الفراعنة والاغريق وبالأسانيد والنصوص المنزلة وبمعتقدات الشرق الأقصى برمته وبالهامات كبار الفلاسفة والمفكرين .

فاذا أضيف الى ما تقدم التحقيقات العلمية الدقيقة التى مرت بنا فى الفصل السابق والتى جرت باتباع عدة سبل ، وفى عدة بلاد ، وعلى مدى سنين طويلة ، وما تكشفت عنه من نتائج ايجابية صارخة فى كثير من الاحيان لتبين لنا تماما أن المعارضة المرتجلة لم تعد تمثل موقفا علمياً سليماً ناهيك بآراء الأرواح المراسلة الراقية التى يتعذر تماما اهدارها تماما فى هذا المقام أو فى مقام الفلسفة الروحية بوجه عام .

فنحن اذا وضعنا فى الاعتبار ، كل ذلك ، لتبين لنا تماما لماذا اتجه جمهور علماء الروحية العلمية اتجاها واضحا وصريحا نحو القول بأن مبدأ العودة للتجسد — رغم غرابته المفرطة للانسان العربى أو الغربى العادى — مبدأ لا يجافى الواقع ، ولا يتعارض مع تعاليم الاعتقاد ، أو الفلسفة ، أو العلم الوضعى ، متى أحسنا الفهم ، وكنا مخلصين فى محاولة تقصى الحقائق فى هذه الأمور الخطيرة التى اصبحت تلقى عناية متزايدة من جميع المنقبين فى حقيقة موضع الانسان من هذا الكون غير المحدود ، بعد طول مقاومة عنيفة بلا أساس علمى ، أو بعد طول سبات عميق بلا هدف ولا جدوى .

بقيت كلمة من هذا التعليق عن جهل الانسان بماضيه وبمستقبله أو بالأدق عن نسيانه لماضيه وعجزه عن تعرف خطى حياته المستقبلة فى مستوى المادة ، ثم فى مستوى الروح ، فان هذا الجهل يخدم تطور الانسان خدمات جليلة كما لاحظ بحق جوستاف جيلى ، ويكسب الانسان هدوءا فى حاضره واطمئنانا لمستقبله ، فما اتعس حاضر الانسان لو عرف

ما يخفيه عنه المستقبل من أحداث سعيدة ، أو سيئة لابد أن تتداخل معاً كما هى الحال دائماً .

* * *

واحتمالات نمو أو ثراء ذواتنا العظمى لا تقف عند حد ، اذا ما احسنّا اختيار طريق تطورنا نحو الأمام . فمن يحسن اختيار طريقه يصل الى هدفه فى يسر وبسرعة ، أما من تنكب طريق الصواب فعليه أن يعانى بسبب سوء اختياره الكثير من الأهوال والمتاعب قبل أن يصل الى هدفه ، الذى قد لا يصل اليه أبدا ، ما لم يغير من أساسه الطريق الذى اختاره لنفسه .

والانسان لا يحسن تخير طريق تطوره الا اذا عرف أولا كيف يحول ميوله القوية نحو الأمور المادية الى ميول أخرى قوية نحو الأمور الروحية . وهذا التحول لا يمكن أن يجىء بغتة ، بل هو مهمة التطور الطويل ، والفهم الأمين لرسالة العيش فى مستوى المادة لأعوام قد تقصر وقد تطول طبقا لتخطيط طبيعى تمتد جذوره الى ماضينا السحيق ، وترتفع اغصانه الى مستقبلنا البعيد .

وهذا كله يتطلب الارتباط بمفاهيم صحيحة عن علاقتنا بالكون . وحيثما نكون ارتباطاتنا وتطلعاتنا تكون أرواحنا أيضا ، ولذا قال سويدنبرج بحق أن « حب الانسان هو الذى يصنع له مسكنه » فخطوط ماضينا ، ومعها ارتباطاتنا وتطلعاتنا الحاضرة ، هى التى تصنع طريق تطورنا من حياة المادة فى كل هوانها الى حياة الروح فى كل مجدها الذى يفوق بمراحل كثيرة قدرة تصوراتنا الراهنة .

وهى التى تحدد لنا أيضا فترات بقائنا فى الأرض ، أو فى الأثير حيث قد تطول فترة الاقامة هناك فى المرة الواحدة لبضعة أيام ، أوسنين ، أو قرون ، أو اكثر . ولا قيمة لذلك لأن الزمن لا وجود له فيما وراء المادة ، وكل ما يلزم هو أن تهضم الروح فى كل اقامة لها اختبارات ماضيها السحيق ، وتستعد لتقبل اختبارات مستقبلها ، وذلك كله طبقاً لنواميس طبيعية للروح مفرطة فى حكمتها وفى رحمتها للانسان . وهى نواميس لا تتأثر بزمان ولا بمكان كما هو الشأن فى كل النواميس الطبيعية ، كما لا تتأثر أيضا بأى انتماء ، أو رياء ، أو تسليم ، أو انكار ...

* * *

وثمة تساؤل اخير هنا . وهو أنه اذا كان تفسير كل هذه الظواهر المتلاحقة التى تنتمى الى فصيلة الظواهر فوق المألوفة ينبغى أن ينتهى

الى قبول العودة للتجسد كمبدأ طبيعى . فما الذى يدعو البعض الى تجاهل هذا التفسير المناسب أو المكابرة فيه لغاية الآن ؟ !

كان من الممكن أن يتجه العالم الوضعى غير هذا الاتجاه ويحاول بكل السبل الوصول الى تعليل آخر ، لو كان التعليل بالعودة للتجسد لا يتوائم مع ما حصل الانسان عليه من معطيات أخرى متنوعة عن حقائق الوجود المختلفة المتصلة بالوعى الانسانى ، وبالتطور وبالمادة ... وبوجه عام بالمبادىء العامة فى الطبيعة الانسانية ، وفى البيولوجيا ، وفى السيكولوجيا . ولكننا راينا ان التعليل بالعودة للتجسد يبدو لغاية الآن أكثرها التئاماً مع هذه المعطيات فى حالتها الراهنة ، ناهيك بمبادىء الفلسفة العامة ، والعقائد المقارنة منذ أقدم العصور لغاية الآن ، على ما وضحناه فى مواضعه فى المباحث السابقة .

ومع ذلك فقد تردد بعض العلماء فى قبول التعليل بالعودة للتجسد ، ولا يزال يتردد بسبب الارتباط المسبق برفض هذا التعليل ، وان كان العدد الاكبر منهم أخذ يتحول تدريجيا اليه بسبب تدفق الوقائع الصارخة من جهة ، وبسبب التئامها الصارخ من جهة اخرى مع المعطيات العلمية المتنوعة التى سبق التعرض لها ، الى حد اننا نتوقع انه لن يمضى أكثر من بضع عشرات من السنين الا وقد أدرج الاعتقاد بالعودة للتجسد نهائياً بين هذه المعطيات نفسها .

ومما قد يساعد على ذلك ايضا ارتباط هذا التعليل بقانون خلقى وفلسفى معروف وهو قانون « الكارما » أو ارتباط النتائج بأسبابها ارتباطاً محتوما بحكم قانون العلية الطبيعية ، الذى يحكم تطور المادة بقدر ما يحكم تطور الروح أيضاً . ولذا يتعين أن نقف وقفة كافية عند قانون الكارما هذا ، وهو موضوع المبحث المقبل .

المبحث الرابع

ماذا عن قانون « الكارما »
أو الجزاء من جنس العمل

هناك عدة أمور لم يحسمها نهائيا بعد « علم الروح الحديث » رغم أهميتها القصوى ، فمن الأمور محل النقاش فى هذا الميدان بحث عدد مرات العودة ، والفاصل الزمنى بين كل حياة أرضية واخرى ، وما اذا كانت العودة اختيارية أم مفروضة على كل انسان كقاعدة عامة ، وبواعثها وظروفها .. وغيرها من أوجه النقاش بين المدارس الروحية

المختلفة على النحو الموجود فى كل ميدان من ميادين العلوم النظرية والعملية معاً .

وتنادى التعاليم الروحية السائدة بامكان العودة للتجسد على المستوى الأرضى ، وذلك كوسيلة تتخذها روح راقية - أحياناً - لأداء رسالة ما من الخدمة الراقية على هذا المستوى قد لا تؤدى الا عن طريق العيش بين البشر والاختلاط بهم . وتكون الروح فى هذا الشأن كانسان راق يقبل السفر الى بلاد نائية متخلفة حضارياً ، ويقاسى أهوالا من سوء المعاملة ومن الظروف الطبيعية القاسية فى سبيل اداء رسالة علاجية نبيلة ، أو رسالة لتخفيف ويلات مجتمعه الجديد ، أو تعريفه ببعض أسباب التقدم والعرفان اللازمة له .

كما يقولون ان العودة للتجسد قد تكون - أحيانا أخرى - وسيلة لتكفير الروح المتجسدة عن أخطائها السابقة ، أى لسداد ديون الماضى بصورة ما ، أو كيما تحصل هى نفسها على مزيد من التطور والارتقاء تحت تأثير قسوة ظروف الحياة فى هذا الكوكب الحزين المليء بصنوف الشقاء ، وبدواعى الكفاح المرير . ويعد عندئذ يوم ميلاد الروح على هذا المستوى الأرضى من أتعس أيام حياتها ، كما يعد يوم انطلاقها من أسر هذا المستوى الكئيب هو يوم الافراج المرتقب بعد طول الاعتقال فى المنفى السحيق .

فمثلا يجد عدد ضخم من الأرواح ومن الروحيين فى نظرية العودة للتجسد أو رجعة الروح هذه تفسيرا لأمور كثيرة يتعذر تفسيرها تفسيرا مقبولا بغيرها . ومنها ولادة بعض الأطفال عميانا أو مشوهين أو عاجزين ، مع أن الله تعالى عادل ورحيم ولا يتصور أن يكون قد فرض على هؤلاء الأبرياء آلاما رهيبة لغير ذنب جنوه ، أو لذنب اجترحه أحد آبائهم أو أجدادهم . اما مذهب العودة للتجسد فيقول انهم قد اجترحوا هم انفسهم فى حياة سابقة لهم ما اقتضى ولادتهم على هذا النحو للتكفير عن طريق الألم عما اجترحوه فيما مضى .

وكذلك الشأن فى تعليل كل تعاسة قد تصيب انسانا ما ، وقد لا تبدو مسئوليته عنها واضحة فى سلوك حياته الحاضرة ، فهم يقولون ان سبب تعاسته كامن فى حياته أو فى احدى حيواته السابقة ، وان هذه التعاسة تعد نتيجة محتومة لقانون الكارما Karma ، أو ارتباط النتائج ارتباطاً محتوما بأسبابها بقدر اتصال هذا الارتباط بحياة الروح التى لا تتوقف ، فهذا القانون يعلل التعاسة ، كما يعلل السعادة الراهنة

على نفس النحو عمــلا بناموس طبيعى معروف هو ناموس « الجـــزاء من جنس العمل » أو « ما تزرع اياه تحصد أيضاً » .

ماذا يقول همفريز فى « الكارما »

وفى هذا الشأن يكتب كريستماس همفريز T. Christmas Humphreys قائلا ما مضمونه ان « كارما » Karma كلمة سنسكريتية مشتقة من كلمة Kri اى جذر النبات ، وتعنى عندهم الفعـــل أو العمل . فالكارما لذا تعنى العمل أو الفعل ، لكن مع مرور الوقت أصبحت هــذه الكلمة تنطبق على ما وصفه المفكر الألمــانى ليسنج Lessing بأنه أقدم فقــه فى العــالم .

وهى من وجهـــة النظر المــادية تعنى مجـــرد قانون السببية Law of causation أو ميزان السبب والنتيجـــة ، أو ما يطلق عليه فى هذا النطاق بقانون التساوى بين الفعل ورد الفعل ، وبالتقــابل بينهما . أما من وجهة النظر الروحية ، فالكارما هى قانون الجزاء الأدبى ، ليس فحسب بمفهوم أن لكل سبب نتيجة ، بل ايضــا بمفهــوم أن من يحــرك نشاط السبب يتحمل هو نفسه النتيجة .

وقد أطلق المعلم الروحى رادا كريشنان Radakrishnan على الكارما قانون « حفظ الطاقة المعنوية » ... وهـــذا القانون ليس قانونا هندوسيا ، ولا ثيوصوفيا ، بل هو قانون أساسى فى كل فلســفة شرقية ، ونادى به القديس بولس عندما قال « أيها الأخوة ، لا تضلوا ، الله لا يشمخ عليه ، فان الذى يزرعه الانسان اياه يحصد أيضاً »[1] .

وفى القرون الأولى للمسيحية كان هذا القانون يمثل اعتقادا كنسياً فى الغرب . ولكن عنــدما اكتشف مجمع القسطنطينية فى ســنة ٥٥٣ أن العودة للتجسد لا تلتئم مع النظــام العجيب للتفــكير الذى كان بعض الأساقفة بصدد اقامته ، لذا أعلنوا ان هذه العودة تعتبر هرطقة . ومعهــا القانون الآخر الذى يجعل العــودة مقبولة ، وهو قانون الكارما .

وهذا القانون اما أن يكون صحيحاً ، واما أن يكون زائفاً . والكون اما أن يكون تنظيماً ، واما أن يكون فوضى . ومن المحال أن يكون فى جانب منه محكوماً بالقــانون ، وفى جانب آخر محكوماً بالصدف العمياء غــير العاقلة . والكارما ليست قانوناً يمكن أن يقال فى شأنه « انه من الجائز أن يوجــد ثمــة شىء ما فيـــه » . فهــو اما قانون موجـــود ، واما

---

(١) غلاطية ٦ : ٧ .

لا وجود له . فاذا كان موجوداً فان الانسـان الأحمـق هو ذلك الذى لا يستخدمه ، والانسان الحكيم هو ذلك الذى يدرسه ، ويعلنه بالطول وبالعرض ، ويطبقه على أصـغر تفصيلات حياته اليومية .

واذا لم يكن قانون الكارما صحيحاً ، فان الخطأ يكون خطـأ ضخماً الى حد فريد اذا نظرنا الى أنه ظل ينادى به كأساس لكل الحكمة المتراكمة فى العـالم منذ بدأ البحث عن الحقيقة فيه ، واذا نظرنا الى أن أحـداً لم يقـدم الينا قانونا بديلا له لتفسير ظواهر هـذه الحياة الدنيا .

ولكن هذا القانون لا يمكن فهمه الا من وجهة النظر الروحية . أما اذا نظرنا اليه بوصفه قانوناً آليـاً للاسـتحقاق والمديونية ، للأعمـال الطيبة والشريرة ، فاننا نجـرّده من كل قوته الحية . واذا كان هـذا القانون ينطوى على كل شىء مرتبط بالكون فانه ينبغى النظر اليه فحسب من ناحية شاملة ، وهذه هى النظرة الروحية اليه .

ان الانسان ينتمى الى مستويات مختلفة للادراك ، هى بمثابة نوافذ تضىء له طريق الفهم الصاعد الى فوق . وكما أن حارس الفنـار يقيم فى برج مشيد على صخرة عالية لكى يتطلع الى مستوى المصباح الذى يلقى ضوءا ليس موجهاً الى الحارس ، كذلك فان وعى الانسان عندما يتطور يكون عليه أن يتسلق من مستوى الى مستوى حتى يجد الضـوء الذى بداخله ويميل اليه ، وهو ذلك الضوء الذى يشرق للأزل .

ووراء العقل ، الذى هو جهاز التفكير ، يوجد مستوى الالهـام ، وملكة التأمل ، والتعرف المباشر على الحقيقة . وهـذا المستوى خامد فى غالبيتنا ، أو يعمل بطريقة خاملة فيعطى انعكاسا منخفضاً ، كما تفعل الغـرائز . ومع ذلك فعـلى كل انسان أن ينمى هـذا المستوى من الالهـام ... وهذا الالهـام ينفع فى اضاءة البصيرة بشعلات مناسـبة من الفهم ، وفيما بعد فان الوعى الصاعد يبدأ فى استخدامه على مستواه الخاص . وكل من اختبر هـذه الشعلات الساطعـة المنبعثـة من قلب الأشياء سـيعلم ، وسيعلم بعيدا عن كل شك ، أن هذا القانون حق .

ومن آن الى آخر ، فانه حتى على مستوى العقـل عندما تثـار الشكوك وتعوق الفهم ، يمكن أن ينظر الى هذا القانون بوصفه فحسب فقهاً مؤسساً على اعتبارات معقولة جميلة ، يمكن اختبارها وهى فى حالة نشاط للتحقق من صحتها .

فالكارما اذاً قانون يسود جميع القوانين الطبيعية الأخرى من قانون

الجاذبية ، الى قانون « المتوسطات » . وهو ليس قانوناً أعمى ، بل انه قانون حى وعاقل شأن كل شىء آخر فى الكون ...

والانسان هو الذى يصنع « كارماه » لأنها نتــاج أفكاره . و « كل ما نحن عليه الآن هو نتاج ما فكرنا فيه من قبل » ، كما ورد فى الدهامابادا Dhammapada . فهو مؤسس على أفكارنا ومصنوع منها ، فاذا كان الانسان يفكر بأفـكار شريرة أو يتصرف بها فان الألم يتبعه ، ولكن اذا كان الانسان يتحـدث بأفـكار نقيـــة أو يتصرف بهــا فان السعادة تتبعه كالظل الذى لا يريد أن يغادره ابدا .

وبين ارادة العمل والعمل يوجد التفكير ، اى الفـكرة التى يكون العمل هو التعبير الظاهر عنها . وبالتــالى فان الســيطرة على التفكير والانفعال مقدمة ضرورية لامكان السيطرة على العمل ، فمــآل الانسان اذاً يتوقف على تفكيره ... وليس للانسان أن يشكو من القــدر الذى قيد حريته ، أو أصابه بضربة ظالمــة .. وهكذا فان قانون الكارما قانون موضوعى بمعنى الكلمة ، وهو دواما فى خدمة الانسان ، وليس ومضــة خاطفة من اله بار أو منتقم . ولذا فمن غير المجدى أن يحاول الانسان أن يساومه ، أو أن يستجديه ، أو أن يجادله ، أو أن يتحداه لأنه « كما يفكر الانسان كذلك يصير » .

* * *

ان الانسان يعاقب بخطاياه لا من أجل خطاياه ، لأن الكارما لاتثيب ولا تعاقب ، بل هى فحسب تعيد التناسق الضائع . ومن يتألم يستحق الألم ، ومن لديه سبب للتنعم يحصد ما زرعه . ولكن حتى اذا كان كل انسان يستحق آلامه ، بمعنى أنه قد تسبب فيها فانه لا يوجد اى مبرر لعــدم الاكتراث لآلامه من جانب من هم أوفر منه حظاً . فعلى الأمــد البعيد لا توجد « كارما » شخصية ، بل تصرفات الفــرد هى تصرفات الجميع ، وتصرفات الجميع تؤثر فى الفرد .

وهذه « الكارمات » ، التى لا حصر لها فى اتســاعها الدامى ، هى الأساس وحجر الزاوية للأخـوة الانسانية بوصــفها حقيقة كونيــة . فجميع الأشياء حسنة فى جوهرها ، والألم يعمل فى خدمة ما هو حسن . وهكذا فاننا نتعلم ، ونتحرك عن طريق آلامنا المشتركة ، بخطوات بطيئة جداً متجهين نحــو تلك الحقيقة المقدســة النائية التى تتحــرك نحوها الخليقة برمتها .

ومع ذلك فرغم أن أن كل البشر واحد فى جوهرهم ، الا انهم — فى نابهم الحالى عن المعرفة — كائنات متفرقة . ورغم أن « الكارما » تعكس فى كل واحد تصرفات الآخرين ، الا أن الانسان المتوسط يمثل « وحدة كارمية » ، فيعانى الخير والشر الناجمين عن تصرفاته الخاصة . وهذه الحقيقة تقع فى الأساس من قانون الاستحقاق ، فجميع الأفعال الطيبة تستوجب الثواب لفاعلها فى تاريخ لاحق فى هذه الحياة أو فى حياة لاحقة، والسبب يحمل نتيجته المحتومة .

ولكن الثواب والعقاب هما أحط صور التربية كما يقول حكيم صينى ، والعلة هى أن الدافع سيكون هو الخوف أو رغبة المتعة التى تحققها الأفعال الطيبة . وتحديد الفكر على هذا النحو قد يخدم صاحبه كقانون أخلاقى بسيط ، لكنه لا يجلب الاستنارة المطلوبة ، التى تدفع الى تحقيق الخير لأجل الخير ولأجل التضامن الانسانى لا لأجل الثواب أو المتعة (١) .

* * *

ثم يقول همفريز لقد قال شوبنهور Schopenhauer — الفيلسوف الألمانى — لو أن شخصا أسيويا سأله عن تعريف لأوروبا لأجابه أنها ذلك الجانب من العالم الذى يقطنه خداع لا يصدق بأن الحياة الحاضرة للانسان تمثل دخوله الأول الى الحياة !

واذا نظرنا الى العالم ككل ، فانه ينبغى أن نقلب التساؤل قائلين : من ذا الذى لا يتقبل قانون « الكارما — العودة للميلاد » وعلى أى أساس يمكن رفضه ؟ وعلى أية حال ان من نافلة القول أن نختبر الموقف الاوروبى نحو هذا الموضوع ، مع أن غالبية المؤلفات عنه تقدم بينات عديدة مع ثراء فى التفصيلات والاحالات ، مما يبين الى أى مدى قد انتشر الآن هذا الاعتقاد .

ومن جانب آخر فقد لاحظ أوين روتر Owen Rutter أنه لا يوجد انسان — فيما يبدو — يريد ان يتقبل فلسفة لا تنتمى اليه ، ولا يريد بالضرورة أن يقتنع بأسانيد الحقيقة لمجرد ان الرجال الأذكياء قد اقتنعوا بها خلال عصور التاريخ . ومع ذلك اذا كانت الأسانيد لاتقنع سوى القليل من الأشخاص فان العديد منهم على استعداد للاصغاء الى

---

(١) تلخيص عن كتاب « الكارما والعودة للميلاد » ص ١٣ — ٢٩ .
Karma and Rebirth.

التفسيرات ، خصوصاً عندما تتصل هذه التفسيرات بالمفارقات والآلام ، التى يقدم لها هذا القانون وحده تفسيرا ملتئما مع العقل ومع الاختيار .

وفى مقدمة كتابه عن « العودة للتجسد » يقول أ. د. والكر E. D. Walker انه اذا اعتنق كل العالم المتحضر عقيدة العودة للتجسد فانه سيجد فيها اجابة شافية عن لغز سقوط الانسان ومصيره ، ولكن العالم الغربى لا يزال مشغولا بالغزو المادى للعالم ، مكتويا بنار الفلسفة المادية ، ففقد ايمانه القديم وانزلق الى اقليم مظلم التهبت فيه لهفته على الأشياء « العملية » .

كما يعالج همفريز موضوع بناء الطبع فيقول انه فى ظل هذا القانون يمكن للانسان أن يخطط لبناء طبعه فى المستقبل بغير نظر الى الوقت الذى يلزمه متبعاً الشعار الآتى : « ازرع فكرا احصد عملا ، وازرع عملا احصد عادة ، وازرع عادة احصد طبعا ، وازرع طبعا احصد مصيرا » ، وهكذا تجرى القاعدة القديمة التى تبدو الآن صحيحة .

فهل أنت مجهد من طبع يميل الى الكآبة ؟ ابحث عن سببه وابعد هذا السبب . وهل أنت تبحث عن قدرة أعظم مما تملك لتركيز العقل ؟ لا يوجد انسان بمقدوره أن يحرمك منها اذا صحت عزيمتك على أن تضع خطة لتقدم الذات ، مع تنفيذ هذه الخطة . وعندما يتقبل انسان عمل الكارما ويتفهمه جزئياً فان بمقدوره أن يبدأ فوراً فى بناء طبعه ، واضعا كل حجر بحذر مدروس ، عالماً أنه يبنى نفسه للأبدية .

ولا يوجد هنا جرى مندفع الى فوق والى تحت ، وتخبط بين خطة معينة لليوم ، وأخرى للغد ، وانتفاء كل خطة لما بعد الغد ، بل يوجد تخطيط مدروس بعناية لبناء الطبع ، كما يريده صاحبه ، وعندئذ تصبح الروح مهندسا ، وبناءً ، ولا تضيع بعد الآن لحظة واحدة فى اتخاذ بداءات فاشلة .

وكل ذلك يحتاج الى وقت ، ولدن يوجد وقت للصبر ، وكلاهما لتنفيذ العمل برمته ، ولانتظار اللحظة الصحيحة المناسبة لكل عمل . وهكذا يمتلىء الاناء ، بوضع الماء فيه نقطة بعد أخرى ، بالخير أو بالشر . ومن جانب آخر فثمة تناسق فى تتابع الأحداث ، تنبغى دراسته والافادة منه ...

والأخطاء لابد منها ، لكن من يريد أن يتعلم عليه أن يدفع الثمن المطلوب ، وأن يتراجع عن الخطأ ، ثم يسير فى طريق الصواب . وسيتعلم من أخطائه الخاصة كيف يصبح أقل انتقادا للآخرين ، فأولئك الذين

يحتقرهم يقفون الآن فى نفس الموضع الذى وقف فيـه هو من قبـل . وعندما يصل الى القمم التى أمامه سيرى من هم أكثر منه تطـورا من الرجال .

والاخطاء ستقع ، وسيدفع ثمنها بالقـدر المناسب كما هو الشأن فى كل مقام آخـر ، لأن القيم تنتمى الى العقـول لا الى الأشياء ، وبقـدر ما يتطور العقل ، كذلك تتطور عنده القيم ، ومقدرته على التقييم الحكيم . والخطيئة والألم امران ينبغى أن يعاد النظر فى تقييمهما على الدوام ، وهذه رسالة الزمن ، لأن الزمن وحده هو الذى يفصل بين أولئك الذين هم أدنى منا فى سـلم التطور ، وأولئك الذين هم أعلى منا فى هذا السلم .

وهكذا ينبغى أن يكون الشـأن أيضا بالنسبة للموت وللخـوف من الموت . وعندما نبـدأ فى النظر الى الجسد بوصفه رداء للروح ، وننظـر الى الروح أو الذات العائدة بوصفها هى انفسنا ، فمن اين اذاً يجيء الأسى عند الحاجة الى النوم ، أو عند الحاجة الى الراحة فى غروب النهار ؟

والدرس الذى يحصـله الانسان جيـدا ، لا يمـكن فيمـا بعد أن يشتريه غالياً . وكثيرون من أولئـك الذين خسروا فى غمـرة الحرب كل ما يملكون قد تعلموا من هذا الاستاذ القاسى وهو الحرب تفاهة كل مايملكه الانسان عندما يدرك أنه لا يملك شيئا الا ما يكون عليه هو نفسه .

وطريق الوصول هو ابدا « الحـل الوسط » ، اى طـريق الاعتدال وتفادى التطرفات ، لأن كل نقيض يؤدى الى نقيضـه : وهو ما يقتضى القول بأن الفعل ورد الفعل متساويان ومتعارضان ... والحل الوسط يجتاز بك — بين المتناقضات — السبيل الآمن فى رفق وفى تعقـل الى حـد أنه لا يصدر منك ابدا فعل يعقبه رد فعل ضار ، وعندئذ فلا حاجة بالذات لأن تتألم من نتائج افعالها ، لأن العمل الكامل لا يسبب ألمـاً (١) .

« الكارما » فى المفهوم الثيوصوفى

وتكتب الباحثة القديرة السيدة آنى بيزانت Annie Beasant — وهى من أعلام المدرسة الثيوصوفية — عن الكارما قائلة ما مفـاده أنه بعد تحرر الروح من العناصر السـفلى (الجسـد الترابى) تذهب الى مستوى فى عالم الغيب تطلق عليه وصف ديفاشان Devachan (وهو ماخوذ من الفلسفة الهندية) حيث تمضى فترة متناسبة مع ثراء صورها العقلية mental images (وهى تتوقف على مستوى تطورها ونضجها) أو فاقة تلك الصور .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٦٢ — ٧٢ .

الذات أثره بوصــفه صــورة عقلية لنشاط سيسقط جانباً على المستوى الفيزيقى (الأرضى) بوصفه نشاطاً فيزيقياً الى أن تحين اللحظة المناسبة لبلورة هذا الفكر فى صــورة عمل . والنشاط الفيزيقى لا مفر منه عندما تكون الصورة العقلية قد تم تحقيقها بوصفها عملاً على مستوى الديفاشان (ما وراء المــادى) .

ونفس القانون ينطبق على الصــور العقلية عندما تكون قائمة على رغبات منحطة . وصور كتلك الصور — رغم أنها لا تمر أبداً الى مستوى « الديفاشان » — لكنها عرضــة لنفس الموكب الذى ســبق بيانه ، ولأن تستعاد من جديد فى طريق العودة الى الأرض .

فالكارما السببية Causative Karma قانون كامل ، والنشــــاط الفيزيقى يصبح نتيجته التى لا مفر منها ، عندما يصل الى المستوى الذى يسمح بتكرار جديد للصورة العقلية التى تعنى الانتقال الى مرحلة التنفيذ. ولا ينبغى ان ننسى أن تكرار عمــل معين من شأنه أن يجعل هــذا العمل آلياً ، وهذا القانون يعمل على المستويات الاخرى غير المستوى الفيزيقى . ومن ثم فان التكرار المنتظم لعمل ما على المستوى الروحى سيجعل هذا العمــل آلياً وعندما تحين الفرصة على المستوى الفيزيقى فان صاحبه سيعيد تكراره آلياً على هذا المستوى .

وكم يقال عادة بعد ارتكاب جريمة معينة « لقد وقعت قبل ان أفكر فيها » ، أو « لو كنت قد فكرت فيها لمــا ارتكبتها أبداً » ؟ والقائل على حق تماماً فى زعمه بأنه لم يكن عندئذ مدفوعاً بفكرة مدروسة . وبطبيعة الحال هــو يجهل الأفكار الســـابقة ، وتسلسل الأسباب التى أدت الى النتيجة المحتومة ...

فالصور العقلية المخزونة فى الذاكرة ، شأنها شأن الاختبارات التى مرت بها الروح فى حياتها الأرضية ، وشأن التسجيل الدقيق للعمل الذى بنى عليها فى العالم الخارجى ، ينبغى أن تؤثر فى نشاط الروح . وبدراسة ذلك ، وبالتأمل فيه تتعلم الروح كيف تنظر الى الروابط القائمة ، والى قيمتها بالنسبة لأعمال العقل الكونى العام الذى تكشف فى الطبيعة . وفى الجملة فان الروح تستخرج منها — بالتفكير المثابر فيها — جميع الدروس التى عليها أن تتعلمها .

ومنها دروس اللذة والالم ، أو اللذة التى تغذى الألم ، والالم الذى يغــذى اللذة . ودروس وجود نواميس لا تخرق ينبغى على الروح أن تتعلم كيف تتكيف معها . ودروس النجاح والفشل ، والانجاز والخيبة ،

والمخاوف التى يبين أنها على غير أساس ، والآمال التى يعوزها التحقيق . ودروس القوة عندما تنهار أمام الاختبار ، والمعرفة الموهومة التى تؤذى نفسها كالجهالة سـواء بسـواء . ودروس التحمل الصبور عندما يحمى النصر من الهزيمة الوهمية ، والصبر عندما يهزم النصر الموهوم .

والروح تمر بكل ذلك ، وبقدراتها السحرية تحـوّل كل هذا النسيج من الخبرات الى درة من الحكمة ، فتعود بذلك الى الأرض كروح احكم مما كانت ، وأقدر على تحمل احداث حياتها الجديدة بثقل اختبارات حياتها القديمة . وهنا أيضاً تكون الصور العقلية قد تحـوّلت ، ولا تكون بعد مجرد صور عقلية ، وان كان يمكن فحسب استخراجها فى شكلها القديم من سجلاتها الكارمية .

ومن الصور العقلية للاختبارات ، وبوجه خاص من تلك التى عانى منها الانسان بسبب جهله « بالقـانون » يولد الضمير وينمو . فالروح خلال حيواتها الأرضية المتتابعة ، تقودها الرغبة نحو شىء جذاب ، وفى متابعتهـا له تصـطدم « بالقانون » فتسقط متالمة دامية . واختبارات متعددة كهـذه تعلمها أن اشباع الرغبات ضد « القانون » يزرع بذور الألم . وعندما تحاول الروح فى حيـاة جديدة اشباع نفس الرغبات عن طريق جسـد الرغبة ، فان ذاكرة الاختبارات السابقة تتحـرك بوصفها ضميراً ، وتصرخ عالياً بأن ذلك محظور ...

والروح تقف على عتبة ما وراء المـادة فى المستوى الذى اطلقت عليه « مستوى العودة للتجسد » حاملة معها نتيجة عملها سواءً أكان هـذا العمـل صغيراً أم كبيراً .. وعلى ذلك كله تتوقف سرعة تطـورها ونمو ملكاتها ، وشكل جسدها الأثيرى والهالة التى تنتمى اليها بوصفها فرداً ، والتى تتفاوت فى مدى مجدها ، وسطوع أضوائها ، واتساعها ، بحسب مرحلة التطور الذى وصلت اليه الروح (١) .

« الكارما » والعدالة الالهية

ولذا يقول المقتنعون بصحة عقيدة العودة للتجسد ان فى الاحساس بقانون الكارما هذا - اذا ما رسخ فى النفس رسوخاً كافياً - ما قد يحقق وظيفة الردع العام التى يسعى رجال القانون واللاهوت الى تحقيقها عن طريق العقاب ، كما ان فى صرامة هـذا الناموس الطبيعى ما قد يحقق بصورة فعالة هادفة وظيفة الردع الخاص ، اى تقويم اعوجاج النفس أيضـاً .

---

(١) من مؤلف لها عنوانه « كارما » Karma ص ٣٥ - ٤٣ .

ويقولون ان هـذا الاحساس اذا ما رسخ فى النفس رسوخاً تاماً قد يكون اعمـق أثرا فى تحقيق الوظيفتين معاً من مجرد التلويح للناس بنار ابدية يصعب اقناعهم من الناحية العاطفية والمنطقية بوجودها الحقيقى مع احساسهم بأن من يعرف ظروف الناس بغفر الكثير من زلاتهم وبأن الله رحيم وعادل ، ولا يتصـور أن يستخدم مع خليقتـه اسلوب التعـذيب الأزلى ، أو الانتقام الرهيب بالنيران الذى قد يتجاوز بمراحـل كثيرة ما يسمح به قلب الاب البـار الرحيم نحـو أبنائه مهمـا كان مدى عقوقهم للنواميس الأخلاقية .

واية كانت خطيئة الابن فى مدى جسامتها ، فان قلب الاب فى النهاية هيهات ان يتحجر ، أو أن يقسو الى حد النيران الابدية الحقيقية المـادية التى لا تنطفىء . والتى هى — فى نظر بعض الروحيين — مجرد كناية عن عذاب الضـمير ، والتطهير الابدى عن طريق الالام المتجـددة فى ظروف متجددة قد يكون فيها من القسوة ما يكفى للردع وللتقويم ، مثل الولادة على الأرض فى فاقة كاملة ، او فى سوية خلقى ، أو فى داء عياء كالسلل ، او العمى ، أو الجـذام ... وذلك حتى تسـدد الروح ديونهـا بالألم ، وتستحق عن طريق تطورها العقلى والخلقى البطىء — وهما متلازمان ولو الى حد ما — مكاناً اسمى فى عالم المـادة والروح .

وهكذا يرى اصحاب هذا الاعتقاد أن العقـوبة المحققة التوقيع — ولو كانت خفيفة فى نظر البعض — اجدى فى تحقيق وظيفة الردع العام وفى تقـويم الاعوجاج من التلويح بالعقوبة الشـديدة اذا لم تكن محققـة التوقيع ، وهو المبدأ الذى فطن اليه عدد من أبرز الفلاسفة مثل منتسكيو ، وروسـو ، وبكاريا ، وغيرهم ، وعليه تقوم سياسـة الشرائع العقابية المتحضرة كلها ، ناهيك بجميع المدارس المعاصرة .

* * *

كما يرى أصحاب هـذا الاعتقاد ان الجنة بمفهوم السعادة الأبدية لا يستحقها اشـد الناس على الأرض طهارة ، لأنه لا توجـد نفس بشرية عادية عاشت على الأرض — مهما كان سموها — لم تتلوث بأوزار الخطيئة على نحو أو آخر ، والى مـدى او آخر . كما ان النار بمفهوم الاحتراق الأبدى لا يستحقها اشـد الناس على الأرض اثما وفساداً ، لانه لا توجد نفس عاشت على الأرض — مهما كان انحطاطها وتدهورها — خلت تماماً من جانب أو آخر من جوانب البر والخير ، ولو بالأقربين ، ولو بدافع ما حتى ولو كان هذا الدافع انانيا فى النهاية .

الأرواح عن تعليل بعض حالات البله والجنون بأنها تمثل سيطرة غير كافية من الروح حاملة العقل على جهازها المادى ، الذى تعبِّر به عن نفسها خلال فترة تجسدها على الأرض ، وبما قد يفسح المجال لحدوث بعض حالات المس بل الاستحواذ أيضاً (١) .

ويراعى أنه لا يوجد أى تعارض بين تعليل البله أو الجنون بالمس ، أو بالاستحواذ ، أو بالعوامل الوراثية ، أو باضطرابات وظيفية عضوية ، أو بالدورة الدموية ، أو بالصدمات العصبية ، وبين التعليل بقانون الكارما أو بسداد دين الماضى . وذلك لأن هذه التعليلات الأولى تمثل التعليلات القريبة أو المباشرة ، لكن يوجد دائماً وراء الأسباب المباشرة لأية ظاهرة من ظواهر الوجود المادى أو الروحى ، أسباب أخرى غير مباشرة تمتد الى الماضى البعيد وتتعدد بطبيعها تعدداً لا نهاية له .

وهذه الأسباب البعيدة او غير المباشرة هى تلك التى يعنى بها « علم الروح الحديث » الذى يعنى بالمثل بالبحث عن الأسباب غير المباشرة لكل ما قد يعانيه الانسان من أعراض ، وأمراض ، وآلام ، ومن بينهما ظاهرة التخلف العقلى فى كل أنواعها ، ودرجاتها . وهذا هو الفارق بين دائرة نشاط هذا العلم ، ودائرة نشاط العلوم الطبيعية الأخرى مثل علم النفس ، والطب النفسى ، والطب العام والتكوينى ، وعلم الاجتماع ...

ويراعى دائماً ان علم الروح ينبغى أن يُفهم بدوره على أنه علم طبيعى الا انه غير مرتبط بالفلسفة المادية عن الوجود ، وهو أدخل فى طائفة العلوم الانسانية منها فى غيرها ، وهو الآن أهمها بلا ريب فى قدرته على الكشف عن الكثير من أسرار الذات الانسانية ، وبالتالى فى تخفيف بعض ويلاتها ومتاعبها .

وقد بحثوا فى « جمعية باريس الروحية » موضوع صلة البله والجنون بقانون الكارما ، اى بسلوك الروح فى تجسداتها السابقة ، وتداولوا فى هذا الشأن مع احد الأرواح المراسلة ويدعى بيير جوتى Pierre Jouty فأملى الروح البيان الآتى : « البلهاء كائنات تعاقب على الأرض بسبب سوء استخدامها لملكاتها القوية ، فتكون أرواحهم سجينة فى جسم تنوء اعضاؤه العاجزة عن التعبير عن أفكارهم . وهذا العجز العقلى والجثمانى من أقسى صور العقاب الأرضى ، وكثيراً ما تطلبه الأرواح التائبة التى تريد أن تكفّر عن أخطائها .

---

(١) راجع ما ورد فيه فى ص ٨٢٢ — ٨٢٧ .

وهـذه المحنة ليست عقيمة بالمرة ، لان الروح لا تظـل متوقفة فى سجنها اللحمى ، لان عينيها المشدوهتين تبصران ، وعقلها الحائر يتصور ، لكن لا يمكن التعبير المطلوب لا بالقول ولا بالنظر . وفيما عـدا الحركة ، فان الروح تكون معنوياً فيما يشبه السبات أو التشنج . فهى ترى وتسمع ما يجرى من حولها بغير أن تقدر على التعبير عن نفسها .

وعندما يصيبك فى الحلم كابوس مخيف عن خطـر تريد ان تفلت منه ، فتصرخ طالباً النجدة بينما يظل لسانك معقودا فى فمك ، وتظل قدماك مقيدتين على الأرض فأنت تمر بمحنة عابرة يحيا فيها المعتوه على الدوام ، وهى محنة شلل الجسم عندما يكون مرتبطاً بحياة الروح .

وجميع التشوهات لهـا علة وجودها ، لانه لا يوجد أمر بلا علة ، وما قد تطلقون عليه ظلم المصير هو تطبيق لأسـمى صـور العدالة ، والجنون هو كذلك عقاب لسوء اسـتخدام الملكات العليا . والمجنـون له شخصيتان احداهما خارجة عن الوعى ، والثانية تملك الوعى عن حركاتها ، لكنها لا تملك السيطرة عليها .

أما بالنسبة للبلهاء فان حياة التأمل والعزلة لأرواحهم التى لا تملك نعيم الجسد ، قد تكون اكثر اضطرابا من حياة أولئك الذين يمرون بأحداث معقدة جدا . وبعضهم قد يثور ضد هذا التعذيب الاختيارى ، ويندم على سبق اختياره ، ويشعر برغبة جامحة فى العودة الى حياة اخرى ، وهى رغبة تدفعهم الى نسيان التسليم بالحياة الحاضرة ، لأن البلهـاء والمجانين قد يعلمون أكثر منكم بحالتهم ، وقد تختفى تحت عجزهم الجثمانى قدرة معنوية ليست لديكم فكرة عنها .

وأعمال الغضب أو البلاهة التى قـد يندفع اليهـا الجسـد كثيرا ما ينقدها الكائن الداخلى الذى يتألم منها ويحمر خجـلا . ومن ثم فان انتهارهم وسبهم ، واساءة معاملتهم ، كمـا يحـدث أحيانا ، يؤدى الى زيادة آلامهم ويدعو الى مضاعفة الاحساس على صورة قاسية بعجزهم وانحطاطهم ...

والبلاهة ليست قانونا من قوانين الله ، وقد يتمكن العلم من التغلب عليها لأنها تمثل النتـاج المـادى للجهالة ، وللتعاسة ، وللدنس . ووسائل الصحة الحـديثة التى جعلها العلم فى متناول الجميـع تميـل الى التغلب عليها . واذا كان التقدم هو الوضع الصريح للانسانيـة ، فان الاختبارات المفروضة ستتبدل ، وستتبع مسيرة الزمن ، وستصبح الاختبارات كلهـا معنوية . وعندما تكون أرضكم — التى لا تزال شابة — قد انجزت جميـع

اوجه وجودها ، فانها ستصبح مقـرا للتنعم ، كما هى الحـال فى كواكب اخرى أكثر تقدما » . بيير جولى

* * *

ثم يكتب آلان كاردك الفيلسوف والرائد الروحى المعـروف تعليقا فى هذا الشأن مقتضاه أنه مر وقت كان يثار فيه التساؤل عما اذا كان البلهاء والمجانين ينتمون حقيقة الى الجنس الانسانى ، ولكن الطريقة التى تواجه بها الروحية مشكلتهم أليست ذات قيمة خلقية وتعليمية عالية ؟ الا نجد هنا مصـدرا لتأملات جادة بالتفكير فى أن هذه الأجسام القاصرة قد تضـم أرواحا ربما تكون قد لمعت فى العالم ، وهى مثـل أرواحنا فى قدرتها على الوضوح وعلى التعقل ، لكنها مغلفة بغلاف كثيف من جسد عاجز (الاشارة الى الجهاز العصبى) يحد من قدراتها التعبيرية ، واننا قد نصبح يوماً مثلهم لو اننا أسأنا استخدام الملكات التى وهبتنا العناية اياها ؟

والا فكيف يمكننا أن نفسر نقص العقـل ؟ وكيف يمكننا أن نجعله ملتئما مع عدالة الله وطيبته بغير أن نتقبل تعدد الحيوات ؟ واذا لم تكن الروح قد عاشت من قبل فمقتضى ذلك أنها خلقت مع الجسم فى وقت واحد ، وفى هذه الحالة خلق الله أرواحا بائسة ، كأرواح ناقصى العقول ، مع انه اله عادل ورحيم ؟

ولا يتعلق الأمر هنا بحادثة من تلك الحوادث التى يمكن تفاديهـا او علاجها ، بل ان هذه الكائنات تولد وتموت فى نفس الحالة ، وليست لديها أية فكرة عن الخير والشر فما هو مصيرها فى الأبدية ؟ وهل ستكون سعيدة بمقدار سعادة الأشخاص الأذكياء العاملين ؟ هل ستكون فى حالة محايدة أو مختلطة ليست بالسعيدة ولا بالتعيسـة ؟ ولكن لم هـذه الدونيـة الأبدية ؟ فهـل من خطئـهم أن يـكون الله قد خلقهم ناقصى العقـول ؟

اننا نتحدى كل أولئك الذين يرفضون فقـه العـودة للتجسد أن يخرجوا من هذا المـأزق . اما مع قبول هذا الفقه فعلى العكس من ذلك ان ما يبـدو الآن ظلما صارخا يصبح عدالة رائعة ، وما يبدو الآن غـير قابل للتفسير يصبح مفسرًا بأكثر الأساليب التئاما مع المنطق .

بالاضافة الى اننا لا نعرف أن رافضى هـذا الفقه قد قدموا الينـا حججاً اخرى سوى نفورهم الشخصى من العودة الى الأرض . وعن هـذا النفور نقول لهم : ان الله لا يطلب لاعادتكم الى الأرض أن تأذنوا له بذلك، كما أن القـاضى لا يطلب من المتهم الاذن بارساله الى السـجن . وكل

انسان يملك امكانية عدم العودة اذا ترقى بما يكفى كيما يستحق الذهاب الى مستوى أعلى ، ولكن فى تلك المستويات السعيدة الأنانية والكبرياء مرفوضان ، فيتعين بالتالى العمل على التخلى عن هاتين الرذيلتين الخلقيتين ، اذا كان الانسان يرغب حقا فى الصعود قدما .

ومن المعلوم أنه فى بعض الأوساط لا يكون ناقصو العقول عرضة للازدراء ، بل محلا للرعاية ، الا يستمد هذا الشعور مصدره من الهام صادق بحالة أولئك التعساء ، وهو شعور جدير بالتقدير ، خصوصاً لأن أرواحهم التى ينبغى أن تدرك حالتهم تتألم حتماً عندما ترى نفسها نفاية للمجتمع ؟

بل انهم فى تلك الأوساط يعتبرون أن من مصادر الثواب والبركة احتضان أحد أولئك التعساء فى الأسرة ، فهل هذه خرافة ؟ من الجائز أن يكون الأمر كذلك ، لأنه فى الأوساط الساذجة قد تمتزج الخرافة مع أكثر الأفكار قداسة بغير قصد . وفى جميع الحالات تكون هذه للآباء فرصة لممارسة البر ، الذى يزيد من مجده أن ناقصى العقول يكونون فى المعتاد من الفقراء ، فعبء تربيتهم يكون بلا مقابل مادى لمن يتولى العناية بهم .

ويكون الثواب عن العناية العطوفة بطفل ناقص الادراك أعظم قدرا اذا كان هذا الطفل أميل الى التخريب ، وذلك لأن برّ القلب أسمى الفضائل المقبولة من الله ، وهو يجلب دائما بركته على من يطبقونه . وهذا الشعور الفطرى الكامن عند أولئك الأشخاص يعادل هذه الصلاة : « الشكر لك يا الله لأنك منحتنا كاختبار لنا كائنا ضعيفا لكى نرعاه وحزيناً لكى نواسيه » (١) .

ماذا يقول ماترلنك فى الكارما ؟

وممن تناولوا موضوع احتمال العودة للتجسد والكارما الباحث البلجيكى والأديب المعروف موريس ماترلنك Maurice Maeterlinck (جائزة نوبل فى الأدب) (٢) ، وله أكثر من مؤلف تناول فيه موضوع الظواهر الروحية . وفى مؤلف قيم له عنوانه « الموت » (٣) يشير الى هذا

---

(١) من كتاب « الجنة والنار » Le Ciel et L'Enfer طبعة ١٩٢٣ ص ٤٧٦ - ٤٧٩ .

(٢) راجع ما سبق عنه فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٨٥ .

(٣) La Mort.

الموضوع كمجرد احتمال ليس هناك ما ينفيه وان كان فى نظره لم يثبت بعد علميا الثبوت الكامل ، حتى تاريخ صدور هــذا الكتاب وهو سنة ١٩١٣ (ولم يكن امامه تقريبا سوى اختبارات دى روشا التى أشار اليها صراحة ودافع عن قيمتها وقيمة صاحبها) .

وهو يأسف لذلك ، لأنه — فى تقديره — « لم يوجد قط من قبــل إعتقاد أكثر جمالا ، وعدالة ، ونقــاء ، وخلقا ، وغنى فى نتائجه ، وتعزية، وقربا الى التصور من هذا الاعتقاد .

فهو بما يقيمه من فقه عن التــكفير ، والتطهــير المتتابع مرة بعــد الأخرى ، يفسر التفاوت بين انسان وآخر فى الجســد وفى العقل . كما يفسر المفارقات الاجتماعية ، وما يبــدو من مظالم صارخة فى المصائر . ولكن مزايا أى اعتقاد ليست دليلا على صحته . وبالرغم من أن هــــذا الاعتقاد يمثل عقيدة ستمائة مليون من البشر (١) ، فهو أقربها الى تفسير الأصــول الخفية ، ولعله التفســير الوحيد الذى لا يثــير الامتعاض ، ولا يبدو بعيدا عن التصور ، وينبغى أن يلقى من العناية فى دراسته أكثر مما يلقــاه غيره ، وأن يقــدم لنا الباحثـــون فيه أدلة لا تدحض ، أما ما قدموه لنا حتى الآن (قبل سنة ١٩١٣) فهو ليس أكثر من ظـــلال أوليــة لأدلة لا تزال فى مبدئها » .

كما يقــول أيضا « انه حتى لو ثبتت نظــرية العودة الى التجسد علميا ، ومعها حياة الانسان بعد الموت ، فان ذلك لا يكفى لحل مشــكلة التساؤل الهام عن الأصل وعن المصــير ، وهما المشكلتان الأساســيتان للانسان ، بل ان ثبوت ذلك يؤدى فحسب الى تراجع المشكلتين للوراء لعــدة قرون ، أو لعــدة آلاف من السنين بأمل ان نفقد المشــكلتين أو ننساها فى الصمت أو فى الفضاء » ... (٢) .

* * *

ولعقيدة العودة الى التجسد غير ما تقدم مزايا أخرى وهى تخفيف حدة الفواصل الصناعية التى قد تفصــل بين شتى الأجنــاس والاديان والألوان . فبحسب هذه النظــرية قد يتعاقب الشــخص الواحد على التجسد فى أجناس مختلفة ، وفى اديان متنوعة ، وفى ذلك وحده مايدعوه

(١) يشير ماترلنك الى ذيوع هذا الاعتقاد فى بلاد الشرق الأقصى بوجه عام . وعقيدة العودة للتجسد هذه تمثل الآن عقيدة أكثر من نصف سكان الكرة الأرضية ، أى حوالى ثلاثة اضعاف الرقم الذى تصوره ماترلنك فى سنة ١٩١٣ وان كانت قد داخلتها الأساطير ، والخرافات كمــا هى الحال دائما . وعلى اية حال ان ذيوع اى اعتقــاد لا يصلح دليــلا للاثبات ولا للنفى .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٨ — ١٧١ .

حتما الى أن ينظر بعين الوداعة والتسامح الى باقى الأجناس والاديان الأخرى ، اذ من الجائز أنه كان بين اتباعها يوما ما ، أو انه سيكون يوما ما من هؤلاء الاتباع ، فى تجسد لاحق عندما تشاء ذلك مشيئة الله . فعلام هذا الاعتداد المفرط بالانتماء الى جنس دون آخر ، أو الى دين دون غيره فى مرحلة التجسد الحالى ؟ .

وفى كل تجسد جديد من المفروض أن يكتسب الانسان خبرة جديدة وخلقا متزايدا ، ولعل ذلك يعطى تفسيرا مقبولا لحكمة بارىء هذا الكون التى سمحت بتعدد الأجناس ، والالوان ، والاكوان ، والاديان ، على النحو المعروف وذلك لزيادة فرص التعلم والاختبار ، ولتحقيق رسالة التطور ، ومعها رسالة المحبة والتسامح .

بل انه قد يكون من آثار الاعتقاد بالعودة الى التجسد تخفيف حدة التعصب حتى بين الذكور والاناث : فهى بما قد تسمح به من احتمال التجسد مرة فى الذكورة وأخرى فى الانوثة ، تحمل الانسان خصوصا الرجل على الا يحتقر الجنس الضعيف لمجرد ضعفه ! .. ان الفروق بين الجنسين — اذا ما استبعدنا ما يسند منها الى طبيعة الجنس Sex الذى ينتمى اليه الانسان — ليست قوية ، بل ضئيلة عند من تعودوا أن يتعمقوا فى بحث انفعالات الروح ، ودوافعها ، وغرائزها بعيدا عن الارتباط بجسد من نوع معين .

فبين الشقيق وشقيقته ، أو الأم وابنها ، قد تجد أحيانا من وجوه التشابه فى الشكل وفى الوعى ما قد يسترعى الأنظار ويحير الالباب ، وما قد لا تجده بين شقيقين كليهما من الذكور ! ثم ان للجنسين معا ميلا للتقارب اشار اليه فيكتور هيجو عندما لاحظ أن أول أعراض الحب الصادق فى الرجل هو الخجل ، وفى الفتاة الجرأة .. فللجنسين ميل غريزى للتقارب ، وكل منهما قد يتخذ صفات الآخر .

ماذا يقول كايس فى « الكارما » ؟

وممن تناولوا موضوع « الكارما » وصلتها بالعودة للتجسد الوسيط والبحاثة الأمريكى المعروف ادرجار كايس E. Cayce ويتساءل كايس لماذا جعلنا الله تعالى ننسى حيواتنا الماضية ؟ ويجيب بأن الحكمة فى ذلك هى أنه يريد أن يحمينا من ذكريات آثامنا الماضية التى قد تكون رهيبة ، بل رهيبة جدا فى بعض الأحيان لأنه لا يريد أن يجرب انسانا باكثر من طاقته على تحمل الألم والمهانة .

كما يقول ان أغلب الأشخاص يسيئون فى الوقت الحاضر فهم « الظروف الكارمية » . فكل روح أو كائن عليه أن يحصل على الفهم

الصحيح لمعنى القدر . والقــدر مودع بداخلنــا ويلزمنا الايمــان بذلك ، فهو بمثابة منحة من القوى الخالقة لنــا . وبالتالى فان التأثير «الكارمى» يكون فى هذه الحالة فهما ثوريا ضــد فــكرة القضاء والقدر الخارجيين . ويستشهد فى هذا الشان بقول بولس الرسول « اذا كنتم تحيون حسب الناموس فبحسب النــاموس تدانون ، ولكن اذا كنتم تحيــون بحسب الايمــان فبحسب الايمــان تدانون » .

فينبغى اذا أن تفهمــوا أن ناموس الله هــو الــكامل ، وليس فهم الناس لهــذا الناموس . وينبغى تحقيــق الناموس فهــل ســتحققونه بأنفسكم ، أم ســتدعون الآخرين يفعلون لكم ذلك ؟ ... ان « من يبحث يجد ، ومن يطــرق البــاب ينفتح له » ... وهــذه نواميس لا يتــأتى دحضها ، ولا تغييرها .

و « الكارما » عبارة عن رد فعل روحى يمكن أن يقارن برد الفعــل فى الجسد عندما يتناول الانســان طعاما فيتحــول الطعام الى جــزء من الجسد نفسه ، ويتخلل الى كل خليــة حية فيه ، ويؤثر فى صحة الجسد والعقل . وهذا هو ما يحدث فى الروح عندما تحل فى جسد للاختبار على الأرض ، وتصبح أفكار الانسان ، مقترنة بأفعــاله الناجمــة عن هــذه الأفكار بمثابة الغــذاء الذى تتغــذى به خلايا الروح . وهــذه الأفكار والأفعال ولدتها بدورها أفكار وأفعال سابقة لها منذ مولد الروح .

فاذا ما دخلت الروح الى جسد جديد فقد انفتح أمامها باب جديد يقود الى فرصة لبناء قدر الروح . وكل ماسبق بناؤه فيما سبق من خير ومن شر داخل فى هذه الفرصة . وتوجد أيضا فرصة للغفران ، ولــكن لا توجد فرصــة للافلات من المسئوليات التى تقبلت الروح نفســها أن تتحملها .

وهكذا تكون الحياة ســبيلا للتطور ، واعدادا لتطهير الروح ، رغم أن الحياة تمثــل ســبيلا شاقا للوعى الفيزيقى ، وللجسد الفيزيقى . ثم يأتى التغــير ، ويعتقــد البعض أن الحظ هو الذى تدخل ، لكنــه ليس الحظ ، بل هو ثمــرة ما صــنعته الروح عنــدما أتيحت لها فرصــة الغفــران .

وبالتالى فانه بحسب كايس يكون ناموس الكارما عبارة عن مجــرد تقصير منك فى الارتفاع الى المستوى الذى تعلم انه ينبغى عليك أن تصل اليه . وكما تريد أن يغفر الله لك ذنوبك عليك انت ايضا أن تغفر للآخرين ، وهذا هو الأسلوب الذى علينا ان نواجه به قانون الكارما .

ولا يتأتى لارادة الله ، ولا لارادة البشر أن ترغم اى انسان على أن يغفر لنفسه أو للاخرين ما لم يعتزم هو نفسه أن يفعل ذلك . فله الحرية فى أن يظل مقيما فى « مطهره » الذى اختاره لنفسه الى أن يختار حالة أخرى غيره .

والى أن يطور الانسان نفسه تطويرا كافيا فى طريق الاستنارة حتى ينتزع نفسه من حالته بمجهوداته الخاصة ماذا يستفيد من التساؤل قائلا « لماذا لا أذكر الماضى ؟ » ان من الأولى أن يقول « بل انى ليسعدنى الا أتذكره » . وذلك حتى لو كان النسيان يحرمه من نعمة تذكر حيواته الماضية التى يكون قد عاشها كملاك خادم للنفوس الأخرى المحيطة به ، فمات محبوباً ، ومحلا للتكريم وللاحترام . ولكن كل خير أنجزته الروح سيظل دواما مع الروح ، ولا يتأتى للروح أن تحرم من نعمة الخير الذى صنعته .

ومهما كانت ظروفك اليمة فى الحياة الحاضرة فانك قد وضعت نفسك فيها بعدم اكتراثك السابق بالنواميس الالهية . وكل ناموس تخرقه فانت تخرقه بمحض ارادتك الحرة التى منحك اياها الخالق منذ البداية . ولقد تخيرت وحدك أن تكون حيثما أنت كائن فى هذه اللحظة . وان ذلك يتيح لك بالأقل شرف الاقرار بأنك قارفت أخطاءك الخاصة وما يمنحه ذلك من احترام للذات ، حتى وان كان الاقرار مصدرا فى تبديد أوهامك بأنك ضحية اله غضوب ، منتقم ، يراقبك بلا عدالة ، ولا فهم ، ولا حرية لك .

ولعله لهذه الاعتبارات يتعذر التوفيق بين أضواء الايمان المستنير ، وبين فكرة النار الأبدية فى جهنم . ولذا فان الاله الوحيد الذى عرفه ادجار كايس عندما كان يروح فى غيبوبته كان الها للرحمة غير المحدودة التى غفرت لجميعنا ذنوبنا بالفعل ، وليضع كل قارىء فى ذهنه أن كل ناموس من نواميسه — بحسب العودة للتجسد — يتبع أسلوب الرحمة ، ولا يمكنه أن يتبع اى أسلوب آخر .

ولذا يقول كايس أيضا أن كل كائن فى حرب مع نفسه ؛ وان كل كراهية وخبث ، وكل ما يجعل الانسان خائفا ينبغى استبعاده من الذهن ، لأنه كما قيل لنا منذ القدم سيتعين على كل روح أن تقدم حسابا عن كل كلمة تفوهت بها ، وكل خلجة شعرت بها ، حتى وان كانت الروح تعلم أو ينبغى أن تعلم أن ثمة صلحا حدث مع الآب ... وأن ناموس الغفران يمثل المقابل الأزلى لناموس الحساب عن الديون المتراكمة . وهو يتدخل عند العمل فى غير أنانية لاسعاد الآخرين ، لأن ما تزرع اياه تحصد أيضا ، وذلك ما لم تنتقل من سطوة ناموس الكارما

الى ناموس الغفران ، وغالبية الأرواح تتقلب فيما يبدو بين هذين الناموسين (١) .

تعليق

عند مقارنة آراء الباحثين فى الكارما من المدرسة الثيوصوفية بآراء الباحثين الروحيين المتحررين من الارتباط المسبّق بأية مدرسة عقيدية أو فلسفية نجد فارقا واضحا هو أن الأوائل يغفلون تماما – أو يكادون – وجود نواميس طبيعية للغفران تعمل الى جانب نواميس الجزاء ، حين يتحدث الآخرون عادة عن وجود هذه النواميس وتلك جنباً الى جنب .

وفى واقع الأمر – الذى اقتنعت به – هو أننا لا ينبغى أن ننكر وجود نواميس للغفران . ومع مراعاة أن كلمة نواميس تشير بذاتها الى أن الغفران – وهو أعظم هبة فى الوجود ؛ والزم الهبات لسعادة النفس وخلاصها من آلامها – لا يمكن أن يمنح جزافاً ؛ بل يخضع بدوره لقوانين ، أى لضوابط طبيعية .

ومن غير المقبول ان يقال ان مجرد التوبة – ولو كانت خالصة وصادرة من القلب – تكفى للغفران ، خصوصا وأن التوبة – بحسب اجماع البحوث الروحية – جائزة هنا وهناك ، وفى كل وقت . ان التوبة الخالصة قد تمنح صاحبها قدرا ولو ضئيلا من الرضاء أو من الاطمئنان، لكنها لا تكفى لمحو آثار أخطاء الماضى القريب أو السحيق ، بل يلزم أيضا حسبما أكده آلان كاردك – وهو من أبرز فلاسفة الروحية وأعمقهم اثرا حتى الآن – اصلاح الضرر الذى يكون الانسان المخطىء – بسبب خرقه لناموس من النواميس الطبيعية للأخلاق – قد ألحقه بضحيته البائسة .

واصلاح الضرر لا يكون بالضرورة عن طريق معاناة الألم وحدها ، بل قد يكون أيضا – ومن باب أولى – عن طريق احساس الانسان احساسا شعوريا أو لا شعوريا بانه ينبغى عليه باتخاذ سلوك معين أن يصلح ضررا أحدثه بغيره نتيجة اتخاذه سلوكا مغايرا .

وهذا الاحساس نفسه قد يكون مصحوبا بالسعادة لا بالألم ، لأن كل انسان يؤدى خدمة حقيقية للعدالة ، أو لتضميد جراح الآخرين ، أو لتحقيق رغباتهم المشروعة ، يشعر أو ينبغى أن يشعر بالسعادة مهما

---

(١) عن كتاب Noval Laugley : Edgar Cayce on Reincarnation, p. 40 - 52.

تكبّد من المتاعب ، أو مهما صادفه من الصعوبات الأليمة ، خصوصاً عندما تربطه روابط كارمية بهؤلاء الآخرين . وهذه الروابط العريقة قد تمثل بذاتها ثمرة تطور الانسان ، ونتاج سلوك ماضيه ، وتلعب دورها في صيغة قانون للتجاذب أو للتوافق الاجتماعي مستمد من قاعدة أن كل شبيه منجذب الى شبيهه .

وعلى اية حال فان من مقتضيات الايمان بالكارما الايمان بأن روح الانسان باقية ، وأنها بمثابة سجل خالد يحفظ لصاحبه كل أعماله ، ومشاعره ، وعواطفه . فلا شيء قابل للزوال ، وان كانت جميع الاشياء تمثل نتائجا واسبابا في حالة تفاعل دائم ، وتولد آثارها المحتومة بدقة تفوق الوصف : ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً . وعلى قدر الخير تكون سعادة الانسان وهي اعز امانيه ، وعلى قدر الشر يكون شقاؤه وهو الد اعدائه .

والكل يخطىء ، لانه في افضل الناس يوجد جانب ولو باهت من الشر ، وفي شر الناس يوجد جانب ولو باهت من الخير . وما دمنا نملك القدرة على التسلق فاننا نملك ايضا القدرة على السقوط . والقدرة على ان تكون اخيارا ونصنع الخير ينبغي أن تكون لها قدرة مقابلة على أن تكون أشرارا ونصنع الشر . فكل هذه خصائص للتعبير عن قدرة الانسان على التفكير ، وعلى الحركة .

ففي كل انسان منا قدر فحسب من الكمال الخامد ، وهذا هو الارث الروحي لجميع البشر . واعلى صور الكمال هي القدرة على ان نغتفر اساءات الآخرين نحونا — مهما كانت جسيمة — وهي تمثل مجرد قبس باهت ضئيل من قدرة الله على ان يغفر لنا اخطاءنا عندما نغتفر للآخرين اخطاءهم وبنفس المقدار تماما .

وبقدر ما نعطي ناخذ ، وبقدر ما نسعد الآخرين نصبح اهلا للسعادة . واذا غفرنا فاننا نحب ، واذا احببنا فاننا نمحو الكراهية من قلوبنا وننسى الألم الملازم لها . ومن هنا يمكن القول بأن الكراهية لا يمكن في ناموس الطبيعة أن تنتهي الى كراهية ، لانها لا تلبث ان تتحول عن طريق المغفرة الى محبة ، والمحبة الى تطور وارتقاء .

وهكذا فان المدن ، والجبال ، والقارات ، قد تزول ويمحى أثرها ، اما خلجة واحدة من خلجات الانسان للخير أو للشر فلا تضيع هباء ، بل هي تولد نتائجها الى ما لا نهاية . وهكذا فان اية خديعة لنواميس الطبيعة لا قيمة لها في سفر الحياة ، ومشكلة المشكلات هي في معرفة

اين الخطأ واين الصـواب فى تصرفات الانسان ؛ ثم فى كيفية الارتبـاط بالصواب ولو عظمت مسغبته ؛ وتجنب الخطأ ولو عظم اغراؤه .

ولا تحسبن أن الصواب واضح والخطأ واضح ، فان ضمائر البشر تتفاوت تفاوتا ضخما فى مدى نضجها وتطورها . وكثيرا ما تكون حقـائق الحياة محجوبة عن ضمير الانسان — حتى ولو كان ناضـجا متطـورا — بغيوم كثيفة من الانانية ومن الاعتـداد بالذات ، ومن شـهوات الدنيـا الباطلة ، ومن القيم الاجتماعية المقلوبة . ومن المفاهيم الخلقية الخاطئة ، التى قد تزين للانسان أفدح الشرور فى صورة أعظم الفضائل .

ولابد اذا من تحـديد ماهية الخطأ والصـواب فى نواميس الطبيعة الراقية ، وهذه هى رسالة فلسفة الروح فى انبل اهدافها التى تسعى الى تحقيقها وتحاول على قـدر طاقتهـا الاضطلاع بها ، وتقديمها للانسانية خالية من شوائب الأوهام والترهات العريقة المتوارثة من جيل الى جيل . وتشترك مع الفلاسفة فى نضالهم النبيل طائفة من الأرواح الراقيـة التى تدرك تماماً مدى حاجة الانسانية فى مرحلة تطورها الراهنة لاستكناه القيم الروحية الصادقة ولمحاولة بذل غاية الجهـد فى تعريف بنى البشر بها ، ودفعهم الى محاولة التقيد بها فى افعالهم . ومشاعرهم ، وعواطفهم ، فان اصروا على الخطأ فلابد من تصحيح الاخطاء فى النهاية .

وسـواء أتم تصحيح اخطاء المـاضى عن طريق الألم — الجثمانى أو النفسى — أم عن طريق الخدمة ، فى غمرة المحبة والتفانى ازاء الآخرين، فان تصحيح اضرار الماضى هو فى النهاية باب الغفران الذى فتحته الطبيعة على مصراعيه لمن يريد ان يتوب توبة حقيقية خالصة ؛ ليحصل عن طريق هذه التوبة على اعظم هبة فى الوجود . وهى هبة النسيان والغفران .

فالغفران لا يعطى جزافا ، ولا من باب المحاباة . ولا يعطى نتيجة لتوبة سلبية لا اثر لها فى اصلاح خطأ المـاضى ، بل يعطى كنتيجة طبيعية للتوبة ، ولغفران ذنوب الآخرين ثم لاصلاح الخطأ الصادر منا بكل آثاره . وهـو يبدو على هـذا النحو ناموساً طبيعياً للروح يعمل تلقائياً مثل كل النواميس الطبيعية الأخرى التى تحكم تطور الروح والتى تتحكم فى عوامل شقائها وسعادتها ، وسقوطها ونهوضها ، وذبولها وازدهارها ...

وهـو يعمل سـواء أسلمنا به أم انكرناه ، وشعرنا به أم جهلناه . وكأننا فى حدود هذا المفهوم المحدد للغفران يكون علينا أن نصلح فى الأثير اضرار اخطاء حيـاة الأرض . وأن نصـلح فى الأرض أضرار أخطـاء حيـاة الأثير . ومع مراعاة أن المـادة أثير . والأثير مادة وكلاهما محكوم بالعقل

ولو على نحــو ما . وكل الفارق بينهما هو فى رتبة الاهتزاز ، وبالتالى فى مدى اتصاله بحواسنا العاجزة جدا .

عن اثر « الكارما » فى طبائع الشعوب

وعلى اية حال فان الاعتقاد بالكارما اية كانت صيغتـــه ــ أمر له اثره العميق فى طبائع الشعوب . ومن يدرى فلعل رســوخ هــذه العقيدة رسوخاً شديدا فى الهند كان له اثره فيما عرف عن اهلها من ميل حقيقى الى السلام ، ومن اتجاه مخلص الى الوداعة ، والقناعة ، والأمانة ، والوفاء أيضاً ، الى حد قلما يجد له الانسان نظيراً خارج الهند ؟ ناهيك بما عرف عن اهلها أيضــاً من التعلق الشديد بكل ما يتصــل بالروح ، وبالخلود ، وبالأديان ، وبالتدريبات الروحية الشاقة ؟

وهذا لا ينفى فى نفس الوقت أن الهند تعانى تخلفاً ملموساً فى جوانب روحية عــديدة ، كان له صــداه أيضاً فى التعلق الشــديد بالشخوص وبالطقوس ، وفى انتشــار الخــرافات الضارة بل القاتلة احياناً ، ناهيك بتفشى الروح السلبية فى مواجهة العديد من مشكلات الحياة ، والغموض الشديد فى مواجهة العديد من أمور الاعتقاد .

فمن يتصور مثلاً أن غاندى البطل ، القديس ، كان رغم كل مبادئه السامية متعلقــاً بالكثير من الخرافات الضارة ؟ فمثلاً نجــده يقول عن نفسه أنه لا يتناول البيض « وحــدث فى وقت ما ان كادت احدى كنائتى تهلك من ســوء التغذية ، وقد الح طبيبها على تناول البيض فلم أوافق . وأجابنى الطبيب ان البيض غير ملقح ولذا ينتفى القتل (قتل البيضة !) . واذ ذاك سمحت لكنئتى عن طيب خاطر أن تأكل البيض ، وقد استعادت صحتها حالاً » أما هو فقد رفض تناول البيض ــ سواء أكان ملقحاً أم غير ملقح ــ وذلك حتى وفاته ، وباصرار عجيب (١) .

وهكذا تجد أن الخرافات باسم الدين لا تزال تعوق تقدم الشرق ، ولا تزال مسئولة الى حد كبير عن تخلفه ، لأنها تؤدى فى كثير من الأحيان الى تعطيل دور العقل مهما كان ناضجاً ، ودور الأخلاق أيضاً مهما كانت نامية وسامية . ولسنا نقصد مجرد الخرافات الخاصة بالأكل والشرب ، اذ لعلهــا أهونها شأنا ، بل نقصد جميع الخرافات الخاصــة بغذاء العقل والعاطفة ، والتى تكاد تفترس العقل والعاطفة افتراساً رهيباً لا هوادة فيه.

---

(١) راجــع « فلســفة الهند فى سيرة يوجى » تعريب الأستاذ زكى عوض المحامى سنة ١٩٥٥ ، ص ٤٦٩ .

وهكذا تجد ايضاً ان الاعتقاد عرضـة لأن يتأثر بالبيئة ، كما هـو عرضة لأن يؤثر فيها على نحو او آخر ولو على الأمد البعيد . وكلما كانت مفاهيم الاعتقاد اكثر صحة ونقاءً : كلما كان اثره اكثر وضوحاً ، وكلما كانت مقاومته لعوامل الضعف أو الانحلال التى قد تجىء من جانب البيئة اروع أثراً واطول أمداً .

والاعتقاد فى النهاية — بكل مفاهيمه — كائن نام متطور ، وهو فى نفس الوقت من اقوى عوامل التطور اذا ما احسن فهمه ، ومن أقوى عوامـل التخلف اذا ما أسىء فهمه .

ولذا ايضـاً فان الاعتقاد الواحد فى البيئة الواحدة قـد يسفر عن رسوخ مفاهيم نقية صحيحة تدفع الانسان دفعاً نحو الأمام بمقدار ما قد يسفر عن مفاهيم ضارة غير مشرقة بالمرة تدفعه دفعاً الى الجمود والتخلف. والتخلف فيما يبدو يمثل الخطيئة الكبرى فى الحياة لأنها خاضعة خضوعاً تاماً لناموس التطور والارتقاء فى العقل والعاطفة لا فى الملبس والمـأكل ... وفى هـذا الميدان بالذات فليعمل المخلصون من مفكرى الشرق والساعون الى دفع عوامل جموده وتخلفه ، وتوفير أسباب تطوره وارتقائه .

* * *

كما يعتقد بعض المؤلفين ان رسوخ هذا الاعتقاد نفسه فى اليابان كان له اثره الملموس فى « سيكولوجية » الشعب اليـابانى ، وما يتميز به من روح فدائية عديمة المثال نحـو الوطن والامبراطور . ومن الذائع عندهم الاعتقاد بأن من يموت شجاعاً يتلقى الجزاء فوراً بالعودة للتجسد فى مستوى اجتماعى أعلى من مستواه السابق .

فمن يموت لأجل الامبراطور او الوطن وهـو عامل فقير ، أو صانع مغمور ، سيعود للتجسد غنياً ، أو نبيلاً ، أو من ذوى الألقاب . ويترتب على ذلك انك تجد الانسان هناك — مهما كان من فئة متواضعة فى الشعب — لا يحمل اية ضغينة ضـد الفئات العليا ، لأنه متيقن انه بميلاده فى فئته المتواضعة انما يدفع ثمن أخطاء المـاضى . كما يعلم ان الانسان الغنى يتلقى جزاءً سخياً عن تضحياته السابقة .

لذا فان الجندى اليابانى يعدو ملهوفاً نحو الموت عدْوا ، أما الجندى الأوروبى فيحتاج الى الكثير من التركيز الخاص على الارادة حتى يموت فى الحرب موتاً نظيفاً . وهذا موضوع متصل بطبائع الشعوب ، ولكن دعونا هنا — كما يقول الدكتور جيرار انكوس — نركز على قوة هـذا الاعتقاد فى

عقول الشرق الأقصى (١) .

المبحث الخامس

عن « العودة للتجسد » في بعض جوانبها العامة (بحسب شودزموند)

أظن أن الفصول والمباحث السابقة ليست شحيحة بالبينات عن عقيدة العودة للتجسد ، التى أخذت تترى فى تدفق مثير للانتباه منذ بدات محاولات الباحثين العلميين للوصول الى جواب حاسم فى شأنها بوصفها عقيدة تقع فى الصميم من موضوعات عديدة تمس « علم الانسان » مساساً مباشراً واصيلاً .

وفى نفس الوقت اخذت تتضح تدريجياً عناصر ارتباط هذه العقيدة بامور كثيرة أصبحت الآن فى مقام المعطيات العلمية الثابتة : وبخاصة ما تعلق منها بتعليل التطور وتحديد بعض اهدافه . ناهيك بتعليل اللاشعور ، وتحديد الصلة بينه وبين الشعور ... الخ على النحو الذى ورد فيما سبق .

على انه مهما كانت قوة البينات القائمة فى جانب هذا « الاحتمال » ، هناك تساؤل هام ينبغى ان يثار بالحاح : وهو الى اى مدى يصلح هذا « الاحتمال » ينبوعاً للفكر وللشعور لدى الانسان العصرى ، اى لدى الانسان الذى يظن الكثيرون انه قد قطع شوطاً بعيداً فى حضارة الفكر والشعور ؟

أو بعبارة اخرى هل من المفيد للانسان المثقف ان يتمسك بأهداب هذا الاعتقاد ، وان يتخذه اساساً لمفاهيم شعورية واجتماعية محددة لتكييف صلته بالله تعالى ، وباخوته فى المجتمع ، وفى الانسانية ؟

ابتداءً ينبغى أن يقال ان الاجابة تتوقف على الاقتناع بثبوت هذا « الاحتمال » من الناحية العلمية أو عدم ثبوته . فاذا قيل بالثبوت ، فان الاجابة تصبح يسيرة جداً ، وهى أن كل خطوة يخطوها الانسان نحو الوصول الى حقائق الحياة تصل بنفس المقدار بينه وبين الله تعالى لانه مصدر كل حقيقة يمكن أن يصل اليها عقل الانسان او وجدانه . وهذه الخطوة نفسها تصل ايضاً بينه وبين اخوته فى الانسانية . لانه لا يمكن

---

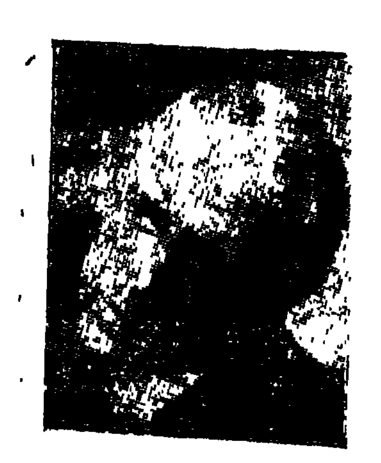
(١) عن جيرار انكوس : المرجع السابق ص ١٦٩ .

ان تقام علاقة امينة الا على حقائق الامور ، لا على أوهامها وترهاتها ، وهذا كله وثيق صلة بتحديد بعض النتائج العامة لمثل هذا الاعتقاد .

وعلى اية حال ، فان الاجابة على هذا التساؤل لا ينبغى أن تكون من مسئوليات كاتب هذه السطور ، بل ينبغى أن يقوم بها باحث عملى اتصل — على مدى خمسين عاماً تقريباً — اوثق صلة ببحوث الظواهر الوساطية التى اقنعته بصحة الخلود وصحة هذه العقيدة فى مفهومها المحدد الذى قدمناه فى تضعيف هذا البحث ، وهى عودة الانسان للتجسد فى صورة آدمية لا تقبل تبديلا ، الا أن تكون صورة آدمية اخرى ، وربما افضل من سابقتها بحكم التطور الطبيعى للحياة نحو الأمام ، اى تطور الحياة فى التكوين الفكرى للانسان ، وتطور هذا التكوين الفطرى فى مدارج الحياة من كافة نواحيها .

ماذا عن دزموند ؟

والباحث العملى الذى اخترته كيما يقوم بتحمل مسئولية الاجابة على هذا التساؤل الهام عن بعض النتائج العامة لهذا « الاحتمال » هو العلامة الايرلندى شو دزموند Shaw Desmond مؤسس « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن (١) . ومن عوامل اختيارى اياه — ليس فحسب تضلعه فى العلم الروحى — بل ايضاً تضلعه فى سبر اغوار النفس الانسانية ، ومواجهة بعض مشكلاتها ، خصوصاً منها ما تعلق بينابيع الفكر والشعور فيها ، وذلك بأسلوب مفكر قدير يعد فى القمة بين مفكرى العصر .



شو دزموند

فهو صاحب عدة مؤلفات قيمة فى « علم الروح الحديث » وضعت بيانها فى مناسبة اخرى (٢) . بالاضافة الى عدة روايات وكتب ادبية ذائعة

---

(١) International Institute For Psychical Research.

(٢) راجع ما ورد عنه وعنها فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٣٨ ، والجزء الثانى ص ٤٠٣ — ٤٤٩ .

الصيت منها : « روح الدانمرك » (١) (١٩١٨) و « العاطفة » (٢) (١٩٢٠) ، و « بلادى » (٣) (١٩٢١) ، و « مأســـاة ســين فاين » (٤) (١٩٢٣) ، و « قصص عن غــلام » (٥) (١٩٣٠) ، و « قصـــة ســيدة مرحـــة » (٦) (١٩٣٣) ، و « الجــذع الافريقى » (٧) (١٩٣٥) ، و « كبرياء لندن » (٨) (١٩٣٧) ، و « ميلاد العالم » (٩) (١٩٣٨) ، و « تنمية الانسان المتحرر » (١٠) (١٩٤٠) ، و « ايزيس المتجسدة » (١١) (١٩٤١) .

ومن مؤلفاته أيضاً : « الشروق الأسود » (١٢) (١٩٤٥) ، و « طابور الجنــة » (١٣) (١٩٤٦) ، و « قصـــة آدم على حقيقتها » (١٤) (١٩٤٧) ، و « قصة ادوارد » (١٥) (١٩٥٠) ، و « الشخصية والقوة » (١٦) (١٩٥٠) ، و « ناثانيل » (١٧) (١٩٥٠) ، و « الحج الى الجنة » » (١٨) (١٩٥١) ، وغالبية مؤلفاته ترجمت الى عدة لغات وطبعت عدة طبعات .

وهذا الانتاج الأدبى الزاخر لم يمنعه من مواصلة أعماله العــديدة ومن القيام بسياحاته الى كل أطراف الأرض ومن ممارسة هواياته العديدة للسباحة ، ولليوجا ، وللموسيقى ، وللجودو (المصارعة اليابانية) . وكان يحاضر كثيراً فى موضوعات الروح فى جامعتى كامبريدج واكسفورد ، وعدة جامعات فى الدانمرك واسكندنافيا .

---

(١) The Soul Of Danemark.
(٢) Passion
(٣) My Country.
(٤) The Drama Of Sinn Fein
(٥) Tales Of Boy.
(٦) The Story of a Light Lady.
(٧) African Log.
(٨) London Pride
(٩) World - Birth.
(١٠) Foster Freeman.
(١١) Incarnate Isis
(١٢) Black Dawn
(١٣) Paradise Pow
(١٤) The Story of Adam Verity.
(١٥) The Edwardian Story.
(١٦) Personality and Power.
(١٧) Nathaniel.
(١٨) Pilgrim to Paradise.

وقد كان دزموند الى حين انتقاله الى عالم الروح (فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٠) رئيساً « لرابطة الحياة بعد الموت » (١) . وقد عالج قضية العودة للتجسد فى كتاب على حدة اسمه « عودة التجسد لكل انسان » (٢) من جوانب عديدة يغنينا منها فى المبحث الحالى جانب الايمان بهذا الاعتقاد من ناحية بعض نتائجه واثره فى الفكر والشعور لدى الانسان العصرى ، وقد تناول المؤلف ذلك بمقدرة ادبية اصيلة فى عدة فصول ، تمثل ثمرة بحوث شاقة دامت لعشرات من السنين فى العلم الروحى ويمكن ان يضمها مجتمعة العنوان الذى تخيرناه للمبحث الحالى . وفيما يلى سنقدم بعض آرائه فى هذا الشأن فى تلخيص نرجو الا ينتقص من قيمتها شيئاً .

عن التذكر

ويلاحظ دزموند ابتداءً أن تذكر الحيوات السابقة هو من معدن الاحلام ، وأن تذكر الحياة الأعظم ، اى تذكر تلك الحيوات السابقة هو الذى يقودنا الى وجودنا الحالى بوصفه حلقة فى سلسلة مترابطة من الحلقات . وهذه الذاكرة هى التى سميتها « بالذاكرة السماوية » لأنه فيما يتعلق بها يوجد عنصر اسمى من الانسان ، بل عنصر مقدس .

وقدرة التذكر هى العلامة المميزة للرجل ولشريكته المراة ، وهى خاصة بهما ، لان الحيوانات السفلى لا تتذكر ، أو اذا شئت تتذكر بقوة الفريزة ، لكنها لا تملك فى يدها القدرة على أن تستعيد الماضى ، كما أنها لا تملك تلك القدرة التى هى شطر من قدرة التذكر ، وهى القدرة على أن تطرح عقولها الى المستقبل لكى تتوقع ما هو أمامها .

وعندما تقول ان احداً لا يتذكر ايه دنيا ، او اية حياة غير هذه ، هل انت متاكد انك على حق ؟ لانك اذا كنت على حق فان كل دراسة عن العودة للتجسد تصبح محض ضياع للوقت ، واذا كان لا يتأتى لأى انسان أن يتذكر اية حياة سابقة ، فان ذلك يعنى ان ما يشغلنا فى هذه الصفحات مجرد مضاربة جوفاء .

ولقد عرفت — كما عرف الآخرون — دستة من الأشخاص المسئولين الناقدين الذين امكنهم ان يتذكروا بعض اشياء من حيواتهم السابقة . واسماء الرجال والنساء المتازين الذين تذكروا أشياء كهذه تملأ كتاباً ،

---

(١) The Survival League.

(٢) Reincarnation For Every Man.

ولكن رغم أن تذكر هذه الامور نادر نسبياً فى نصف الكرة الغربى فانه شائع فى الشرق .

وفى كتابه القيم المتماسك عن « روح شعب » (١) يقدم فيلدنج هول Fielding Hall فصلاً وبياناً عن حالات عديدة تذكر فيها الهنود تجسداتهم السابقة . وفى بورما ، كما فى ارجاء اخرى فى الشرق ، تحدث هذه الظاهرة بصورة شائعة الى حد انها لا تثير انفعالا . حتى لكأنها هى القاعدة . وفى بعض الأماكن ينظرون الى الانسان الذى يقول انه لا يؤمن بالعودة للتجسد ، كما ينظر الأوروبى المتشكك الى الانسان الذى يقول انه يؤمن بها ، لأن البينات للانسان الشرقى — فيما قد يبدو لنا — دقيقة وحاسمة .

والأطفال يحوزون كثيراً ذكريات كهذه — ذكريات يبدو انها جاءت طازجة معهم من العالم الآخر الذى قدموا منه . والانسان المفرط فى حماقته هو ذلك الذى يسخر من أقوالهم بوصفها قصصاً صبيانية عن الجنيات ، واظن ان هؤلاء الساخرين مخطئون ... وبعدئذ يروى دزموند بعض أمثال لهذه الوقائع من نوع تلك التى تكبد ابان ستفنسون مشقة تحقيقها — فيما بعد — على النحو الذى ضربنا له آنفاً عدة امثلة (٢) .

المغامرة المجيدة

تمثل الحياة الراهنة للملايين محض مسئولية يائسة ووضيعة ، فهى تبعث فيهم الخوف والتعاسة فى عالم ملىء بالحروب وباحتمالات الحروب ، وتسد عليهم المنفذ الى الربيع الحق للحياة ، وهو الأمل ، لكن لمن يؤمن بالعودة للتجسد فان الحياة تمثل مغامرة مجيدة .

ونحن الرجال والنساء لم نحيا ابداً فى عصر رائع وهام كهذا العصر ، ولم تكن الحياة ابداً تستحق أن نحياها مثلما هى الان ؛ ولا الموت يستحق أن نموته مثلما هو الآن ، اذ لم توجد ابداً من قبل مثل هذه الامكانيات الموجودة حالياً .

وقد يساءلنى البعض : كيف يمكنك أن تزعم ذلك ان كنا نعيش حالياً فى عالم مهدد بخطر متزايد ؟ واذا كان الواحد منا لا يعلم ماذا يمكن للغد أن يحمل اليه ؟ ان الحضارات آخذة فى الذبول ، وان الملايين يعيشون بلا عمل ، وان أموراً وحشية ترتكب فى عالم للطغيان ، وكل طبقة نائرة على

---

(١) The Soul of a People .

(٢) المرجع السابق ص ٧١ — ٧٤ .

فيها . ويبدو ان أولادنا يسيرون نحو ابلى لا آخر له . ليل بلا اله ؛ ودنيا بلا دين . اذا ماذا يمكنك ان تعنى بقولك ان الرجال والنساء لم يعيشوا ابداً فى عصر رائع كهـذا العصر ! وفى أى عصر عشت وعشنا من قبل ؟ بالتأكيد ان هذه هى اقامتنا الأولى والاخيرة على الارض !

ولكننى مع ذلك أعنى كل ما قلته . واذا ما صبرتم على أقوالى حتى نهايتها قد تجدون أن كل ما أقرره صحيح . وانني اقرر فى لهفة رزينة ، اننا قد نتعلم متى جئنا . ولمـاذا نحن هنا ؟ وقد تكون لدينا ومضة من ضوء عما سنؤول اليه عندما نجتاز الباب الصغير لصديقنا الموت .

وسواء اكنا خدماً أم سادة . ورجالاً أم أولاداً ، فاننا قد نكتشف ان الحياة شىء مجيد كما اكتشفها الملايين غيرنا.وان كل لحظة منها تستحق ان نحياها ، والا شىء نضيع فيها ؛ وان كل اسى فيها هام بما لا يقل عن كل متعة . بل قد نتعلم أن المتعة والاسى وجهان لنفس الشىء .

وقد نجد انه ستلف كل حياة على هذا الكوكب الصغير ، الذى هـو واحد من مائة الف مليون كوكب . يوجد تخطيط ؛ وهـدف ، وحب . فتعلموا خلال الواقع المر . لاخلال السحر الأحمق . أن الحب فى عالمنا يخفى نفسه خلف الالم والموت . وعندما يجىء التحقيق فى نهاية المطاف فلتعرفوا ان هــذه هى مجـرد حلقـة واحدة فى سلسلة حيوات عشناها من قبل . واننا الى الأرض سنجىء من جديد .

وانا — الذى لا انتمى الى رأى مسبق — اومل أن اثبت أن كل رجل وامرأة منا . من الأمير الى الفـلاح . ومن الملكة الى الخادمة له فرصـة ثانية ، بل مئات من الفرص ؛ واننا كلنا نقف على طريق يقود خلال الابدية الى الكواكب بطريقة لا يمكن تفاديها ؛ كما ان الكواكب نفسها معلقة فوق رؤوسنا لكى ترودنا فى الطريق اليها . وانه بعد تمضية حياة وحياة يصبح الموت ليس سوى العبور الى حياة اخرى اوفر ثراء ، واكثر قابلية الفهم .

واليك — ايها القارىء — اذا كنت من رجال الاعمال ، أو كنت زوجة او اما . سيفتح معبر من الروعة والحقائق يفوق قدرة التصور ، لانك ستجد فى انتظارك عند الاقامة فى الروح تعويضاً وسلوى . واليك انتِ السيدة ذات القلب الكسير التى فقدت رجلهـا اقول انه يوجد هناك على الجانب الآخر مكان تصبح الحلم فيه حقيقة . وانا لا اقول هذه الاقوال من باب الأمل المنفعل . أو من باب الضعف . بل اقولها واعلم انها حقائق لأننى احمل فى ذاكرتى ذكرى حيواتى السابقة .

ولعلك أيها القارىء تحمل من حياة الى حياة تلك « الذاكرة السماوية » ولعلك طالما رفضت أن تنظر الى تلك الذكريات بوصفها محض مصادفات لا أكثر فحولت وجهك بعيداً عن المرآة الفضية التى تحملها الذاكرة نحو الماضى والمستقبل . فاذا كنت أحد أولئك فان هذا الكتاب الصغير سيضع بين يديك « شلة » الخيط المعقدة ويرشدك الى طريقة فك العقد التى فيها .

واذا كنت من أولئك الذين « لا يتذكرون » ، فان هذه الكلمات ربما توقظ سلسلة الذكريات التى تقود من الماضى الى الحاضر ، ومن الحاضر الى المستقبل . تلك الذكريات التى بدونها نجد انفسنا فى ضياع ، وفى حيرة ، وفى تعثر ، وفى عالم غير قابل للفهم .

واذا أمكننا أن نمسك بزمام ذاكرتنا عن حيواتنا السابقة ، فاننا نرى الطريق الذى اجتزناه خلال القرون كيما نصل الى حياتنا الراهنة ، وتتضح لنا علة وجودنا هنا . وعند شروق هذه المعرفة ، التى بمقدورها أن تبدد بضوئها المشرق كل شك وكل خوف ، فاننا لا نرى فحسب الطريق الذى اجتزناه ، بل أيضاً الطريق الذى نحن على وشك اجتيازه .

وفى لحظة كهذه سنجد الرضاء المقدس ، ومعه الراحة والاتزان ، وكل ما ينبغى أن نواجه به ، ليس فحسب أتراح الحياة ، بل أفراحها أيضاً . وفى النهاية نعرف لماذا نحن هنا ، ولهذه المعرفة نشكر الله الذى يقف وراء كل شىء ، مراقباً ، ومترقباً ، وحانياً .

وكل معلم عظيم من معلمى التاريخ الطويل ، خلال العصور المختلفة ، قد سلك التجسد مختاراً حتى يتمكن من المعاونة على تحرير روح الانسان من لحمها الوثيق ، فنادى بكل ذلك .. وسننادى مثلهم وشهودنا هم أعظم المعلمين فى جميع العصور ، وبالأقل نصف الجنس البشرى ، ولن نطالب انفسنا بالاقتناع بأى أمر ما لم يكن قابلاً للاثبات ، ولن نطالب انفسنا بالايمان ، هذا ولو أن الايمان له مكانه وله وظيفته .

ولن نلجأ الى رأى أحد الثقات بل الى الوقائع ، ولا الى التقاليد بل الى البينات ، ولا الى الافتراض بل الى الاختبار . فيبين لنا أنه ، على الرغم من أن جميع الرجال قد وقف بعضهم ضد البعض الآخر فى اختلاط لا ينتهى للأفكار حول العقائد والمذاهب ، فان جميع المعلمين الروحيين منذ القدم قد اتفقوا على المبدأين التوأمين اللذين يوجهان كل تفكير جدير بهذا الاسم : وهما العودة للتجسد والكارما . فهنا يوجد اتفاق جوهرى رغم كل القمم الملتهبة للشك وللجدل . ومناقشات الفلاسفة واللاهوتيين

قليلة عندما يتعلق الأمر بك وبى . ولا يعنى الدين شيئا الا اذا كنا نجد تطبيقه على الحياه .

وذلك هو الهدف من هــذا الكتاب . لاننا عندما نصــل الى نهاية الطـريق فى الاقتناع بهـدين المبداين سنكون قد عثرنا على الوسيلة التى نتغلب بها على الأسى والخوف . وايضاً على انكى صور الضعف الانسانى ، وهى الاشفاق على الذات .

وسنعرف عندئذ ان كل ما يحــدث لنــا من خير أو من شر متولد فحسب من ذواتنا . واننا كلنا نملك حرية فى اختيار الطريق الذى يقود من حيــاة الى حيــاه ، كلما انتقلنا من الاهتزازات الدنيا الكثيفة الى الاهتزازات الأسمى منها . لاننا بذلك نقترب — عن طريق الموت — من الله ، ومن تحقيق ذواتنا العظمى التى تقف خلف كل واحد منا . وهكذا تصبح الحياة لكل واحــد منا هى المغامرة المجيدة ، خصوصاً بالنسبة لأولئك الذين ينقلون معهم ذكرياتهم عن المــاضى من حياة الى حياة .

وهكذا تنطبق نظرية العودة للتجســد على كل جانب من الحيــاة العملية . ومــع ذلك فربما كان جانبها المتعلق باخيلة الحب هــو الذى يمسك — اكثر من غيره — بزمام تصوراتنا .

((اخيلة الحب)) والعودة للتجسد

ان عالمنا يسخر من اخيلة الحب romance رغم ان هــذه الأخيلة تمثل القلب النابض لكل حياة ، ويفخر بأنه عالم واقعى . رغم ان المــادة نفسها ليست أكثر من ظــل للحقيقة التى هى الروح . فعالمنا يلح بكآبة لاشعورية على اننا لا نحيا الا ليومنا . وان بمقدورنا أن نمحو من الحيــاة كل ما ليس له وجود مادى .

ان عالمنا عالم احمق،خال من الذاكرة،ويحيا ليومه لأنه نسى ماضيه، ولأنه لا يذكر ماضيه فليس بمقدوره ان يطرح نفسه الى مستقبله . وهناك مثــل زائف يقول « ما اسعد الانسان الذى لا ماضى له » ، الا ما اتعس ذلك الانسان ؛ والا تبا للانسان الذى لا يملك سوى الحاضر ؛ لأن مثله لا مستقبل له .

ومع ذلك فيوجد بداخل كل واحد منا احتجاج صامت ضد هــذه الوجهة الهزيلة لاقتناص المتعة . وقلما يوجد مع ذلك واحد من بيننا — أو حتى من بين أولئك المــاديين انفسهم ، لا يشعر فى لحظات الالهام أن اخيلة الحب هى الجوهر الحقيقى لكل حياة . ولعله لا توجد سيدة واحدة،

وربما عـدد محـدود من الرجال ، لا يشعرون فى قلوبهم التى هى مطايا الالهام المقدس ، بان الحياة بدون الحب والخيال هى الموت لبس الا .

وان الانسـان الملهف على اللذة الذى يعتقل نفسه داخل احتجاج أخرس ضـد أخيلة الحب تمر به لحظات اليأس يتساءل فيها مستفسراً عما اذا كانت الحياة تستحق أن يحياها الانسان بلا تخيل ـ اى بلا حب .

وماذا نعنى بأخيلة الحب ؟ ان خيالاتنا المختنقـة فى ايامنـا الراهنة جعلت هذه الكلمة المحبوبة تنطبق على جانب واحد من الحياة ، هو جانب الحب الجنسى وذلك مع ان اخيلة الحب هى الحياة نفسها . انها الطريق الجرىء المتحرر للنظر الى جميع الأشياء . انهـا تعنى تمجيد الحيـاة فى خطر ، الذى بدونه تكون الحياة على كوكبنا ليست اكثر من موت مؤجل .

ان هذه المغامرة المقدسة التى تجرى احياناً من داخل المكان والزمان، وأحياناً أخرى من خارجهما ، هى التى تقودنا الى اوطاننا بين الكواكب . انها تمثل انتصار سمو الروح على وضاعة المـادة . وهى المنقذ من الموت الى الحياة الأبدية ...

ولذا فان مبدأ العودة للتجسد ربما يكون هـو المبدأ الوحيد الذى يرغم أكثر الناس تشككاً على الاقتناع بان أخيلة الحب حقيقة ، ولعلهـا تمثل الحقيقة العظمى للحياة ...

هل من تخطيط ؟

ثم يقـول دزموند انه تلقى من أرواحه المراسلة « ذات القدرة على الحكم » على ماضيه البعيد ما يفيد انه منذ ٣٣٠٠ عاماً كان يحيا كفيلسوف تحت حكم امنحوتب الثالث ، وأنه ساعد على اشعال الثورة لأجل التوحيد فى وجه الاعتقاد بتعدد الآلهة الذى اعتنقه كهنة ذلك العصر . ومعهم الملكة الفرعونية تى Tiy .

وأن تجسده اللاحق كان بعد ذلك التاريخ بحـوالى ١٣٠٠ عاماً فى أيرلندا ، ثم فى روما تحت حكم نيرون ، وهـو تجسـد لا يحمل عنه أية ذكريات تفصيلية (لكنه يكتب عما سمعه من تلك الأرواح) .

« ولدى » سبب للاعتقاد « بأننى » عدت التجسد وعملت فى حلبة للمصارعة الدموية فى روما فى ذلك الوقت الذى كان يسوع يجـول فيه حول بحر الجليل وذلك بعد فترة من تجسد آخر لى فى اليونان القديمة .

(١) المرجع السابق ص ٨٨ ـ ٩٥ .

قد يبدو كل ذلك بلا مغزى ولا هدف ، ومع ذلك فان كل تلك الفترة الزمنية الطويله ليست أكثر من قطرة فى محيط الأبدية . كما لا اذكر — ولو حتى بطريقة باهتة — كل حياة عشتها على الأرض ، ولابد أننى عشت منها الكثير القابع بين تلك الذكريات نفسها .

وهكذا يسرد دزموند بعض التجسدات التى يعتقد انه سبق له أن مر بها . او تلك التى قيل له — من بعض ارواحه المراسلة — انه قد مر بها فيما مضى .

وبطبيعة الحال لا يجوز للباحث العلمى أن يعلق اية اهمية على أنباء تلك التجسدات الخاصة . ولا أن يتصور انها تحوى الحقيقة الكاملة ، سواء بالنسبة لدزموند أم لغيره ، لأن صحة التفصيلات هنا موضوع يختلف تماماً عن صحة المبدا فى ذاته .

فالمبدأ قد يكون صحيحاً ، وقد يمكن اقامة الأدلة العديدة المترابطة على صحته ، حين قد يتعذر تماماً اقامة الأدلة على صحة أمثال هذه التفصيلات التى لاينبغى ان نفترض فيها الصحة أو الدقة ، والتى قد يتعذر فيها الاثبات بمقدار ما قد يتعذر فيها النفى ، لأن الخيال ، أو الوهم . أو الارشاد الخاطىء قد يلعب فيها دوراً ما ، على ما بينته فى مناسبة سابقة . وبعد ذلك يستطرد المؤلف قائلاً :

ومع ذلك فثمة خطة خلف العودة للتجسد ، هى خطة من وضع الله ، وتعمل بطريقة لا يفلت منها انسان ، وبطريقة طبيعية مثل قانون الجاذبية ؛ ولا يوجد استثناء لهذا القانون .

وهو قانون للتعقل الجميل ، وعادل لا يخطىء أبداً ، ويتبع كل واحد من افكارنا واعمالنا من مولد الى مولد ، ويسجل علينا كلما صنعناه من خير أو من شر . وهو لا يسعى الى عقابنا ، بل يدعنا لنعاقب أنفسنا بأنفسنا ، فنحصد ما زرعناه . فاذا فكّرنا وعملنا شراً فاننا نحصد شراً فى هذه الحياة أو فى غيرها . واذا فكّرنا وعملنا خيراً فان الخير يكون من نصيبنا فى هذا العالم وفى العالم الآخر ، ولا يوجد ارغام ، ولا تداخل فى ارادتنا الحرة .

واذا ارتكبنا الشر بغير أن نشعر به ، كما يتصور البعض أن بمقدورهم ذلك ، فاننا نقدر أن نتمادى فى الشر ، لكننا بما أننا نتألم عندما نخطىء ، فانه تجىء الينا تدريجياً الفكرة القائلة بأن الخطيئة لا تربح ، وتحقيق هذه الفكرة هو موضوع كل عودة للتجسد .

والخطوة التالية هى تحقيق جمال القداســة ومتعتها . فكأننــا لا تكتشف فحسب أن الخطيئة لا تربح ، بل اننا نكتشف أيضاً متعة عمل الخير لذاته . وعندما يصل الرجل أو السيدة الى ذلك فانهما يكونان على العتبة التى لا يلزم لهما فيها أن يموتا موتاً ثانياً ، أى أن يولدا من جديد فى جسم ترابى ، وفى عالم من مادة . ولن يكون عليهما فيما بعد أن يسلكا الطريق الشاق لاختبارات الحياة الدنيا بأقدام تنزف دماً . لانهما وقد تعلما الدرس لم تعد بهما ثمة حاجة للعودة ...

هذا هو القانون الكائن وراء عوداتنا للميلاد فى هذا العالم . فعندما تتحرر من ربقــة العودة للتجسد ، التى أعادتك للأرض مرة بعد الاخــرى تخرج متحرراً من العوالم الكوكبية السفلى التى هى موطن الأرواح غــير الكاملة ، الى المناطق الأكثر اشراقاً من غيرها ، وتصنع ذلك بما بذلت من جهود خاصة . ولن يرغمك انسان ، أو حتى يعاونك اذا كنت انت نفسك ترفض تلقى المعونة .

وهكذا تحصل تماماً عن طريق المرور بحياة بعد حياة على ما كنت تتطلع اليه ، بغير زيادة ولا نقصــان . ولا يملك أى انسان نفعــاً لك الا ما تملكه أنت لنفسـك . وان الأرواح العظمى التى تقف خلف الحيــاة الأبدية ستعاونك بشرط واحد : هو أن تعاون نفسك بنفسك (١) .

عن الفترة بين التجسدات

والآن فلنتقدم الى المشكلة الخلابة ، وهى ما هى ظروف الرجــل والمراة فى الفترات التى تقع بين تجســداتهما على الأرض ؟ ماذا يفعلان ؟ وأين هما ؟ وهل الحياة فى عالم الروح متميزة تماماً عن الحياة فى المــادة ؟ وكيف يمكننا أن نعرف ماذا يجرى لهما اذا كان ثمة شيء يجرى ؟

يوجــد مصدران لمعرفة هذه الأمور : أولهما تعاليم المعلمين الكبار الذين كانوا فىعالمنا عندما كانوا فى الجسد ، وثانيهما هو الاتصالات الروحية التى اثبتها العلم الذى يطلق عليه « علم الروح الحديث » ...

ويبدو أن الحياة فى المكان الاول — أى فى العوالم القريبة من الأرض والتى تلى القبر — لا تختلف كثيراً عن الحياة على كوكبنا الخاص .. بل ان الظروف قد تبدو متشابهة الى حد انه كثيراً ما يبدو من العسير اقناع المنتقلين حديثاً من الأرض بأنهم قد « توفوا » . وكثيرون منهم يرفضون التصديق (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠ — ١١٧ .

(٢) راجع فى وصف هذه الحياة « المفصل » الجزء الثانى ص ٢٦١ — ٤٥٢ .

وبعد ان يستعرض دزموند بعض الفروق بين عالمنا وعالمهم يقول ان عالم الروح عالم للراحة : اما عالمنا فهو عالم للنضال . وان التردد بين الراحة والنضال يمثل المبدا الدورى الذى يبدو انه يجرى خلال كل وجود ، فبعد النضال تجىء الراحة .

ولا ينبغى ان نتخيل ان شخصياتنا تتغير فى الجانب الآخر من الموت ، والا فاننا نرتكب خطأ فاحشاً . فنحن هناك كما نحن هنا فيما عدا الفروق التى اسلفناها فى ظروف العيش . فنحن ننقل معنا الأمل والخوف : الرغبة والعاطفة : والحب والكره . والرجل الجشع هنا جشع هناك ، والمرأة العاطفية هنا عاطفية هناك ، ولماذا يكون الأمر غير ذلك ؟

ونحن نحصد هنا ما زرعناه هنا ، ونحصد هنا ما زرعناه هناك ، فحصاد الحياة حياة ، وحصاد الموت موت : وثمة عدالة الهية فوق كل ذلك . وهى عدالة تطمئن تماماً الرجل او المرأة من ذوى النوايا الطيبة ، اللذين يحاولان التخلص من اسار المادة ، كما تقلق تماماً الانسان المادى الذى يحيا حياة شريرة .

وسيكون علينا أن نناضل هناك ضد رغباتنا ، ومخاوفنا ، وشرورنا ، وسيكون علينا ان نغزو أقاليم ذواتنا التى تبدو لنا الآن غير قابلة للغزو . لكن لن يكون النضال هناك فى صورة محدودة محسوسة كما هى الحال على الأرض . ولكن رغم أن تراجع حدود النضال يقدم الينا فرصاً لنوع آخر من التقدم : الا أن اسلوب النضال نفسه يبدو أقل تركيزاً .

ولهذا السبب فنحن نتعلم فى خمس دقائق من حياتنا الأرضية اكثر مما قد نتعلم فى قرن من حياتنا الكوكبية على ما سمعت البعض يقول . ولذا فان من الأمور الأساسية أننا عندما نعود الى الارض ينبغى أن نستخدم كل لحظة صغيرة للعيش لأجل مجد الله ، لا لأجل مجد اللحم ؟ أو مجد الشيطان .

وثمة حقيقة بمقدورنا ان نلاحظها كل يوم ، وهى أننا عند عودتنا للأرض بذكريات لاشعورية عن تصميمات طيبة اتخذناها قبل قدومنا اليها ، فاننا فيما يبدو — نبذل قصارى جهدنا للتغلب على الشر . ولكن بمضى الوقت تتراجع هذه « الذكريات السماوية » وتصبح باهتة ، ويكون تصميمنا عرضة للتلاشى الى ان نفيق الى أنفسنا فى النهاية ونتنازل عن متع الجسد : والعالم المادى .

ولكن فلنشكر الله لأنه لا يزال يوجد الملايين ممن لا يفعلون ذلك . وربما لا يوجد انسان يفعل ذلك تماماً ، والا لما تأتى للانسان أن يسمو من المادة الى الروح (١) .

---

(١) عن شو دزموند . المرجع السابق ص ١٧٨ — ١٨٢ .

عن التطبيق على الحياة

ونحن الآن فى موقع قد يمكننا ان نرى كيف يتاتى لاعتقادنا فى العودة للتجسد أن ينطبق على حياة كل يوم لنا فى الأرض ؟ ابتداءً ان ذلك يدعونا لأن نفكر فى أداء الخدمات للاخرين . ان العودة للتجسد كانت سبباً فى تحريرنا من الأغلال التى تقيّد دائماً اقدام الرجال والنساء الذين لا يعرفون أنهم قد ولدوا من جديد .

فالانسان المؤمن بالعودة للتجسد يحوز نظرة متزنة بعيدة عن الآخرين . ودعونا نرى كيف يمكننا أن نطبق هذا الاعتقاد المجيد للحياة على مشاعرنا ، وأعمالنا ، وأفكارنا ، لأن الاعتقاد الذى لا يقبل التطبيق على الحياة لا يكون اعتقاداً ، بل مجرد نظرية .

فنحن نشعر فى المقام الأول أن أقدامنا تقف ثابتة على طريق قادنا من حيواتنا السابقة الى حياتنا الراهنة ، وسيقودنا الى حيواتنا المستقبلة ، فلا نسير عمياناً ، بل نعلم الى أين نذهب ومن أين جئنا ، وذلك يعطينا مناعة ضد خيبة آمالنا فى الحياة . بل اننا على عكس الآخرين قد نرحب بمثل تلك الخيبة لأننا نعلم أنها قد أرسلت الينا كيما نتعلم منها اختبارا ، وهكذا نشكر الله لنظامه ولرعايته .

وعندما يلازمنا سوء الحظ فان بمقدورنا أن نتحمله فى يسر أكثر من غيرنا ، لأننا نعلم أنه يقود الى حسن الحظ بطريقة لا يمكن تفاديها . ولا يوجد هنا تذمر أو اعتراض لأن كل اختبار لنا يعلّمنا أن سوء الحظ هو اعداد لحسن الحظ ، فهو شقيقه .

والاشفاق على الذات لا يعنى لنا ما يعنيه لغيرنا ، فحين يصرخ الآخرون من حظهم السيء ، فاننا نعلم أن كل حظ طيب أو سيء انما يجيء من قانون « الكارما » . وبما اننا نضع « كارمانا » أو قدّرنا بأنفسنا فليس لنا أن نسخط مما قد يحل بنا ، لقد جلبنا ذلك على انفسنا بأفعالنا فى حياتنا الراهنة ، أو فى حيواتنا السابقة ، وهذا هو منطق العدل ، بل الذوق السليم .

وعندما تحل بنا متاعب مالية فاننا لا نقول فحسب أن « الرب اعطى والرب اخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً » ، بل نقول أيضاً — بسبب معرفتنا بمتاعب الأغنياء ودواعى يأسهم — الشكر له لأنه منحنا هذا الوضع المثالى الذى لا يعرف غنى ولا فقراً ...

اننا نعلم أن الألم لا يدوم لاكثر من ليلة ، وأن المرح يأتى مع الشروق ، لأننا من أولئك المباركين الذين يعرفون أن تعاسات الماضى التى كانت تبدو

دائمة وفوق الاحتمال البشرى عند حلولها : قد نسيت فى خلال بضعة أيام او خلال بضع سنوات . وكثير منها لا يمكننا ان نتذكره ، حتى ولو حاولنا التذكر .

ومن جانب آخر فان الحظ الحسن لا يمكن أن يكون وحده من نصيبنا لسببين : اولهما ان ما قد يبدو من قبيل الحظ الحسن قد يكون قناعاً للحظ السيء . وثانيهما اننا نعلم ان حياة الانسان تتأرجح بين النجاح والفشل ، وانه بعد شروق الشمس قد يأتى المطر ...

والاعتقاد فى العودة للتجسد يصنع عالماً اكرم بنا ، لأننا عندما نتحقق من اننا جميعنا نسير على نفس طريق الأبدية ، كرفاق على الطريق ، وكرفاق فى السراء والضراء . فاننا — فيما يبدو — سنكون اكثر تقديراً لمشاعر أولئك الذين يحيطون بنا . وبالتالى نكف عن الدينونة عالمين أن واحداً منا لا يمكن ان يعرف تماماً الدوافع التى كانت وراء اى تصرف من تصرفات رفاقنا ، فقانوننا اذاً هو « لا تدينوا لكيلا تدانوا » .

فالعودة للتجسد اعتقاد عملى بالمعنى الدقيق ويمكن أن يطبق عالمياً . وفى العلاقات بين الأزواج : اذا علم الزوجان ان ثمة دروساً قد فاتهما تعلمها فى حيواتهما السابقة ، فانه سيتعين عليهما أن يحاولا تعلمها ، والا لما جمع القدر بينهما من جديد فى الحياة الراهنة فى رباط وثيق . وسينظر كل واحد منهما الى فرص التعلم الضائعة من شريك حياته ، بحيث يستكمل ما فاته أن يتعلمه فيما سبق . وسيكون اقدر مما كان على أن يغتفر لشريكه ما دام يؤمل فى ان شريكه يغتفر له اخطاءه هو أيضاً .

واذا تفهم الاب حقيقة الحواجز التى تفصل بين الأرواح المتجسدة وهى فى طريق تطورها ، فان موقفه من ابنه او من ابنائه سيكون مختلفاً عما كان بطريقة جوهرية . فان هذا التفهم يجعل الاب والام أكثر تسامحاً لما يصدر عن اطفالهما من صور ضعف الطفولة وعثراتها . وهو يتيح معاملة مناسبة لكل طفل على اساس انه يمثل مشكلة متميزة عن غيرها . وقبل كل شيء ، فان هذا الاعتقاد سيحول الوالدين عن محاولة التمادى فى المطلب الجنونى ، وهو ان يكون الولد صورة منهما .

وعندما نعلم ان الطفل هو الذى يتخير ابويه ، وليس الوالدان هما اللذان يتخيران طفلهما ، فان ذلك يعطينا زاوية مختلفة تماماً للنظر الى طبيعة الصلة بين الآباء والأبناء . ولقد عرفت والدين كانا يشعران بذلك ، وكانا يشعران بالسعادة لان طفلهما هو الذى اختارهما ، فلم ينظرا اليه كالعوبة ينبغى ان تصاغ على شاكلتهما ، بل لقد عرفا فيه روحاً مختلفة تماماً عنهما ، وكان لديهما بالتالى احساس مرهف بالا يحاسبا القدر عن مجيء هذا الطفل ...

ومثل آخرين كثيرين ، لقد شاهدت بنفسى التغير الجميل الذى تحدثه المعرفة عن العودة للتجسد فى مواجهة مواقف الحياة فى كل صيغها ، بل لقد يمكن الذهاب الى حد القول بأنه من المتعذر الا يكون تقبّل هذه المعرفة سبباً فى تحقيق مستوى أرفع فى الفكر وفى العمل . فالمؤمن بالعودة للتجسد فى الغرب هو فى غالب الأحيان ذلك الانسان الذى يحوز نظرة اسمى عن الحياة ، وعن الوجود ، لأن فيها صقلاً وتطويعاً لمعدن الحياة ...

ان المؤمن بذلك يكره التعصب أيضاً ، كما يكره التقييد بأغلال الحرف ، ويحاول أن يعالج وأن يتفهم وجهات نظر غيره من الأشخاص ، وأن يستمع فى أدب الى ملحوظاتهم فى موضوعات الاعتقاد ، ويعرف قبل كل شىء آخر كيف يتفادى الجدل الأجوف الذى هو عدو لكل معرفة . ذلك لأنه عندما يتجادل الناس حول الاعتقاد ، يهرب الاعتقاد فوراً ، وهذا ما يعرفه جيداً المؤمن بالعودة للتجسد .

وحتى عندما يقابل انساناً يتلقى الهامه من الشيطان فان عليه أن يتحمله ، عالماً أنه يشكو من مصدر شكوى الجميع ، الا وهو الجهل الذى نعانى منه جميعنا . وعالماً أيضاً انه قد يقابل ذلك الانسان فى حياة مستقبلة ، فليكن حذراً على قدر امكانه حتى يتحاشى كل عدوان . بل انه ليحاول أن يساعده على الطريق ، وأن يجيبه تلك الاجابة الرقيقة التى تذهب السخط بعيداً ... (١) .

هدف « العودة للتجسد »

ان امكانية « ذواتنا العظمى » تفتح أمام كل واحد منا بوابة نجم المشرق ، التى تسمح لنا بأن نلقى نظرة خاطفة على المشكلة المحيرة عن مستقبل الانسان ، الذى وصل الى هذه البوابة عن طريق عوداته للتجسد . اذاً ما هو الهدف النهائى للعودة للتجسد ؟

اننا لا نجرؤ على الحديث عن هدف نهائى للروح الانسانية ، لأننا نعلم انه فى أبدية التقدم لا يمكن أن يوجد هدف كهذا ، فالتطور أبدى كالانسان نفسه ...

ومع ذلك اذا ما أمسكنا بشجاعتنا فى أيدينا فيمكننا أن نتطلع خلال ثقوب تلك البوابات التى سيقودنا اليها فى يوم ما طريقنا المرصّع بالنجوم ، ومن الجائز أن الرؤيا تبهرنا فتزيف نظرتنا . ومن الجائز أن يكون الخيال

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢١٨ — ٢٢٨ .

الانســانى لانه « انســـانى » قادراً على أن يتفهم بصعوبة الموضوع الذى يسعى الى تخيله . ولذا يتعين علينا — فى كل امكانيات تصورنا — أن نكون حذرين ، وأن نقرر ان كل ما وصلنا اليه عبارة عن ظل من الحقيقة الرائعة التى تسمو على الخيال .

ولمـا نلقى نظـرة على تلك القلاع البعيدة ، والمعـارك التى توجت بالنصر ، عندما يوشـك الفجر ان يشرق وراء بوابات عالم النعيم ، فانه يكون من العسير علينا ان نتذكر الليالى السوداء ، وأيام العودات اللافحة للتجسد التى قادتنا الى تحررنا من المـادة ومن الأرض .

وهكذا قد رأينا كيف أن موضـوع العودة للتجســد هو اكتســاب الخبرة عن طريق طرح الروح فى الجسد . لقد تعلمنا أن التحرر من قيود المـادة محال بدون تلك الخبرة . ولقد تحققنا الآن ان الروح تكتسب طبعاً ارق مما كان عن طريق اندماجها المؤقت فى حنايا الضلوع .

واذا تم التحرر ، تتوقف تجسداتنا لكى تبدأ المرحلة التاليـــة . لقـد تحملنا حتى النهـاية فخلصنا . خلصنا من ماذا ؟ من ذاتنـا التى تركناها خلفنا للأبد . من ذات الأنانية التى حل محلها انكار الذات ، أى الحب . لقد ربحنا الحرية عن طريق الخدمة ، لكن هل تتوقف خدماتنا للآخرين ؟

الجواب كلا ، لأننى أعتقد ان خدمة الآخرين هى الشىء الوحيـد الذى نحمله معنا خلال الأبدية ، وانه بدون خدمة لا يمكن أن يوجـد حب كامل ، والمسيح نفسـه قال لنا ان الله محبة ، ولذا فاننا نعلم انـه حيث يوجد اله توجد أيضاً خدمة . وهكذا يكون من فخرنا أن نخـدم ، لكن ما هو نوع تلك الخدمة ؟

عندما نكون قد القينا نهائياً اجساد المـادة ، فان خدمتنـا تكون ابتداء على مستوى العقل لاننا نخدم بالعقل اكثر مما نخـدم بالجســد ، رغم انه توجد خلف كل خدمة بالجســـد حتى على الأرض ، خدمـــة استجاب لها العقل أولا ، فنحن نخدم اذا بالعقل .

وهذا التحرر يكون نحو ما اسميه « عوالم الفردوس » التى لا ينبغى ان تختلط بالعوالم الكوكبية التى زرناها فى الفترات بين تجسداتنـــا الارضية ، والتى سنتركها نهائياً عن طريق تلك التجسدات ، وعنـدئذ سنكتشف أن كل ما قيل لنا عن الفردوس لا يساوى شيئاً ..

وسنكتشف اننا قد عرفنا الخطيئة والألم على وجهيهما الصحيح ، بوصفيهما مكملين للخير ، اى بوصفيهما حجر المسن اللازم لصقل الروح .

وسنتحقق لأول مرة بانه بدون الألم والتعب لا يمكن للخير أن يؤدى عمله. وعندما نعود للمرة الأخيرة من تأمل معاركنا الأرضية ، سنجد انفسنا فى مواجهة معارك مختلفة تماما ، ذات أساليب وأهداف مختلفة عما نقدم .

لانه حتى فى عالم الفردوس لا يتوقف النضال الأزلى بين الخير والشر ، الذى لم تكن معاركنا الأرضية سوى ظلال له . لايزال على مضيفى الفردوس أن يناضلوا ضد مضيفى الموت فى صراع لأجل السيادة لا ينتهى . وسيرى الانسان كيف أن الشر يدخل دائماً فى معارك خاسرة كما يحدث على الأرض ، وكما هى الحال دائماً عندما يصر الوهم على أن يواجه الحقيقة .

ولكن الطريق الوعر للعودة للتجسد يقود الانسان الى اكتشاف آخر ، وهو اكتشاف عقله الانسانى ، الذى لا زلنا نجهل تقريباً عنه كل شيء فى الغرب رغم جهود فرويد ، وآدلر ، ويونج . وفى هذا النطاق ينظر الينا اليوجيون فى الشرق كما لو كنا أطفالا كما نحن فى الواقع . لكننا عندما نتنازل عن المادة ، وعن جسد اللحم ، خلال تجسدات متتابعة فاننا سنحصل على النطاق غير المحدود للعقل الذى سيتفتح امامنا .

وبهذه المعرفة سنحصل على الملكات الجديدة لطرح العقل ، وللاستخدام المباشر للعقل على الأثير .. والواقع أننا خلال كل ذلك سنجد انفسنا ذوى ملكات رباعية الأبعاد فى عالم رباعى الأبعاد .

والهدف التالى لمعاركنا على الأرض ، وعلى المستوى الكوكبى ، هو أن نعرف الفارق بين « الفردية » و « الشخصية » . وهنا يحدث تقدم كبير ، فاننا سنعرف أن الفردية هى المعبد الذى يشيده الانسان فى حياة بعد أخرى ، وفى تجسد بعد آخر ، أما الشخصية التى كان جد فخور بها على الأرض فهى شيء عابر ، مجرد فقاعة زائلة تمثل ثمرة حياة واحدة .

وسنتعلم — بالاضافة الى ذلك — أن الذات هى ذلك العنصر الذى صنعناه بأنفسنا ، لكن الروح هى الشعلة القدسية التى لا تنطفيء لانها خالدة . وعند ذلك سنتحقق فورا انه لا يوجد حاجز بين اى انسان وآخر فى أى مكان أو فى أى زمان . وأننا جميعنا يجمعنا نوع من اتصال لاسلكى ، وأنناكلناعلى صلة متبادلة شعورياً ولا شعورياً .

والآن لقد غامرنا فى الأعماق التى تقع وراء ما نعرفه من اختبارات انسانية . لقد تطورنا من انسان حيوانى الى انسان الهى . لقد أصبحنا

من نفس نسيج الآلهة ، « ذات الأردية البيضاء كالثلج ، والأكاليل الذهبية التي ستوضع فوق رؤوس أولئك الذين تألموا ألما عظيماً » .

لقد اجتزنا — بأقدامنا الدامية — الطريق الموصل الى الابتداع بامتداد سبيل العودة للتجسد المليء بالأشواك، ولقد حملنا أكاليل الشوك، لكي نستبدلها بأكاليل الذهب . وفي كلمة لقد أصبحنا سادة ، سادة في الحياة وفي الموت .

عن كيفية العودة

ويقرر شو دزموند عن هذا الوضوع في مؤلفه الآخر « كيف تحيا عندما تموت » ؟ .. — الذي هو ثمرة بحوث عشرات من السنين في موضوعات الروح من كافة نواحيها الوضعية والفلسفية — أن سكان العالم الكوكبي يبذلون ما في وسعهم لاعداد الروح لهبوطها المقبل الى مادة الأرض في كل كثافتها . وهكذا يحاولون أن يجعلوا هذا الهبوط سهلا ونافعاً على قدر الامكان .

فهناك معابد أو « قاعات للحكمة » يتجه اليها من يرغب في الهبوط الى الأرض للحصول على خبرة جديدة ، وفيها يتعلم كيف ، ومتى ، ولماذا يتخير مكان ميلاده الجديد ، ووالديه ، وبيئته ، ولا زلنا نعلم القليل عن الأسلوب المستعمل ، لكننا فحسب نعلم أن العودة للتجسد لا يمكن تحاشيها حتى وان أمكن تأجيلها .

ولا يوجد ارغام ، لأن العودة للميلاد اختيارية دائما . وهناك يتعلمون كيف يخفضون من اهتزازاتهم فيزورون الأرض التي تحتهم بارادتهم ، حتى يتعودوا من جديد على حركاتها وشعوبها . لأنه رغم أن الموت على الأرض هو الذي يحررنا الى المستوى الكوكبي ، فيعطينا ذاكرة للوراء نحو ما مر بنا من احداث ، الا انه لا يعطينا ذاكرة للأمام عن الأحداث التي قد تجيء ، أو عن تلك الأحداث الجارية فعلا .

وكل انسان هناك يعلم انه يمثل شطراً من الذات العظمى ، التي تقف وراءه ، ووراء كل كائن كوكبي .كما يعلم انه يمثل شطراً من روح الجماعة التي تتكون من الرجال والنساء ذوي الاهتزازات المشابهة لاهتزازاته. ولكل واحد منا ذاته العظمى ، وعند العودة الى المستوى الكوكبي يقابل كل واحد مجموعته التي يساهم فيها باختباراته التي حصل عليها عند كل عودة الى الأرض .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٣٨ — ٢٤٤ .

ويوجد على المستوى الكوكبى ، كما يوجــد على المستوى الأرضى نفوس على درجات متفاوتة من التطور ، فبعضها فى أدنى السلم ، وبعضها الآخر فى أعلاه . واحد الموضوعات الأساسية للتعليم الكوكبى هو تفادى عودة الأرواح المنحطة للتجسد لمجرد اشباع رغباتها الجسدية فى جســد ارضى . ولا تنس أننا نحمل معنا الى المستوى الكوكبى رغباتنا ، وآمالنا، ومخاوفنا ، وباقى صفاتنا الأخرى ، والأرواح التى ترغب للعودة للتجسد لاشباع شهواتها الحسية يطلق عليها « الأرواح الهائمة فى محيط الأرض».

لكن توجد أرواح أخرى ترغب فى العودة لانجاز مهمتها التى تركتها بلا انجاز . وأخرى ترغب فى العودة للارتبــاط من جــديد بشخص عزيز عليها تركته على الأرض ، لكن لهــذه الأخيرة أرواح يفهمونها حماقتهـا لأن الشخص العزيز عليها قد يكون غادر الأرض ، أو على وشك مغادرتها ، وبالتالى فانها بالعودة الى الأرض قد تفقد الارتبــاط الذى تسعى الى تحقيقـــه .

وبالتالى فقد ينصحون هذه الأرواح عن نوع التجسد المناسب لها ، والبيئة الطبيعية ، والحالة الاقتصادية من الثراء او من الفاقة .. حتى تحصل على اكبر نفع ممكن من عودتها للتجسد ، ولذا يختار البعض آباء فقراء أو متواضعين ، حين قد يختار البعض الآخر آباء ذوى مستوى عال وثراء ، فكل ذلك يتوقف على نوع الاختبار الذى يحتاج اليه الانســان . وكل ذلك يفسر لمــاذا أن الانسان المتسول فى تجســد معين قد يكون ملكا أو ثريا فى تجسد لاحق .

والفكرة القائلة بأن الرجل ينبغى أن يظل رجلا دائما ، والمرأة امرأة دائما عبارة عن خرافة صبيانية ، ولا ينادى بها أى معلم من المرشـــدين الكبار . وتغيير الجنس يبدو — كما هو جلى — ضروريا كيما تكتمل دائرة الاختبار . ومع ذلك يقولون لنا من المستوى الكوكبى أن نتريث بالنسبة لمثل هذه الأفكار التي ولدتها اختباراتنا الأرضية ، ويقولون لنا جميعنا أن أحدا منا لا يعلم ما فيه الكفاية ، لذا ينبغى أن تكون متواضعين وقنوعين .

كما يقولون لنا انه حتى المستوى الكوكبى الثالث الذى منه يجيئون يحوى مناطق أو مستويات كثيرة ، أى عدة عوالم فى عالم واحد . وأن كل عالم من تلك العوالم له اعتقاداته الخاصة ، ومفاهيمه عن الحيــاة والموت والتطور . وكلها عوالم اهتزازية ، كما هو الشأن بالنسبة لعالمنا بحسبه الوصف العلمى .

ولذا فان الواحد منهم قد يشغل نفس المكان فى نفس اللحظة مثل

آلاف آخرين ، ومع ذلك لا يشعر بعضهم بالبعض الآخر بسبب التفاوت فى ذبذبات الاهتزاز ، وهذا ما لا يمكن حصـــوله على الأرض لأن الأرض ذات ثلاثة أبعاد فقط وليست ذات أربعة أبعاد . ولذا فنحن يتعذر علينـــا فى عالمنا أن نرى الأرواح التى تحوم من حولنا لأنها ذات اهتزازات عاليـــة ، ولأنها أيضا كائنات رباعية الأبعاد (١) .

تعليق

مما لا ريب فيه أن العودة للتجسد تمثل بالنســـبة للروح خطوة هامة فى طريق تطورها نحو الأمام ، لا تقل عن خطوة خروجها من التجسد بالتحول الذى اعتدنا أن نسميه موتا . فالولادة والموت هما أهم خطوتين من خطوات التطور فى فترة الحياة الأرضية الواحدة .

ويبدو أننا اذا كنا لا نختار ظروف موتنا ، بمعنى أن احدا لا يأخذ رأينا فيها ، فاننا — ولو الى حد ما — نختار ظروف عودتنا للتجســـد ، بمعنى أننا ينبغى أن نتطلع اليها ولو على وجـــه ما . كما ينبغى أن تكون أيضا موضوع ضراعتنا واتجاهنا لله ، كما هو الشأن فى كل خطوات حياتنا المقبلة خصوصا عندما تكون الخطوة منطوية على قدر ما من المغامرة ، أو تمثل بالنسبة الينا قدرا ما من الأهمية . والانسان العاقل هو ذلك الذى يتجه الى الله فى كل أحداث حياته ، أو بالأدق يجعل حياته عبـــارة عن ضراعة دائمة لله بالعقل والوجدان ، وقبل كل شىء بالعمل الصالح ، ولعل فى هذا الاعتبار ما قد يرد على قول الشاعر الفارسى عمر الخيام عندمـــا يقول فى احدى رباعياته « لبست ثوب العيش لم أستشر ، وسوف أنضو الثوب عنى .. وأين المفر ؟ » ! .

ولا ريب أن الانسان — قبل تطلعه الى العودة للتجسد — يكون فى صراع قاس بين عوامل تدفعه وأخرى تمنعه . وهذه العوامل وتلك تمثل تفاعل دوافعه الفردية مع دوافعه الطبيعية أو الاجتماعية . هذا التفاعل الذى قد ينتهى بانتصار الاقدام على الاحجام أو بالعكس ، كما هو الشأن فى كل سلوك هام يسلكه الانسان حتى فى أمور حياته الدنيوية .

وذلك خصوصا عندما يكون عند مفترق الطرق ، ويكون لكل طريق مزاياه الواضحة ومخاطره الشديدة . فهو عليه أن يتخير عنـــد ذاك بين

---

(١) How You Live When You Die. 5 th ed p. 154 - 157

وراجـــع ما ورد فى « المفصـــل » . الجزء الثانى عن معنى « عالم رباعى الأبعـــاد » ص ٣٤٥ — ٣٥٤ .

دوام الاقامة فى حياة يكون قد الفها وعرفها بما لها وما عليهـا ، وبين أن يبدأ من جديد مغامرة اخرى كيما يحوز المزيد من الخبرة ، ويؤدى المزيد من الخدمة ، ولو عن طريق الكفاح الشاق والألم المتواصل .

وهنا يلعب نضج الانسان ، وحكمته ، ورغباته ، ومثله العليا ، وصلاته القديمة والحديثة .. دورا طبيعيا ، الى جانب دور نواميس الكون التى قد نحسن استخدامها أو قد نسىء هذا الاستخدام . وفى الحالين نجنى ثمار خطانا أو صوابنا ، **لأن كل تصرفات الانسان ونواحى نشاطه عبارة** عن تركيب من تخيير وتسيير متداخلين ــ يتفاعلان بلا توقف مع نواميس طبيعية مطلقة وموضوعية لانتاج نتائج منطقية محددة لهـذا التفاعـل ، واخطر هذه النتائج ما كان متصلا بتطور الانسان فى الطريق الصحيح أو الخاطىء ، أى ما كان متصـــلا فى النهاية بتوفير عناصر سعـــادته أو شـــقائه .

واذا صح هذا النظر فمن مقتضاه ان تكون صلاتنا مع أفراد اسرتنا صلات عريقة ، بل موغلة فى القدم . ومثلها صلاتنا مع كل أولئك الذين نتعامل معهم ، والذين قد نتصور أن « الصـدف » الحسنة أو السيئة قد جمعنا بهم .

أو بالأدق ان هذه الصلات لم تتحقق بغتة ولا جزافاً كما قد نتصور عندما نسعد « بالصدف » الحسنة أو نشقى « بالصدف » السيئة . فكل صلة من هذه الصلات مهما كان رضانا أو عدم رضانا الحالى عنها مرتبطة بشبكة من علل قديمـة لا تنتهى ، ولا تزال تحدث آثارها طبقاً لناموس « العلية الطبيعية » .

وهكذا يبدو الانسان نفسه نتاج هذه الشبكة العريقة القـادمة من ناحية سلوك ماضيه القـريب والبعيد . وهـذه العلل لم تفرض نفسها عليه ، بل لقد لعبت ارادته فى تخيرها دوراً طبيعياً ، اما توقع المعلولات فهـو الأمر الذى يفلت عادة من تقدير الانسـان فى كل ضعف تقديره ، ونقص تفكيره .

وعلل المـاضى ولدت معلولات الحاضر ، ومعلولات الحاضر هى علل المستقبل . وهكذا الشأن الى ما لا نهاية مما يلقى على الانسان مسئولية ضخمة نامية فى ضرورة البحث عن السبيل الاصوب ، وبالتالى فى ضرورة التعرف على النواميس الخلقية للكون ، وتحديد موضعه منها .

وذلك لا يتأتى الا اذا تعرف على نفســه تعرفاً صحيحاً . ولهـذا السبب وجه سقراط نداءه الخالد « أيها الانسان : أن اعرف نفسك » .

خاتمة

قال أرسطو عبارة تروقنى كثيرا وهى أنه « اذا لزم التفلسف فلنتفلسف ، واذا لم يلزم فلنتفلسف أيضا لنثبت عدم لزوم التفلسف ». وعلة روعة هذه العبارة هى أن كل باحث جاد عن الحقيقة لابد أن يجد هذه العبارة وقد ارتسم مغزاها من جديد أمام ناظريه . أى يجدها وقد « عادت الى التجسد » من جديد ، وربما بمغزى آخر جديد !

وها نحن هنا فى مقام اختتام موضوع العودة للتجسد لا أجد أفضل منها اقدمه الى القارىء المقتنع بصحة هذا الاحتمال وبثبوته معمليا، وأيضا المنكر لصحته ، ولامكان القول بثبوته ... لماذا ؟ لأن البينات الايجابية — كما ترى — وفيرة وفرة لا بأس بها ، وقوية قوة ينبغى أن تسترعى انتباه الباحث الجاد ، الراغب فى تفهم الأمور على حقيقتها .

ووفرة هذه البينات وقوتها أمران مستمدان ليس فحسب من عددها ونوعيتها ، بل أيضا من أن جميع الذين قاموا بتجميعها ليسوا بالمرة من أنصار العودة للتجسد . أو بالأقل لم يكونوا كذلك عندما بدأوا بحوثهم المثابرة فى هذا الموضوع الهام ، ولا راغبين فى اثباتها . فاذا كانوا قد اقتنعوا بها فيما بعد فلأن منطق الوقائع قد غلبهم على أمرهم ، وأمكنه فى النهاية أن يزحزح — فى مشقة بالغة وفى مقاومة شديدة — آراءهم المسبقة فى هذاالشأن ، والمشيدة بعناية واحكام على أن ميلاد الجسد بدأ وفناء الجسد ختام !

كما هما مستمدان أيضا من ترابط هذه البينات فى اثبات العودة للتجسد مهما كان مصدرها بين مصادر البحث المختلفة التى وصل اليها العلم الوضعى . وسواء أكانت هى تحقيقات التنويم المغناطيسى فى ظروف مؤاتية لبعض الوسطاء ، أم أكانت هى تحقيقات ظاهرة « رؤى من قبل » و «سمع من قبل» عندما يكون صاحب الظاهرة فى كامل يقظته ، أم أكانت هى تحقيقات الاتصالات الوساطية بكائنات متجسدة أم غير متجسدة ، أم أكانت هى تمحيص عناصر الفلسفة الباذخة التى تكشف عنها بحوث « علم الروح الحديث » . وهو علم محض وضعى ومرتبط بأسلوب المذهب العقلانى كما أرسى دعائمه « كنط » أكثر بكثير مما قد يتصور المؤيدون والمعارضون معا . وأسلوب كنط هو فى حقيقته امتداد وتعميق للمنهج

الفلسفى الذى نادى به أرسطو صاحب هذه العبارة العميقة المغزى التى وضعناها فى صدر هذه الخاتمة .

ولا اريد ان اتحدث عن ذيوع هذا الاعتقاد لدى شعوب كثيرة ، وفى عصور كثيرة ، وعن استناده الى أسانيد دينية كثيرة ، لأن هذا الاستناد قد لا يرضى عنه المتزمتون من أتباع رينيه ديكارت ، وعمانوئيل كنط ، وأوجست كونت ، ومن اليهم ممن يرون بحق أن ذيوع أى اعتقاد لا يصلح دليلا على صحته ، لأن الأوهام والخرافات أكثر ذيوعا بكثير من الحقائق الثابتة ، وهو أمر اسلم به تماما ، وأتفق معهم فيه الى آخر حدود الاتفاق .

ولكن من حقى أن الاحظ ترابط الأدلة التى قدمها المحققون العلميون مع العديد من المشكلات الفلسفية التى اعيت ولا تزال تعيى محبى الفلسفة فى كل مكان : وهى مشكلات العدل الالهى ، والشر ، والألم ، والضمير ، والمصير الانسانى ، والثواب والعقاب .. وكيف أن هذه البينات تلقى أضواء ساطعة من المحال أن يجد لها الانسان نظيرا فى اى مقام آخر من مقامات البحث فى القضايا الكلية وهى موضوع الفلسفة ، أو فى القضايا الجزئية وهى موضوع العلم الوضعى .

ومن حقى أيضا ان اتحدث عن ترابط الأدلة التى قدمها أولئك المحققون المثابرون مع تلك الحقائق الثابتة التى وصل اليها العلم الوضعى عن المادة ، والعقل ، والطاقة ، والهيولى المحايدة ، والادراك خارج الحواس ، والذاكرة ، وعن خلود النفس الانسانية ، وعن التطور ، وعن دور اللاشعور ، وعن الوراثة أيضا .. حتى وان كنت أسلم تماما بأن المعارف الانسانية فى هذه الأمور لا تزال تحبو فى مهدها ولا تزال قاصرة كأشد ما يكون القصور .

ولكن مما يسترعى الانتباه حقا أن القدر المحدود الذى وصلت اليه معارف الانسان فى شأن هذه الأمور كلها — وما أفدحها من أمور — يلتئم التئاما فريدا ، وتتوافق توافقا مثيرا مع النتائج التى سجلها المحققون المثابرون فى الظواهر غير المألوفة مهما بعدت المسافات بينهم فى الزمان أو فى المكان ، ومهما تنوعت أساليب التحقيق تنوعا كبيرا .

كأنى بظاهرة العودة للتجسد — شأنها شأن سائر الظواهر الروحية المتصلة بموضوع دوام الحياة بعد موت الجسد المادى — تريد أن تتحدى العلماء وتثبت تفاهة مداركهم ، وضآلة معارفهم عن انفسهم . فما من ظاهرة منها أخضعت للتحقيق العلمى — فى جو من الاستخفاف

التام بالظاهرة وبمصدقيها — الا واذ بها مع الوقت الطويل تثبت تدريجيا ثبوتا تاما ، واذ بالظاهرة ترفع رأسها عاليا لكى ترغم المكابرين والمعاندين على احناء رؤوسهم اجلالا أمام عظمة الانسان فى عمق تكوينه واتساع ملكاته ، ومواهبه الظاهرة والدفينة ، وتفاهة عقله فى تفهم ألغاز هذه الملكات والمواهب نفسها .

وهذا القول عن ظاهرة العودة للتجسد يصدق — بنفس المقدار — على ظواهر التلباثى أو انتقال الأفكار ، والادراك خارج الحواس E S P وتأثير العقل فى المادة ، والهالة والجسد الأثيرى ، وظهور الأطياف والتجسدات التامة والجزئية ، والخروج من الجسد المادى وبالجسد المادى ، والرؤى والأحلام والتنبؤات الصادقة ، والعلاج الروحى ، والمنازل المسكونة ، والمس الروحى والاستحواذ ، والمجلوبات والمأخوذات الروحية ، والصور العقلية التى تظهر على الألواح الحساسة ، والالهام والأدب الروحى .. وغير ذلك مما تناولناه فى الجزئين الأول والثانى من « مفصل الانسان روح لا جسد » بالدراسة التفصيلية والتحليل العلمى .

فكل هذه الظواهر لاقت فى مبدأ تحقيقها نفس المقاومة ، ونفس الزراية والاستخفاف بالظاهرة وبمصدقيها ، وذلك الى أن تبتت — كلها — تدريجيا كأشد ما يكون الثبوت ، والى أن رفعت الظاهرة رأسها عاليا لكى ترغم المحققين والمثابرين على أن يحنوا رؤوسهم ، ويراجعوا آراءهم المسبقة عن انفسهم وعن علاقتهم بالكون الذى فيه يعيشون ، أو بالأدق فيه ياهون ويعبثون . وكأن أى واحد منهم طفل صغير يعبث فى عدم اكتراث بشعر رأسه وهو لا يعلم أن كل شعره منها تخفى أسراراً هائلة ، لا يمكن أن يدور بخلده وجودها ، ولا يمكن أن يصل اليها ادراكه المحدود ، حتى وان لم يعجز عن حمل كل هذه الأسرار على رأسه الخاوى الصغير .

والآن فلنعد الى عبارة ارسطو ولنقل مثلما قال : اذا كانت كل هذه التحقيقات المترابطة فيما بينها ، وفيما بين سائر معطيات الفلسفة والعلوم الوضعية غير صحيحة ولا تنبىء عن صحة مبدأ العودة للتجسد ، اذاً فلنتعلسف ولنكتشف عدم صحة هذا الاعتقاد ! ولنقدم على بطلانه بينات ايجابية تعادل فى وفرتها وقوتها تلك التى تقف الى جانبه ، أو تفوقها ، أو لعلها تمحوها من الوجود محواً . وعندئذ فلنحنى رؤوسنا من جديد اجلالاً أمام عظمة الكون وخجلاً من تفاهة عقولنا ومداركنا عن انفسنا وعن هذا الكون نفسه .

ولكن الى أن تتقدم الينا البينات المضادة الجديدة التى تهدر أو يحتمل أن تهدر تلك التى جمعها كد العلماء ونضالهم خلال قرن من

الزمان — او ما يجاوز القرن — فمن حقنا أن نقول أن العودة للتجسد عقيدة مفرطة فى أهميتها ، وفى عمق آثارها التى لا تنتهى عند حد فى تفسير الكثير من ألغاز الكون ، ومعميات الانسان . ومن حقنا أن نقول انه ينبغى متابعة دراستها وتمحيصها بلا توقف مع الاحتفاظ بها كمبدأ أولى عام الى أن نعثر على تأصيل علمى أفضل منها لكل هذه النتائج المتدفقة فى بحوث العلماء المثابرين ، اذا قدر هذا العثور بعد زمان طويل أو قصير ، وبعد عناء كثير أو يسير .

ثم فلنتساءل سؤالاً طبيعياً جداً — فى هذا المقام بالذات — وهو هل نجح العلم المادى فى تعليل الوراثة ، والتكوين الفطرى للانسان ؟ هل حقيقة يمكن الجزم بأنه فى اللحظة التى تدخل فيها خلية الاب فى بويضة الأم يتحدد كل شىء فى جنين المستقبل : جنسه ، وملامحه ، ولونه ، وصفاته ، وأمراضه ، وأخلاقه ، وميوله ... هل حقاً كل ذلك تحدده خلية الأب التى يبلغ وزنها ٦ من مليون من الجرام والتى يحوز منها بلايين لا تحصى فى القذيفة الواحدة ... ويقال انها — أو انها باتحادها ببويضة الأم — تحوز كل هذه الخصائص مجتمعة ؟

* * *

أخشى أن يكون هذا تدليساً باسم العلم لا علماً صحيحاً ! وأخشى ان تكون هذه مضاربة جوفاء كالعديد الذى لا يحصى من مضاربات العلم الجوفاء التى ألقيت على عواهنها فى عصر اغبر كان العلم قد ارتبط فيه تماماً بالفلسفة المادية للوجود . لقد قرأت فى التكوين الفطرى أكثر مما قد يتصور القارىء محاولاً أن أجد تعليلاً واحداً مقنعاً للوراثة من الناحية البيولوجية فلم أجد . وعندما نقبت فى البحوث الروحية وجدت أن بحاث الروح يقدمون هذا التعليل ، بأسانيد واضحة مترابطة يتعذر رفضها الا لمن أعد ذهنه مقدماً للرفض وللمكابرة .

ثم من قال ان خلية الأب أو بويضة الأم لها تكوين عاطفى ، ولها ذاكرة شعورية أو لا شعورية ، ولها خصائص الانسان ؟ قد يكون لها حياة أو قدرة على الحياة كالنملة أو كالذبابة ، أما ما عدا ذلك فهى محرومة منه بتاتاً ، ولم ينازع أى انسان فى ذلك .

وأخشى أن تكون البيولوجيا قد حاولت فحسب تعليل وراثة الجسد ، أما الروح فلم تحاول تعليلها لأن الروح لا تورث ! ولأن شخصية صاحبها تمثل نتاج تطور موغل فى القدم . وعندما أنكرت

البيولوجيا — وهى علم الحيــاة — الروح أصبحت هى نفسها علم حيــاة بلا حياه ، اى بيولوجيا ميته على ما لاحظه برجسون الفيلسوف العظيم .

فالانسان يرث الجســد من اجتماع جسدى ابويه ، وهــذا الارث يعلل تماما اوجه الشبه العديده التى كثيرا ما تتواهر الى حد ملفت للنظر بين الانســان وأحد ابويه او أحد اجــداده (عملا بقــانون منــدل للوراثه) . اما روحه فهو يرثها من نفسه . او بالادق من ماضيه العريق ، واختياراته التى لا تحصى خلال هذا الماضى العريق . ولذا كثيرا ما نجد ان المولود العبقرى ينحدر من صلب اب غبى والمولود الغبى من صلب اب عبقرى ، والمولود الصالح من صلب اب طالح وبالعكس .

ولمــا كان التكوين العضوى يمكن ان يحدث تأثيره فى التكوين الروحى لصاحبه وبالعكس ، لان العقــل والمــاده يتعاملان على الدوام ، فانه من المتصور ان نجد بعض التوافق بين عقل الانسان ومظهره ، لا كل التوافق، لان قوانين الوراثه بوجه خاص ، والبيولوجيا بوجه عام ، تلعب دائمــا دورها فى تحقيق هذا التوافق ولو الى حد ما ، ولو على نحو ما ، والا اذا تداخلت عوامل جديده يمكن ان تسند الى قوانين روحيه اخرى .

فكل هذه الحقائق الروحية تلقى أضواء لا غنى عنها فى تفسير بعض ظواهر الوراثه ، وتعقبها تمــاما ، لو اننــا صممنا على القــول بان كل خصائص الانسان كامنة فى خليه الاب وبويضة الام ... هذا القول الذى قد يعلل تكوين الرداء الخارجى ، لا الانسان صاحب هذا الرداء ، والمندمج فيه اندماجا تاما او شبه تام ولو الى حين !

ولعل هذا الاندماج ما كان ليحدث بدوره لولا وجود روابط عريقة وربما اعرق مما نتصــور بين أفراد الأسره الواحده ، والمجتمع الواحد ، والوطن الواحد ، والقارة الواحــدة ، بل والكوكب الواحد ايضا . ولولا وجود اهــداف خطيرة ، واخطــر بكثير مما نعــتقد ، كائنة وراء هــذا التخطيط الذى جادت به قدرة جليلة من عند عزيز حكيم والذى يسمو على مستوى مداركنا بما يتجاوز كل قياس .

• • •

ثم فلنتساءل سؤالاً آخر طبيعياً — فى هذا المقام بالذات — وهــو هل نجحت الفلسفة — حتى الفلسفة النظرية فى الروح وفى الوجود — فى تعليل مفارقات الدهر التى لا تحصى ، ومظالمه التى لا تنتهى ؟ هل حلت الفلسفة النظرية حلا مقنعا مشكلات العــدل الالهى ، والألم ، والشر ، والتخيير ، والمصير ؟ .. او هل قدمت للعقل حلولا — أو أشباه حلول — فى هــذه الأمور يطمئن اليها حقــاً العقل الباحث عن الاقتناع ، والوجدان الباحث عن الاطمئنان ؟ .

انني أيضاً أخشى أن تكون حلول الفلسفة النظرية فى هـذه الأمور هى بدورها تدليساً باسم الفلسفة ، لا فلسفة صحيحة . وأخشى أن يكون دور الفلسفة النظرية هنا هو أبعادنا عن الحقائق لا مساعدتنا فى الوصول اليها . فالفلسفة هنا لم تتواضع وتبحث الأمور فى هدوء وفى روية ، كما فعـل المنقبون الجادون عن حقائق الروح والوجود فى هدوء وفى روية ، ولمدى عشرات من سنى البحث الحذر ، المثابر ، الناقد ، الموضوعى .

واسلوب الفيلسوف النظرى يعتمد أصـلاً على محض استدلالات مرتجلة لحـل القضـايا الكلية قد تصيب وقد تخطىء ، بل تخطىء غالباً اكثر مما تصيب . وهـو لا يشعر انه مطالب بتقديم الدليل على صحة ما يقول ، واذا قـدمه فهو فى كثير من الأحيان من ضروب المصادرة على المطلوب . أما أسلوب الفيلسوف أو المفكر الوضعى فهو يعتمد فى كل لبنة من لبناته على محض وقائع جمعها فى مثابرة وتأن على أوسع نطاق ممكن ، وأخضعها لأسلوب التمحيص الناقد والتحليل الدقيق . ولذا فهـو فى المعتاد أكثر اعتدالاً فى استدلالاته ، وأكثر تدقيقاً فيها وأكثر قدرة على اثباتها والدفاع عنها . وبالتالى فهو أقرب الى الوصول الى قلب الأمور من الأسلوب الأول .

واذا كان هـذا هو شأن الفلسفة الوضعية فى الكشف عن مجاهل الوجود المـادى ، فهو شأنها أيضـاً — ومن باب أولى — فى الكشف عن مجاهل وجودنا الروحى التى هى أعصى من غيرها على الارتيـاد الآمن . ولذا كان الفيلسوف هنرى برجسون على حـق تمـاماً عندما لاحظ منذ اكثر من ستين عاماً أنه : « لو انصرف العـلم الى شئون الروح أول ما انصرف ، لظل غـير يقينى ولا دقيق مهما تقـدم . ولعله ما كان يميّز عندئذ بين ما هو ممكن فحسب ، وبين ما ينبغى أن يقبـل قبولا نهائيـا .

أما اليوم — وقد أصبحنا بفضل دراستنا نحسن هذا التمييز، ونتمتع بالمزايا التى تقتضيها — فاننا نستطيع ان نغامر بدون ما خوف فى هـــذا الربع الذى لم يكد يستكشف بعد ، ربع الوقائع الروحية . فلنتقدم فى جرأة عاقلة ، ولنلق عن أكتافنا تلك الميتافيزياء (ما وراء الطبيعة) السيئة التى تعرقل حركاتنا . ويقينى ان علم الروح سيؤدى الى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال » (١) .

وها هى الأيام تمضى سراعا منذ قال برجسون هذه الكلمات المليئة

---

(١) للمزيد من آراء برجســون فى الروح والبحث الروحى والتطور راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٣٧٢ — ٣٧٥ ، والجزء الثانى ص ٣١ — ٣٧ .

بالمغزى ، وها هو كل يوم منها يثبت أنه كان على حق ، وربما أكثر مما قدر هو نفسه وتوقع من هجر أسلوب « ما وراء الطبيعة » الى أسلوب استكشاف الوقائع الروحية فى جراة عاقلة ، وصلت الى نتـائج كثيرة تسبب الحيرة والذهـول ، وتحف بها الخطورة من جميع جوانبها ، ولن يمضى طويل وقت حتى تدخل الى اطار البديهيات عند رغبة معالجة قضايا الانسان ، أو بالأدق الانسان بوصفه أعقد قضايا هذا الوجود .

* * *

ثم لا يسعنى — ايها القـارىء — الا أن أضـع أمامك هـذه الخواطر التى جالت ببال المفكر الألمـانى جوتهولد لسنج G. Lessing (١٧٢٩ — ١٧٨١) ، فلا أجد أفضل منها للتعبير عما يجول الآن ببالى، وما أرجو أيضا أن يجول ببالك أنت ، وذلك عندما قال : « ان متعـة الانسان لا تنحصر فى امتلاكه للحقيقة ، وانما هى تنحصر فى الجهـد الذى يبذله من أجل العمل على بلوغها .. ولا تنمو ملكات الانسان بامتلاك الحقيقة ، بل بالبحث عنها ، كما أن كماله المتزايد لا يتمثل الا فى هـذا المظهر وحـده .

والحـق أن امتلاك الانسان للشىء يميـل به الى الركود والتكاسل والغرور . ولو أن الله وضع الحقائق كلها فى يمينى ، ووضع فى يسارى شوقنا المستمر اليها — وان أخطأناها دائما — ثم خيرنى ، لسـارعت الى اختيار ما فى يسارى ، قائلا له : « رحماك يا ربى فان الحق الخالص لك انت وحدك » .

ومن يدرى ! فلعل هـذا الشوق المستمر الى الحقـائق هو العلة الحقيقية الكائنة وراء تجسدنا فى عالم الاختبار ، ثم عودتنا للتجسـد فى نفس هذا العالم . فالانسان لا يتعلم الحياة من نعيم التأمل بل من جحيم التألم ، ولا يتعلمها من الاستماع أو من القراءة ، بل من الممارسة العملية. وبالتألم وبالممارسة تنمو ملكاته وينمو كماله المرجو فى سفر الحياة كمـا بدعه الاله ، الذى لا يريد لأحد الشقاء أو الضـياع ، بل بالعكس يريد للجميع البقاء ثم الارتفاع .

وذلك حتى يستحق أن يشغل الانسان المكان السامى المعـد له منذ بدأ تأسيس الكرة الضئيلة التى نشغلها ، لا منذ بدأ الزمان كما يقال فى بعض الأحيان ، لأن الزمان كالدائرة لا يعرف له بدأ ولا انتهاء ، أو بالأدق لقد عرفوا بالفعل أنه لا بدأ له ولا انتهاء !

عن بعض المراجع فى العودة للتجسد

لمن يريد المزيد فى « العودة للتجسد » أن يرجع الى بعض المراجع العلمية ، وهى وفيرة ، واوفر مما قد يخطر على بال اى قارىء . وقد اخترنا منها ما يلى :

اولا : باللغة الانكليزية

— وليام ولكر أتكنسون W. Walker Atkinson وله مؤلف عنوانه « العوده للتجسد وقانون الكارما » (١٩٠٨) (١) .

— ليزلى ويذرهيد Leslie Weatherhead وله مؤلف عن « قضية العوده للتجسد » (٢) .

— ا . د . والكر E. D. Walker وله مؤلف عن « العودة للتجسد . دراسة لحقيقة منسية » (١٩١٩) (٣) .

— وللسيدة هيلين بتروفا بلافاسكى H. P. Blavatsky مؤسسة « المدرسة الثيوصوفية » بحوث فى هذا الشأن فى مؤلفها « ايزيس بلا نقاب » (١٨٧٧) (٤) و « الفقه الخفى » (١٨٨٧) (٥) .

— وللسيدة انى بيزانت Annie Beasant وهى من اعلام هذه المدرسة عدة كتب فى هذا الشأن منها « العودة للتجسد » (٦) . كما تعرضت له فى بعض مؤلفاتها الاخرى مثل « الحكمة القديمة » (٧) (١٨٩٧) ، و « الحياة الروحية » (٨) (١٩١٢) ، و «حياة الانسان فى هذا العالم ، وفى العوالم الأخرى » (١٩١٣) (٩) .

---

(١) Reincarnation And The Law Of Karma.

(٢) The Case For Reincarnation.

(٣) Reincarnation : A Study Of Forgotten Truth.

وفى نهايته يجد القارىء بيان بالمئات من المراجع باللغات اللاتينية ، والالمانية ، والفرنسية ، والانكليزية ، وفى المجلات العلمية والفلسفية المتنوعة ، وذلك لمن يريد الاستزادة فيه .

(٤) Isis Unveiled

وله ترجمة فرنسية عنوانها Isis Devoileé.

(٥) The Secret Doctrine.

وله ترجمة فرنسية عنوانها La Doctrine Secrète.

(٦) Reincarnation.

(٧) The Ancient Wisdom.

(٨) The Spiritual Life.

(٩) Man's Life in This And Other Worlds.

ــ ولنفس المؤلفــة بالاشتراك مع الأسقف ك . و . ليـــدبيتر C. W. Leadbeater وهو بدوره من أعلام المدرسة الثيوصوفية ــ كتاب قيم فى جزئين بعنوان « حيوات السيون » (١) (١٩٢٤) .

ــ وللبحاثة ف. بلاى بوند F. Bligh Bond مؤلفان فى هـــذا الشأن أولهما بعنوان « بوابة الذكرى » (٢) وثانيهما بعنوان « حمـــلة افالون » (٣) (١٩٢٤) .

ــ وللبحاثة الارلندى المعروف شو دزموند Shaw Desmond كتاب عنوانه « العودة للتجسد لكل انسان » (٤) .

ــ وشيرلى رالف Shirley Ralph وله كتاب عن « مشكلة الميلاد الثانى » (٥) (١٩٢٤) .

ــ ل. ستانلى جاست L. Stanley Jast وله مؤلف عنوانه « ماذا يعنى كل هذا » ؟ (١٩٤١) (٦) .

ــ ت. كريستماس همفريز T. Christmas Humphreys وله مؤلف عنوانه « الكارما والعودة للميلاد » (١٩٤٣) (٧) .

ــ روبرت جيمس ليز Robert James Lees وله مـؤلف عنوانه « دراسة فى العودة للتجسد » (٨) .

ــ وقد أملى عالم النفس المعروف فردريك مايرز (٩) بياناً من هناك عن صحة العودة للتجسد تجــده فى كتاب للوسيطة جــيرالدين كامينز Geraldine Cummins عنوانه « الطريق الى الخلود » (١٠) (١٩٣٢) .

---

(١) The Lives Of Alcyone

(٢) Gate Of Remembrance

(٣) The Company Of Avalon.

وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٠٣ .

(٤) Reincarnation For Everyman.

(٥) The Problem Of Rebirth

(٦) What It All Means.

(٧) Karma And Rebirth.

(٨) An Astral Bridgegroom : A Reincarnation Study.

(٩) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٣٨٢ ــ ٣٨٥ .

(١٠) Road To Immortality.

— ولآرثر هيل Arthur Hill بحث فى هذا الشأن فى « مضابط جمعية البحث الروحى » بلندن . المجلد الثامن والثلاثون بعنوان « بعض مخطوطات تلقائية عن « العودة للتجسد » (١) .

— لويس كريستوفورو بوستيلونو Louis Cristoforo Postiglono وله مؤلف عنوانه « أسس الفلسفة العلمية عن دوام الحياة بعد الموت والعودة للتجسد » (١٩٥٦) (٢) .

— جيوفرى هودسون Geoffrey Hodson وله مؤلف عنوانه : « العودة الى التجسد ، وهل هى حقيقة أم خيال ؟ » (٣) .

— فرانسيس ستورى Francis Story وله كتاب عنوانه « قضية الميلاد الثانى » (٤) (١٩٥٩) .

— دكتور سوشيل بوز Sushil Bose وله مؤلف عنوانه « حياتك الأخيرة والمقبلة » (١٩٥٩) (٥) .

— لورانس تمبل Lawrence Temple وله كتاب عنوانه « الأخ المشرق » (١٩٤٠) (٦) .

— جورج ب. براونيل G. Brownell وله كتاب عن « العودة للتجسد » (١٩٤٦) (٧) .

— وجيمس سكادى بركنز James Scuddy Perkins وله مؤلف عنوانه « من الموت الى العودة للتجسد » (٨) (١٩٦١) .

— و ك .ج. ديكاس C. J. Ducasse الأستاذ بجامعة براون وله مؤلف تناول فيه هذا الموضوع عنوانه « الاعتقاد فى حياة بعد الموت » (١٩٦١) (٩) .

---

(١) Some reincarnationiat Automatic Scripts

(٢) Fundamental Scientific Philosophy About Survival And Reincarnation.

(٣) Reincarnation Fact Or Fallacy ?.

(٤) The Case For Rebirth.

(٥) Your Last Life And Your Next.

(٦) The Shining Brother.

(٧) Reincarnation.

(٨) Through Death To Rebiith.

(٩) The_Belief In A Life After Death.

- و ن . سمارت N. Smart وله كتاب عنـوانه « الفقـه واسانيده فى الفلسفة الهندية » (١٩٦٤) (١) .

- وجوزيف هيـد Joseph Head بالاشتراك مع س. ل. كرانستون S. L. Cranston ولهما معـا كتاب عنـوانه « العودة للتجسد : أصولها فى الشرق والغرب » (٢) .

- وجينا كيرمينارا Gina Cerminara ولها كتاب تناولت فيه هذا الموضوع عنوانه « منازل كثيرة » (٣) وآخر عنوانه « العـالم الذى بالداخل » (٤) .

- ج. هـ. برينـان J. H. Brennan وله كتاب عنـوانه « خمسة مفاتيح للحيوات السابقة » (٥) .

- ت. كريستماس همفريز T. Christmas Humphreys وله كتاب عنوانه « الكارما والعودة للميلاد » (٦) .

- كريستين هارتلى Christine Hartley ولها كتاب عنـوانه « حالة عودة للتجسد » (٧) .

- و أ. و. ريال E. W. Ryall وله كتاب عنـوانه « دورة المرة الثانية » (٨) .

- أيان ستفنسون Ian Stevenson استاذ التحليل النفسى بجامعة فرجينيـا بالولايات المتحدة الأمريكيـة وله كتاب « عشرون حالة ترشح للعودة للتجسد » (١٩٦٦) (٩) .

- ونوفل لانجلى Novel Langely وله مؤلف عن « موقف ادجار كايس من العودة للتجسد » (١٩٦٧) (١٠) .

---

(١) Doctrine And Argument In Indian Philosophy.

(٢) Reincarnation : An East - West Anthology.

(٣) Many Mansions.

(٤) The World Within.

(٥) Five Keys To Past Lives.

(٦) Karma And Rebirth.

(٧) A Case For Reincarnation.

(٨) Second Time Round.

(٩) Twenty Cases Suggestive of Reincarnation.

(١٠) Edgar Cayce On Reincarnation.

— كارل موللر Karl Muller وله كتاب عنوانه « العـودة للتجسد مؤسسة على وقائع » (١) (١٩٧٠) .

— روبرت ا. سميث Robert E. Smith وله كتاب عنوانه « نحن نحيا حيوات متعددة » (٢) (١٩٧١) .

— وسوامى ابهد داناندا Swami Abhedananda وله كتاب عنوانه « العودة للتجسد » (٣) (طبعة تاسعة ١٩٦٨) .

ثانيا باللغة الفرنسية :

— آلان كاردك Allan Kardec وهو أب هذا الفقه فى البلاد ذات الحضارة اللاتينية وقد عرضه فى عدة مؤلفات أهمها « كتاب الأرواح » (٤) (١٨٥٦) . بالاضافة الى كتاب آخر وهو « الجنة والنار » (٥) (١٨٦٥) .

— ليون دنيز Léon Denis وله فى هذا الشأن « مشكلة الكائن والمصير » (٦) .

— أوجين البير دى روشا Eugene Albert De Rochas وله كتاب « الحيوات المتتابعة » (٧) (١٩١١) .

— الدكتور جوستاف جيلى G. Geley وقـد تناول هـذا الموضوع فى مؤلف من أجمل مؤلفاته وهو من « اللاشعور الى الشعور » (١٩٢١) (٨) .

— ا. كالدرون E. Calderone وله مؤلف عن « العودة للتجسد بحسب الدكتور جيلى » (٩) .

---

(١) Reincarnation Based On Facts

(٢) We Live Many Lives

(٣) Reincarnation.

(٤) Le Livre des Esprits.

(٥) Le Ciel Et L'enfer.

(٦) Le Problème de L'Etre et De La Destinée.
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٦٩ — ٤٧٢ .

(٧) Les Vies Successives
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

(٨) De L'Incoscient Au Conscient.

(٩) La Reincarnation D'Après Dr. Geley.

ـ الدكتور جيرار انكوس (بابيس) Gérard Encausse (Papus) وله مؤلف بعنوان « العودة للتجسد » (١) .

ـ جابريل ديـلان Gabriel Délanne وله كتاب عنـوانه « دراسة للحيوات المتعاقبة » (٢) ، وآخر عنوانه « وثائق تنفع فى دراسة العودة للتجسد » (٣) .

ـ شارل لانسلان Ch. Lancelin وله كتاب عنوانه « العودة للتجسد » (٤) ، وآخر عنوانه « كيف يموت الانسان وكيف يولد » (٥) .

ـ الدكتور ا . برنارد A. Bernard وله كتاب عن « الحيوات المتعاقبة » (٦) .

ـ الأب الطا Abbé Alta وله مؤلف عن « وحدة وجود الروح وتعدده » (٧) .

ـ جورج بارباران George Barbarin وله مؤلف عنوانه « عشت مائة مرة » (٨) .

ـ وهنريبت جوتيل جاى Henriette Joutel Gay ولها كتاب عنوانه « تلك الأخرى التى كانت انا » (٩) .

ـ سيمون سان كلير Simone St. Claire ولها مؤلف عنوانه « حيواتنا السابقة » (١٠) .

ـ الدكتور ادوار برتوليـــه Ed. Bertholet وله مؤلف عنوانه « العودة للتجسد » (١١) (١٩٤٩) .

---

(١) La Reincarnation.

(٢) Etudes des Vies Successives

(٣) Documents Pour Servir A L'étude De La Reincarnation.
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٧٠ – ٤٧٣ .

(٤) La Reinarration.

(٥) Comment On Meurt, Comment On Nait.

(٦) Les Vies Successives.

(٧) Unité et Pluralité Des Existences De L'Ame.

(٨) J'ai Vecu Cent Fois.
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٨١ .

(٩) Cet Autre qui Fut Moi.

(١٠) Nos Vies Antérieures.
وراجع ما ورد عن المؤلفة فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٨١ .

(١١) Réincarnation.

- بيير نوفيل Pierre Neuville وله مؤلف عنوانه « تلك الحيوات الأخرى التى عشتها مع ذلك » (١٩٧٠) (١) .

ثالثا : باللغة العربية (بترتيب ابجدى) :

- ج. دى بور : ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادى أبو ريدة فى كتاب « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » .

- جوفرى هدسن : ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى فى كتاب « العودة الى الحياة ، وهل هى حقيقة أم خيال ؟ » (١٩٥٧) .

- عبد الرزاق نوفل فى كتاب « أسرار وعجب » (١٩٧١) .

- عبد العزيز جادو وله كتاب « العودة للتجسد فى مفهومها العلمى الحديث » (١٩٧٤) .

- عبد القادر حمزة فى كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » (١٩٤١) .

- محمد على ابو ريان فى كتاب « أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردى » (١٩٦٩) .

- محمد غلاب فى كتاب « التصوف المقارن » .

- مرجريت مرى : ترجمة الأستاذ محرم كمال فى كتاب « مصر ومجدها الغابر » (١٩٥٧) .

---

(١) Ces Autres Vies que Vous Avez Pourtant Vécues.

فى العودة للتجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

عن بعض المراجع فى العودة للتجسد

ثانيا : فهرس الصور

تصويب

رقم الصفحة	رقم السطر	خطأ	صواب
٣٢	٢٢	يعمل	فقهه ينتشر
٧٦	١٤	Harder	Herder
٧٧	١٩	Flammarioh	Flammarion
٢٠٥	هامش (١)	Pevue	Revue
٢٠٧	٥	يدى	يدعى
٢١٩	١	سيلر	سيلفر
٢٢٦	١٤	جبينا	خبينا
٢٤٢	٣	Rassell	Russell
٢٤٦	١٩	شقالية	شفافية
٢٥٠	١٦	حياته	حياة
٣٣١	٣	(١٣)	(٢)
٣٤٨	١٦	جمعنا	جمعتنا

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/٤٠٥٤

للمؤلف
(الطبعات الأخيرة)

* * *

فى التشريع العقابى

- « **مبادىء القسم العام من التشريع العقابى** » . ظهرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ .
- « **السببية فى القانون الجنائى : دراسة تحليلية مقارنة** » . ظهرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٧٤ .
- « **فى الجرائم وعقوباتها** » . دراسة فى القسم الخاص من قانون العقوبات المصرى . ظهر فى سنة ١٩٥٣ .
- « **جرائم التزييف والتزوير فى القانون المصرى** » . ظهرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٥٤ .
- « **جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال** » . ظهرت طبعته السادسة فى سنة ١٩٧٤ .
- « **شرح قانون العقوبات التكميلى** » . فى جرائم المخدرات . الأسلحة والذخائر . التشرد . الاشتباه . التدليس والغش . تهريب النقد . ظهرت طبعته الرابعة فى سنة ١٩٦٨ .

فى علم الاجرام

- « **مبادىء علم الاجرام** » . ظهرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٧٤ .

فى الاجـراءات الجنائية

- « **مبادىء الاجراءات الجنائية فى القانون المصرى** » . ظهرت طبعته العاشرة فى سنة ١٩٧٤ .
- « **المشكلات العملية الهامة فى الاجراءات الجنائية** » . ظهرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٧٣ فى جزئين : –

الجزء الأول : دراسات فى تكييف الواقعة . القبض والتفتيش . حق الدفاع . استظهار قصد القتل . دعوى البلاغ الكاذب . الدعوى المدنية .

الجزء الثانى : دراسات فى الطعن فى الأحكام وأوامر الاحالة .

ـ « **ضوابط تسبيب الأحكام الجنائية فى قضاء النقض المصرى** »
ظهر فى سنة ١٩٥٦ .

فى فلسفة التشريع

ـ « **فى التسيير والتخيير : بين الفلسفة العامة وفلسفة القانون** »
ظهرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٧٦ .

فى علم الروح الحديث

ـ « **مفصل الانسان روح لا جسد** » ظهرت طبعته الرابعة فى ثلاثة أجزاء كالآتى : ـ

الجزء الأول : الخلود حقيقة وضعية (١٩٧٥) .
الجزء الثانى : الخلود والقضايا العلمية (١٩٧٦) .
الجزء الثالث : الخلود والقضايا الفلسفية (١٩٧٦) .

ـ « **عروس فرعون وشوقيات جديدة من عالم الغيب** » . دراسة تحليلية عن الالهام ، وعن الصلة بين عالمى الروح والمادة .
ظهر فى سنة ١٩٧١ .

ـ « **قصتى العظمى** » . تعريب لتحقيق روحى استمر عشرين عاماً قام به الأديب المعروف هانن سوافر نقيب الصحافة البريطانية .
ظهر فى سنة ١٩٧٢ .

ـ « **ظواهر الخروج من الجسد : أدلتها دلالاتها** » .
مدخل الى علم جديد . ظهر فى سنة ١٩٧٥ .

ـ « **فى العودة للتجسد : بين الاعتقاد والفلسفة والعلم** » ظهر فى سنة ١٩٧٦ . دراسة فى تاريخ الانسان الذى يتجاوز حياته الراهنة .

* * *

بالفرنسية

— Essai Sur La Justice Pénale De L'Egypte Pharaonique Paris 1941.

— La Science Pénitentiaire et le Probleme Des Jeunes Délinquants En Egypte. Paris 1941.

— Des Ministres Comme Ordonnateurs Des Dépènses De L'Etat en Egypte Etude de droit Comparé. Paris 1942.

— Le Rôle des Organes de Poursuite dans le Procès Pénal en Egypte. Rapport Présenté au IXe Congrès International De Droit Pénal à La Haye (du 23 au 28 Aout 1964) Revue Internationale De Droit Pénal 35 année. Nos. 3 et 4 P. 41 et ss.

اقرأ أروع تحقيق فى الروحية الحديثة :



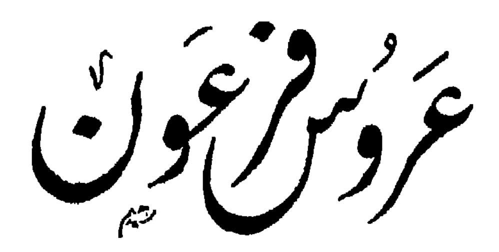
بقلم هانن سوافر
نقيب الصحافة البريطانية

تعريب وتقـديم
الدكتـور رؤوف عبيد

« ان سوافر رجل صادق ، وليس بالساذج الذى تخيل علبه العوبة افاق ، وليس هو بالدجال الذى يحاول غش الآخرين وخداعهم . والواقع انه تخصص فى التحقيق الصحفى لكبريات الجرائم ، فكان يعهد اليه دائماً فك طلاسمها ، فليس من المعقول ان نتهمـه بالتلفيق ... وأنا شخصياً انصح بتصديقه لمـا أعهده فيه دائماً من تحرى الصراحة والصدق فى كل ما يكتبه ...

ويمضى المؤلف فى سرد ما يمتع نفس القارىء العادى ، ويشبع رغبة البحث والاستقصاء فى الباحث المدقق ، ويغرى بغزو هذا الميدان الشائك الذى يضل فى أرجائه الفسيحة أمثالنا . ويا ليتنا نوالى ضغطنا عليه حتى ينجلى السر الاكبر ، أو نعود مدحورين مقهورين » ....

(**الأستاذ الدكتور مصطفى الديوانى** فى تعليق له فى كتـابه الرائع بعنوان « قصة حياتى » ١٩٦٥ ص ١٣٤ ، ١٣٦) .



وشوقيات جديدة من عالم الغيب

ستقرأ فيه :

ـ دراسة تحليلية من الالهام ، ومن الصلة بين عالمى الروح والمادة .

ـ دراسة عن شاعرية شوقى شاعر التاريخ .

ـ رواية شعرية كاملة من طراز « مصرع كليوباترة » ، وخمس عشرة قصيدة تتناول مشاعر الانتقال ، ووصف عالم الروح ، والأحداث الجارية فى بلاغة مأثورة .

ـ نثراً فنياً مميزاً فنياً بالأخلاقيات والحكم المـأثورة .

ـ آراء أعلام الشعر والنقد والأدب فى كل هـذا الانتـاج ، مؤيدة بأسانيدها التفصيلية الحاسمة .

للمؤلف : تظهر قريبا طبعة ثانية مزيدة ومنقحة .

فى التسيير والتخيير

بين الفلسفة العامة وفلسفة القانون

ـ عدل هى الحياة أم قدر ؟

ـ وهل هى صدف عشواء تمليها النزوات والأهواء ؟

ـ وهل من توفيق بين التشريع الأعظم والتشريع الوضعى ؟

اذا اثار ذهنك أمثال هذه الأسئلة فقد تجد فى هـذا الكتاب مـا تبغيه ، واذا لم يثرها فالأفضل لك الا تقتنيه !

جميع كتب المؤلف تطلب من

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

١١ شارع جواد حسنى . عابدين . مصر

ص.ب : ١٣٠